سلسلة تاريخ النصارى في الإسلام 2

صليبا بن يوحنا الموصلي (1332 م)

أسفار الأسرار أو كتاب التواريخ

وفيه أخبار بطاركة كرسي المشرق

وتسبقه دراسة: عهود أهل الذمّة نصوص ودروس

دراسة وتحقيق: د. لويس صليبا

دار ومكتبة بيبليون
جبيل - لبنان



أسفار الأسرار

كتب للدكتور لويس صليبا

صدرت عن دار ومكتبة بيبليون

I - الدراسات الإسلامية

1 – **بحث في جذور النظرة الذكورية إلى المرأة في الثقافة الإسلامية**، دراسة وتحقيق لكتاب بستان الراغبين لمحمد مصطفى العدوي.
ط1، 2005. ط4، 270 ص

2 – **النساطرة والإسلام، جدلية علاقة منذ ما قبل البعثة إلى ما بعد** سقوط العباسيين/دراسة وتقديم لكتاب المجدَل للاستبصار والجدل.
ط1، 2005. ط2، 580 ص

3 – **من تاريخ الهرمسية والصوفية في الإسلام**/جمع، ترجمة، ونقديم لدراسات للمستشرق البروفسور بيير لوري. ط1، 2005. ط4، 324 ص

4 – **معراج محمد/المخطوطة الأندلسية الضائعة**، ترجمة لنصّها اللاتيني مع دراسة وتعليقات وبحث في جذور النظرة الغربية إلى الإسلام، تقديم سحبان مروة. ط1، 2008. ط 4، 362 ص

5 – **المعراج في الوجدان الشعبي**، دراسة لأثره في نشأة الفِرَق والفنون والأسفار المنحولة في الإسلام ط1، 2008. ط4، 384 ص

6 – **المعراج من منظور الأديان المقارنة**، دراسة لمصادره السابقة للإسلام ولأبحاث المستشرقين فيه، تقديم د. جوزف قزي.
ط1، 2008. ط4، 417 ص

7 – **كتاب قتل كاتبه**، دراسة، تعليق وتحقيق لـ تنقيح الأبحاث للملل الثلاث لابن كمّونة الإسرائيلي، (ت683 هـ)، تقديم سحبان مروة.
ط1، 2009. ط4، 560 ص

8 – **دراسة للأثر اليهودي في الحديث النبوي والتفسير**، مدخل نقدي وتنقيح وترجمة كتاب كعب الأحبار لإسرائيل ولفنسون.
ط1، 2010. ط3، 342 ص

9 – **توما الأكويني والإسلام**، بحوث في مصادره الإسلامية وردوده على الفلاسفة. ط1، 2011. ط2، 410 ص

10 – **رسالة في الردّ على المسلمين للقدّيس توما الأكويني**، دراسة وتحقيق. ط1، 2012. ط2، 386 ص

11 – **جدلية الجاهلية والإسلام والمسيحية عند النجفي**، دراسة وتحقيق لمذكرات الصافي النجفي. ط1، 2011. ط2، 575 ص

12 – **الديانات الإبراهيمية** بين العنف والجدل والحوار مع بحوث في اليوغا والتصوفين الإسلامي والهندوسي. ط1، 2012. ط2، 306 ص

13 – **عهود أهل الذمّة**، نصوص ودروس، دراسة وتحقيق لأسفار الأسرار أو كتاب التواريخ لصليبا بن يوحنا الموصلي.
ط1، 2012. ط2، 540 ص.

14 – **الإسلام في مرآة الاستشراق المسيحي**، دراسة، نصوص مترجمة وتعقيبات ط1، 2013. ط2، 635 ص.

(يتبع في آخر الكتاب)

سلسلة تاريخ النصارى في الإسلام 2

صليبا بن يوحنا الموصلي (1332 م)

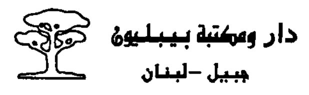
أسفار الأسرار أو كتاب التواريخ

وفيه أخبار بطاركة كرسي المشرق

وتسبقه دراسة: عهود أهل الذمّة نصوص ودروس

دراسة وتحقيق: د. لويس صليبا

طبعة ثانية مزيدة ومنقحة



دار ومكتبة بيبليون
جبيل - لبنان

عنوان الكتاب : أسفار الأسرار أو كتاب التواريخ
المؤلـف : صليبا بن يوحنا الموصلي (1332 م)
عنوان المدخل/الدراسة:عهود أهل الذمّة نصوص ودروس
المحقق وكاتب الدراسة: د. لويس صليبا
باحث وأستاذ في الدراسات الإسلامية/باريس
لوحة الغلاف : مرسلون لاتين يحاورون كهنة نساطرة. وصليبا بن يوحنا أوّل مَن افتتح عصر الحوار بين المسيحيين في المشرق والغرب.
عدد الصفحات : 532 ص
الصف والإخراج الداخلي: صونيا سبسبي
سنة نشر الدراسة، والطبعة الجديدة : ط1: 2012، ط2: 2016.

التوزيع : **المكتبة البولسية**
بيروت: 01/448806 – جونيه: 09/911561 – زحلة:08/812807

النـاشــــر : **دار ومكتبة بيبليون**
طريق المريميين – حي مار بطرس- جبيل/ بيبلوس ، لبنان
ت: 03/847633-09/540256 ف: 09/546736
www.DarByblion.com
Byblion1@gmail.com



الإهداء

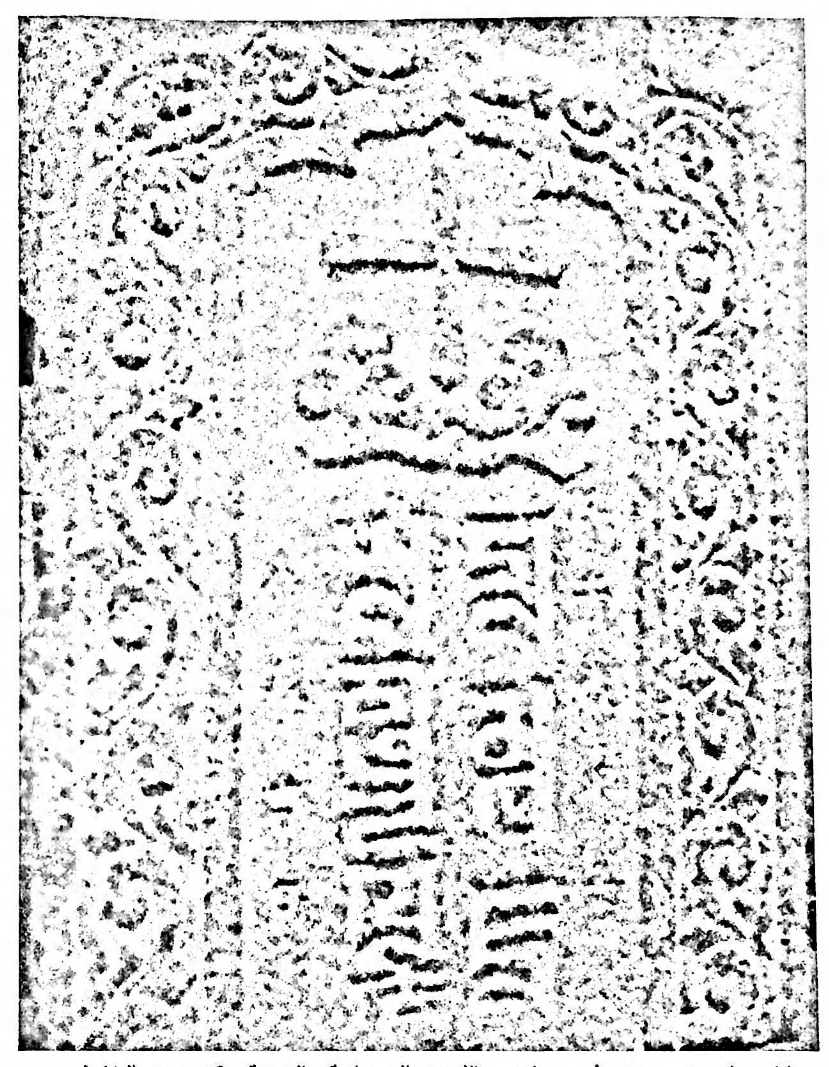
إلى الأبوين الصديقين

ماريو عينطوري

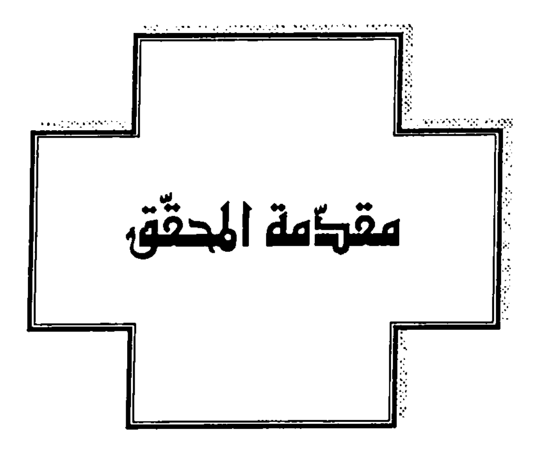
وميشال إليان

تقديراً لجهودهما في حقل الربّ

ر. ل. م



نقش على ضريح نسطوري كتب باللغتين السريانية والتيبتية يبيّن عمق التفاعل بين النساطرة ولاماوات التيبت



مقدّمة المحقّق



نقش على قبر نسطوري في الهند صليب وتحته راهب في وضعية اللوتس اليوغية نموذج للتفاعل بين النساطرة والبوذية

إنها الموسوعة المسيحيّة العربيّة الثانية ما نقدم في هذا المجلّد الجديد من سلسلة "تاريخ النصارى في الإسلام" أو بالحري هي الأقسام التاريخيّة والعقائديّة منها. واسم موسوعتنا أسفار الأسرار أو كتاب التواريخ. أما المصنّف فهو صليبا بن يوحنا الموصلي. وقد أنهى جمع موسوعته وتحريرها عام 1332م كما يشير في بداية واحدة من المخطوطات.

سبق أن افتتحنا السلسلة المذكورة بموسوعة المجدل للاستبصار والجدل" فأصدرنا أقسامها التاريخية والحجاجية في المجلّد الأول منها. وطالما خلط الباحثون بين الموسوعتين. وذلك لأسباب توسّعنا في عرضها وبحثها في باب 1"/فصل 1 و 2 من دراستنا هنا، وما يهمنا في هذه المقدمة هو إعادة التأكيد أن كلاّ من "المجدل" و "أسفار الأسرار" عمل موسوعي مسيحي مختلف عن الآخر ومستقلّ عنه. ولا يتشاركان أو يتشابهان إلاّ في تناولهما "أخبار بطاركة كرسي المشرق" على اختلاف في عرض هذه الأخبار ودقائقها وتفاصيلها.

وموسوعة صليبا بن يوحنا وإن كانت تعجز عن مضاهاة المجدل من حيث الابتكار ووحدة التأليف، فهي لا تقل عنها أهمّية بما حفظت لنا من كتابات مفكّري كنيسة المشرق "أو الكنيسة السريانية الشرقية" وملافنتها وآبائها. هذه الكنيسة المعروفة اليوم بالكنيسة الآشورية والتي غالباً ما عرفت بالكنيسة النسطورية لتبنّيها عقيدة نسطور. وهي مسألة توسّعنا في عرضها في باب 2"/فصل 2" من دراستنا وفي مجمل الباب 3" منها.

سبق وتوقفنا في دراستنا: النساطرة والإسلام: جدلية علاقة وتأثر" عند العلاقات المميزة بين الإسلام والنساطرة وما أُثير بشأن الأثر المحتمل

للعقيدة النسطورية في الإسلام. وتساءلنا إذا ما كان هذا الأثر في الاتجاهين أم لا. وما يثير انتباهنا هنا أن النظرة البانورامية على تاريخ كنيسة المشرق تبيّن ارتباطاً وثيقاً في المصير بين النساطرة والدولة الإسلامية. وذلك عبر قرون طويلة. ولنوضح باختصار مقولتنا هذه: فمن سوء طالع الكنيسة المشرق أنها لم تعرف في تاريخها الطويل والعريق استقلالاً سياسياً. فهي إما عاشت في ظل حكم أكاسرة الفرس، أو في حمى الدولة الإسلاميّة أو بالأحرى في ذمّتها.

وفي ظلّ ملوك الفرس عاشت الكنيسة النسطورية تارة في هدوء وسلام، وطوراً في اضطراب ومحنة كالاضطهاد الأربعيني وغيره. وما أن استولى الغزاة العرب على الدولة الفارسية حتى نما النساطرة في ظلّ حكمهم نمواً سريعاً وتكاثرت أبرشياتهم، ووصلت إرسالياتهم في العصر العباسي الذهبي إلى الهند والصين والتيبت. ولا تزال لهم في بعض تلك البلدان والأصقاع آثار بل وحضور.

ويعتبر العديد من مؤرّخي المسيحية الشرقية أن انحدار الكنيسة النسطورية كان انعكاساً لانحطاط الخلافة العباسيّة. إنها واقعة تاريخيّة لافتة تبيّن عمق أواصر الارتباط وتداخل المصير بين كنيسة المشرق والدولة الإسلاميّة. فحتى شهر العسل الذي عرفه النساطرة إثر سقوط بغداد بيد هولاكو 656هـ/1258 لم يكُن إلاّ ومضة برق عادوا بعده ليغوصوا في دياجير الانحطاط الذي عرفته أرض الإسلام في ظلّ حكم المغول. ويعبّر مؤرّخنا صليبا بن يوحنا في أخبار البطاركة الذي ننشره في هذا المجلّد عن خيبة الأمل هذه، فيقول في آخر فصل من الأخبار والمخصّص للجاثليق يهبالاها الثالث المغولي الأصل:«وانهبطوا (النصارى) في آخر أيامه إلى ذلة ردية، وتجدّد عليهم أخذ الجزية والإهانة، واستمرّت إلى هذا التاريخ» (فصل 77″).

شهر العسل هذا ما أشبهه بـ "صحوة الموت" التي تصيب المنازع، فيُظن أنه استعادَ عافيته وقواه في حين أنها لا تعدو أن تكون فرصة أخيرة يودّع فيها الحياة.

لِمَ كانت كنيسة النساطرة تقوى مع الدولة الإسلامية، وتضعف بضعفها؟! إشكالية تستحق التوقف عندها والتأمّل. وقد حاولنا أن نعطي عن ذلك بعض الإجابات في الباب الرابع والأخير من دراستنا. وخلاصتها أن القوي منفتح ومتسامح، أما الضعيف فغالباً ما يموّه عن ضعفه بتزمّته والتعصّب. تلك كانت غالباً حال النصارى ولا سيما النساطرة منهم في أرض الإسلام وفي ظلّ الدول والعصور الإسلاميّة المتعاقبة.

وهذا التفاعل بين النساطرة والإسلام لا بدّ أن يكون قد ولّد تأثيراً في الاتجاهين. وإذا كنا قد تناولنا الاتجاه المنطلق من النسطورية في دراستنا "النساطرة والإسلام: جدلية علاقة وتأثر"، فنحن نذكر هنا أبرز ما اعتبره البعض أثراً للإسلام في الكنيسة النسطورية:

- ليس في كنائس النساطرة أيقونات ولا صلبان عادية، بل مجرّد صليب رمزي بسيط[1].
- تسمح الكنيسة النسطورية بإعادة زواج الكهنة بعد وفاة زوجاتهم[2].
- يرأس الكنيسة النسطورية بطريرك أو جاثليق كما سائر الكنائس، ولكن وظيفته تختلف عن وظائف سائر البطاركة، لأنه، يجمع بين السلطتين الدينيّة والزمنيّة لشعبه، لا سيّما تحت الحكم التركي[3]. وقد تحوّلت السدّة البطريركية إلى منصب وراثي يرثه ابن الأخ عن عمّه

1 - عطيّة، عزيز سوريال، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة ميخائيل مكي إسكندر، القاهر، مكتبة المحبة، ط1، د. ت، ص 280.

2 - م. ن، ص 291.

3 - م.ن، ص 289.

في كنيسة المشرق.

– لا محل للأيقونات والصور في كنائس النساطرة وبيوتهم. ويرجع الباحث المستشرق فورتسكيو Fortescue ذلك إلى تأثير إسلامي[1]. وكان تجنب الصور المقدّسة الذي يشاركون فيه بصفة عامّة بعض البروتستانت قد جعل الناس يطلقون على هؤلاء لقب "نساطرة الغرب".

ولا يتّسع المقام بنا هنا ونحن نقدّم لأسفار الأسرار والدراسة التي تسبقه للاستفاضة في تناول هذه النقاط عرضاً ونقاشاً، لذا نكتفي بذكرها مؤشراً لعلاقة مميّزة بين النساطرة والإسلام.

ازدهرت كنيسة المشرق بازدهار الدولة الإسلاميّة، قلنا، وانحطّت بانحطاطها. فها هي في العصر الإسلامي الذهبي عصر هارون الرشيد والمأمون ومعاصرهما الجاثليق طيموتاوس الكبير (780 – 823) تعيش هي الأخرى عصرها الذهبي تنظيماً وتبشيراً وفكراً ولاهوتاً الخ... فكانت النسطورية أكثر انتشاراً في كل العالم من غيرها من المذاهب. إلاّ أن التطوّر السريع للنساطرة في آسيا لا يعادله سوى الانحدار السريع لنفوذهم في أواخر العصور الوسطى. فقد انتهوا إلى الغرق في المحيط الإسلامي وكانوا الروّاد في التفاعل معه. وانقلب التسامح المستنير للخلفاء المسلمين الأوائل إلى تعصّب شديد عند الأسر التي أسلمت حديثاً أمثال السلاطين الإيلخانيين من خلفاء هولاكو وغيرهم. فانتهت الفرصة النسطورية، وإلى الأبد كما يبدو، ولم تقم لهم قائمة بعدها، لا سيما إثر الاضطهادات العديدة التي ذهبوا بالألوف ضحية لها. وقد عبّر عن هذه المأساة أحد مفكري النساطرة: إبراهام يوحنان في كتاب له عنوانه جدّ

1 – م. ن، ص 297.

معبّر: موت أمة. وفيه يقارن الإبادة المنظّمة للنساطرة بما حصل للقبائل الهندو أميركية من أزتيك Aztèques وإنكا Incas وهنود حمر في العالم الجديد[1]. وهو يعتبر أن المحن المتتالية والمتكرّرة التي تعرّض لها النساطرة تفوق ما تعرّض له الأرمن من مجازر وإبادة جماعية في عاصمة أرض الإسلام.

تلك كانت مقدّمة موجزة، ولكن ضرورية لفهم ما تطرحه دراستنا/المدخل إلى أسفار الأسرار من آراء وإشكاليات. لا سيما وأننا لا نتطرّق فيها إلى الكنيسة النسطورية في الزمن الحديث والمعاصر، ولا إلى تأثراتها المحتملة بالإسلام.

والدراسة المذكورة تخصّص الباب الأوّل للبحث في موسوعة أسفار الأسرار ومصنّفها صليبا بن يوحنا وما نعرفه عن سيرته ومؤلّفاته. وتتوقف عند أبرز ميزات الموسوعة وأقسامها ومنهجيتنا في نشرها وتقديمها.

والباب الثاني يعرض أبرز محطّات تاريخ كنيسة المشرق قبل الإسلام، فيقدّم بذلك مدخلاً مفيداً إلى القسم التاريخي من موسوعة أسفار الأسرار أي أخبار بطاركة كرسي المشرق.

ويتوقف عند نشاط هذه الكنيسة التبشيري الذي وصل إلى الهند والصين والتيبت، ما يدلّ على ديناميكيتها. واتساع نفوذها في عصر الازدهار.

أما الباب الثالث فيعرض لعقيدة نسطور من زاوية حوارية مسكونية تسعى إلى جمع الشتات وعودة الأبناء إلى حظيرة واحدة. فنسطور كما بيّن العديد من الأبحاث الحديثة لم يكن نسطورياً، وقد تعرّض مذهبه بفعل سوء الفهم والعداوات والصراعات بين الكنائس إلى الكثير من التجنّي

1 - عطية، م. ن، ص 226.

من جانب والتحوير من جانب آخر. وجاءت اللقاءات المسكونيّة والبيانات الكريستولوجية بين الكاثوليك والآشوريين (كنيسة المشرق) وسائر الكنائس لتدعم هذا التوجّه وتعزّزه، كما يبيّن فصل "4"/باب "3" من الدراسة.

أما الفصل الأوّل من الباب "3" نفسه فيستأنف دراسة جدلية العلاقة بين النسطورية والإسلام عبر مناقشة ومحاولة استجلاء الأثر المحتمل للإنجيل الرباعي الموحّد "الدياطسرون" في النظرة القرآنيّة إلى النصرانيّة والنصارى. وهو موضوع يستحق الكثير من الاهتمام والتدقيق، ولا يزال شبيهاً بغابة عذراء تنتظر مغامراً يكتشف ويميط اللثام.

وتبقى المساهمة الأبرز لدراستنا كامنة في بابها الرابع. فمنه اتخذت إسماً لها وعنواناً.

سبق لنا في الدراسة/المدخل للمجدل أن نشرنا واستقرأنا عهود الخلفاء العباسيين إلى بطاركة النساطرة ورؤساء اليهود. وفي الدراسة الحاضرة نستكمل البحث بقراءة متأنية لسائر وثائق أهل الذمّة، ونتوقّف بالأخص عند "عهدة عمر" أو الشروط "العمرية" ونبحث في أصلها ونسبتها وأثرها الحاسم في أوضاع اليهود والنصارى في أرض الإسلام. وإذا كنا استندنا في بحثنا هذا إلى الكثير مما سبقنا من دراسات، فلعلّ جديد مساهمتنا يكمن في إثبات وضع هذه الوثيقة المهمّة استناداً إلى المنهج الفيلولوجي في دراسة الألفاظ، وكذلك في ربط عهدة عمر بوثائق وعهود موضوعة وردت في كتاب الخراج للفقيه الحنفي أبي يوسف. وكان من شأن هذا الربط أن يسلّط أضواءً مهمّة، لعلّها جديدة، على مراحل تكوّن الوثيقة العمريّة وانتشارها وتطبيق بنودها. هذا التطبيق الذي كان من شأنه إلحاق المصائب بل والكوارث بأهل الذمّة في أرض

الإسلام عبر العصور وتوالي الدول والحكّام. وكان الحكّام يزدادون تشدّداً وتشبّثاً بتطبيق الشروط العمريّة كلّما ازدادوا هم ضعفاً ودولهم وهناً كما بيّنا في دراستنا.

هذا فيما يختصّ بالدراسة/المدخل.

ماذا عن النصوص التي ننشر من موسوعة أسفار الأسرار أو كتاب التواريخ وهي أبرز الأقسام التاريخية والعقائدية فيها؟

لقد اجتهدنا أن نخدم النصوص المنشورة بكل ما يتوجّب من شروط النشر والتحقيق. وفصّلنا الكلام على ذلك في باب 1"/فصل 3" من دراستنا، فلا ضرورة للتكرار هنا.

وأخيراً ها نحن نواصل مشوارنا في"تاريخ النصارى في الإسلام". مشوار نشاؤه طويلاً يتوقف عند الكثير من محطّات هذا التاريخ ودقائقه وتفاصيله.

محطّات كثرت فيها المصائب والأتراح من دون أن تغيب الأفراح. لعلّها حال الدنيا بسعدها ونكدها.

ويبقى رهاننا المستمرّ أن نعرض ونسعى أن نفهم لا أن نحكم.

إنه شعارنا الدائم، وطالما كرّرناه في كتاباتنا الفرنسية والعربية:

En Sciences des Religions cherche à comprendre et non pas à juger

في علم الأديان إسعى أن تفهم لا أن تحكم.

وإليه نضيف هنا الجهد في أن نضيء على الماضي في سبيل تفهّم واعٍ للحاضر واستشراف متنبّه للغد.

Q.J.C.S.T.B

د. لويس صليبا

باريس في 2011/12/30

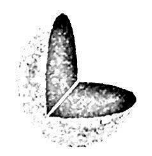
أقسام الكتاب:

- القسم الأول/بحث في المذهب النسطوري وفي عهود أهل الذمة في الإسلام.
- القسم الثاني/أخبار بطاركة كرسي المشرق، من كتاب أسفار الأسرار.
- القسم الثالث/أسفار الأسرار.




د. لويس صليبا

القسم الأول
بحث في المذهب النسطوري
وفي عهود أهل الذمّة في الإسلام




أبواب القسم الأول:

الباب الأول: صليبا بن يوحنا حافظ تراث النساطرة.

الباب الثاني: كنيسة المشرق في أبرز محطات تاريخها قبل الإسلام.

الباب الثالث: نسطور وعقيدة كنيسة المشرق.

الباب الرابع : دراسة في عهود أهل الذمّة في الإسلام




الباب الأول
صليبا بن يوحنا حافظ تراث النساطرة




فصول الباب الأول:

الفصل الأول: صليبا بن يوحنا حافظ تراث النساطرة.

الفصل الثاني: أسفار الأسرار، كُتبه، فصوله ومواضيعه.

الفصل الثالث: أخبار البطاركة لصليبا، ميزاته وتحقيقه.




الباب الأول

الفصل الأول

صليبا بن يوحنا وكتابه أسفار الأسرار




مواضيع فصل 1"/باب 1":

أسفار الأسرار ضحية التباس دام قروناً.

ما نعرفه عن سيرة صليبا ومؤلّفاته.

عنوان الكتاب الحاوي أخبار البطاركة.

دوافع تأليف أسرار الأسفار.

تصميم موجز لأسفار الأسرار.

مصادر أسفار الأسرار.

صليبا ناسخ أكثر مما هو مؤلّف.

أسفار الأسرار ضحية التباس دام قروناً

كتاب أسفار الأسرار الذي ننشره في هذا المجلد ومؤلّفه صليبا بن يوحنا الموصلي بقيا أزمنة طويلة ضحية سوء فهم والتباس.

وسبب الالتباس قاسم مشترك بين أسفار الأسرار، وكتاب المجدل الذي نشرناه في العدد الأوّل من هذه السلسلة. فكلا الكتابين يحوي فصلاً عنوانه "أخبار بطاركة كرسي المشرق". وكلاهما يتّصف بطابع موسوعي على اختلاف في المواضيع.

ويعود هذا الالتباس إلى زمن العلاّمة يوسف سمعان السمعاني (1687 – 1768) حافظ مكتبة الفاتيكان.

وقد عرضنا تفاصيله في دراستنا لكتاب المجدل، ونكرّر عرض أبرز نقاطه هنا بإيجاز لتعلّقه بموضوعنا.

نسب العلامة السمعاني مخطوطة موسوعة المجدل بكاملها إلى ماري بن سليمان استناداً إلى شهادتين لهذا الأخير في أخبار البطاركة توقفنا عندهما مطوّلاً في دراستنا للمجدل.

ولكن السمعاني كان يعرف أن المؤلّف القبطي القسّ أبا البركات بن كَبر[1] ينسب في فهرسه الوارد في موسوعته مصباح الظلمة ومفتاح

---

1 - **أبو البركات بن كبر** قسّ مصري وطبيب (ت 1325 م). ألّف موسوعة لاهوتية "مصباح العقل" يدافع فيها عن المذهب اليعقوبي. وفي الخاتمة إجابات المؤلّف عن أسئلة بعض المسلمين في الأسرار المسيحية. ولهذا الكتاب مخطوطات ثلاث في الفاتيكان.

الخدمة كتاب المجدل إلى عمرو بن متى الطيرهاني.

كانت أمام العلاّمة السمعاني، كما سبق وذكرنا في دراسة كتاب المجدل مخطوطات ثلاث:

ڤاتيكان 108 و 109 عربي وتحتويان على التوالي النصفين الأوّل والثاني من المجدل. ومخطوط 110 عربي غير كامل إذ تنقص صفحات عديدة في بدايته والنهاية. فنسب مخطوطتي المجدل إلى ماري بن سليمان استناداً إلى الشهادتين المذكورتين في أخبار البطاركة. ونسب المخطوط 110 الذي يحتوي نصّاً آخر معدّلاً ومزاداً عليه لا بل مختلفاً من أخبار البطاركة إلى عمرو بن متى استناداً إلى ما جاء في فهرس أبي البركات. ولكن اكتشفت بعد زمن السمعاني نسخ أخرى كاملة لمخطوط الڤاتيكان 110 عربي بيّنت أن المؤلّف هو الكاهن صليبا بن يوحنا الموصلي وليس عمرو بن متى، وأن كتاب صليبا بمجمله مستقلّ عن المجدل وما من قاسم مشترك بين الإثنين سوى أخبار البطاركة. ويبدو أن صليبا في هذا القسم بالذات قد أخذ عن أخبار البطاركة في المجدل فلخّص بعضها وأضاف أخباراً جديدة على بعض النبذات. كما أضاف سيَر عدد من البطاركة توالوا على الكرسي بعد زمن كاتب المجدل وحتى زمنه. وهي مسائل سنتوسّع فيها في هذا البحث. وسنبدأ بعرض أبرز

وكتب دفاعاً عن المسيحية أو إجابة للمسلمين واليهود عن التوحيد في المسيحية وكيف يوصف المسيح المولود من مريم بأنه إله. وتتكوّن مقدّمة الكتاب من إثني عشر فصلاً وثلاثة أقسام، يتناول القسم الأول التدليل على مجيء المسيح وفق شريعة التوراة أو العهد القديم. ويتناول القسم الثاني في أربعة وعشرين جزءاً الردّ على اعتراضات اليهود بأن المسيح ليس هو المشار إليه في العهد القديم. ويناقش القسم الثالث طبعي الإنسان الحيواني والعقلاني واللذين يمثلان موسى والمسيح.

ما نعرفه عن سيرة صليبا ومؤلّفاته

ولد صليبا بن يوحنا عام 1315 م في الموصل على الأرجح: وكان والده كاهناً. رسم صليبا كاهناً قبل السابعة عشرة من العمر فهو في مخطوط له يعود إلى عام 1332 يذكر أنه كاهن. وفي العام المشار إليه كتب رسالته الموجهة إلى مسيحيي الغرب. وهي ما ننشر في أوّل القسم الثالث من مجلّدنا هذا وعنوانها رسالة البرهان والإرشاد إلى المحبّة ثمرة الدين والاعتقاد.

انتقل صليبا بعد ذلك إلى جزيرة قبرص في زمن لا نعلمه بالتحديد، لكنه كان فيها عام 1336 إذ أرّخ مخطوطاً له بهذا التاريخ في محروسة الماغوسة Famagouste في قبرص. وكانت قبرص قد بقيت تحت سلطة آل Lusignan حتى بعد سقوط المملكة اللاتينية في الأراضي المقدّسة عام 1291. فصارت ملجأً لعدد من المسيحيين الشرقيين. وكانوا يلتقون فيها بالغربيين. فالراهب والمبشر الفرنسيسكاني المعروف ريموند لولل Raymond Lulle يروي أنه التقى في بداية القرن الرابع عشر عدداً من اليعاقبة والنساطرة والملكيين في فماغوستا في قبرص. وأقام عند كاهن الهيكل Jacque de Molay. وباتصالاته الأولى مع الغربيين، سجّل صليبا بن يوحنا نهاية مرحلة من التاريخ النسطوري، وسنرى لاحقاً أن العلاقات بين النساطرة والغربيين ستتطوّر وتتوثق في الحقبات التالية[1].

وفي فماغوستا نسخ صليبا عدداً من كتب اللاهوت النسطوري ولا

1- Landron, Benédicte, Chrétiens et musulmans en Irak, Attittudes Nestoriennes vis à vis de l'Islam, Paris, Cariscript, 1994, p 139.

سيما كتب عبديشوع الصوباوي[1].

وسنرى في ما يلي أنه نقل عن هذا الأسقف النسطوري الكثير. كما نسخ الرسالة المعروفة بالرسالة القبرصيّة، والتي نقلتها أوساط دينية قبرصية عن رسالة بولس الإنطاكي أسقف صيدا[2] إلى صديق مسلم. وقد وصلت نسخة منها إلى ابن تيمية[3] سنة 1317 فكتب نقضاً مطوّلاً

---

1 - **عبديشوع الصوباوي** (1318م). هو عبديشوع بن بريخا. أقيم أسقفاً على سنجار عام 1285. وفي سنة 1290 أقيم مطرانا على نصيبين وأرمينيا. يعتبر أغزر كاتب شرقي في القرن الثالث عشر. وضع "فهرس المؤلفين" وفيه يذكر جميع الكتبة والأدباء في الكنيسة المشرقية. وفي نهايته يدرج ثبتاً بمؤلفاته الخاصة. منها لاهوتية وكتابية وجدلية وأخرى فلسفية وعلمية وقانونية. له شرح لأسفار العهدين العتيق والجديد، وترجمة عربية مسجّعة للأناجيل، وكتاب المرجانة أو الجوهرة في المواضيع اللاهوتية (بالسريانية) ومجموعة قصائد في محبة الحكمة والعلم، ومختصر القوانين المجمعية (نوقوقانون)وفيه يتطرّق إلى الحق الكنسي والمدني. وله "فردوس عدن"وفيه يقلد مقامات الحريري. وله مقالة في التثليث والتوحيد والحلول والاتحاد. وكتاب فرائد الفوائد في أصول الدين والعقائد وضعه 1312. وقد ذكره صليبا بن يوحنا مراراً.

2 - **بولس الراهب الإنطاكي**، عاش في القرن الثاني عشر. وكان أسقفاً للملكيين على صيدا.

3 - **ابن تيمية، تقي الدين أحمد** (661 هـ - 1263/728 - 1328 م). فقيه حنبلي وإمام سلفي. وُلد في حرّان ومات في دمشق. كان من ألدّ خصوم الفلاسفة والمتكلمين والمتصوّفة. واستلهم فكره على أوسع نطاق دعاة السلفية في القرن 19// كالوهّابية وغيرهم. هاجم مدارس الحلاج وابن عربي وغيرها من الصوفية, ارتحل إلى مصر عام 705 هـ/1305. وهناك وضع رسالته الشهيرة الردّ على المنطقيين، وحاول فيها نقض المنطق اليوناني ودعاوى كبار الفلاسفة أمثال الفارابي وابن سينا وابن سبعين. أشهر كتبه منهاج السنة الذي وضعه بين 716 هـ/1316 رداً على منهاج الكرامة للعلامة الحلي تلميذ نصير الدين الطوسي. اتهم ابن تيمية بالتجسيم والتشبيه وبالانتقاص من مقام النبي والأولياء فحوكم وسجن مرّتين وتوفي في سجنه في دمشق تاركا مؤلفات ضخمة كتب بعضها في حِبسه. وكان أشهر تلاميذه ابن قيم الجوزية الذي تبعه إلى السجن وشرح مصنفاته.

لها عنوانه الجواب الصحيح لِمَن بدّل دين المسيح.

ويؤكّد صليبا أنه صحّح النسخة التي كتبها وعدّل فيها. ونصّه يختلف أحياناً اختلافاً بيّناً عن النسخ الأخرى، ويحوي عبارات نسطورية نموذجية.

واسم صليبا ارتبط أساساً في السابق بكتاب المجدل. واعتبرت المخطوطات التي تحمل اسمه منتحلة ومؤرّخة عمداً بتاريخ يسبق تاريخ مصنف. عمرو بن متى أي مخطوطة الفاتيكان 110 عربي السابقة الذكر. وقد ذكرنا في دراستنا/المقدّمة لكتاب من المجدل للاستبصار والجدل أن هذا المخطوط، وعلى عكس مما قيل، هو على الأرجح بخطّ صليبا نفسه، ولكنه غير كامل، وأن المخطوطات الأخرى الكاملة لا تختلف كثيراً عنه. وما من واحد منها يحمل عنوان المجدل.

عنوان الكتاب الحاوي أخبار البطاركة

ومصنّف صليبا هذا حمل عدّة عناوين. فهو نفسه الذي عرف بأسفار الأسرار مخطوط كامبريدج Cambridge add 2889 ومخطوط برلين Berlin syr 116. أو كتاب التواريخ: مخطوط كامبريدج f 366 Camb add .2889 [1]. أو رسالة البرهان والإرشاد [2]. ونظراً لتعدّد العناوين فقد اعتبر بعض الباحثين أن الأمر يتعلّق بكتابين مختلفين لصليبا بن يوحنا لا بكتاب واحد. ولكنهم أخطأوا في ذلك. فمطلع الكتاب يظهر نوايا الكاتب وأهدافه من كتابته. ويحوي العبارات التي أخذت منها

1- Landron op. cit, p.140.

2 - شيخو، الأب بولس، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، بيروت، دار المشرق، ط2، 2000، ص 136.

العناوين المختلفة. ويبدو أن "أسفار الأسرار" هو العنوان المناسب لكامل الكتاب. يعلن المؤلّف أنه يكتب رسالة. ويظهر من مصنفه أن نيته هي إقناع المسيحيين الغربيين. يقول في مطلع مخطوطته:«بسم الآب... نبتدي بعونه خالق الكل... ونكتب رسالة القس أضعف عباده وأحوجهم إلى رحمته صليبا ابن يوحنا القسّيس الموصلي شاكر فضل نعمته في شهور سنة ألف وستماية وثلاثة وأربعين يونانية الموافقة لسنة ألف وثلاثماية واثنين وثلاثين مسيحية. رحم الله تاملها[1]».

دوافع تأليف أسرار الأسفار

وفي دوافع تأليف مصنّفه يقول صليبا:«عندما أعنت إخوتي وأصدقائي بكتابة الرسالة التي طلبوها مني، توجّهوا إليّ ثانية وطلبوا مني أن أوسّع ما اختصرته. فابتهلت إلى الله، ونجحت بإذنه في أن أشرح الأسرار المخفية وأفسّر النقاط الغامضة وأوضح المفاهيم المستترة، وأضفت إلى ذلك مقتطفات انتخبتها ونقلتها من تواريخ القدماء. ثم أضفت مختارات من كتابات الآباء الملهمين. ورتبت الكل في خمسة أسفار مقسّمة إلى فصول، ليسهل على مَن يرجع إليها أن يصل إلى الفصل الذي يرغبه خصوصاً»[2].

ثم يعطي الكاتب تصميم المصنف. ويبدأ القسم الأوّل كما يلي: «القسم الأوّل الذي يحوي الرسالة (المشار إليها سابقاً). رسالة البرهان والإرشاد إلى المحبّة ثمرة الدين والإيمان من الشرقيين المحبّين والمؤمنين إلى

1- Maris, Amri, et Slibae, De patriarchis nestoria- norum, edit H. Gismondi, Romae, 1896, p VI.

2-Landron, op. cit, p 140.

إخوانهم الغربيين»[1].

وكما كتاب البرهان لإيليا النصيبيني[2] والذي يأخذ عنه صليبا مراراً، فهذا المصنّف يتوجّه أساساً إلى المسيحيين غير النساطرة وعرضياً

1- Ibid.

2 - إيليا برشينايا أو النصيبيني (975 – 1046). رسم كاهناً في 994/09/15. وذهب بين سنة 996 و 1001 إلى دير مار ميخائيل القريب من الموصل، حيث أتمّ دروسه على الراهب يوحنا الأعرج. ثم رسمه البطريرك الجديد يوانيس مطراناً على بيث نوهدرا في 1002/02/15. وفي سنة 1007 توفي مطرافوليط (رئيس أساقفة) نصيبين، فأقيم إيليا خلفاً له في 1008/01/26. فلقب بِ النصيبيني. وعند وفاة البطريرك يوحنا بن نازوك، خلفه عبديشوع بن حزقيال سنة 1021. وكانت السلطات الحاكمة قد عيّنته في هذا المنصب بعد أن دفع مبلغ خمسة آلاف دينار للمسؤولين. فقاومه العديد من الأساقفة ورفضوا إعلان اسمه في الكنائس. وكان إيليا النصيبيني من أشدّ المناوئين له. ولم يحضر الانتخاب الشكلي ولا الرسامة البطريركية. وفي سنة 1026 التقى إيليا للمرّة الأولى في نصيبين الوزير أبا القاسم المغربي، ودارت بينهما أحاديث شهيرة حول الدين والمعتقدات. وبعد موت الجاثليق، إيشوعياب، بقي الكرسي شاغراً ثلاث سنين إلى أن تم انتخاب إيليا الأول الطيرهاني بطريركاً سنة 1028. وكانت العلاقات متوترة في البداية بين البطريرك الجديد ومطران نصيبين. إلاّ أن البطريرك نجح في إزالة الخلاف وتمّت المصالحة بين الرجلين (كما يذكر أخبار البطاركة/المجدل (فصل 64). توفي إيليا النصيبيني في 1046/07/18، ودُفن في بيعة ميافرقين إلى جانب أخيه سعيد (على ما يذكر صليبا فصل 64). أما كتاباته، فيذكر عبديشوع الصوباوي منها كتاب تاريخ وقواعد ومقالات، وأربعة كتب تضمّ دعاوى محاكم كنسية ورسائل في شتى الأمور بالسريانية والعربية. ويعتبر إيليا أخصب كاتب في كنيسة المشرق في النصف الأول من القرن الحادي عشر، وتشمل كتاباته مختلف فروع العلوم من قانونية وتاريخية ونحوية ولاهوتية وطقسية وأدبية وأهمها تاريخه الاستقرائي والأحاديث التي جرت بينه وبين الوزير المغربي المسلم (كتاب المجالس) إضافة إلى كتب أخرى مثل كتاب دفع الهمّ وكتاب المفسّر أو الترجمان وكتاب البرهان المشار إليه في المتن. وقد نشر معظمها. وترجم البعض منها إلى لغات عديدة.

إلى اليهود والمسلمين. فالسِفر التمهيدي الرابع يتوجّه إلى اليهود وغيرهم الذين يعيبون على المسيحيين قولهم إن المسيح إله ومع ذلك فقد صلب ومات.

وفي ما يلي موجز تصميم الكتاب

تصميم موجز لأسفار الأسرار

السفر الأول: الرسالة المؤلّفة من خمس مقدّمات.

السِفر الثاني: تسعة فصول في سمو كل ما كان أصله من الشرق.

السِفر الثالث: ثمانية فصول في تاريخ الكنيسة والأباطرة الرومان حتى أزمة الأيقونات.

السِفر الرابع: سبعة فصول في الملوك والأديان والآراء والمعتقدات وعدد المجامع.

السِفر الخامس:

الأصل الأول: المسيح الرسل الإثني عشر، التلاميذ.

الأصل الثاني: أخبار بطاركة كرسي المشرق. وهو ما ننشره في هذا الكتاب.

الأصل الثالث: 14 فصلاً مؤلّفاً من مقتطفات من الآباء الشرقيين.

الأصل الرابع: أربعة فصول

الأصل الخامس أربعة فصول

الأصل السادس: بابان وأربعة فصول

الأصل السابع: أربعة فصول

} نقض لعقائد الملكيين واليعاقبة

مصادر أسفار الأسرار

وفي كل المخطوطات نواقص. لا سيما في ڤاتيكان 110. والتصميم الذي يعطيه المخطوط بداية يختلف عما يوسّعه لاحقاً في الكتاب. ومن المرجّح أن يكون هذا النقص عائداً لصليبا بالذات. والتصميم عينه بعيد عن كل تنظيم وتنسيق. ويبدو صليبا وكأنه لم يستوعب دائماً مصادره. وهو لا يسمّي دائماً المصادر التي يأخذ عنها. وأبرز مظانه التاريخ السعردي(1) وتاريخ ابن البطريق(2) وأخبار بطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى وماري بن سليمان وهو قسم من المجدل كما رأينا، وكذلك محفوظات البطاركة لا سيما فيما يضيفه على أخبار المجدل. وكتاب البرهان لإيليا النصيبيني السالف الذكر. ومن هذا الأخير يستلف عناصر لنقض سعيد بن البطريق الملكي، وساويرس بن المقفع(3) القبطي

---

1 – التاريخ السعردي حوليات لمؤرّخ نسطوري مجهول من مدينة سعرد. دوّن في القرن التاسع م.

2 – سعيد ابن البطريق بطريرك الإسكندرية الملكي (877 – 940 م) وُلد في الفسطاط. اعتلى السدّة البطريركية عام 933. له كتاب في التاريخ وكتاب البرهان وعنوان مصنفه التاريخي: كتاب التاريخ المجموع عن التحقيق والتصديق تأليف البطريرك أفيشيوس المكنّى بسعيد ابن البطريق. كتبه إلى أخيه عيسى في معرفة التواريخ الكلية من عهد آدم إلى سني الهجرة الإسلامية. وهو من خمسة أقسام:
1 – التاريخ البيبلي من خلق آدم حتى إصلاح يشوع بن يوصاداق والعودة من السبي، 2 – التاريخ المدني: من الفرس وإسكندر حتى مجيء المسيح، 3 – التاريخ الإنجيلي من ميلاد المسيح إلى نهاية حكم الأمبراطور قسطنطين، 4 – التاريخ المدني والديني في الشرق الأوسط، 5 – التاريخ العربي من الرسول محمد إلى زمن سعيد بن البطريق.

3 – **ساويروس ابن المقفع** هو ابن بشر ساويروس المعروف بابن المقفع. كاتب قبطي مصري عاش في أواخر القرن العاشر وأوائل الحادي عشر للميلاد. وكان معاصرا للبطريرك القبطي فيلوثاوس (979 – 1003). كان أسقفاً على

المونوفيزي.

صليبا ناسخ أكثر مما هو مؤلّف

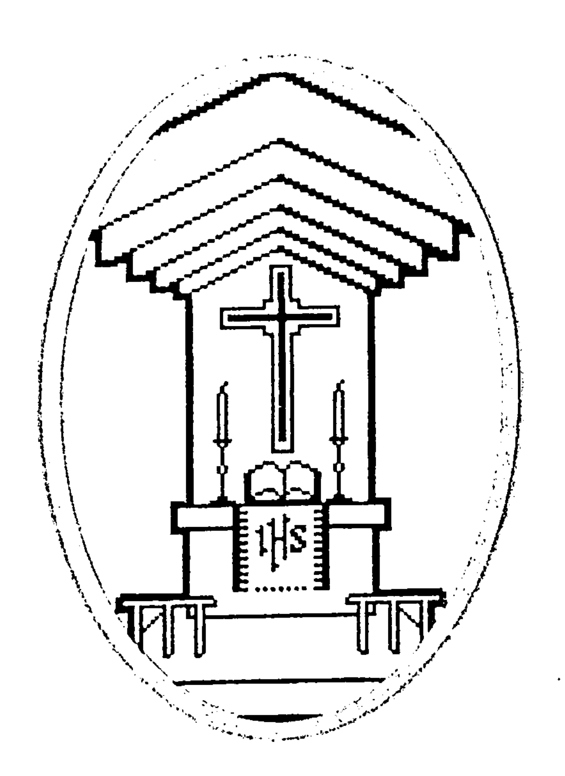
وكتاب صليبا بن يوحنا الذي نحن بصدده لا يشبه المجدل إلا بقسم أخبار البطاركة، ولا يدّعي الكاتب الأصالة، وينبّه منذ المقدّمة إلى أنه نقل نصوصاً تاريخية ومقتطفات من الكتب. وصليبا هو بالحري ناسخ أكثر مما هو مؤلّف. وقد كان بالفعل من النسّاخ. ففي إحدى مخطوطات الكتب، وهي غير ما تناولناه في هذه الدراسة، نجد الملحوظة التالية: الناسخ هو الكاهن صليبا ابن الكاهن يوحنا المولود 1626 من سني الإسكندر[1].

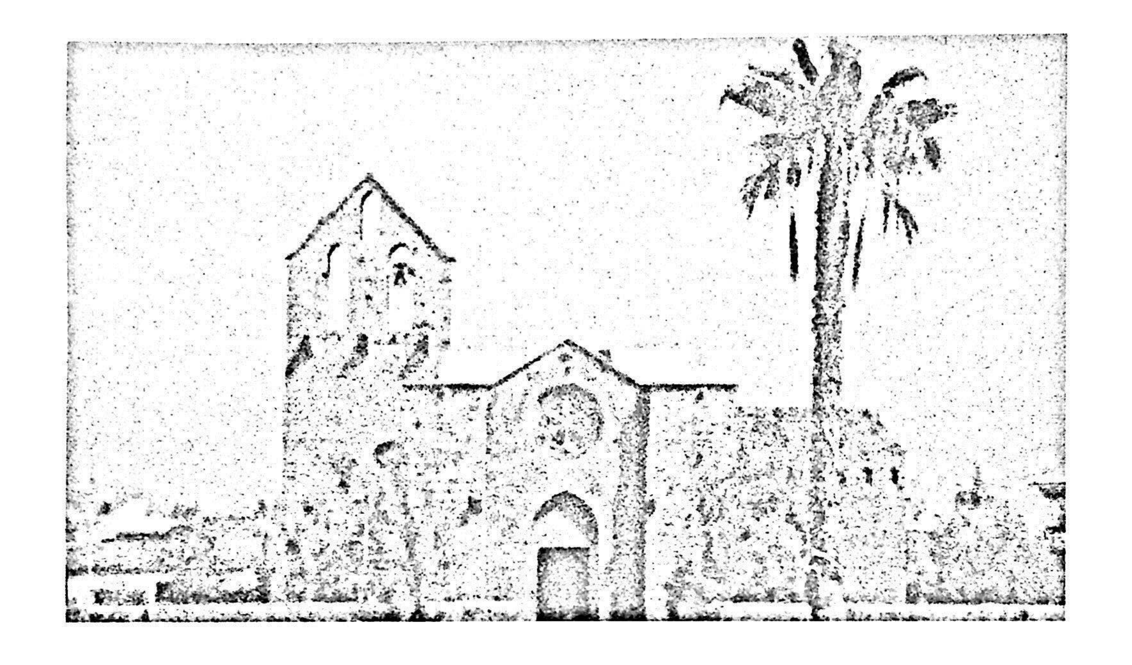
وكاهننا الموصلي صليبا يمثل في الحقيقة بداية انحطاط الأدب النسطوري العربي. ولغته تبتعد عن الفصحى، ونجد الكثير من التعابير والصيغ العامية في كتبه، وسنعطي أمثلة عليها في تحليلنا لأخبار البطاركة. ولا نلقى تصميماً واضحاً في مؤلفاته. وإن وجد فهو غالباً ما

← الأشمونيين وأذن له الخليفة المعز الفاطمي (953 – 975) بمناظرة القضاة المسلمين في بعض القضايا الدينية. وعرف بما تركه من آثار في التاريخ واللاهوت والجدل والتفسير أبرز ما وصلنا من مؤلفاته:
تاريخ بطاركة الإسكندرية. من القديس مرقس إلى زمنه. استفاد فيه من تاريخ البطريرك إفرام القبطي (975 – 978) وأتمّه أبو البركات الإسكندراني إلى أيامه في القرن 12//. "الدر الثمين في إيضاح الاعتقاد في الدين"وهو شرح للعقائد المسيحية ودفاع عن المذهب اليعقوبي في الطبيعة الواحدة، "طبّ النفس وشفاء الحزن" تفسير الأمانة وتأويل ألفاظها في الدفاع عن الدين المسيحي. كتاب الهرطقات "آلام المسيح" "كتاب المجامع"، وله كتاب في الدفاع عن المذهب اليعقوبي نشره المطران بطرس شبلي.

1- Landron, op. cit, p 139.

يعلنه في مقدمة الكتاب، من دون أن يتبعه لاحقاً، كما رأينا في الكتاب الذي نحن بصدده. وهو كما أسلفنا يكتفي غالباً بالنقل عن سابقيه. ولكن يبقى له الفضل في حفظ بعض الكتابات التي ضاعت واندثرت. وقد يكون صغر سنه واحداً من أبرز أسباب هذه النواقص والشوائب في كتبه إذ باشر الكتابة وهو في السابعة عشر من العمر.





كنيسة نسطورية في فماغوسطا/قبرص حيث أقام صليبا بن يوحنا وكتب قسماً من أسفار الأسرار




الباب الأول

الفصل الثاني

أسفار الأسرار

كُتبه، فصوله ومواضيعه




مواضيع فصل 2"/باب 1":

-رايت ومخطوطة كامبريدج

-تصميم مفصّل لأسفار الأسرار

I – السِفر الأوّل ويحتوي خمس مقدّمات

II – السِفر الثاني في تسعة أقسام

III – السِفر الثالث في سبعة أقسام

IV – السِفر الرابع في سبعة أقسام

V – السِفر الخامس في سبعة أصول

أولاً: الأصل الأول

ثانياً: الأصل الثاني

ثالثاً: الأصل الثالث

رابعاً: الأصل الرابع

خامساً: الأصل الخامس

سادساً: الأصل السادس

سابعاً: الأصل السابع

-عمل تجميعي وغير مبتكر

رايت ومخطوطة كامبريدج

أورد المستشرق وليم رايت William Wright في فهرسه لمخطوطات مكتبة جامعة كمبريدج السريانية تصميماً موسّعاً لمصنّف صليبا بن يوحنا كتاب التواريخ أو أسفار الأسرار الذي نحن بصدد دراسته[1].

ويعتبر رايت أن عنوان "أسرار الأسفار" هو الأدقّ والأصحّ لكتاب صليبا[2].

ويبيّن هذا المستشرق في تقديمه لمخطوطة صليبا أن أسفار الأسرار يختلف كلّياً عن كتاب المجدل لعمرو بن متى الطيرهاني[3]. ويؤكّد نسبة المجدل لعمرو بن متى خلافاً لسائر معاصريه. ولا ينسب لماري بن سليمان سوى كتاب أخبار بطاركة كرسي المشرق المدمج في المجدل.

ويورد رايت فهرساً إنكليزياً وكرشونياً[4] مفصّلاً لأسفار الأسرار وفق مخطوطة كامبريدج نترجم في ما يلي ما جاء فيه:

تصميم مفصل لأسفار الأسرار

- العنوان والمقدّمة

1- Wright, William a catalogue of the syriac Manuscripts preserved in library of the university of Cambridge, Cambridge, C. university Press, 1901, vol, II, pp 754 – 792.

2- Wright, op. cit, p 754.

3- Ibid, p 755.

4 – عربي بالحرف السرياني.

يلي ذلك فهرس لكامل الكتاب. ولكن الفهرس المذكور تخلله بعض النواقص التي تظهر ما تعرّض له المخطوط من أضرار.

I – السفر الأوّل ويحتوي خمس مقدّمات.

1 – رسالة.

2 – في أصل كلمة نساطرة.

3 – القسم الثالث.

4 – القسم الرابع ضد اليهود وسائر أعداء المسيحية.

II – السِفر الثاني في تسعة أقسام

1 – القسم الأول: تفوّق الشرق على كل الجهات الأخرى.

2 – القسم الثاني.

3 – القسم الثالث: يعدّد الأمم المتحدّرة من سام وحام ويافث.

4 – القسم الرابع.

5 – القسم الخامس: يذكر رسالة الإسكندر المقدوني إلى أرسطو ويورد مقاطع منها ومقاطع من ردّ أرسطو عليها.

6 – القسم السادس. يذكر مقاطع من وصية آدم.

7 – القسم السابع يتناول نبوءة زرادشت والملوك الثلاثة والملوك المرافقين لهم.

8 – القسم الثامن يحوي قوانين الرسل الأصلية والتي انبثق عنها 81 قانوناً.

ويروي بشارة الرسول بطرس في روما وإسبانيا وفي أقاليم الغرب وجزره. وبعدها بشارته في المشرق برفقة القدّيس مرقس.

9 – القسم التاسع: قانون إيمان المشرقيين.

III - السفر الثالث في سبعة أقسام

1 – القسم الأوّل مقدمة

2 – في بطاركة أو بابوات روما منذ البدء حتى مجمع نيقيا.

3 – في بطاركة الإسكندرية حتى مجمع نيقيا.

4 – في بطاركة إنطاكيا حتى مجمع نيقيا.

5 – في أساقفة أورشليم حتى مجمع نيقيا..

6 – في أباطرة روما الوثنيين حتى قسطنطين.

7 – في مجمع نيقيا.

8 – ملحق في بطاركة القسطنطينية وأباطرتها المسيحيين. ويحوي الاكتشاف الأوّل للصليب والاكتشاف الثاني له. الأمبراطورة هيلانة.

كيف اكتشفت حقيقة اليهود الذين زعموا اعتناقهم المسيحية وذلك بإرغامهم أكل لحم الخنزير. وقعت هذه الحادثة في عهد الملك تيوفيلوس ابن ميخائيل.

IV - السفر الرابع في سبعة أقسام:

1 – في اليهود.

2 – في السامريين.

3 – في الفلاسفة الوثنيين قبل المسيحية.

4 – في الهرطقات المسيحية.

وتبدأ اللائحة بسمعان الساحر[1] وتنتهي بمارون[2].

5 – مقتطفات من الأنبا أوتيخيوس سعيد بن البطريق بطريرك الملكانية في الإسكندرية في كنيسة مار ميخائيل في هذه المدينة والتي كانت معبداً لزحل.

6 – في مجامع الكنيسة الأربعة عشر.

7 – تناول لمَ لمْ تكن للمشارقة فرصة لعقد مجمع منذ أن تلقوا الإيمان.

وإلى جانب قوانين الرسل عندهم مجموعات من القوانين.

V – السِفر الخامس في سبعة أصول.

أولاً: الأصل الأول.

1 – مقدّمة.

2 – قصّة ربنا.

3 – القدّيس بطرس.

4 – القدّيس إندراوس.

---

1 – سمعان الساحر أو سيمون، إليه تنسب السيمونية. يروي سفر أعمال الرسل 8/18 – 19 خبره مع القدّيس بطرس وعرضه عليه مالاً للحصول على سلطان منح الروح القدس. والسيمونية شيعة الذين يبيعون ويشترون ولاية كنسيّة أو سرّ كنسي بالمال.

2 – مارون، راهب قدّيس. تنسك في القورشية في شمال سوريا. ذاع صيته فصار منسكه مزاراً، اتصل به القدّيس يوحنا فم الذهب في منفاه. كتب سيرته ثيودوريطس. توفي نحو 410 م. إليه ينتسب الموارنة وقد اتهموا باتباع مذهب المشيئة الواحدة (المونوتلية). لذا يعتبرهم صليبا بن يوحنا هراطقة، وينسب هرطقتهم إلى القدّيس مارون مع أن المونوتليّة ظهرت بعد مارون بأجيال (القرن السابع م).

5 – القدّيس يعقوب ابن زبدى.

6 – القدّيس يوحنا الإنجيلي.

7 – القدّيس فيليبس.

8 – نتنائيل برثلماوس.

9 – القدّيس متى الإنجيلي.

10 – القدّيس توما.

11 – القدّيس يعقوب بن حلفى.

12 – القدّيس يهوذا ابن يعقوب.

13 – القدّيس سمعان القانوني.

14 – يهوذا الإسخريوطي.

15- القدّيس متّيا.

16 – القدّيس فولوس.

17 – القدّيس مرقس الإنجيلي.

18 – القدّيس لوقا الإنجيلي.

19 – مار أدّاي السلّيح.

20 – مار ماري.

رسائل الملك الأبجر وربنا.

مقتطفات من تاريخ يحيى بن سعيد لغاية عام 1343 يوناني (1032 م).

ثانياً: الأصل الثاني.

1 – بطاركة المشرق.

وهنا يعدّد ثمانين جاثليقاً/بطريركاً من ماري إلى يهبلاها الثالث المتوفي 1629 يوناني 1317 م. 73 بطريركاً قانونياً وسبعة نحّوا وشطبت أسماؤهم . ويذكر في هامش المخطوط أن خليفة يهبلاها كان

طيموثاوس الثاني.

ثم يورد لائحة المطارنة التابعين لبطريرك المشرق ومن ثم المطارنة السبعة الذين يختارون البطريرك ويسيمونه. وهذا الفصل الأول من الأصل الثاني من السِفر الخامس هو ما عرف بأخبار بطاركة كرسي المشرق، وهو ما ننشر في هذا الكتاب.

2 – مقدّمة كتاب مار إيليا الأوّل في أصول الدين.

3 – من الكتاب نفسه (أصول الدين للبطريرك إيليا) في التجسّد.

4 – من الكتاب نفسه في الشهادات على ناسوت ربنا.

5 – من الكتاب نفسه (أصول الدين) في الشهادات على لاهوت ربنا.

6 – منتخبات من القسم الأوّل من كتاب مار إيليا مطران نصيبين وعنوانه كتاب البرهان في تصحيح الإيمان.

7 – منتقيات من كتاب مار جرجيس مطران الموصل[1] في أمانة

---

1 – **جرجيس مطرافوليط أربيل والموصل** (؟ – بعد 987)، وُلد جرجيس في الربع الأول من القرن العاشر. ونحو عام 945 أقامه الجاثليق عمانوئيل الأوّل (938 – 960) مطرافوليطا على الموصل. وأربيل. حاول مرّات ثلاث أن يصير بطريركا وذلك عام 960 عند انتخاب الجاثليق إسرائيل وعام 963 عند انتخاب عبديشوع. وعام 987 عند انتخاب البطريرك ماري بن الطوبى. ولكنه لم ينجح رغم ما يِمتع به من قدرة وصفات، أما السبب فعزي في المرتين الأوليين لصغر سنه وفي الثالثة لمرض ما.
أبرز مؤلفاته: له عدد من الميامر محفوظة في مخطوطتين في الفاتيكان. وله مجموعة من القوانين. وينسب إليه كتاب عنوانه عرض الطقوس الكنسية، ويقسم إلى سبعة أبحاث تتطرق تباعاً إلى مدار السنة الليتورجية ويتناول حياة المسيح وفرض المساء وفرض الليل والأسرار والعماد وتكريس الكنائس ودفن الموتى.. ويتبع فيه المؤلف بدقة توجيهات البطريرك إيشوعياب الثالث الحديابي وأوامره ونظمه الليتورجية. وفي مكتبة الفاتيكان مخطوطة أخرى تنسب إليه أسئلة وأجوبة في تكريس الكنائس والزيت المقدّس وفي التناول ودفن الموتى. وتنسب إليه صلوات عيد التجلي وصلوات عديدة أخرى مثل التي مطلعها «الله الوجود الأزلي الذي بإشارته صارت الخلائق» "وإلى الناصرة مدينة الجليل" وغيرها من صلوات الآحاد والأعياد.

المسيحيين المشارقة.

8 – رسالة مار مكّيخا البطريرك في الأبوّة والبنوّة.

9 – أمانة مار ميخائيل أسقف آمد وميافارقين نقلها من السريانية إلى العربية صليبا بن يوحنا.

10 – في التوحيد والتثليث لمار عبديشوع مطران نصيبين (عبد يشوع الصوباوي).

11 – نبذة أخرى من نفس الكتاب.

12 – نبذة ثالثة من نفس الكتاب.

13 – أمانة مار إيشوعياب بار ملكون.

14 – رسالة مار مكّيخا البطريرك عندما كان مطراناً على الموصل وأربيل إلى بعض الرؤساء المؤمنين بأصفهان في حقيقة الديانة.

ثالثاً: الأصل الثالث.

1 – مقدّمة.

2 – في غرض التجسّد.

3 – في ماذا تتفق آراء فرق النصارى النساطرة والملكية واليعاقبة بما يخصّ الاتحاد (اتحاد طبيعتي ربنا).

4 – في ماذا تختلف فرق النصارى بشأن الاتحاد وعرض عقائد الفرق الثلاث.

5 – أدلة وبراهين عقيدة النساطرة.

6 – قانون الإيمان بشأن الاتحاد.

7 – الردّ على اعتراض القائلين إن النساطرة يضيفون شخصاً رابعاً على الثالوث.

8 – الردّ على اعتراض القائلين إن النساطرة يؤمنون بإبنين.

9 – في عقائد اليعاقبة ونقضها.

أ – مقتبسات من مقالة سواريوس ابن المقفّع أسقف اليعاقبة على أشموني مصر.

ب – نبذة من رسالة يعقوب أسقف الرها[1] إلى ملكيي حرّان والتي

---

1 - يعقوب الرهاوي(633 – 708) هو أخصب كاتب في الكنيسة السريانية الأرثوذكسية (اليعقوبية) في القرن السابع. اشتهر في مختلف المجالات فهو لاهوتي كبير وفيلسوف قدير ومؤرّخ شهير ومفسّر جهبذ ونحوي لامع.

وُلد في قرية عندابا القريبة من إنطاكيا نحو عام 633. درس اليونانية في دير قنسرين. ثم رحل إلى الإسكندرية وتعلّم الفلسفة في مدرستها الشهيرة. عاد بعدها إلى الرها، فأقيم أسقفاً عليها عام 684. وحاول إصلاح ما فسد في أديرة أبرشيته، لكنه لقي مقاومة من الرهبان، ولم يلقَ الدعم الذي ينتظره من البطريرك يوليان الثالث خلف صديقه البطريرك أثناسيوس الذي سامه مطراناً.

فانتهى به الأمر إلى إشعال النار بالقوانين أمام البطريرك قائلاً له:«إني أحرق هذه القوانين التي تطأونها بأرجلكم، لأنها أضحت لكم بغير جدوى». ثم استقال وهجر الأبرشية بعد أن قضى أربع سنوات أسقفاً عليها. وكتب في دير مار يعقوب في كيسوم مقالتين ضدّ رعاة الكنيسة ومخالفي القوانين. بعدها أمضى في دير أوسيبونا في كورة إنطاكيا إحدى عشر سنة يدرّس اللغة اليونانية ويكتب شروح للكتاب المقدّس بحسب النص اليوناني. ثم انتقل إلى دير تلعدا في جبل بركات وقضى هناك تسع سنين اشتغل فيها بمراجعة ترجمة العهد العتيق عن النص اليوناني.

ولما توفي الأسقف حبيب الذي خلفه على كرسي الرها عام 707 طالب الرهاويون البطريرك بإعادته إلى أبرشيته. غير أنه لم يقضِ فيها سوى أربعة أشهر وعاد إلى دير تلعدا لحمل كتبه إلى الرها. ولكنه توفي في الدير عام 708.

من أبرز أعماله: تصحيح الترجمة البسيطة للعهد القديم. مع مقدّمات وتعليقات وتفسير للتعابير.

وله تاريخ نسج فيه على منوال تاريخ أوسابيوس القيصري الشهير, وصلنا أقسام منه.

تبيّن أنه يؤمن أن طبيعة ربنا البشرية قد نزلت من السماء.

ج – نبدة أخرى من الرسالة عينها إلى ملكيي حرّان وفيها يقرّ يعقوب الرهاوي بفنائية Mortality الرب.

د – قانون إيمان إغناطيوس الثاني[1] بطريرك اليعاقبة بعد أن زاره الراهب اللاتيني فرا أندريا.

هـ – قانون إيمان يوحنا ابن المعدني[2] بطريرك اليعاقبة عندما زاره

← وله أعمال ليتورجية. إذ أصلح ليتورجيا مار يعقوب أخي الرب وله كذلك رتبة العماد وطقس الزواج وكلندار الأعياد على مدار السنة. وله خطب نثرية في ذبيحة القدّاس وضدّ استعمال الخبز الفطير وضدّ الأرمن. ووضع "أنكيريديون أي المختصر وهو مجموعة العبارات الفلسفية واللاهوتية مثل جوهر وذات وطبيعة وأقنوم وشخص.

وهو أوّل مَن اهتمّ من السريان المغاربة بضبط اللغة السريانية الفصيحة وبوضع قواعد لكتابتها وإيجاد حروف العلّة والنقاط التي تتيح قراءتها بطريقة صحيحة. وكتابه "نحو لغة ما بين النهرين" يعدّ أوّل كتاب في قواعد هذه اللغة. ولم يصلنا منه سوى شذرات.

له عدد كبير من الرسائل في مواضيع مختلفة مثل رسالته إلى جرجيس السروجي في الإملاء. ورسالة إلى بولس الإنطاكي في الألفباء وفي إصلاح الكتابة. ورسالة إلى القسّ توما يشرح فيها الليتورجيا. وأخرى إلى الشمّاس برحذبشبا ضدّ مجمع خلقيدونية وفيها يؤكد إيمانه بمذهب الطبيعة الواحدة، وله ما يقارب الثلاثين رسالة في مواضيع أخرى.

وله كتابات ضد مذهب الأقنومين (النساطرة). ومن أواخر كتبه "في العلّة الأولى الخالقة الأزلية القادرة على كل شيء" و"مقالة في الخلق والخلائق في ستة أجزاء الأول منها في الملائكة والأخير في الإنسان. وقد سمّي كتابه هذا "هكساميرون" أي الأيام الستة.

1 – **أغناطيوس الثاني** بطريرك إنطاكيا للسريان الغربيين (اليعاقبة) (1222 – 1252).

2 – **يوحنا ابن المعدني** بطريرك السريان اليعاقبة خلفاً لأغناطيوس الثاني السابق الذكر (1252 – 1263) وُلد في بلدة معدن القريبة من آمد. وترهّب في دير مار هابيل، وصار كاهناً وكاتب أسرار مطران ملطية ديونيسيوس عنجور.

الراهب نفسه (فرا أندريا).

رابعاً: الأصل الرابع

1 – مجادلة الكاهن سبريشوع بن فولوس الموصلي[1] مع رابي يهودي.

وفي سنة 1230 سيم مطراناً لماردين ثم مفرياناً للمشرق سنة 1233. لكن مظهره الخارجي وقلة معرفته باللغة العربية لم يرضيا أهل الموصل. وإذ شعر المفريان الجديد بهذا النفور اعتزل منصبه وذهب إلى بغداد عام 1237 حيث درس اللغة العربية على أولاد توما الطبيب، وهم شمس الدولة وفخر الدولة وتاج الدولة الأطباء السريان المتنفذين في بلاط الخليفة العباسي المستنصر بالله (1226 – 1242)، ثم أكمل دراسته على أحد العلماء المسلمين. فأتقن العربية لغة وأدباً ونظم فيها قصيدة في مدح هارون الناسك. وعند عودته إلى الموصل عام 1244 لقي من أهاليها ومن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (1233 – 1258) ملقى حسناً لنفوذه في بلاط بغداد ودعم أطباء الخليفة له.

وعند وفاة البطريرك أغناطيوس الثاني حصل انشقاق في الكنيسة السريانية (اليعاقبة). إذ أقاموا بطريركين مناوئين أحدهما ديونيسيوس عنجور والآخر ابن المعدني. وعندما اغتيل عنجور عام 1261 أصبح ابن المعدني البطريرك الوحيد وانفرد بإدارة شؤون الكنيسة السريانية دون منافس حتى وفاته في منطقة قيلقية عام 1263.

ترك ابن المعدني ديوان شعر سرياني بالبحر الإثني عشري أهم ما جاء فيه قصيدتان الأولى في النفس نقلت إلى العربية والثانية في شرف النفس وسقوطها بالعصيان تبدأ بقوله: هبطت إليك من ذروة القدس. وله أيضا قصيدة طريق الكاملين. كما نظم قصيدة في سقوط الرها بيد السلطان علاء الدين السلجوقي عام 1235 ووضع ليتورجيا مطلعها "أيها الأزلي السرمدي الواجب الوجود" ووضع خطباً لأهم أعياد السنة بالسريانية ثم نقلها إلى العربية، نشر منها الخطبة في الصليب ودخول الرب إلى الهيكل والأحد الجديد. وقد نشر القسّ يوحنا دولباني ديوان ابن المعدني في القدس عام 1929.

1 – سبريشوع بن بولس: عاش في النصف الأخير من القرن العاشر. كان كاهناً في الموصل زمن يحيى بن عدي اليعقوبي. وصلنا مما كتب أنشودة وضعها في العناية الإلهية مطلعها "المسيح ربّ المجد"، ومجادلتين واحدة ضدّ يهودي وأخرى ضدّ المذهب المنوفيزي. ويعتقد البعض أنه مؤلف التاريخ السعردي.

2 – برهان أن مريم ولدت المسيح ونقض سواريوس ابن المقفع اليعقوبي.

3 – نبذة من كتاب إيشوعياب [بار ملكون][1] مطران نصيبين في نقض سواريوس ابن المقفّع.

4 – نقض رأس براهين اليعاقبة.

ويحوي ستة أسئلة وجّهها المؤلّف إلى اليعاقبة وخبراً يرويه المؤلّف.

خامساً: الأصل الخامس

1 – الردّ على أولئك القائلين إن الرب تألّم وصلب ومات، والردّ بالأخصّ على سواريوس ابن المقفّع.

2 – الردّ على القائلين إن آلام ربّنا وموته تتعلّق فقط بطبيعته البشرية. ويحوي براهين من الآباء.

3 – كيف حرّف اليعاقبة نص الكتب المقدّسة وغيّروه.

---

1 - إيشوعياب بار ملكون (القرن الثاني عشر) وُلد في النصف الثاني من القرن 12// واسمه الأصلي يوسف، اتخذ اسم إيشوعياب عندما أقامه البطريرك يهبلاها الثاني (1190 – 1222) في بداية عهده مطرافوليطاً على نصيبين. وتوفي في النصف الأوّل من القرن 13// في عهد البطريرك سبريشوع الخامس (1226 – 1256). ينسب إليه عبديشوع الصوباوي في فهرسه مسائل نحوية ومقالات ورسائل وأغاني وضعت بالعربية. وله بالسريانية مقالة نحوية أسماها مجموعة النقاط وهي مؤلّفه الكبير. وتتطرّق إلى النقاط العديدة المستعملة آنذاك في الكتابة السريانية للإشارة إلى حروف العلّة ولضبط الحروف الصحيحة والإشارة إلى حركة الجمل. وقد سار فيها على نمط النحو الذي وضعه إيليا النصيبيني. وله ردّ على بطريرك المونوفيزيين أغناطيوس الثالث داود (1222 – 1252) أرسله بواسطة سعيد كاتب الخليفة، وفيه يبيّن محاسن مذهبه الشرقي.

4 – كيف زيّف اليعاقبة أقوال مار إفرام[1].

سادساً: الأصل السادس في الردّ على الملكيين.

1 – مقتطفات من مؤلّفات يوحنا الدمشقي[2].

---

1 – **مار إفرام السرياني** (306 – 373) أعلنه البابا بندكتس الخامس عشر عام 1920 معلّماً للكنيسة الجامعة. هو أشهر الأدباء الآراميين بلا منازع, لقب بنبيّ السريان وشمس السريان وكنارة الروح القدس. أقرّت له النصرانية بالإمامة وهو على قيد الحياة, وقال عنه القدّيس يوحنا الذهبي الفم:«إفرام كنارة الروح القدس ومخزن الفضائل ومعزّي الحزانى ومرشد الشبّان وهادي الضالّين، كان على الهراطقة سيفاً ذا حدّين».
له شروحات على سفري التكوين والخروج والدياطسرون ورسائل بولس وأعمال الرسل وسفري أيوب وزكريا. وله مصنّفات لاهوتية في الردّ على الهراطقة وعلى برديصان ويوليانس الجاحد. وله مصنّفات نسكية: أناشيد وقصائد في البتولية والكنيسة وأسرار الكنيسة وزوال العالم. ومصنّفات ليتورجية: أناشيد في الميلاد والقيامة والصوم والصلب والمعترفين والشهداء وخطباً في مواضيع شتى وأناشيد تروي حروب نصيبين مع الفرس وأخرى تصف الفردوس والبعث والنشور. وخطب في يونان النبي والتحريض على التوبة والتوبيخ ومؤلفات أخرى عديدة ونسبت إليه مصنفات عديدة وإلى ذلك يشير صليبا في المتن.

2 – **يوحنا الدمشقي**. عرضنا سيرته وآثاره في كتابنا الإسلام والهرطقات المسيحية. من آباء الكنيسة ومعلّميها. وُلد في دمشق نحو عام 660. في أسرة مسيحية عريقة. وكان والده سرجون يشغل إدارة بيت المال في الدولة الأموية وخلفه هو في هذه الوظيفة. لكنه سرعان ما ترك وظيفته وترهّب في دير مار سابا في فلسطين مع قزما أخيه بالتبنّي. وسيم كاهناً في مطلع القرن الثامن على الأرجح. عكف على الوعظ والتأليف إلى أن وافاه الأجل نحو 750. تعدّدت آثاره حتى أن العلماء لم يتوصّلوا بعد إلى وضع ثبت كامل ونهائي لها. ونحل له العديد من المؤلّفات. أبرز ما ثبت نسبته إليه، كتاب ينبوع المعرفة، وهو أشهر مؤلّفاته وأهمها، في ثلاثة أبواب واحد في الهرطقات والثاني مدخل فلسفي, أما الثالث وهو الأطول فيعرض للعقيدة الأرثوذكسية. وله المدخل الأولي للعقائد وهو بحث فلسفي وجيز أملاه على تلميذه. وله رسالة في العقيدة الحقيقية وهو إعلان مفصّل كتبه لإيليا أسقف يبرود المرتدّ

منتقيات من سعيد ابن البطريق الملكاني ضدّ النساطرة واليعاقبة.

سابعاً: الأصل السابع.

1 – مقدمة.

2 – نقض ابن البطريق في أربعة أقسام.

ولكن بداية الأقاسم الثلاثة الأخيرة غير واضحة.

3 – خاتمة في الاتحاد (اتحاد الطبيعتين) رداً على سواريوس ابن المقفع وابن البطريق .

وتذكر خاتمة المخطوطة أن هذا الكتاب المعروف بكتاب التواريخ قد تمّ نسخه في 27 كانون الثاني من سنة 2041 يوناني (1730م) في زمن بطريركية مار إيليا في الموصل على يد الأرقدياقون يوحنا ابن الأرقدياقون هرمزد بن الأرقدياقون جبرائيل القوشي.

عمل تجميعي وغير مبتكر

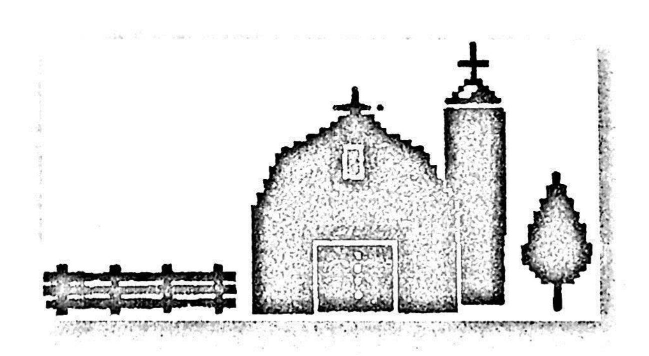
أوّل انطباع يخرج به قارئ هذا التصميم الموسّع أن الأمر يتعلق بجمع

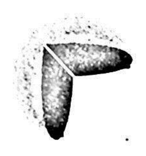
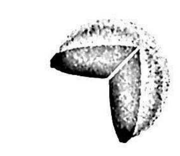
عن مذهب الطبيعة الواحدة. وبحث في الثالوث يوجز فيه عقيدتي الثالوث والتجسّد في أسئلة وأجوبة. وله مصنّفات عديدة ضدّ الهرطقات التي انتشرت في أيامه أبرزها "ضد محطّمي الأيقونات" في 3 أجزاء. ومقالة ضدّ أصحاب الطبيعة الواحدة" وبحثان ضدّ اليعاقبة وبحثان آخران ضدّ النساطرة وحوار ضد المانويين. ومبحث في المشيئتين في المسيح، وله مناقشة على نمط حوار بين مسيحي ومسلم" وقد دوّنها من دروسه بعض تلاميذه وحفظها ثيودورس أبو قرّة (ت 820). وله مجموعة كبرى من العظات بينها واحدة في ميلاد السيدة العذراء وثلاث في رقادها. وله مجموعة حكم وتحريضات أدبية في كتاب عنوانه "الإزائية المقدّسة" وبحث في الأرواح الشريرة الثمانية وآخر في "الفضائل والرذائل". ونظم العديد من الأناشيد الليتورجية التي لا تزال مستخدمة إلى اليوم في الكنيسة البيزنطية.

لأسفار ونبذات وتقميشات من مؤلّفين نساطرة وغيرهم لا بمصنّف مبتكر. فصليبا ناسخ ومجمّع أكثر مما هو كاتب مؤلّف.

- أسفار الأسرار (أو كتاب التواريخ) التي جمعها صليبا مؤلّف حجاجي دفاعي يهدف إلى الدفاع عن عقيدة النساطرة ونقض ما يخالفها من عقائد الفرق المسيحية الأخرى لا سيما اليعاقبة والملكانيين.

- مؤلّف صليبا هذا "أسفار الأسرار" لا علاقة له بموسوعة المجدل. ولا يشبهها في شيء إلا بفصل واحد من فصوله العديدة. وهو ذاك الذي يروي أخبار بطاركة كرسي المشرق. وسنعود إلى المقارنة بين أخبار البطاركة في كلا الكتابين. أما بقيّة الفصول والتي تعدّ بالعشرات فهي مختلفة تماماً عن فصول المجدل. ورغم هذا الاختلاف البيّن فقد خلط الباحثون، ومنذ العلامة السمعاني، بين أسفار الأسرار لصليبا وكتاب المجدل. فاعتبر الأوّل نسخة معدّلة عن الثاني، وكان القسم المشترك أي أخبار البطاركة السبب الأساسي لهذا الخلط والالتباس.

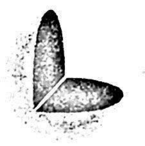


الباب الأول

الفصل الثالث

أخبار البطاركة لصليبا: ميزاته وتحقيقه




مواضيع فصل 3"/باب 1":

-عملنا في نشر نص الأخبار

-بعض سِمات أخبار البطاركة لصليبا

-إضافات صليبا وميزاتها

إضافات صليبا: وثيقة نادرة عن عهد المغول

فسحة حرّية نعمت بها كل الأقليات

-نشر الأقسام الأخرى من أسفار الأسرار

عملنا في نشر نص الأخبار

ننشر في هذا المجلّد إذاً نص أخبار بطاركة كرسي المشرق لصليبا بن يوحنا الموصلي، وهو في الحقيقة قسم أو فصل من موسوعته "أسفار الأسرار" أو كتاب التواريخ. ولكننا لم نشأ أن نقصر عملنا على نشر نص أخبار البطاركة، بل أردناه أن يشمل سائر فصول موسوعة صليبا وأسفارها وأصولها، أو بالأحرى ما توفّر لنا من مخطوطات لأقسام "أسفار الأسرار" وفصولها. كان بودّنا أن ننشر موسوعة صليبا بنصّها الكامل ولكن حال دون هدفنا هذا عائقان:

1 – عدم توفر صورة لمخطوطة أو أكثر للنص الكامل لأسفار الأسرار بين أيدينا.

2 – ضخامة الموسوعة فحتى لو توفّرت لنا صورة عن نصها الكامل، فالعمل على نشره يستغرق زمناً طويلاً، ولا بدّ أن يقسّم إلى مراحل.

من هنا اعتبرنا ما ننشر في هذا الكتاب مرحلة وخطوة أولى نحو نشر "أسفار الأسرار" بنصّها الكامل. وما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه كما يقال.

ونحن نركّز في مجلّدنا الحاضر على نشر "أخبار البطاركة". لذا نبدأ به. وهو القسم الثاني من المجلّد الذي يلي دراستنا هذه مباشرة. ثم نتبعه في القسم الثالث بنشر ما توفر لنا من أقسام وفصول أخرى من أسفار الأسرار.

وقد اعتمدنا في نشر أخبار البطاركة لصليبا بن يوحنا المنهجية عينها

المتبعة في نشرنا لأخبار البطاركة من كتاب المجدل. فاستندنا أساساً إلى مخطوط الفاتيكان 110 وبينّا في الهوامش أبرز الفروقات بين المخطوطات، وقسّمنا نص الأخبار إلى أبواب وفصول تتطابق تماماً مع تقسيماتنا لأخبار البطاركة من المجدل.

وخصّينا كل جاثليق/بطريرك بفصل يطابق رقمه رقم الفصل في الأخبار/المجدل تسهيلاً للبحث والمقارنة. وقسّمنا كل فصل إلى فقرات وضعنا لها غالباً عناوين بين حاصرتين [ ] للإشارة إلى أنها من وضع المحقق/الناشر.

والنص الأصلي يخلو من علامات الترقيم. فأضفنا إليه الفواصل والنقط وغيرها.

واعتنينا بوضع الحواشي والتعليقات على المتن. مركّزين على التعريف برجالات كنيسة المشرق التاريخيين المشار إليهم في نصّ الأخبار، ولا سيما منهم قدّيسي المشارقة وعلمائهم وأساقفتهم وكل مَن كان فاعلاً في تاريخهم. أما حكّام الدول التي عاش في ظلّها النساطرة من فرس وبيزنطيّين ومسلمين ومغول فأغفلنا غالباً التعريف بهم، وذلك لكثرة الأسماء الواردة أولاً، ولعدم تعلّق ذلك مباشرة بموضوعنا ثانياً.

بعض سمات أخبار البطاركة لصليبا

أخبار البطاركة لصليبا ليس مجرّد نقل أو تلخيص لأخبار البطاركة/المجدل وإكمال له، كما ظنّ البعض ويظنّ. فهو يتميّز عنه بالعديد من الخصائص. ويبدو أن صليبا، بالإضافة إلى اعتماده على المجدل، قد نقل عن مصادر أخرى أغفلها هذا الأخير، أو لم تكن بمتناول كاتبه. ومن أبرز ما ميّز أخبار صليبا ما يلي:

- الوصف الخارجي للجاثليق: لحيته، جسمه إلخ.
- سيامته ولون البيرون الذي لبسه في السيامة.
- مدّة رئاسته ومدّة خلو الكرسي بعد وفاته. وهنا نتبيّن أن كرسي الجثلقة غالباً ما كانت تخلو إثر الوفاة لفترات تتراوح بين أشهر قليلة وسنوات طويلة، تبعاً للأوضاع والظروف.

ويبدو صليبا في تاريخه محبّاً للتفاصيل الصغيرة: لون البيرون شكل اللحية ولونها.. الخ، ما يضفي على روايته نكهة شعبية.

ومن القصص والروايات الشعبية التي ينفرد صليبا بسردها: خبر ابن سنجلا مع الأسقف إيليا المختار للجثلقة ورفضه لهذا الاختيار بسبب فتوى إيليا لابن سنجلا بجواز الزواج بجارية على امرأته العاقر. (فصل 55) والقصّة هذه، على ما فيها من إثارة، تدلّ دلالة واضحة على التأثير الحاسم لرجالات النساطرة العلمانيين ووجهائهم في اختيار الجاثليق. فقد مزّق ابن سنجلا الشلموث أي الصك الذي يوقّع فيه الأساقفة على اختيار الجاثليق وأرغم هؤلاء على إعادة الانتخاب.

وتندرج في هذا الطابع الشعبي قصص الأعاجيب في حفظ يوم الرب (الأحد) والتي جرت في عهد البطريرك إيليا الثالث أبو حليم (فصل 71) كما يروي صليبا.

وقد نستغرب كيف يخصّص صليبا للبطريرك إيشوع برنون خليفة البطريرك العظيم طيموثاوس الأوّل وغريمه مساحة أكبر مما خصّصه لسلفه الكبير على ما بين الإثنين من فارق في الدور والتأثير وحتى في مدّة العهد. فطيموثاوس تولّى كرسي الجثلقة فترة ثلاثة وأربعين سنة ونصف، في حين لم يدم عهد برنون سوى أقلّ من عُشر هذه المدّة أي أربع سنوات.

ولكن دهشتنا تزول عندما نقرأ ما ينسب للجاثليق برنون من أعاجيب

ورؤى ينفرد صليبا بسردها.

وممّا يتفرّد صليبا بروايته من عجائب ومعجزات قصّة جثمان البطريرك حنا نيشوع (فصل 36'') الذي فتح ناووسه بعد 650 عاماً من وفاته، فبدا كأنه نائم. ولم يكُن لعوامل الزمن والفساد من أثر عليه. وصليبا بن يوحنا كان هنا شاهد عيان على هذه المعجزة، ما يضفي على روايته أهمية تاريخية توثيقية.

ولكن هذا الطابع الشعبوي في كتابة التاريخ لا يعني غياب ميزات تأريخية أصيلة في أخبار البطاركة لصليبا. فهو ينفرد عن أخبار البطاركة/المجدل بإيراد وثائق بالغة الأهمية، ترجم عدداً منها على ما يبدو عن السريانية. وأبرز هذه الوثائق:

1 – سجل البطاركة الأربعة بإلغاء الذهاب إلى إنطاكيا (فصل 5). وهو بيان طويل، يقدّم له صليبا بمدخل من دون أن يذكر المصدر الذي أخذ عنه، ولا إذا كان هو مَن نقله إلى العربية.

والوثيقة هذه تشعر للوهلة الأولى أنها موضوعة وغير أصيلة. فهي لا تذكر أسماء بطاركة الكراسي الأربع الذين صدرت عنهم، ولا صليبا يذكر أسماءهم في مقدّمته لها. كما أن طولها وإغراقها في التفاصيل يعطيان الانطباع عينه. وهذا لا يعني أن صليبا هو واضع هذه الوثيقة، فمراسلات الآباء الغربيين معروفة ومتداولة في وثائق كنيسة المشرق. وبعض مجامع هذه الكنيسة تذكرها وتسمّيها، ولكن النقد التاريخي الحديث أثبت وضع هذه الوثيقة. يقول الأب يوسف حبّي في ذلك: «تريد بعض مصادر كنيسة المشرق، وبعضها قديم بل رسمي كالمجامع المشرقية، أن تكرّس الصلات الوحدوية بين كنيسة المشرق وكنيسة الغرب من خلال وثائق مبنية على وقائع مثيرة ، هي رسائل الآباء الغربيين، كتبها أساقفة/بطاركة كنائس الغرب (إنطاكيا،

الإسكندرية، روما، القسطنطينية وغيرها) إلى الرؤساء الكنسيين ومؤمني كنيسة المشرق لدرء أخطار السفر عنهم وعدم تعريضهم للعداء الفارسي، وبالتالي السماح لهم برسامة جثالقتهم في ديارهم. ويرى النقاد عدم حجّية هذه الكتابات، وأنها تبرير لاحق لعزلة إجبارية لا ينبغي تصعيد أبعادها لكي تنفي الشركة الكنسية ووحدة الكنائس»[1]، وإلى ذلك فلا يرد في وثائق كنائس الغرب أي ذكر ″لرسائل الآباء الغربيين″ أو سجل بطاركة الأربع كراسي كما يسمّيها صليبا، ما يؤكّد بالتالي فرضية وضعها.

2 – أمانة (قانون إيمان) المطران برصوما (فصل 19). وهي نموذج بيّن للعقيدة النسطورية.

3 – أمانة إيشوعياب الأوّل (فصل 28). وميزة هذه الوثيقة أن صليبا يذكر مصادرها. فهو يقول إنه وجدها بصيغتها السريانية في كتب الآباء، ومنقولة إلى العربية في كتب اليونانيين.

ولا يقلّ أهمّية عن هذه الوثيقة ما يعقبها من خبر. إذ يذكر صليبا أنه إثر قراءة ملك الروم موريقا قانون إيمان إيشوعياب الأوّل استحسنه ودفعه لبطريركي إنطاكيا والقسطنطينية اللذين كانا حاضرين فاستصوباه. فقال الملك للجاثليق: لو كانت هذه عقيدة نسطور فهو ليس بمحروم.

ورواية صليبا هذه التي تنقل نصّ الأمانة وما جرى إثر تلاوتها من حوار أكد صحّتها بالغة الأهمية وتستحق أن تدرس وتمحّص لما تحوي من دلالات على عقيدة نسطور وما نسب إليه من هرطقة. وهي مسألة سنبحث فيها في الفصل الثاني من الباب الثالث من دراستنا هذه.

4 – أمانة إيشوعياب الثاني (فصل 31).

---

1 - حبّي، الأب يوسف، كنيسة المشرق الكلدانية – الأثورية، الكسليك/لبنان، منشورات جامعة الروح القدس، ط1، 2001، ص 40.

5 – عهدة الجاثليق يوحنا بن مرتا (فصل 53//) وهي ما تعهّد به البطريرك المذكور وكتبه على نفسه إثر انتخابه ليلتزم به طيلة جاثلقيته. إنها وثيقة إصلاحية مميزة تلزم بسلوك نموذجي في الجثلقة، ويتعهّد فيها البطريرك بمحاربة السيمونية، وتوزيع مداخيل البطريركية على المحتاجين، وأداء الجزية عن الفقراء والإقرار بعقيدة مجمع نيقيا (325م)، وشاء البطريرك يوحنا بن مرتا في ختام عهدته هذه أن تكون وثيقة يوقع عليها كل بطريرك منتخب ويشهد على ذلك الأساقفة منتخبوه. ولو عُمل بالتقليد الذي شاء هذا الجاثليق الصالح أن يرسيه، لكان من شأنه تجنيب كنيسة المشرق الكثير من المشاكل والأزمات التي وقعت فيها لاحقاً.

أياً يكُن فللبطريرك المذكور فضل الريادة والرغبة الجدية في الإصلاح. ولصليبا بن يوحنا فضل حفظ وثيقة مهمّة كهذه ونقلها إلينا.

إضافات صليبا وميزاتها

ولكن يبقى أن أبرز ما يميّز أخبار البطاركة لصليبا عن أخبار المجدل أنه يسرد سير جثالقة عاشوا بعد زمن ماري بن سليمان وعمرو بن متى اللذين كتبا أخبار البطاركة/المجدل. فهذا الأخير يتوقّف عند الجاثليق التاسع والستين أي عبديشوع الثالث ابن المقلي. أما صليبا بن يوحنا فقد عاش في زمن متأخر، مما أتاح له سرد سيَر ثمانية جثالقة خلفوا البطريرك المذكور.

ولكن لا يجب أن نفهم هنا أن أخبار صليبا هو بمثابة تكملة وذيل لأخبار المجدل. فقد سبق وبينّا أنه كتاب مستقلّ عن الأوّل ويستقي من مصادر أخرى وإن كان ينقل ويوجز روايات المجدل .

أما القسم الذي يكمل صليبا فيه أخبار البطاركة غير المذكورين في المجدل، فأبرز ما فيه أنه يمتدّ إلى ما بعد العصر العباسي، فيوثق لنا أحوال النصارى في عهد المغول.

فماذا يروي لنا كاهن الموصل صليبا بن يوحنا عن هذا العصر الذي يعوزنا الكثير من وثائقه؟! وبما تتميّز روايته؟

إضافات صليبا : وثيقة نادرة عن عهد المغول

تتناول تكملة صليبا لأخبار البطاركة فترة عصيبة ومهمّة من تاريخ العراق والدولة الإسلامية: ألا وهي سقوط بغداد بيد "هولاكو" حفيد "جنكيزخان". وقيام الدولة المغولية على قسم كبير من أرض الإسلام. وقد سقطت بغداد بيد الفاتح المغولي الوثنيّ سنة 656 هـ/1258. وحكم المغول العراق، وهكذا انتقل المسيحيّون، وغيرهم من الأقليّات، من وضع أهل ذمّة في الدولة الإسلامية، إلى وضع مختلف.

وواقع الأمر أنّ المصادر التي تتحدّث عن العراق، بعد سقوط بغداد، وأوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية قليلة. وأبرزها كتاب الحوادث الجامعة المنسوب إلى ابن الفوَطي (ت 723 هـ/1323) . وكتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذاني (ت 718 هـ/1319 م). وإذا كان كتاب الحوادث الجامعة يشير أحياناً إلى أحوال النصارى في دولة المغول، فإن إشاراته تبقى غير كافية، ولا تروي غليل الباحث. أما ابن العبري (ت 1286)، المؤرخ السريانيّ اليعقوبيّ الشهير، فلا نجد في مؤلفاته وصفاً مفصّلاً ووافياً للعلاقات المميّزة التي قامت بين المغول والنصارى. ولعلّ ذلك يعود إلى العصر الذي عاش فيه هذا الأخير. إذ يصعب الجهر فيه بمثل ما صرّح به صليبا.

أما صليبا، فقد عاش في زمن متأخّر. وكتب بعد نحو نصف قرن من وفاة ابن العبري. أي في زمن استقرّت فيه الأوضاع. فليس بالمستغرب أن تكون هذه الأجواء قد أتاحت له شيئاً من الحريّة، والجرأة في الرواية والتعبير، لم تتوفّر لسابقه. نظر صليبا إلى الأحداث من بُعد. في حين عاش ابن العبري في معمعتها. المهمّ أن كتاب صليبا، لا سيما منه القسم الذي تناول الحقبة المغولية، تميّز بذكر طرائف تاريخية غير معروفة في مستند عربي آخر. وروايات عن سيرة الطبقة الأولى من سلاطين المغول، وعن سياستهم مع النصارى في «كلّ من الشرقين القريب والبعيد. ولا نجد أثراً لهذه الطرائف التاريخية، لا في كتب ابن العبري ولا في غيرها من المصادر التاريخيّة»[1].

وإذا كان مؤلّف "الحوادث الجامعة" قد ذكر إجمالاً أخبار سقوط بغداد، وحسن المعاملة التي لقيها النصارى من المغول، وما حظوا به من عون ومساعدة، لدرجة أنّ الأخيرين وهبوا النصارى الكثير من قصور الأمراء والخلفاء العباسيين، فحوّل هؤلاء بعضها إلى كنائس ومعابد، فقد اكتفى هذا الكتاب بإشارات عامّة.

أما كاهن الموصل فقد عني بإيراد الكثير من التفاصيل والإيضاحات لهذه الأحداث والتغيرات. فجثالقة النصارى- ومثلهم حاخامو اليهود- كانوا في ظلّ الدولة العباسية، لا سيما في الحقبة الأخيرة منها، يُستدعون إلى ديوان الخلافة، فيتلو عليهم الوزير أو مَن ينوب عنه، نصّ البراءة الصادرة بتعيينهم. وغالباً ما كان هذا النصّ يتضمّن فقرة تؤكّد أن ديانة البطريرك المعيّن قد نُسخت (أي أُبطلت) بالرسالة المحمدية (الإسلام).

---

1 - الأمين حسن، الغزو المغولي للبلاد الإسلامية، من بغداد إلى عين جالوت، بيروت، دار النهار، ط 2، 1983، ص 174.

وقد أوردنا العديد من هذه العهود في دراستنا للمجدل. وبعد تلاوة النصّ يؤمر الجاثليق (أو الحاخام اليهودي) بالانصراف. وهذه التدابير التي شابها الكثير من الذلّ، جاء بعدها مع المغول عصر المواكب والاحتفالات الرسمية والخُلَع واستقبال الوفود في القواعد العسكرية وإكرام الوافدين وتقديم الهدايا لهم . وهذا بعض ما خصّ به أمراء المغول رؤساء النصارى . يروي لنا صليبا كل ذلك، ذاكراً ما حظيت به المسيحيّة من تقدير، عند سلاطين المغول، أو حاشيتهم.

ويحدثنا صليبا عن ثلاثة بطاركة: مار مكّيخا، مار دنحا، ومار يابالاها الثالث. وقد عاصروا ثلاثة من سلاطين المغول: هولاكو، أباقا، وأرغون. ونعموا بسياسة الودّ والتقرّب التي انتهجها الأخيرون تجاه النصارى.

فالسلطان آبقا ابن هولاكو وخليفته خلع على الجاثليق المنتخب دنحا الأوّل (فصل 76″) ووضع في خدمته وتصرّفه ثلاثة أمراء مغول.

ويشير صليبا، بشيء من الزهو والفخر، إلى العصر الذهبي الذي عاشته المسيحيّة في دولة المغول، لا سيما في رئاسة الجاثليق يابالاها، فيقول: «نال – أي يابالاها– من العز والجاه والسلطان ما لم ينله أحد من قبله. حتى أن ملوك المغول والقاآنية وأولادهم كانوا يكشفون رؤوسهم ويبركون قدّامه. ونفذ حكمه في جميع الممالك بالمشرق. وارتفع النصارى في أيامه إلى عز عظيم وجاه كبير» (فصل 77″).

وهذه الأمور، وغيرها تجعل من إضافات صليبا «**مستنداً نادراً عن علاقات النصارى بالمغول**»[1] وفقاً لتعبير المؤرخ، وصاحب دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، حسن الأمين.

ويعلّل كامل مصطفى الشيبي بعض تصرفات النساطرة في أوائل

---

1 – الأمين، حسن، م.س، ص 773.

العهد المغولي من تحويل بعض القصور إلى كنائس وغيرها (...) بأنّ <<كان ذلك تعبيراً عن شعور النصارى بما عانوه على يد النظام السابق وغيره طوال قرون>>[1].

فسحة حرّية نعمت بها كل الأقليات

ولا بدّ أن نعقب هنا ونشير إلى أن فسحة الحرية هذه لم تقتصر على النصارى فقط. بل استفادت منها بقيّة الأقليات الإسلامية، وغير الإسلامية، التي كانت تحت الحكم العباسي.

فالشيعة مثلاً في ظلّ الدولة المغولية كانت لهم اهتمامات فكرية لم يعرفوها سابقاً. يقول الشيبي في ذلك :<<لم يشتهر عن الشيعة الاهتمام بالفلسفة، لأن هذا يلحقهم بالإسماعيلية. فحاولوا أن يكتفوا بعلم الكلام والفقه. وأن يتجنّبوا الفلسفة ما أمكنهم. فلما جاء الفتح المغولي، وانتهى إليهم أن هولاكو <<يحب العلماء والفضلاء ويحسن إليهم>> ورأوا مصداق ذلك، في استيزاره نصير الدين الطوسي، بعد إخراجه من سجن آخر الأمراء الإسماعليين، نشطوا إلى هذا النوع من المعرفة>>[2].

شاهد ثانٍ وأخير، على فسحة الحريّة في دولة المغول: إنه ابن كمّونه (ت 683 هـ/1284) وكتابه <<تنقيح الأبحاث للملل الثلاث>>. وهو من أقدم الأبحاث في علم الأديان المقارنة. ويقول عنه المستشرق ستنشنيدر Steinschneider <<إنه المؤلّف الأهم والأبرز في الجدل بين الأديان في اللغة العربية>>. هذا السِفر ما كان ليُكتب، ويظهر بنقده للمسيحية والإسلام، إلا في جوّ مماثل لما أتاحه الحكم المغولي . ومع ذلك فقد كاد

1 – الشيبي، م.س، ص، 71.

2 – الشيبي، مصطفى كامل، الصلة بين التصوّف والتشيّع، النزعات الصوفية في التشيّع من بعد عصر الأئمة حتى سقوط الدولة الصفوية، بيروت، دار الأندلس، ط3، 1982، ص 85.

ابن كمونة يفقد حياته نتيجة نقمة العامة عليه من جرّاء هذا الكتاب»[1].

ولكنّ شهر العسل الذي عاشته جماعات النصارى والشيعة الإمامية واليهود في الفترة الأولى من الحكم المغولي لم يطل. يقول جورج ڤاجدا (Georges Vajda):<<لا يبدو أن الاجتياح المغولي واحتلال بغداد قد غيّرا بشكل راديكالي وضع اليهود في بغداد. وإذا كان اليهود وكذلك النصارى والشيعة الإمامية، قد استفادوا إلى حدّ معيّن من تغيّر النظام في الحقبة الزمنية التي فصلت بين سقوط بغداد واعتناق ملوك المغول نهائياً الإسلام السنّي، فإن ذلك لم يدم>>[2].

وصليبا بن يوحنا، يؤكّد هذا الواقع التاريخي في آخر فصل من أخبار البطاركة (فصل 77″) ويحزن له، فيقول عن نهاية عهد الجاثليق المغولي يابالاها:«وانهبطو (النصارى) في آخر أيّامه إلى ذلّة ردية، وتجدّد عليهم أخذ الجزية والإهانة واستمرّت إلى هذا التاريخ».

وبكلمة تلخّص ما قلناه وتكثفه فالباب الذي يتناول فيه صليبا جثالقة النساطرة في العهد المغولي على قصره واقتصاره على ثلاثة غني بالإشارات التاريخية والدلائل على أوضاع النصارى في الحقبة الأولى من العهد المغولي. وهو بالتالي وثيقة مهمّة عن ذلك العهد.

نشر الأقسام الأخرى من أسفار الأسرار

تبقى كلمة بشأن الفصول والأصول الأخرى من أسفار الأسرار

---

1 - ابن كمّونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، دراسة وتقديم لويس صليبا، باريس، دار بيبليون، 2009.

2 - Vajda, Georges, Sages et penseurs sépharades de Bagdad à Cordoue, Paris, Cerf, 1989, p 100.

المنشورة في هذا الكتاب.

لقد اجتهدنا أن نضمّن مجلّدنا هذا كل ما كان بمتناولنا من مخطوطات لسائر الأقسام والأسفار والأصول من موسوعة صليبا بن يوحنا "أسفار الأسرار". ونحن وإن لم نتمكّن هنا من نشر كامل نصّ هذه الموسوعة، فقد نشرنا القسم الأكبر والأبرز منها.

وموسوعة صليبا، كما سبق وأشرنا، ليست كلاً متكاملاً وكتاباً واحداً ذا تصميم واضح متسلسل ومترابط كما هي حال موسوعة المجدل، بل هي مجموعة تقميشات ونصوص لكتّاب نساطرة سابقين ومعاصرين للمصنف.

صليبا بن يوحنا ناسخ ومجمّع، كما أسلفنا، أكثر مما هو مؤلّف مبتكر. وإذا استثنينا رسالة البرهان والإرشاد التي يفتتح بها موسوعته وهي السِفر الأوّل منها، وأخبار البطاركة، فغالبية الأسفار والفصول الأخرى نصوص اقتصر عمل صليبا على جمعها في هذه الموسوعة وهو بذلك قد حفظها من الضياع.

القسم الثالث من مجلّدنا إذاً يجمع وينشر الأسفار والفصول الأخرى من "أسفار الأسرار" أو "كتاب التواريخ" لصليبا.

وقد عدنا فيه إلى مخطوطات وكذلك إلى بعض ما نشر، ولا سيما كتاب "أصول الدين" للبطريرك إيليا الثاني. وصليبا بن يوحنا يدرج من السفر الخامس من موسوعته أربعة فصول من هذا الكتاب.

وقد عمل على تحقيق "أصول الدين" الأب جان ماريا جانتسا وأصدره في طبعة علمية جديدة بالثناء والتنويه[1]. ضمّنها كذلك نصوصاً من مصادر هذا الكتاب.

---

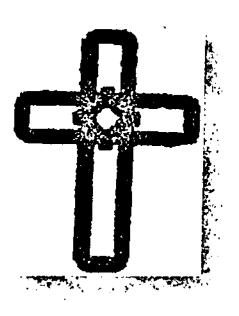
1 - جانتسا، الأب جان ماريا، كتاب أصول الدين للبطريرك إيليا الثاني (ت1131)، بيروت، مركز التراث العربي المسيحي، ط1، 2005، جزئين.

ونشر الأب جانتسا أيضاً في دورية Parole de l'Orient نصّين للبطريرك مكّيخا الأوّل(ت1109)[1] أوردهما صليبا في أسفار الأسرار.

وللأب جانتسا طريقته في نشر النصوص: من ترقيم الفقرات ووضع عناوين فرعية... الخ.

أمّا نحن فاعتمدنا غالباً على مخطوطة واحدة كانت بمتناولنا، وتحاشينا إثقال المتن بالحواشي والتعليقات والإرجاعات، وقصرنا عملنا على تقديم نص أمين للأصل لقارئ قد لا يهمّه تفاصيل ما بين المخطوطات من فروقات، لا سيما إذا كانت الفروقات المذكورة بسيطة ومحدودة الأهمّية.

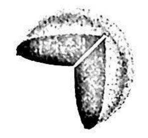
جهدنا الأساسي تركّز إذا على نشر أخبار البطاركة، فهي القسم التاريخي الذي يهمّنا في الأساس. وتأتي الأقسام الأخرى لتكمل الفائدة وتضع "الأخبار" في إطاره النصّي والأدبي.



---

1 – مقالة الأبوّة والنبوّة، ورسالة إلى بعض رؤساء المؤمنين بأصفهان 2000، P.O., XXV.

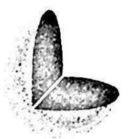
خريطة الشرق المسيحى

القسم الأول

الباب الثاني

كنيسة المشرق في أبرز محطات تاريخها قبل الإسلام




فصل الباب الثاني:

الفصل الأول: كنيسة المشرق من زمن الرسل.

الفصل الثاني: كنيسة المشرق حتى ظهور الإسلام.

الفصل الثالث: كنيسة المشرق في الهند والصين.




الباب الثاني

الفصل الأول

كنيسة المشرق من زمن الرسل حتى نهاية الاضطهاد الأربعيني




مواضيع فصل 1"/باب 2":

-توما الرسول وكنيسة المشرق

-مراسلة أبجر والمسيح

-ماري مؤسس كنيسة المشرق

-نشأة جاثليقية المدائن

-تسمية كنيسة المشرق

-الزرادشتية ديانة فارس والمسيحية ديانة بيزنطية

-الاضطهاد الأربعيني للمسيحيين

-من نهاية الاضطهاد الأربعيني حتى مجمع ساليق

توما الرسول وكنيسة المشرق

يسود الكنيسة السريانية الشرقية الاعتقاد بأنها تعود في تأسيسها إلى زمن توما الرسول أحد تلامذة المسيح الإثني عشر وإلى تلميذه أدّاي. وقد عبّر أخبار بطاركة المشرق من المجدل المنسوب إلى ماري بن سليمان عن هذا الاعتقاد، فجاء في فاتحته «إدّي السلّيح العبراني من السبعين الذين صحبوا سيدنا المسيح، أرسله توما أحد الإثني عشر وتبعه مار ماري تلميذه».

وأول مَن ذكر هذا التقليد هو الكاتب الشهير أوريجانس 185 – 254م). ونقله عنه مؤرّخ الكنيسة أوسابيوس القيصري (264 – 340) فقال:«لما تفرّق الرسل لحمل البشارة الإنجيلية، كانت بلاد الفرثيين [الفرس] حصة توما الرسول»[1]،(ص 114).

مراسلة أبجر والمسيح

ويذكر أوسابيوس مراسلة جرت بين أبجر الخامس ملك الرها والسيد المسيح، فطلب الأوّل من يسوع المجيء إليه وشفاءه من مرضه (الجذام). فأجابه يسوع على رسالته ووعده بأن يرسل إليه أحد تلامذته لشفائه. جاء في رسالة الملك إلى المسيح، على ما ذكر أوسابيوس:«من أبجر الملك إلى

---

1 – يوسابيوس القيصري (ت340 م)، تاريخ الكنيسة، ترجمة مرقس داود، القاهرة، مكتبة المحبة، ط3، 1998، ص 59.

يسوع المخلّص الحقيقي، الذي ظهر في منطقة أورشليم تحياتي. سمعت عنك وعن علاجاتك، وكيف أنها تتمّ بيدك بدون دواء ولا أعشاب . وكما تروي القصة لنا أن العميّ يستردّون بصرهم والعرج يمشون والبرص يطهرون، والأرواح النجسة تخرج، وأنك تشفي المصابين بأمراض مزمنة وتقيم الموتى.

ولما سمعت كل هذه الأمور عنك ، قرّرت أنك واحد من اثنين.

إما أنك أنت الله ونزلت من السماء لصنع هذه الأشياء، أو أنك ابن الله المرسل لعمل هذه الأمور.

لذلك أكتب إليك راجياً أن تسرع بالمجيء إليّ، لشفاء مرضي الذي أعاني منه. وعلاوة على ذلك سمعت أن اليهود يسخرون منك ويرغبون بالإساءة إليك وإن لديّ الآن مدينة صغيرة، ولكنها محترمة، وهي كافية لكلينا»[1].

وورد في ردّ المسيح على ما ذكر أوسابيوس:«مبارك أنت لأنك آمنت بي، من دون أن تراني، لأنه مكتوب عني أن الذين لن يروني سيؤمنون بي ويحيون. أما بشأن ما طلبته مني من المجيء إليك، فينبغي أن أكمل هنا [في أورشليم] كل ما أرسلت لأجله، وعندما أصعد إلى السماء، فسأرسل إليك أحد تلاميذي فيشفيك من آلامك. ويعطيك أنت ومَن معك الحياة»[2].

وأوسابيوس القيصري (ت340) أقدم مؤرّخي الكنيسة. وهو يؤكّد عند إيراد نصّ الرسالتين أنهما "محفوظتان في السجلاّت العامة الرسمية المتضمّنة بيانات عن العصور الغابرة وعن أعمال الأبجر"[3]، ويردف أنه

1 – أوسابيوس القيصري، م. س، ص 46.
2 – م. ن، ص 46.
3 – م. ن، ص 45.

ترجم حرفياً نص الرسالتين عن السريانية.

ويتبع يوسابيوس نصّ الرسالتين بخبر مجيء إدي تلميذ القدّيس توما إلى مملكة الأبجر وشفاء ملكها من برصه، وتبشير أهل مملكته[1].

وبالطبع يصعب الأخذ بصحّة الرسالتين وبحرفية خبر شفاء الأبجر، رغم أن أوسابيوس يعود ويؤكّد ثانية أنه نقل الخبر وترجمه حرفياً عن السريانية. وما يهمّنا من كل ذلك دلالة هذه الرواية على قدم التقليد الذي يعيد نشأة الكنيسة السريانية الشرقية إلى أزمنة المسيحية الأولى.

ويروي أخبار البطاركة/المجدل هذا الحدث في فاتحته ويضيف أن الملك تعمّد هو وعائلته إثر ذلك.

ماري مؤسس كنيسة المشرق

واستأنف ماري تلميذ أدّاي ورفيقه البشارة ومدّها إلى قلب المدائن عاصمة فارس، وفي أخبار البطاركة لماري بن سليمان وعمرو بن متى أن مار ماري جاء إلى المدائن نحو نهاية القرن الأوّل ونجح في نيل تأييد أمير قطيسفون فوهبه قطعة أرض في منطقة كوخي في ضاحية المدينة فأسّس فيها الكنيسة الأولى التي ستصير مركزاً لجثالقة المشرق – ومن هناك ذهب إلى مناطق أخرى للتبشير وحطّ الرجال في دورقنّي حيث توفي ودفن.

ويعتبر التقليد مار ماري الجاثليق الأوّل للكنيسة السريانية الشرقية، ويرد اسمه أولاً في سلسلة بطاركتها كما هو مبيّن في أخبار البطاركة في كلّ من المجدل لماري وعمرو وأسفار الأسرار لصليبا بن يوحنا.

وهكذا يبدو من شبه المؤكّد أن البشارة بالإنجيل انطلقت من

1 – م. ن، ص 48.

أورشليم وأنطاكيا فوصلت إلى الرها على يد القدّيس أدّاي. ومن ثم انتشرت المسيحية صعداً نحو أرمينيا ونزولاً إلى ما وراء حدود الأمبراطورية الرومانية نحو بلاد الفرثيين (فارس). وهناك بالقرب من المدائن الملكية سليق وطيسفون (على بعد 35 كلم من بغداد الحالية) في مكان يقال له كوخيه (الأكواخ) أقام ماري، تلميذ أدّي، مركز الكنيسة العظيمة العتيدة[1].

نشأة جاثليقية المدائن

وتمكّن خلفاء مار ماري من تأسيس عدد من الأبرشيات في معظم أرجاء البقعة التي تشمل اليوم العراق وإيران، ولكن الأبرشيات المذكورة لم تعرف تنظيماً موحّداً ونظاماً كنسياً محدّداً طيلة القرون الثلاثة الأولى، ويبدو أن أوّل أسقف لكرسي المدائن وحّد أبرشيات بلاد فارس تحت سلطته هو فافا الأوّل (310 – 329). فقد تمكّن أن يجمع مسيحيي أراضي الدولة الفارسية على الإقرار بسلطته، فاعترفوا به رئيساً أعلى عليهم، ولقّبوه بالجاثليق أي الرئيس العام[2].

هل كان الكرسي الذي أقامه ماري تابعاً لكرسي إنطاكيا؟

من المتفق عليه أن أنطاكيا كانت تعتبر إحدى أمهات الكنائس العظمى، إلاّ أن المسافات التي كانت تفصل تلك المدينة عن مراكز الكنيسة السريانية الشرقية وكذلك الخلافات بين الأمبراطوريتين

---

1 – فييه، الأب جان موريس الدومنيكي، الكنيسة السريانية الشرقية، ترجمة كميل حشيمة، بيروت، دار المشرق، ط1، 1990، ص 6.

2 – يتيم، المطران ميشيل، تاريخ الكنيسة الشرقية، بيروت، المكتبة البولسية، ط4، 1999، ص 115.

الرومانية والفارسية لا تسمح بالحديث عن تبعية قانونية على نحو ما نفهمه اليوم. ولكن الكنيسة الشرقية كانت منذ نشأتها تعترف بأولوية كنيسة إنطاكيا وتتجه إليها أوقات المحن وترفع إليها الشكاوى.

تسمية كنيسة المشرق

ماذا بشأن تسمية هذه الكنيسة؟ إن وجودها في إمبراطورية الفرس وشرق الفرات كان سبباً لتسميتها بـ "كنيسة الفرس" أو الكنيسة السريانية الشرقية لتمييزها عن كنيسة بلاد الروم أي الكنيسة السريانية الغربية القائمة غرب الفرات ومركزها إنطاكيا.

هذا التمايز في الموقع الجغرافي وفي الانتماء السياسي بين أمبراطوريتين مختلفتين، سيضاف إليه لاحقاً أو سيؤدي إلى تمايز آخر في العقيدة، فتتبنّى الكنيسة الغربية عقيدة الطبيعة الواحدة المونوفيزية ، في حين تعتنق الكنيسة الشرقية عقيدة منافسة نسبت إلى نسطور وتقول بطبيعتين في المسيح بل ولاحقاً أقنومين. فالاختلاف السياسي يكرّس اختلافاً عقائدياً وتتّسع الشقة بين فئتي الشعب الآرامي/السرياني الواحد. وهو ما سنعود إليه.

الزرادشتية ديانة فارس والمسيحية ديانة بيزنطية

وبعد حقبة النشوء وترسيخ رئاسة أسقفية المدائن في كنيسة بلاد فارس، جاءت مباشرة حقبة الاضطهاد والاستشهاد. فمسيحيو الأمبراطورية الفارسية بقوا في مأمن من اضطهاد الملوك والحكّام حتى أواخر القرن الثالث م. وأعقب تلك الحقبة الهادئة حدثان قلبا أوضاعهم رأساً على عقب.

ففي عام 286 أعلن الملك الفارسي بهرام الثاني الزرادشتية الديانة الرسمية للأمبراطورية، فتلى ذلك ملاحقة لاتباع سائر الديانات بتحريض من كرتير رئيس كهنة زرادشت. وذهب ماني وأتباعه المانويين ضحية هذه الملاحقة.

والحدث التالي وقع في الأمبراطورية الرومانية وتجلّى في اعتناق الأمبراطور قسطنطين المسيحية وإصدار منشور، ميلانو عام 313 القاضي بإطلاق الحرية الدينية للمسيحيين في الأمبراطورية.

وعام 325 عقد مجمع نيقيا برئاسة قسطنطين وحدّد العقيدة المسيحية الرسمية، وحرم آريوس وعقيدته التي تنكر ألوهية المسيح.

الاضطهاد الأربعيني للمسيحيين

وهكذا فبتبنّي المسيحية ديانة للأمبراطورية الرومانية تحوّل مسيحيو الأمبراطورية الفارسية المعادية لروما والقسطنطينية إلى عناصر مشبوهة. فاتهموا بالتجسّس لحساب الأمبراطورية البيزنطية، وفرض عليهم الملك شابور الثاني (329 – 379) ضرائب باهظة، وحاول إرغام الجاثليق مار شمعون الأوّل (329 – 341) على جباية هذه الضرائب. ولكن الجاثليق قابل طلبات الملك بالرفض معلّلاً ذلك بفقر المسيحيين وبأنه ليس جابياً للضرائب.

فغضب شابور من البطريرك، ويروى أن اليهود ساهمو في تأليبه على المسيحيين[1]،فأصدر أمراً عام 341 بإلقاء القبض على الجاثليق وعلى مائة وثلاثة آخرين من الأساقفة والكهنة ووجهاء المؤمنين في العاصمة

---

1 – أبونا، الأب ألبير، الكنيسة الكلدانية السريانية الشرقية، ضمن دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ج2، بيروت، دار المشرق، ط1، 1997، ص 209.

الفارسية، وتعرّضت الكنائس للتدمير والحرق، واستولى الهلع على المسيحيين. وكان هذا بداية الاضطهاد الأربعيني أي الذي استمرّ أربعين عاماً حتى وفاة شابور الثاني عام 379. وأصدر الملك أمراً بإعدام الجاثليق ورفاقه. فنفّذ في جمعة الآلام قبل عيد الفصح عام 341. وقد سيقوا عشرة عشرة إلى موضع الاستشهاد وحزّت رؤوسهم. وأخيراً نال الجاثليق شمعون الأوّل إكليل الشهادة، فعرف بـ برصباعي أي الذي صبغ بدمه.

وكان ذلك الحدث إيذاناً ببدء مجزرة رهيبة دامت عشرة أيام، من الجمعة العظيمة حتى الأحد الجديد بعد القيامة، وحصدت ألوف المسيحيين الذين قدّموا أرواحهم طوعاً في اندفاع شديد نحو الاستشهاد.

ولم يتوقف هذا الاضطهاد إلا مع وفاة شابور الثاني عام 379، أما عدد الشهداء فتختلف الروايات في تحديده. فبعضها يقول إنه بلغ 16 ألف شهيد. في حين تصل روايات أخرى إلى ذكر 200 ألف شهيد(1).

وقد ذهب ضحية هذا الاضطهاد ثلاثة جثالقة هم شمعون برصباعي وشاهدوست (341 – 343) وبربعشين (343 – 346). وبقي كرسي الجثلقة شاغراً باستشهاد هذا الأخير إلى أن انتخب عام 384 تومرصا (384 – 393) جاثليقاً.

من نهاية الاضطهاد الأربعيني حتى مجمع ساليق

وتبع الاضطهاد الأربعيني الكبير اضطهادات أخرى شنّها خلفاء شابور الثاني، إلاّ أنها كانت أقل عنفاً. ولم توقع ضحايا سوى بين المهتدين إلى المسيحية من الديانة الرسمية. وبقيت كنيسة فارس تدفع ضريبة الدم حتى سقوط الأمبراطورية الفارسية بأيدي الغزاة العرب.

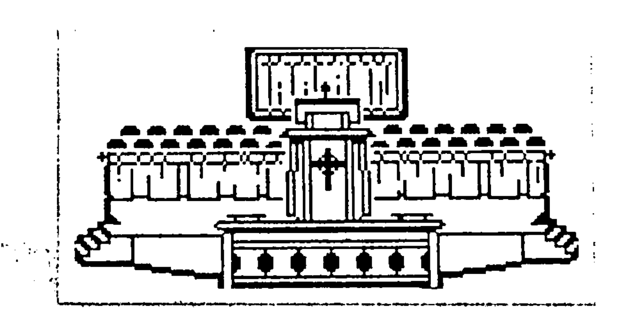
---

1 – أبونا، م. س، ص 210.

وهكذا فقد عجز اضطهاد شابور الثاني الأربعيني عن القضاء على المسيحية في بلاد فارس، وخرجت الكنيسة إثره أكثر رسوخاً في إيمانها وعزماً على مواصلة رسالتها.

وأبرز المحطات في تاريخ الكنيسة الفارسية بعد الاضطهاد الأربعيني كانت مجمعها الأوّل الذي عقد في ساليق عام 410. على عهد الجاثليق إسحق الأوّل (399 – 410)، وقد حضر وشارك في هذا المجمع مار ماروثا أسقف مدينة ميافرقين. ولعب هذا الأخير دوراً بارزاً في تاريخ الكنيسة الشرقية، فكان همزة الوصل بينها وبين الكنيسة البيزنطية. وقد جمع قصص شهداء كنيسة فارس وذخائرهم، وحفظ صفحة مجيدة من تاريخها. ونسب إليه كذلك شرح لدياطسّرون طَطيانس الذي سيلي الحديث عنه (باب 3″/فصل 1″).

وفي مجمع ساليق سنّت القوانين التي تنظم كنيسة المشرق في بنيتها وإدارتها وطقوسها وغير ذلك.

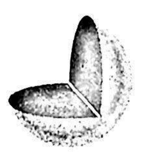





الباب الثاني

الفصل الثاني

كنيسة المشرق حتى ظهور الإسلام

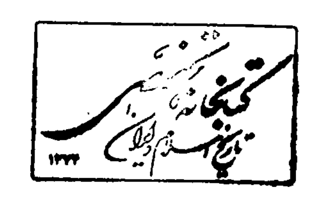



مواضيع فصل 2//باب 2//:

-كيف تبنّى المشارقة مذهب نسطور؟

-مار آبا الكبير الجاثليق

-إيشوعياب الثالث الحديابي



كيف تبنى المشارقة مذهب نسطور؟

لم تصبح الكنيسة الشرقية نسطورية بين ليلة وضحاها ولم يتمّ هذا الأمر إلاّ على مراحل، ولعبت فيه الصراعات السياسية دوراً بارزاً، وكذلك الرغبة في أن يكون لكنيسة فارس مذهباً ومعتقداً خاصّاً ومختلفاً عن "الروم" وكنيسة الدولة البيزنطية. وكانت مدرسة الرها متأثرة مباشرة بمدرسة إنطاكيا اللاهوتية وأبزر معلّمي هذه الأخيرة تيودورس المصّيصي "المفسّر" أستاذ نسطور وديودورس الطرسوسي وغيرهما. وسنروي في باب 3//فصل 1// أن هيبا مدير مدرسة الرها نقل إلى السريانية مؤلّفات المصيصي ونشرها في الكنيسة الشرقية، فلقيت فيها القبول الحسن وعرف هذا الأخير فيها "بالمفسّر" وهيبا بالمترجم. وكان نشاط هيبا هذا خطوة أساسية نحو اعتماد مذهب نسطور في كنيسة فارس.

وقد عرف المصيصي ومدرسة إنطاكيا عموماً بالنزعة الأرسطية وبالتركيز على المعنى الحرفي والتاريخي للنص المقدس، مقابل تركيز مدرسة الإسكندرية على المعنى الرمزي والتأويل الصوفي.

وكان برصوما (نحو 415 – نحو 496) تلميذاً في مدرسة الرها أيام هيبا مديرها ومترجم المصيصي وأرسطو، ثم ارتحل إلى نصيبين عام 449 وانتخب أسقفاً لها عام457. فعمل جاهداً أثناء أسقفيته على محاربة القائلين بالطبيعة الواحدة وعلى اضطهادهم بمساعدة السلطات الفارسية.

ولعب دوراً بارزاً في مجمع بيت لافاط (484 م) الذي تبنّى المذهب

النسطوري وحرم مَن لا يقبل تعاليمه وسمح للكهنة والرهبان بالزواج إذا عجزوا عن ضبط أنفسهم.

وتزوّج برصوما نفسه من راهبة تدعى مامُوي، وعندما أغلقت مدرسة الرها نهائياً عام 489 وتبدّد أساتذتها وطلابها استقبلهم برصوما في أبرشيته وسمح لنرساي الشاعر والمعلّم الكنسي المعروف بفتح مدرسة في نصيبين كان لها الدور الرئيسي في جعل المذهب النسطوري المذهب الرسمي لكنيسة المشرق.

وكرّس مجمع الجاثليق باباي عام 497 انفصال كنيسة المشرق رسمياً ونهائياً عن الكنيسة الغربية وتبنّيها المذهب النسطوري.

مار آبا الكبير الجاثليق

وأبرز محطات تاريخ كنيسة المشرق بعد مجمع باباي كان عهد الجاثليق مار آبا الكبير (540 – 552). وُلد هذا الجاثليق العظيم في عائلة زرادشتية. لكنه ما لبث أن اعتنق المسيحية واقتبل سرّ العماد. والتحق بمدرسة نصيبين وانتقل بعدها إلى مدرسة الرها. وبعد جولة في بلدان الشرق بين عامي 525 و 533 شملت فلسطين ومصر واليونان والقسطنطينية. عاد إلى نصيبين ليعلّم في مدرستها، وما لبث أن انتخب جاثليقاً عام 540. فقام بعملية إصلاح داخل كنيسة المشرق وسنّ لها القوانين، وفتح مدرسة في ساليق.

وعرف مار آبا العديد من المتاعب في عهده. لا سيما مع المجوس، وكان رؤساؤهم يحقدون عليه لأنه ترك الزرادشتية، فوشوا به مراراً إلى الملك، فنفي إلى قرية في جبال أذربيجان حيث مكث سبع سنين.

وتنسب إليه ترجمة للعهد العتيق من اليونانية إلى السريانية. كما له

مجموعة تفاسير كتابية للأسفار التالية: التكوين والمزامير والأمثال ورسائل بولس الرسول، وترجم عدداً من مؤلّفات ثيودورس المصيصي. وله عدد من القوانين والرسائل المجمعية في تنظيم شؤون الكنيسة. ووصلنا منه خمس رسائل تتطرّق إلى شؤون إدارية في الكنيسة وتسلّط الضوء على تاريخ كنيسة المشرق في تلك الحقبة. وتنسب إليه ترجمة ليتورجيتي ثيودورس المصيصي ونسطور المعروفتين بالقداس الثاني والثالث. ومؤلّف في موانع الزواج ومجموعة عظات.

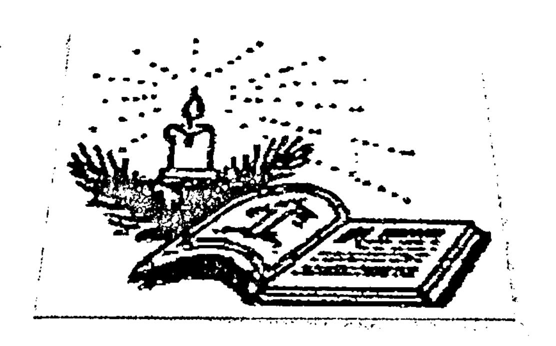
إيشوعياب الثالث الحديابي

وعرفت كنيسة المشرق في الفترة الفاصلة وحقبة التحوّل التي توّجت بالغزو العربي جاثليقاً عظيماً، كان له أثر بيّن في اجتياز كنيسته المرحلة الحاسمة تلك بأقلّ خسائر ممكنة. إنه إيشوعياب الثالث المعروف بـ الحديابي (649 – 659) درس إيشوعياب في مدرسة نصيبين، واختير أسقفاً على نينوى عام 628، في أواخر عهد الساسانيين. فرافق الجاثليق إيشوعياب الثاني في الوفد الذي أرسلته الملكة بوران ابنة كسرى الثاني إلى الأمبراطور هرقل عام 631. وفي نينوى تمكّن من منع نشوء كنيسة سريانية غربية. وعين متروبوليتاً على حدياب عند وصول العرب إلى نينوى عام 637 وعمل أثناء ذلك على إعادة تنظيم الطقوس السريانية الشرقية، وعندما اختير جاثليقاً عام 649 عمّم على الكنيسة جمعاء الإصلاح الليتورجي الذي أنجزه في مطرانيته، ولا تزال ليتورجيا إيشوعياب معتمدة إلى يومنا هذا. وقد وضع رتباً للمعمودية وتكريس المذبح الجديد وحلّ المرتدين والهراطقة والخطأة وتقديس الماء والرسامات على أنواعها. ونظم كتاب الصلوات على مدار السنة، وصار كتابه هذا أساس كتاب

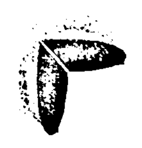
الفرض المستخدم في الكنيستين المشرقية (الآشورية) والكلدانية. وله مجموعة رسائل (106 رسائل) تطلعنا على تاريخ الكنيسة المشرقية قبيل الغزو العربي وبعيده.

وكانت علاقاته بالغزاة العرب جيدة. قال عنها أخبار البطاركة/المجدل «كتب له بعضهم سجلاً بترك التعرّض له في دياراته وكرسيّه وخراجه وبرآت أصحابه، وقوطع على ذلك شيء يسير».

ولم تسلم سنواته الأخيرة من الكدر والأحزان. فقد حزّ في نفسه انشقاق أساقفة الفرس والبحرين، ولا سيما اعتناق سكّان عُمان الإسلام، نتيجة الضرائب الباهظة التي فرضت على مَن أراد البقاء على مسيحيته. وهي وفق ما رواه البلاذري نصف غلالهم من الحبوب والثمر[1].



1 – فييه، الكنيسة السريانية، م. س، ص 17.




الباب الثاني

الفصل الثالث

كنيسة المشرق في الهند والصين




مواضيع فصل 3//باب 2//:

- كنيسة المشرق ومسيحيو الهند
- كنيسة المشرق والمسيحية في الصين
- كنيسة المشرق في التيبت

كنيسة المشرق ومسيحيو الهند

وأبرز إسهامات النساطرة في البشارة ونشر المسيحية تبقى ما أنجزوه في جنوب الهند والصين.

وتعود علاقة كنيسة المشرق بالهند إلى أزمنة بعيدة. أما الكنيسة في جنوب الهند فتقليدها يؤكّد أنها تنتسب إلى الرسول توما وأنه ذهب إلى الهند وبشّر في جنوبها وتوفي هناك. ولا يزال المسيحيون في الهند إلى اليوم يعرفون بـ "مسيحيي القديس توما".

وتؤكّد المصادر القديمة أن العلاقة بين كنيسة فارس أو كنيسة المشرق ومسيحيي الهند قديمة ووثيقة. وقد اعتادت هذه الكنيسة كما يبدو على إرسال الرهبان والمبشرين إلى الهند. فكانت من أبرز مؤسّسي المسيحية في الهند وأقدمهم.

وفي محاضر مجمع نيقيا (عام 325) وهو المجمع المسكوني الأول، نقرأ: «الأسقف يوحنا الفارسي، أسقف جميع كنائس فارس والهند الكبرى»[1]. وكان هذا الأسقف ضمن وفد كنيسة المشرق من الرها ونصيبين إلى هذا المجمع.

والإشارة التاريخية هذه تدلّ على قدم تبعية كنيسة الهند لكنيسة المشرق.

وأثناء الاضطهاد الأربعيني السالف الذكر والذي تعرّض له مسيحيو

---

1 - عطية، م. س، ص 356.

بلاد فارس على عهد الملك شابور الثاني (329 – 379)، تتحدّث المصادر التاريخية عن هجرة جماعية عام 345 لعدد من مسيحيي كنيسة فارس إلى الهند بقيادة تاجر كنعاني إسمه توما»[1].

ويقول التقليد المحلّي للكنيسة الهندية إن التاجر توما قناية وصل إلى جنوب الهند برفقة 72 أسرة وأربعة كهنة وعدد من الشمامسة ومطران هو يوسف الرهاوي[2].

وفي القرن السادس روى الرحّالة إنديكوبلوستيس أنه كان في الملابار جنوب الهند «أسقف رسم في بلاد فارس». وكان كرسي ذاك الأسقف تابعاً لمطرانية بلاد فارس. وبقي تابعاً لها على ما تذكر بعض المصادر حتى القرن الثامن حين صار كرسياً لمطرانية مستقلة[3].

وفي زمن الجاثليق سبريشوع (596 – 604) يذكر التاريخ السعردي أن ماروتا مطران تكريت وصلته هدايا من الهند والصين. وفي عهد الجاثليق إيشوعياب الثالث (649 – 659) الحديابيّ السالف الذكر حذر المطران ريوردشير في جنوب غرب إيران من الفوضى الروحية السائدة بسبب عدم متابعة أحوال كرسي جنوب الهند.

وتسجل المصادر التاريخية هجرات نسطورية أخرى إلى الهند. أبرزها اثنتان: الأولى عام 774 م. قام بها الأسقف توما وجماعة من أتباعه مع عائلاتهم من العراق إلى ولاية كيرالا الهندية.

والهجرة الثانية حدثت نحو العام 840. وكان على رأسها أسقفان نسطوريان مار سبريشوع ومار بيروز، وكل منهما صحبه عدد من المؤمنين

1 – عطية، م. س، ص 360.
2 – فييه، جان موريس، كنيسة السريان الملبار، ضمن دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، م. س، ص 243.
3 – م، ن.

وعائلاتهم. وسكنت الجماعتان في منطقة كيلون Quilon، ومنح الحكّام المحلّيون المهاجرين مواثيق منقوشة على مجموعتين من الصفائح النحاسية لا تزال اليوم محفوظة في كنيسة مار توما في Tiruvalla. وقد كتبت بلغة تاميلية قديمة. وتحمل تواقيع بحروف عربية كوفية وفارسية وعبرية[1].

وقد استفاد المطرانان من التسامح الديني عند الهنود وزعمائهم وبشّروا الكثيرين في جنوب الهند وعمّدوهم. وشيّدوا كنائس نقشت عليها صلبان وشعارات نسطورية أخرى.

وبقيت العلاقات بين مطران الملابار وجاثليق النساطرة في بغداد مستمرّة. على شيء من الانتظام حتى القرن السادس عشر[2].

ففي عام 1498 احتلّ البرتغاليون الملابار، واحتكّوا بالسريان الشرقيين هناك، واستقدموا العديد من الرهبان والمبشرين الكاثوليك إلى الهند، فتحوّل الكثير من السريان إلى الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية. وبقي بعضهم على النسطورية، ولكن الاحتلال البرتغالي أدّى إلى انقطاع الاتصال بين سريان الهند وجاثليق المشرق.

ويصعب رسم صورة دقيقة عن أوضاع المسيحيين في الهند في العصور الوسطى. فما توفّر من وثائق في كنيسة المشرق في العراق أتلفها الغزو المغولي. في حين أن البرتغاليين أتوا على ما جمع مسيحيو الهند من وثائق في غزوهم لجنوب الهند.

وإضافة إلى ذلك فقد قرّر مجمع Diamper في الهند والذي عقد برئاسة منزيس مطران غوا عام 1599 حرق كل المخطوطات النسطورية

---

1 – عطية، م. س، ص 361.
2 – فييه، كنيسة السريان الملبار، م س، ص 243.

وكل سجل أو تدوين فيه عناصر أو إشارة إلى عقيدة نسطور. ففقدت كنيسة الهند ما كان بحوزتها من وثائق وسجلاّت عن تاريخها.

وتميّز مسيحيو الهند بتسامحهم العقائدي. فهم لم يهتمّوا ولم يبالوا بالاختلافات العقائدية بين النساطرة والكاثوليك واليعاقبة. وهذا مِمّا قد يفسّر انتقالهم من النسطورية إلى الكاثوليكية فإلى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية من دون صعوبات كبرى. وهم في ذلك كسائر أشقائهم الهنود الذين لا يتوقفون عند الاختلافات العقائدية. ففي الهندوسية نفسها مئات المذاهب المختلفة بل والمتناقضة في العقائد وتتعايش كلها في القرية الواحدة بل وأحياناً في الأسرة الواحدة من دون مشاكل.

وفي ذلك درس مهم يعلّمه مسيحيو الهند لإخوتهم سائر المسيحيين من كاثوليك ونساطرة ويعاقبة وغيرهم الذين تخاصموا حتى التقاتل وإهراق الدماء قروناً عديدة، وعادوا ليكتشفوا اليوم أن الكثير من خلافاتهم العقائدية اختلافات في الألفاظ والاصطلاحات.

كنيسة المشرق والمسيحية في الصين

وكما وصلت الإرساليات النسطورية التبشيرية إلى الهند وصلت كذلك إلى الصين. وأوّل إرسالية مسجلة ومعروفة تعود إلى عهد الجاثليق إيشوعياب الثاني الجدالي (628 – 645) وبالتحديد إلى عام 635 م. وقد بلغت بلدة Si-ngnan-fu في مقاطعة Shensi في وسط الصين. وثبت ذلك إثر العثور على حجر أثري كبير في تلك البلدة. وقد اكتشفته بعثة من الرهبان اليسوعيين عام 1625[1] ومما نقش على الحجر أن الإمبراطور اللامع Tai – Tsung (627 – 650 م) استقبل بإجلال عام

1 – عطية، م. س، ص 255.

635 م راهباً فارسياً اسمه ألوبين كان يحمل النصوص المقدّسة الحقيقية وقد قرأ الأمبراطور كتبه وأمر بأن تنشر بين أفراد الشعب ثم أمر عام 638 ببناء دير لذلك الراهب سكن فيه مع إثني عشر راهباً آخر.

ونشطت الإرساليات النسطورية إلى الهند والصين في عهد الجاثليق طيموثاوس الأوّل الكبير (780 – 823).

وحمل راهبان نسطوريان من الصين إلى الغرب بذاراً لشجر التوت وبيضاً لدود القز خبئت داخل قضيب مجوّف[1].

وأعطت الصين الكنيسة النسطورية واحداً من أبرز بطاركتها إنه الجاثليق يهبالاها الثالث (1282 – 1317). وهو ابن رئيس شمامسة. وولد في شمال الصين. أما صديقه ورفيقه الربان صوما فولد في بكين. وقد أرسله الإيلخان أرغون المغولي في بعثة دبلوماسية إلى أوروبا دامت سنتين 1287 – 1288م. فاجتمع بالأمبراطور أندرونيكوس الثاني (1282 – 1328) والملك الفرنسي فيليب الرابع (1285 – 1314) والملك الإنكليزي إدورد الأوّل (1272 – 1307) إضافة إلى البابا نقولا الرابع (1288 – 1291).

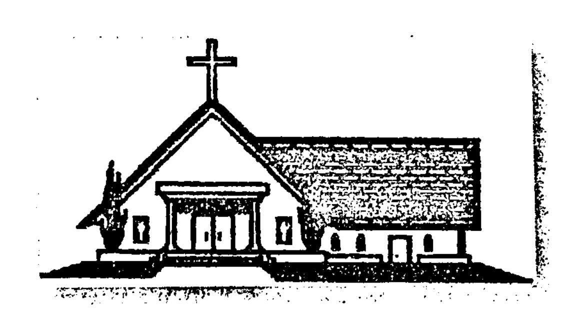
كنيسة المشرق في التيبت

ومن الصين وصل النساطرة إلى التيبت. ويتحدّث عدد من الباحثين عن بقايا من الطقوس النسطورية في بوذية لاماوات التيبت. فثمة شبه واضح في نظام الرهبانيات في كلا الديانتين وفي بعض الطقوس كاستخدام الماء المقدّس، والبخور والملابس الخاصة بالعبادة. ولكن البعض يتحدّث عن اتجاه معاكس في التأثير، ويقول إن هذا التشابه يعود إلى مؤثرات

1 – فييه، الكنيسة السريانية الشرقية، م. س، ص 20.

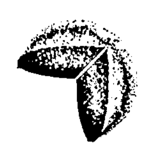
بوذية في المسيحيّة. والرحّالة الغربي وادّيل Waddell الذي زار التيبت أواخر القرن التاسع عشر وروى مجريات رحلته في كتاب صدر في لندن 1895 يذكر في هذا الأخير أن بعض لاماوات التيبت كانوا في صلواتهم الطقسية يبتهلون من أجل عودة الأسقف النسطوري إلى بلادهم[1].

ومسألة التفاعل والتأثر والتأثير بين المسيحية وأديان الشرق الأقصى: الهندوسية والبوذية عبر الحضور النسطوري في الهند والتيبت وغيرهما مسألة شيقة وبحث طويل، وقد تعرّضنا لبعض وجوهها في بحث لنا[2] ونأمل أن نتوسّع فيها في دراسات تالية.



1 – عطية، م. س، ص 258.

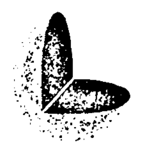
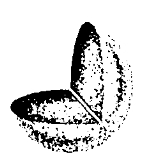
2 – صليبا، لويس، المسيحية واليوغا مسلكان متناقضان أم متكاملان. بحث ضمن قاموس الفلسفة المسيحية، جبيل، دار ومكتبة بيبليون، ط1، 2012.

القسم الأول

الباب الثالث

نسطور وعقيدة كنيسة المشرق

فصول الباب الثالث:

الفصل الأول: دياطسرون ططيانس وأثره في كنيسة المشرق والإسلام.

الفصل الثاني: نسطور عدو الهرطقات أم هرطوقي؟!

الفصل الثالث: نسطور وكيرلّس عداوة ولّدت انشقاقاً.

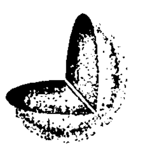
الفصل الرابع: الخلاف مع نسطور بين الأمس واليوم.




الباب الثالث

الفصل الأول

دياطسرون ططيانس وأثره في كنيسة المشرق والإسلام

مواضيع فصل 1//باب 3//:

-ططيانس من الوثنية إلى المسيحية فالهرطقة
-ططيانس يؤلّف الدياطسرون في الرافدين
-كنائس المشرق تعتمد الدياطسرون إنجيلاً موحداً
-ربّولا يحرّم استخدام الدياطسرون
-كنيسة المشرق تستمرّ في استخدام الدياطسرون
-الأثر المحتمل للدياطسرون في الإسلام

ططيانس من الوثنية إلى المسيحية فالهرطقة

ومن أبرز المؤلّفات والكتب التي تركت أثراً بيّناً في كنيسة المشرق "الدياطسرون" الذي وضعه ططيانس (120 – 180).

ولد ططيانس في بلاد ما بين النهرين في أسرة وثنية ثرية. وهو يقول عن نفسه إنه أشوري أي آتٍ من بلاد آشور وهي تحديداً منطقة كنيسة المشرق. ونستنتج من ذلك أن لغته الأم هي السريانية، فهي لغة آشور في ذلك الزمن. أتاحت ثروة العائلة لططيانس منذ الصغر الحصول على تربية وثقافة عالية. وقد أغرم منذ الصبا بالمسائل الدينية والبحث الفلسفي. فرحل إلى اليونان طلباً للعلم ودرس حضارتها وفلسفتها. ولكنه لم يعجب بها وكان يسمّي نفسه بربرياً أي غير يوناني، وانتقدها لاحقاً في كتاب "الخطاب إلى اليونانيين" قائلاً إن أعظم مكتسبات اليونان قد سرقت عن البرابرة.

بعد اليونان توجّه ططيانس إلى روما حيث تتلمذ على القدّيس يوستينس الفيلسوف واعتنق المسيحية بتأثيره. ثم خلفه في التعليم. وتلمذ العديد من المفكّرين من بينهم القدّيس أقليمندس الإسكندري. ولكن ططيانس أثار الكثير من الاضطراب بسبب بعض تعاليمه. فقد كان يحرّم الزواج والخمر واللحم. يقول يوسابيوس القيصري أقدم مؤرّخي الكنيسة في ذلك:«فإن شخصاً يدعى تاتيان كان أوّل مَن ابتدع التجديف، وكان ضمن المستمعين إلى يوستينوس. ولم يظهر أي شيء من هذه الآراء طالما كان معه. ولكنه ترك الكنيسة بعد استشهاد هذا الأخير. وإذ تشامخ عندما رأى نفسه معلّماً (...) أسس تعاليم خاصة به مخترعاً دهوراً غير

منظورة (...) ونادى بأن الزواج فساد وزِنى»[1].

ططيانس يؤلّف الدياطسرون في الرافدين

اضطر ططيانس بنتيجة تعاليمه إلى ترك روما نحو عام 172 والعودة إلى ما بين النهرين. وينسب إليه تأسيس شيعة المتعففين التي تنادي بتعفف مفرط وتمتنع عن الزواج واللحم والخمر. ويرجّح أنه بعد عودته إلى الشرق بدأ بوضع مؤلّفه الشهير "الدياطسرون". والدياطسرون كلمة يونانية تعني على الأربعة. وقد جمع فيه الأناجيل الأربعة في كتاب واحد. وكان السريان، يسمّونه "الإنجيل المختلط" تمييزاً له عن الأناجيل المتفرقة. وسمّي في الترجمة العربية "الرباعي". وجمع ططيانس في الدياطسرون سيرة المسيح وأعماله وأقواله من الأناجيل الأربعة. فأخذ من المكرّر رواية واحدة، ودوّن ما انفرد به كل إنجيل مراعياً النص الأصلي ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. انطلق طَطيانس في توحيد نصوص الأناجيل الأربعة من مبدأ أن المسيح تكلّم كلاماً واحداً، وحياته واحدة، لذا فمن الأفضل جمع ما دوّنه الإنجيليون الأربعة متّى ومرقس ولوقا ويوحنا في إنجيل واحد. ويرجّح أكثر الباحثين أن ططيانس وضع الدياطسرون باليونانية. ومن الدلائل على ذلك عنوانه اليوناني، في حين يقول البعض الآخر إنه وضع أصلاً بالسريانية القديمة[2]. أما نصّه اليوناني فمنقول عن السريانية. ويستدلّون على ذلك بأن الدياطسرون لم يعرف غالباً في الغرب[3].

ويرجّح الباحث الأب يوسف حَبّي أن:«طَطيانس وضع إنجيله الموحّد في روما قبل عام 172، للناطقين بالسريانية الذين كان عددهم قد زاد

---

1 - يوسابيوس، م. س، ص 191.

2 - كامل، مراد والبكري محمد، تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى العصر الحاضر، القاهرة، دار الثقافة، ط2، 1974، ص 74.

3 - م. ن، ص 74 - 75.

هناك، بحيث أن البابا إينوسنثيوس (154 – 165) كان من أهالي بلاد ما بين النهرين»[1].

كنائس المشرق تعتمد الدياطسرون إنجيلاً موحداً

ما يهمّنا هنا أن الدياطسرون لقي رواجاً عظيماً. فقد تغلّب عند السريان على الترجمة السريانية القديمة للأناجيل، وغدا الإنجيل المستخدم في الرتب والطقوس الكنسية. وبقي مستعملاً رغم قيام تراجم سريانية كاملة أخرى للأناجيل. ووضع عدد من الآباء شروحاً على الدياطسرون، وأبرز من شرحه القدّيس إفرام السرياني (نحو 306 – 373) ملفان الكنيسة وكنارة الروح القدس. ومما لا شك فيه أن قيام مرجعٍ بأهمية القدّيس إفرام بشرح الدياطسرون قد ساهم في نشر هذا الكتاب واستمرار استخدامه لقرون. وشرح إفرام المذكور وَصَلَنَا عبر ترجمة أرمنية.

وسبق وأشرنا أن مار ماروثا أسقف ميافرقين، وهو شخصية بارزة في تاريخ كنيسة المشرق (باب 2″/فصل 1″) قد وضع هو الآخر، كما يذكر عدد من الروايات، شرحاً لدياطسرون ططيانس[2].

ولكن آراء ططيانس المرفوضة في الكنيسة كانت، ومنذ البدء، سبباً في تحفظ رجال الدين والرؤساء المسيحيين على إنجيله الموحّد. وقد ضمّن ططيانس كتابه الكثير من آرائه المتشدّدة. فهو يقول مثلاً عن حنّة النبية: «بعد أن عاشت سبع سنين بالبتولية مع زوجها» ويقول عن الخمر: «لم يشرب يسوع خمراً ممزوجة بمرارة بل خلاً ممزوجاً بمرارة». ويحذف ططيانس من قصّة قانا الجليل هذه العبارة «بعد أن سكروا»[3].

1 – حبّي، الأب يوسف، كنيسة المشرق الكلدانية – الأثورية، الكسليك، لبنان، منشورات جامعة الروح القدس، ط1، 2001، ص 124.

2 – حبّي، كنيسة المشرق، م. س، ص 136.

3 – أبونا، أدب اللغة الآرامية، م. س، ص 42.

ويقترب ططيانس في آرائه في الزواج وتحريم الخمر واللحم من ماني، وتدلّ الوثائق المانوية باللغة القبطية التي اكتشفت في الخمسينات من القرن العشرين في مصر على أن الإنجيل الذي اقتبس منه ماني وتلاميذه هو الدياطسرون. وكانت لغة ماني السريانية[1].

ربّولا يحرّم استخدام الدياطسرون

وأشهر مَن حارب دياطسرون ططيانس ربولا أسقف الرها (365 ؟ - 435). فأصدر إلى الكنائس أمراً بوجوب استخدام كتاب يشتمل على الأناجيل الأربعة المتفرّقة، وأن تكون القراءات من هذا الإنجيل فقط. وأشرف ربّولا على ما يعرف بالترجمة البسيطة وهي ترجمة سريانية لمعظم أسفار العهد الجديد عن اليونانية.

وكان ربّولا من ألدّ خصوم نسطور (381 - 450) بطريرك القسطنطينية. ومن أنصار كيرلّس بطريرك الإسكندرية (370 ؟ - 444) عدو نسطور.

وبلغت الخصومة بربّولا حدّاً دفعه إلى إحراق الترجمات السريانية لكتابات تيودورس المصّيصي معلم نسطور. ومعلوم أن كنيسة المشرق تكنّ احتراماً بالغاً للمصيصي وتسمّيه الشارح.

وقد استاء هيبا (ت 457) مدير مدرسة الرها من تصرّف أسقفه ربّولا هذا، ما دفع هذا الأخير إلى طرده من المدرسة. وهيبا هو مترجم مؤلّفات المصّيصي إلى السريانية. وقد خلف ربولا على أسقفية الرها عام 435. وتلقبه الكنيسة الشرقية بـ "المترجم" تقديراً لجهوده ومآثره في نقل مؤلّفات المصيصي وغيرها.

ولعلّ عداوة ربّولا للمصيصي ونسطور قد ساهمت في الحدّ من إجراءاته في تحريم استخدام دياطسرون ططيانس في الكنيسة

---

1 - كامل، مراد، م. س، ص 76.

الشرقية، فاستمرّت في استعمال الإنجيل الرباعي الموحّد زمناً بعد ربولا.

والثابت أن الدياطسرون بقي قروناً عديدة من دون أن تستطيع التراجم السريانية الكاملة للأناجيل التي نقلت بعده أن تحلّ محلّه.

كنيسة المشرق تستمر في استخدام الدياطسرون

وبقي الدياطسرون مستعملاً حتى القرن التاسع. أي بعد ظهور الإسلام. وفي القرن الحادي عشر نقل إلى العربية. والترجمة العربية هذه تعود، على الأرجح، إلى الفيلسوف والمفكّر النسطوري عبدالله بن الطيّب (ت1048). وهو أبرز المفكّرين المسيحيين في القرن الحادي عشر. وكان له الأثر البارز والحاسم في اللاهوت النسطوري ومفكري كنيسة المشرق الذين أتوا من بعده.

والترجمة العربية المذكورة نقلت عن نصّ عربي يعود إلى القرن 9// [1].

فأن يبادر ابن الطيب إلى ترجمة الدياطسرون في هذا الزمن المتأخر، فهذا لوحده دليل على استمرار استخدام الإنجيل الرباعي وتداوله حتى عصره وما بعده.

وبقي العديد من المؤلّفين السريان يعاقبة ونساطرة يشيرون إلى الدياطسرون حتى القرن 14//. ومنهم: يشوع داد المرزوي النسطوري أسقف حديثة (منتصف القرن التاسع)، وموسى بركيفا الأسقف اليعقوبي (ت903 م)، ويشوع برعلي (ت873 م)، وبربهلول (منتصف القرن العاشر) في قاموسيهما. وديونيسيوس وابن الصليبي أسقف أمد اليعقوبي (ت1172) وابن العبري (ت1286)، وأود يشوع مطران نصيبين (ت1318) وجاء في مقدّمة تفسير إنجيل مرقس لابن الصليبي عن الدياطسرون ما يلي:

---

1 – الفغالي، بولس، المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق الأدنى القديم، بيروت، المكتبة البولسية، ط2، 2009، ص 544.

«وقد اختار ططيان تلميذ يوستينون الشهيد الفيلسوف من الأناجيل الأربعة أخباراً، وكوّن إنجيلاً سمّاه الدياطسرون أي المختلط، وهذا هو نفس الكتاب الذي فسّره مار إفرام»[1].

ومثل على طريقة ططيان في التأليف بين الأناجيل الأربعة ما ورد في الفصل الخامس من الدياطسرون:«ولمّا تمّم المغتاب جميع تجاربه، انفصل عنه إلى وقت (لوقا 13/4) وإذا الملائكة قد دنت منه وكانت تخدمه (متى 11/4) وفي اليوم الآخر كان يوحنا قائماً واثنان من تلاميذه، فنظر إلى يسوع وهو يمشي فقال هذا هو حمل الله (يوحنا 35/1 – 36).

الأثر المحتمل للدياطسرون في الإسلام

ويقول عدد من الباحثين إن استخدام القرآن لفظة إنجيل بالمفرد عوضاً عن الأناجيل (الأناجيل الأربعة القانونية) يعود إلى أن النصارى الذين عاصروا ظهور الإسلام ونشأته، لا سيما النساطرة أو أتباع الكنيسة السريانية الشرقية منهم كانوا يستخدمون دياطسرون ططيانس ويسمّونه الإنجيل بالمفرد أو الإنجيل الموحّد. كما عرف الدياطسرون بـ الإنجيل بحسب العبرانيين. ولا يجب أن ننسى هنا أن الدياطسرون "ظلّ حتى القرن الخامس النسخة الوحيدة للأناجيل"[2]. أما تدابير الأسقف ربّولا بإحلال الأناجيل الأربعة الأساسية مكان الدياطسرون فلم تطل الجزيرة العربية حيث بقي الإنجيل الرباعي (الدياطسبرون) هو المتداول والمستخدم في زمن نشأة الإسلام. وهذا واحد من المؤثرات النسطورية في الإسلام، يضاف إلى ذلك أن الدياطسرون يدعو إلى تحريم الخمر، ويقول كاتبه إن بعد الموت أكلاً وشرباً ونكاحاً.

---

1 – البكري، م. س، ص 77.

2 – الفغالي، بولس، المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم، بيروت، المكتبة البولسية، ط2، 2009، ص 544.




الباب الثالث

الفصل الثاني

نسطور عدو الهرطقات أم هرطوقي؟!



مواضيع فصل 2//باب 3//:

-نسطور لم يكُن نسطورياً

-المصيصي ينصح نسطور التخفيف من غيرته

-نسطور يفتتح بطريركيته بحرب على الهراطقة

-الجدل في لقب أم الله

-كيرلّس يرأس مجمع أفسس ويحرم نسطور وأفكاره

-أم المسيح بتسمية أدق

-نسطور مسكون بهاجس الهرطقات

-الخلاف مع نسطور يكاد ينحصر في الألفاظ

-عدائية نسطور سبب في حرمه

نسطور لم يكُن نسطورياً

لا تزال علاقة الكنيسة الشرقية بنسطور (نحو 378 – 451) وعقيدته مثار تساؤل وشيء من الالتباس. لا بل إن علاقة نسطور بالنسطورية لم تعد اليوم علاقة سبب بمسبّب Cause à effet، فالأبحاث المعاصرة أقرّت، وأكّد لاهوتيو زماننا أن ″نسطور لم يكُن في الحقيقة نسطورياً″[1] فقد نسب إلى بطريرك القسطنطينية ومع الزمن الكثير مما لم يقل. أما هو فوضع أواخر حياته وباللغة اليونانية كتاب هيراقليوس الدمشقي مدافعاً فيه عن نفسه. وقد ضاع هذا الكتاب مع سائر ما أحرق من آثار نسطور، ثم اكتشفت نسخة منه مترجمة إلى السريانية عام 1895[2].

واستناداً إلى هذا الكتاب المكتشف منذ نحو قرن وإلى بعض رسائل أخرى لنسطور وإلى ما وصلنا من أحداث في سيرته وملامح شخصيته سنحاول في ما يلي عرض أبرز محاور لاهوته وعقيدته مشيرين إلى ما طرأ عليها مع الزمن من تغيير وتحوير، لا سيما وأن غالبية ما نسب إلى هذا الرجل أو اتهم به قد أخذت من أقوال أخصامه وكتاباتهم لا من أقواله هو.

---

1 – فييه، الكنيسة السريانية، م. س، ص 12.

2 – جبارة، الأب جوزيف كميل، قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، بيروت، المكتبة البولسية، ط1، 2010، ج1، 520.

المصيصي ينصح نسطور التخفيف من غيرته

ولد نسطور في بلدة مرعش من أعمال تركيا نحو عام 378 وتتلمذ لتيودورس المصيصي. وعرف ببلاغته، وبغيرته على العقيدة وملاحقته لكل مَن اعتبره مبتدعاً. فعيّن بطريركاً على القسطنطينية عام 428. وتروي المصادر التاريخية حدثاً ذا دلالة عميقة على شخصية نسطور وذهنيته. ففي طريقه إلى القسطنطينية عندما دعي لتولّي كرسيّها، توقف عند معلّمه تيودورس المصيصي. وحين ودّعه قال له تيودورس:«يا بنيّ، أنا أعرفك وأعرف أن ما من امرأة ولدت رجلاً غيوراً مثلك، لذلك أنصحك بأن تخفّف من غيرتك ضدّ آراء الآخرين... الأشرار» فكان جواب نسطور: ماذا تقول يا معلّمي؟! لو عشت في زمن ربّنا لكنت أجيب (كما الرب قال لتلاميذه بعد كسر الخبز في يوحنا 67/6): وأنتم أيضاً هل تريدون أن تمضوا. حدث ربنا قدّم السمك للأكل، فالمعدة التي تهضمه تغتذي منه. والتي لا تهضمه تنشق»[1].

توقع تيودورس معلّم نسطور ما يمكن أن يواجه تلميذه من متاعب ومشاكل، فنصحه وقبل أن يباشر مهامّه في القسطنطينية بأن يخفف من غيرته وحربه على مَن يخالفه الرأي. ولكن التلميذ رفض نصيحة معلّمه وأجابه باعتداد وبثقة مفرطة بالنفس مقارناً نفسه بيسوع، زاعماً أنه في حربه على المخالفين أو مَن يعتبرهم هراطقة لا يفعل سوى الاقتداء بالمسيح.

نسطور يفتتح بطريركيته بحرب على الهراطقة

وفي احتفال سيامته وتنصيبه في القسطنطينية في 428/04/10،

1 – الفغالي، بولس، فيوض في الفكر المشرقي، سلسلة على هامش الكتاب 18، بيروت، الرابطة الكتابية، ط1، 2009، ص 283.

صعد إلى المنبر وخاطب الأمبراطور بالقول:«أعطني سيّدي مملكتك منقّاة من الهراطقة، فأعطيك ملكوت السماوات. أعطني السلطان على الهراطقة، وأنا أخضع لك الفرس الذين يحاربونك»[1].

وبسرعة قرن نسطور القول بالفعل، فأحرق كنائس الآريوسيين ومعها عدداً من البيوت المجاورة، وذلك بعد رسامته بخمسة أيام. وافتخر بأنه صبر على الهراطقة وأطال أناته[2]. هذه الأحداث والأقوال تكفي لترسم صورة واضحة لشخصية نسطور بطريرك القسطنطينية: غيور إلى درجة التعصّب. واثق من نفسه وفخور حتى الكبرياء.

الجدل في لقب أم الله

ومع تولّيه كرسي القسطنطينية اكتشف نسطور الجدل بشأن لقب "أم الله" أو والدة الإله "تيوتوكس" ولم يكُن هو مَن حرّك المسألة كما تؤكّد بعض المصادر، بل الجدال قاده ليكون حكماً بين فريقين.

فقد سعى الآريوسيون الرافضون لألوهية المسيح إلى نشر لقب "أم الله" وتعميمه واستغلاله ليهاجموا لاهوت المسيح وألوهيته[3]. وهذا ما سنراه لاحقاً في الإسلام. ولعلّ بذور الموقف القرآني الزاعم أن النصارى يؤلّهون مريم أم المسيح[4] تكمن في استغلال الآريوسيين للقب والدة الإله والمبالغة في تفسيره وتأويله.

وبالمقابل أكد الأبوليناريّون خصوم الأريوسيين على هذا اللقب،

---

1 – الفغالي، م. س، ص 279. نقلاً عن مقدمة كتاب نسطور في السريانية.
2 – م، ن.
3 – الفغالي، م. س، ص 284.
4 – "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله" سورة المائدة 116/5.

مركّزين على ألوهية المسيح وناكرين طبيعته البشرية. واعتبر نسطور أن كلا القولين مريم أم الإنسان أو أم الإله ضلال، وآثر على ذلك تسمية العذراء "أمّ المسيح أو حاضنة الإله"(1).

كيرلّس يرأس مجمع أفسس ويحرم نسطور وأفكاره

وعندما وصلت أقوال نسطور إلى كيرلّس بطريرك الإسكندرية اعتبرها هرطقة، وهبّ للدفاع عن عقيدة الكنيسة. وكان التنافس قديماً وحاداً بين بطريركيتي الإسكندرية والقسطنطينية. فعقد مجمع أفسس عام 431 برئاسة كيرلّس. وتأخر وفدا روما وبطريركية إنطاكيا عن الحضور بسبب ظروف السفر. فاستعجل كيرلّس افتتاح المجمع في 06/22. وفي يوم واحد أنهى المجمع أعماله. فأقرّ لقب مريم والدة الإله وحرم نسطور وعزله من منصبه. ولم يتح له حتى فرصة الدفاع عن نفسه. وكانت عداوة الأمبراطور البيزنطي تيودورس الثاني (407 – 450) ولا سيما شقيقته بولخيريا لنسطور قد لعبت دوراً حاسماً في إدانته. أرسل نسطور إلى المنفى، وفيه وضع كتابه "كتاب هيراقليوس الدمشقي" السابق الذكر.

أم المسيح بتسمية أدق

ومما جاء في كتاب هيراقليوس عرضاً لرأي نسطور ودفاعاً عنه: «في كل موضع من الكتاب الإلهي، عندما يتكلّم على تدبير الربّ، لا يقدّم الآلام والولادة كأنها للاهوت، وإنما لناسوت المسيح، بحيث إن العذراء

1 – جبارة، م. س، ص 519.

القدّيسة يجب أن تدعى بتسمية أدقّ أم المسيح، لا أم الله»[1].

ونسطور بذلك مهّد لِمَن أنكر آلام المسيح وصلبه، وهي عقيدة كرّرها القرآن بعد أن تناقلها عدد من أتباع نسطور وعلّموها[2].

لنلاحظ هنا تعبير نسطور "بتسمية أدقّ" وهو ما يكرّره في رسالته الثانية إلى كيرلّس وكأنه لا يرفض لقب أم الله بالمطلق. يبقى أن المسألة في عمقها مسألة ألفاظ. والخلاف على ألفاظ وكلمات . فالمسيح هو ابن الله كما يقرّ نسطور. فماذا تكون أمّه بالتالي؟! وهو كذلك يؤكّد أن «واحد هو الابن. منظور ولا منظور. مسيح واحد: ذاك الذي يستعمل وما به يستعمل طبيعتان اثنتان، وابن وحيد»[3].

نسطور مسكون بهاجس الهرطقات

كان نسطور مسكوناً بهاجس الهرطقات ومواجهتها والقضاء عليها في المهد. وما تدخّله للفصل في الخلاف بين القائلين بـ والدة الإله، وأخصامهم القائلين بـ "والدة الإنسان" إلا بإيعاز من هذا الهاجس. كان يرى الهرطقة حيث هي وحيث لم تكُن. حَكَمَه وسواس الهرطقة فرآها في كلا القولين المتناقضين. وظنّ أن في عبارة "أم المسيح" التي اقترح دفع للهرطقة وطرد لها. فوقع في ما سعى إلى تجنبه وطرده. واتفق خصومه، المتخاصمين أصلاً في ما بينهم، على وسمه بالهرطقة.

اراد أن يجمع موقفين مختلفين ومتناقضين. فما كان مع هذا ولا مع ذاك، وعوض أن يكسب الفريقين جرّ على نفسه وبال عداوة الإثنين معاً، وسلك طريقاً لم يتبعه فيه أيّ منهما.

---

1 – الفغالي، م. س، ص 278.
2 – أنظر دراستنا "النساطرة والإسلام جدلية علاقة، باب 1// /فصل 1//.
3 – الفغالي، م. س، ص 287.

الخلاف مع نسطور يكاد ينحصر في الألفاظ

ومتى لم يغب عن بالنا أن مسألة الاختلاف في الألفاظ لا تعني حكماً خلافاً على العقيدة، تغيّرت نظرتنا كلّياً إلى نسطور، واختلف موقفنا جذرياً منه. لنستمع إليه يشرح عقيدته في إحدى رسائله:«المسيح غير منقسم بما أنه المسيح. وهو إثنان بما أنه إله وإنسان وفي واحد في حاله كابن ولكنه اثنان في ما أَخَذ وفي ما أُخِذ.

في شخص الابن هو فرد، ولكن في وضع العينين ينفصل بحسب الطبيعتين الناسوت واللاهوت، فنحن لا نعرف مسيحَين، ولا ابنَين وحيدَين ولا ربَّين، (ونحن لا نعرف) ابناً وحيداً جديداً ولا مسيحاً أولَ ومسيحاً ثانياً بل مسيحاً واحداً هو هو، وقد رؤي بحسب الطبيعتين المخلوقة واللامخلوقة»[1].

فهل من تناقض بين قوله هذا وتعليم المجمع الخلقدوني (451 م) في المسيح الواحد في طبيعتين اثنتين؟! الاختلاف في جوهره يكاد ينحصر في الألفاظ. واليوم وبعد إعادة اكتشاف كتاب هيراقليوس لنسطور، لم يعد من الجائز أن يكتفي الباحث ولا اللاهوتي بعبارات وفقرات اجتزأها خصوم نسطور من نصوصه وردّوا عليها. بل يجب العودة إلى أقواله وطروحاته في إطاريها النصّي والتاريخي، لقد كان بطريركاً وراعياً لخراف سعى أن يحميها كلّها من الضلال. فهل من الجائز أن يحكم عليه بما سعى طيلة حياته أن يحاربه وينقضه ويحمي خرافه منه؟! مع اكتشاف كتاب هيراقليوس نكتشف نسطوراً آخر.

لذا فالنظرة إليه يجب أن تختلف. وهذا ما حصل فعلاً في التقارب

---

1 - الفغالي، م. س، ص 295.

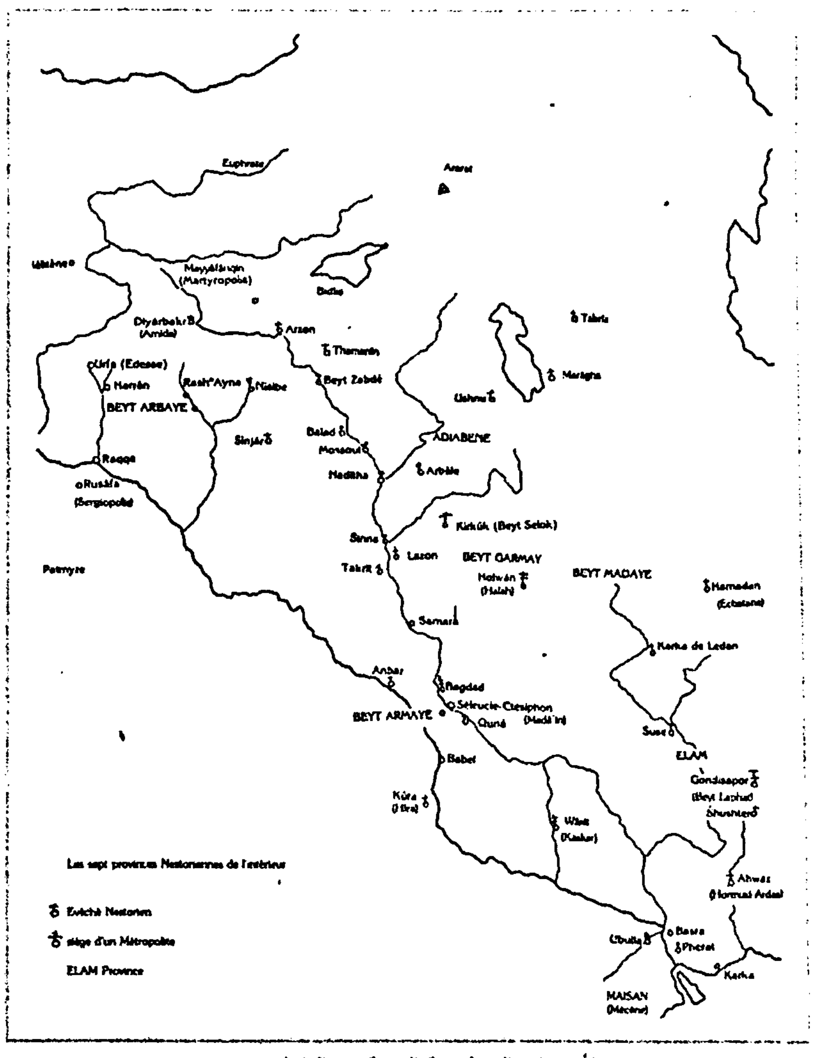
الأخير بين الكنيستين الكاثوليكية وتلك المنسوبة إلى نسطور. ففي الاجتماعات المتكرّرة بين الاثنتين تبيّن أن الخلافات والاختلافات كانت غالباً في الألفاظ والتعابير لا في الجوهر والعقيدة.

عدائية نسطور سببٌ في جرمه

ولعلّ خطأ نسطور يكمن في تصرّفه و "عدائيته" وغيرته البالغة حدّ التعصّب أكثر مما يكمن في مذهبه وعقيدته. وها هي الكنيسة اليوم تعيده إلى حظيرة الإيمان القويم، بعد قرون من وصمة الهرطقة والضلال.

وما نقوله عن نسطور قد يصدق في جزء منه أو في غالبه على بعض خصومه، ولا سيما القائلين بالطبيعة الواحدة: المونوفيزيين. فما أن اعتنقت الكنيسة السريانية الغربية عقيدة الطبيعة الواحدة، حتى اعتمدت شقيقتها أو غريمتها السريانية الشرقية عقيدة نسطور أو العكس. الخصومات السياسية والتنافس على المراكز هي التي كانت تحرّك وتحفز أكثر من الإيمان أو الاقتناع بمذهب معيّن. وفي الخصومات الدائرة زمن نسطور يستوقفنا رأي الباحث الأب ألبير أبونا القائل: «في جميع هذه الجدالات التي دارت في النصف الأوّل من القرن الخامس، نلاحظ أن الأهواء والطموحات الإنسانية وحُب الزعامة لدى رؤساء الكراسي الكبيرة قد لعبت دوراً أهم من العقائد، وأن الألفاظ والتعابير التي استخدمها مختلف الفرقاء للتعبير عن حقيقة التجسّد أسيء فهمها، فتشبّث كل فريق بوجهة نظره، دون أن يحاول فهم الحقيقة الكامنة في تعابير خصومه. وهذا أمر أدّى إلى تصدّع الوحدة المسيحية القائمة على المحبّة والتواضع ما وراء جميع الاختلافات»[1].

1 - أبونا، أدب اللغة، م. س، ص 102.



الأبرشيات النسطورية السبعة من الداخل

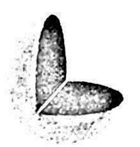



الباب الثالث

الفصل الثالث

نسطور وكيرلّس

عداوة ولّدت انشقاقاً




مواضيع فصل 3//باب 3//:

-نسطور خليفة فم الذهب وكيرلّس وريث تيوفيلوس

-كيرلّس يتأرجح بين المونوفيزية والطبيعتين

-عداوة كيرلّس لفم الذهب جرّت كرهاً لنسطور

-كيرلّس يصفّي الحسابات في مجمع أفسس

نسطور خليفة فم الذهب وكيرلّس وريث تيوفيلوس

وما حدث لنسطور لا يفهم على حقيقته بمعزل عن أمرين متداخلين:

1 – الاختلاف بل الصراع بين مدرستي إنطاكيا والإسكندرية في اللاهوت.

2 – الصراع بين بطركيتي القسطنطينية والإسكندرية. سبقت الإشارة إلى الاختلاف اللاهوتي بين مدرستي إنطاكيا والإسكندرية. لذا سنركّز هنا على البحث في مسألة الصراع بين كرسيي الإسكندرية والقسطنطينية. كان كيرلّس الإسكندري (نحو 388 – 444) خصم نسطور اللدود بطريركاً على الإسكندرية. وقد تناولنا سيرته وفكره في "قاموس الفلسفة المسيحية"[1].

وكيرلّس هذا هو ابن أخ تيوفيلوس بطريرك الإسكندرية وخصم القدّيس يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية اللدود. وكان كيرلّس معاون عمّه وخلفه في كرسي البطريركية بعد وفاته. وقد رافق عمّه عام 404 إلى القسطنطينية وشارك في المجمع الذي عزل يوحنا فم الذهب. وورث كيرلّس عن عمه منافسة كرسي القسطنطينية والسعي إلى الأسبقية والأوّلية على هذا الكرسي.

وكان تولّي نسطور بطريركية القسطنطينية فرصة لكليهما لتأجيج

---

1 – صليبا، د. لويس، قاموس الفلسفة المسيحية، اللاهوت الكاثوليكي مصادره وفلاسفته، جبيل/لبنان، دار ومكتبة بيبليون ط1، 2012، مقالة كيرلّس الإسكندري.

التنافس والصراع بين الكرسيين.

كيرلّس يتأرجح بين المونوفيزية والطبيعتين

سبق وعرضنا مطوّلاً لتعليم نسطور في طبيعة المسيح وأمومة العذراء له. فماذا عن تعليم كيرلّس؟!

لقد اتهمه بعض معاصريه بالالتباس المتعمّد في تعليمه ومواقفه. وأبرز هؤلاء يوحنا بطريرك إنطاكيا وصديق نسطور. يروي أدي شير مطران سعرد الخلاف بين كيرلّس ومعاصريه كما يلي:«وحالما انتشر تعليم نسطور قام عليه كيرلّس الإسكندري وشمّر الساعد لسحق رأسه. وكان كيرلّس تارة يقول إن في المسيح طبيعة واحدة أي طبيعة الإله الكلمة المتجسّد، وتارة يقول إن في المسيح طبيعتين متّحدتين لكن المسيح واحد. ولم يكُن له ثبات في قوله، أو بالحري لم يكُن يتجاسر أن يوضح أفكاره توضيحاً تاماً كما قال عنه يوحنا بطريرك إنطاكيا وكثير من الأساقفة المعاصرين له، وإنما لأجل هذا جعله الكاثوليكيون كاثوليكياً وجعله المونوفيزيون مونوفيزياً»[1].

أما نحن فذكرنا في قاموس الفلسفة المسيحية المشار إليه، أن كيرلّس وصف بالثبات في الفكرة وبالملاينة في التعبير. وأشرنا إلى أن اللاهوت اليوناني في زمنه لم يكُن لديه بعد تعابير محدّدة للدلالة على الطبيعتين في شخص المسيح الواحد، ولم يكُن كيرلّس مدركاً تمام الإدراك تقصير الألفاظ التي كان يستعملها للدلالة على حقيقة ما يريد. وهكذا فبعد وفاة كيرلّس ضمّه أصحاب الطبيعة الواحدة إلى صفوفهم

---

1 – شير، أدي، رئيس أساقفة سعرد الكلداني الأشوري، تاريخ كلدو وأثور، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط1، 1912، ص 129.

منتزعين بعض التعابير من قَرائِنها وحاشرين فيها ما يتمشّى مع مذهبهم.

وما قلناه في القاموس المذكور يلخّص نظرة الكنيسة الكاثوليكية إلى تعليم كيرلّس.

عداوة كيرلّس لفم الذهب جرّت كرهاً لنسطور

هل كان الالتباس في موقف كيرلّس مقصوداً كما يقول يوحنا بطريرك إنطاكيا وآخرون من معاصريهما؟! أم أنه ناتج عن قصور في التعابير والمصطلحات اللاهوتية في زمنه؟؟ لسنا هنا في صدد الفصل في هذه المسألة. ولكن ما يمكن أن نفصل الخطاب فيه هو أن كيرلّس ذهب بعيداً في خصومته مع نسطور. وأضفى عليها أحياناً طابع الصراع الشخصي على السلطة بين كرسيي الإسكندرية والقسطنطينية.

نسطور كان خليفة يوحنا فم الذهب على اختلاف في الطبع، وكيرلّس كان خليفة عمّه تيوفيلوس خصم فم الذهب اللدود.

ويؤكّد عدد من قدامى المؤرّخين من نساطرة وغيرهم أن الخلاف بين كيرلّس ونسطور لم يكُن عقائدياً فحسب. بل إن عداوة كيرلّس لفم الذهب وكراهيته له كانت من أبرز أسباب هذا الخلاف. يقول عمرو بن متى وماري بن سليمان في أخبار البطاركة/المجدل «والأسباب التي دعت كيرلّس إلى عداوته (نسطور) جمعه لعظام يوحنا فم الذهب ودفنها مع عظام الآباء، ومنعه الديرانيين من المشي في الأسواق، وأن يقيموا في المدينة، ومنعه الرواهب والديرانيين من الحضور مع الرجال ليلاً ونهاراً احتجاجاً بالرهبنة. وكيرلّس أطلق ذلك» (فصل 16).

وينسب ماري وعمرو إلى كيرلّس سعياً إلى إسقاط إسم فم الذهب من سلسلة البطاركة وتشبيهه له بـ يهوذا الإسخريوطي مسلّم المسيح:

«وكيرلّس كان فطركاً على الإسكندرية، وإنما سقط من عيون الناس لما التمسه من إسقاط اسم يوحنا فم الذهب وتسميته إياه يهوذا المسلّم» (فصل 16).

ولا يجب أن يغيب عن بالنا هنا أن يوحنا فم الذهب كان زميل تيودورس المصيصي أستاذ نسطور وصديقه.

وهكذا فخلاف كيرلّس ونسطور لا يمكن أن يفهم بمعزل عن خلاف الأوّل هو وعمه مع القدّيس يوحنا فم الذهب.

كيرلّس يصفّي الحسابات في مجمع أفسس

ومجمع أفسس الذي عزل نسطور وحرمه لا يمكن أن يبرّأ من إنفعالية كيرلّس، ورغبة دفينة عنده بتصفية حسابات قديمة مع كرسي القسطنطينية ووضعها تحت سلطته. وإلا فكيف نفهم سرعة انعقاد هذا المجمع الذي ترأسه كيرلّس وعدم انتظار وصول وفد بطرك إنطاكيا والوفد الذي أرسله بابا روما؟! وكيف نفهم انتهاء أعمال هذا المجمع في يوم واحد، وأخذ قرارات خطيرة بهذه السرعة، بل بهذا التسرّع؟!

وقد نبّه عدد من معاصري كيرلّس بطريرك الإسكندرية من خطورة سياسته ونهجه والعواقب الوخيمة لكل ذلك على الكنيسة.

يقول القدّيس إيسيدوروس البيلوسي[1] Isidore de Peluse معاصر

---

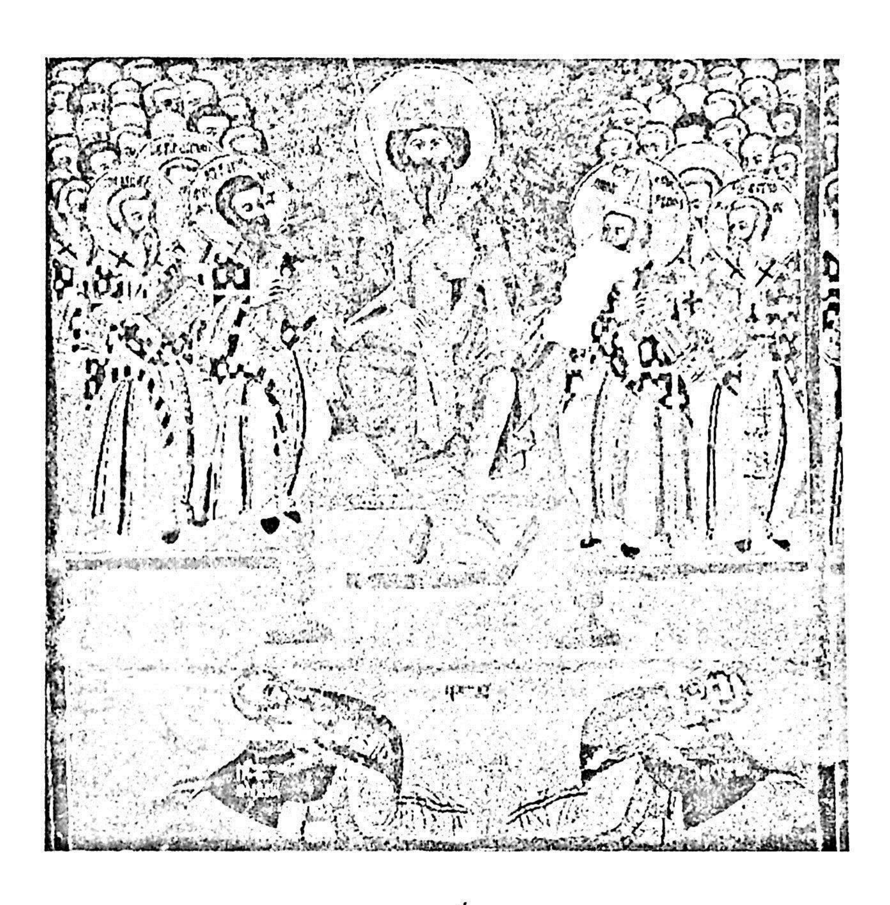
1 - إيسيدورس البيلوسي (ت نحو 435). ولد في الإسكندرية، وفيها تلقى علومه الابتدائية والعالية. ثم اعتنق الحياة التوحدية في دير بالقرب من بيلوسيوس في مصر فنسب إليها. وظل في هذا الدير حتى وفاته، ترك نحو ألفي رسالة، جمعت في القسطنطينية في دير "الذين لا ينامون" ونقل شمّاس روماني 49 رسالة منها إلى اللاتينية. كتب إيسيدورس رسائله بأسلوب محبّب وأنيق. وهي تشهد لصاحبها بمعرفة معمّقة بالآداب اليونانية القديمة. ومن بينها الرسالتان 310 و 370 وهما موجهتان إلى كيرلس بطريرك الإسكندرية. ومنهما نقتبس الاستشهاد في المتن.

كيرلّس وابن موطنه الإسكندرية في رسالة له إلى هذا الأخير محذّراً ومنبّهاً: «إن التعجيل في الأمور المشبوهة يقلّل النظر، أما البغضة فتعميه بالكلية. إن أردت أن تتجنّب هذين العيبين، عليك ألاّ تحكم حكماً شديداً، بل أن تفحص بعدل عن الأسباب، إن كثيرين من الذين اجتمعوا في أفسس يقولون عنك إن بغيتك أن تأخذ بثأرك من أعدائك. لا أن تهتمّ حقيقة بمنافع يسوع المسيح، ويستتلون كلامهم أنه هو ابن أخي تيوفيلوس فيقتدي به أيضاً. ويجتهد في اكتساب الشرف مثل عمه الذي ألقى غضبه على الطوباوي يوحنا، ولو أنه يوجد فرق عظيم بين المشتكى عليهما [أي فم الذهب ونسطور]»[1].

ثم يعود إيسيدوروس في رسالة أخرى فيرجو كيرلّس أن يتعالى على الأحقاد الشخصية والرغبة في الانتقام حفاظاً على وحدة الكنيسة، فيقول له: «ناشدتك الله أن تضرب عن هذه المنازعة، ولا تجرح جسم الكنيسة أخذاً لثأرك من الذي أهانك. فتصير بحجّة الديانة سبباً لانشقاق أبدي في الكنيسة»[2].

سبق أن عرضنا لشخصية نسطور وأبرز ملامحها، وهذا نحن نرسم هنا الخطوط الرئيسة لشخصية خصمه كيرلّس. وكلا اللوحتان ضروري لفهم خلفية ما حدث في مجمع أفسس وما سبقه ثم ما تلاه من انشقاق لا تزال تعاني منه الكنيسة إلى اليوم، وهو تحديداً ما حذّر منه القدّيس إيسيدورس البيلوسيّ "أي الانشقاق الأبدي في الكنيسة".

1 – شير، م. س، ص 130.
2 – م، ن.



مجمع أفسس




الباب الثالث

الفصل الرابع

الخلاف مع نسطور بين الأمس واليوم




مواضيع فصل 4"/باب 3":

-نزاع وحروب بسبب اختلافات لفظية

-وحدة في الإيمان واختلاف في التعبير

-بيان كريستولوجي يلغي الحرومات المتبادلة

نزاع وحروب بسبب اختلافات لفظية

مصيبة الشرق المسيحي وآفته الكبرى هي ما عُرف لاحقاً بالجدل البيزنطي. فعندما كانت جيوش الأتراك العثمانيين تحاصر القسطنطينية كان لاهوتيّوها منشغلين بالجدل في جنس الملائكة. المهم أن يقعوا على مسألة يتجادلون فيها، فلو لم تكن هذه لوجودوا غيرها. وقد سخر قدامى مؤرّخي المسلمين من انشقاقات النصارى وجدالاتهم المستمرّة، فقال أحدهم على ما ينقل المستشرق لويس ماسنيون «متى اجتمع عشر نصارى، فإنهم يخرجون بأحد عشر رأياً مختلفاً»[1]. وقبل جدالات بيزنطية بقرون سقطت أقاليم الشرق المسيحي ومدنه تحت ضربات الغزاة القادمين من الصحراء في وقت كان أهلها منشغلين بنزاعات وخصومات بل حتى وحروب بسبب ألفاظ وتعابير لاهوتية تتناول طبيعة المسيح وتجسّده. هوت المدن واندثرت ثقافات وحضارات أو كادت، وبقيت مع ذلك النزاعات والعداوات العائدة إلى خلافات لفظية. وتوارثتها الأجيال.

كان مسيحيو الشرق، لا سيما مخالفو العقيدة البيزنطية منهم يرفعون شعاراً شهيراً Tout mais pas Byzance الكل ما عدا بيزنطية. وهكذا فتحوا أسوار المدن وأبوابها بوجه غزاة الصحراء، كيداً للبيزنطيين ونكاية بهم متوهّمين أن القادمين الجدد سيخلّصوهم منهم. إنه واحد من أبرز الأسباب التي تفسّر سرعة سقوط المدن في الغزوة

1 - موريون، جان، لويس ماسينيون، ترجمة منى النجار، سلسلة أعلام الفكر العالمي، بيروت، المؤسسة العربية، ط1، 1981، ص 62.

الصحراوية السريعة في أواخر النصف الأول من القرن السابع م.

وسموا الخليفة عمر بن الخطّاب الفاروق أي المخلّص، وهو لقب سرياني أعطي للمسيح.

الخلافات اللفظية والمماحكات العقائدية أو بالأحرى على أمور تفصيلية وثانوية في العقيدة جرّت على مسيحيي الشرق الويلات. لنستمع إلى ملفان الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ومفريان الشرق (رئيس الأساقفة) غريغوريوس ابن العبري (ت1286)، يحدّثنا عن هذه الخلافات بين الكنائس ويسمّيها خصومة بسبب أسماء الاتحاد فقط. يقول ابن العبري:«أما المذاهب الأخرى السائدة في العالم (منتصف القرن 13") فإنها ترتأي حسناً من جهة الثالوث وحفظ الطبيعتين في المسيح، دون استحالة وامتزاج. ولكنها اختصمت بسبب أسماء الاتحاد فقط. فإن البعض أقرّوا بأن الاتحاد طبيعي وأقنومي وهم اليعاقبة السريان والمصريون والأحباش والنايديس Nubéens. وإن الأرمن وإن مالوا إلى شيء قليل من يوليان[1] ولكن ليس كلياً. وذهب غيرهم إلى أن الاتحاد لم يكُن طبيعياً

---

1 - يوليان أو جوليان Julien أمبراطور بيزنطية (361 – 363) لقب بالجاحد أو المرتد. هو فلافيوس كلوديوس جوليانس. وهو ابن أخي قسطنطين الأول وابن عم الأمبراطور كونستانيوس وقد خلفه عام 361. نشأ يوليان (أو جوليان أو يوليانس) مسيحياً إلاّ أن مداومته على دراسة الفلسفة اليونانية القديمة أثناء إقامته في بيرجامون وأفسس وأثينا انتهت به إلى التخلّي عن إيمانه المسيحي. لذا نعتته الكنيسة بالجاحد أو المرتد. ويمثل يوليان ردّة فعل وثنية على الحركة المسيحية المتشدّدة التي مارسها أسلافه.

قام بالعديد من الأعمال التي حملت الأذى والاضطهاد للمسيحيين بدافع من تعصّبه للوثنية. كان آخر أمبراطور وثني روماني وكذلك آخر أمبراطور من بيت قسطنطين الكبير. قتل وهو يحارب الفرس في الجبهة الشرقية سنة 363. وكان في الخامسة والثلاثين من عمره. وقد فشل في إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء والعودة بالأمبراطورية إلى الوثنية.

ولا أقنومياً بل فرصوفياً [شخصياً] فقط. هؤلاء هم النساطرة خاصة. ومنهم مَن اختاروا الطريقة المتوسطة بين الطريقتين فقالوا بالاتحاد الأقنومي غير الطبيعي وهم اليونانيون والرومانيون والسريان الملكيون والموارنة السريان والإيبريون والروسيون. فالرومانيون يتميّزون عن هؤلاء الآخرين لأنهم يقولون إن الروح القدس ينبثق من الآب والابن. والموارنة يتميّزون عن هؤلاء الجميع بقولهم إرادة واحدة ومشيئة واحدة للطبيعتين وليس إرادتان ومشيئتان. وهكذا جميع اليونانيين كانوا يعترفون بإرادة واحدة وسيادة واحدة (...) ويعرج النساطرة على الجنبين في قضية الاعتقاد بالإرادتين. وإذ لا يوجد شيء في ذلك في كتبهم القديمة. وقد سمعنا كثيرين من علمائهم يقولون بالإرادة الواحدة للطبيعتين والأقنومين»[1]. كان العلاّمة ابن العبري سبّاقاً في رؤية هامشية هذه الاختلافات، فوجدها إسمية.

وحدة في الإيمان واختلاف في التعبير

وعام 1971 اجتمع في ڤيينا ممثلون عن مختلف الكنائس الخلقدونية: الكاثوليكية والأرثوذكسية من جهة واللاخلقدونية السريانية الأرثوذكسية الأشورية والقبطية من جهة ثانية. وأقرّ المجتمعون بأن الدراسات والأبحاث قد أكّدت أن سبب انعقاد مجمع خلقدونيا المذكور وكيفية إدارته لا تمتّ بصلة إلى الكريستولوجيا. وأن العداوة بين مدرستي إنطاكيا والإسكندرية اللاهوتيتين والعداوة السياسية

1 - ابن العبري، مار غريغوريوس (ت 1286 م)، منارة الأقداس، ترجمة ديونسيوس بهنام حجاوي، حلب، سلسلة التراث السرياني، ط1، 1996، ص 372 - 373.

كانتا المهيمنتين على المجمع. وتسبّب كل ذلك في إحداث انشقاق جديد استمرّ إلى يومنا هذا.

وتبيّن للمجتمعين أثناء مداولاتهم أن الاختلافات والنزاعات اللاهوتية التي تفجّرت بعد المجمع الخلقيدوني لم تكُن بسبب اختلاف جوهري في الإيمان بل بالأحرى بسبب اختلاف في التعبير عن هذا الإيمان الواحد.

وقد وقع المجتمعون على بيان عُرف بإتفاق ڤيينا الكريستولوجي، ومما جاء فيه:«إننا نؤمن بأن ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح هو الابن المتجسّد تامّ في لاهوته وتامّ في ناسوته. لم يكُن لاهوته منفصلاً عن ناسوته لحظة واحدة ولا لمحة بصر، وإن ناسوته واحد مع لاهوته دون اختلاط ولا امتزاج ولا انقسام ولا انفصال» هذه القراءة الجماعية المعاصرة لخلافات الماضي بل ولأخطائه من شأنها إذا عمّمت وانتشرت بين أبناء مختلف الكنائس ورؤسائها أن تجعل هؤلاء يعوا وحدة إيمانهم وعقيدتهم رغم التنوّع في التعبير عن هذين الإيمان والعقيدة.

فهل يعيد أتباع المسيح والمؤمنون به تربية أنفسهم وأبنائهم على التنوّع ضمن الوحدة؟!.

بيان كريستولوجي يلغي الحرومات المتبادلة

وبعد لقاءات ڤيينا التي تكرّرت في الأعوام 1972 و 1973 وحتى 1976. تواصلت مساعي التقارب بين الكنائس. عام 1994 استقبل البابا يوحنا بولس الثاني في الڤاتيكان مار دنحا الرابع بطريرك الكنيسة الأشورية.

وفي 1994/11/11 صدر عن الجانبين بيان كريستولوجي مشترك وقّعه البابا والبطريرك.

وعبّر البيان عن وحدة الإيمان بشخص المسيح وطبيعتيه، فجاء فيه:«إن كلمة الله ربّنا يسوع المسيح هو إله حقيقي كامل في لاهوته وكامل في ناسوته، مساوٍ للآب ومساوٍ لنا في كل شيء ما خلا الخطيئة، وقد اتحد لاهوته بناسوته في شخص واحد بغير اختلاط أو تغيّر، وبغير انقسام أو انفصال. واحتفظ في نفسه بالطبيعتين الإنسانية والإلهية على اختلافهما بكل خواصهما وإمكانياتهما وعملهما. ولكن ليس بإنشاء واحدة وأخرى لكن باتحاد اللاهوت بالناسوت في نفس الشخص الواحد الفريد».

ولعلّ أبرز ما في البيان ما جاء بشأن الخلاف القديم حول لقب العذراء مريم. فقد أقرّ البيان وأوضح أن التسميات المختلفة: والدة الإله ووالدة المسيح تعابير متغايرة عن إيمان واحد جاء في البيان:«إن الناسوت الذي ولدته القدّيسة العذراء مريم هو دائماً لابن الله نفسه، هذا هو السبب في أن كنيسة المشرق الأشورية تدعو في صلواتها العذراء مريم أم المسيح إلهنا ومخلصنا وفي ضوء الإيمان نفسه من تراث الكاثوليك يدعو العذراء مريم والدة الإله وأيضاً والدة المسيح. وإن كلاً منّا يدرك صحّة وشرعية هذه التعابير لنفس الإيمان وكلانا يحترم ما تفضّله كل كنيسة في حياتها الليتورجية وتقواها».

نذكر هنا أن نسطور نفسه كان قد قبل في منفاه بلقب والدة الإله حسماً للخلاف، ولكن أحداً لم يقبل منه رجوعه هذا. روى المؤرّخ الكنسي سوقراط «إنه (نسطور) لما رأى أن لا سبيل إلى الاتحاد طالما النزاع ضارباً أطنابه، تأسّف على ما جرى وقبل لفظة ثيوتوكوس أعني قال" لتدعَ مريم أم الله وليبطل هذا الشقاق. ولكن لم يقبل أحد ندامته. إذ

قال هذا الكلام وهو مطرود من كرسيّه ومنفيّ»[1]. وها هو البطريرك دنحا الرابع يقول شيئاً مما قاله نسطور فيقبل أخيراً منه. لقد حسم البيان الكريستولوجي نزاع قرون بين الكنيستين الكاثوليكية والأشورية حول لقب مريم العذراء. نزاع مزّق الكنيسة شرّ تمزيق.

ويختم البيان المشترك بشبه أسف على الحرومات القديمة ضدّ أشخاص وتعابير، ويؤكّد أنها كانت في الغالب بسبب سوء فهم متبادل، فيقول:«لقد قادت الصراعات الماضية إلى حرومات ضدّ أشخاص وصياغات. لكن روح الرب سمح لنا أن نفهم بطريقة أفضل اليوم أن الانقسامات التي تأدت بهذه الطريقة كان أغلبها نتيجة سوء فهم»[2]. وأقرّ البيان الكريستولوجي المشترك إنشاء لجنة مشتركة للحوار اللاهوتي بين الكنيستين الكاثوليكية والآشورية الشرقية اجتمعت سنوياً منذ 1994 ولغاية 2004. ومما صدر عنها بيان يعلن موافقة الكنيسة الكاثوليكية على نافور إدي وماري وهو من أبرز رتب القداس في الكنيسة الآشورية.

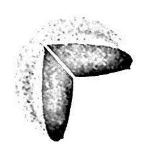
ويقول الكاردينال فالتر كاسبر عميد المجلس الحبري لتعزيز الوحدة بين المسيحيين في نظرة معاصرة إلى الخلاف القديم:«في تلك الفترة من تطوّر العقائد لم تكُن السريانية واليونانينة تعبّران عن المفهوم نفسه بالمصطلحات ذاتها. أما اليوم، فقد أصبح الكاثوليك والأشوريون يعترفون بأنهم يتشاركون الإيمان نفسه بيسوع المسيح الإله الحق والإنسان الحق الكامل بألوهيته، والكامل بإنسانيته»[3].

---

1 – شير، إدي، رئيس أساقفة سعرد الأشوري، تاريخ كلدو وأثور، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط1، 1912، ص 131.

2 – الكاردينال كاسبر يتحدّث عن الكنيسة الأشورية، موقع www.xenit.org

3 – الكاردينال كاسبر، م. س.




القسم الأول

الباب الرابع

دراسة في عهود أهل الذمة في الإسلام




فصول الباب الرابع:

الفصل الأول: من عهود الخلفاء للبطاركة إلى مناشيرهم في أهل الذمة.

الفصل الثاني: المتوكل أوّل مَن طبّق الشروط العمرية.

الفصل الثالث: الشروط العمرية، مصادرها ونصّها.

الفصل الرابع: عهدة عمر وأبرز إشكالياتها.

الفصل الخامس: في تفنيد متن العهدة العمرية.

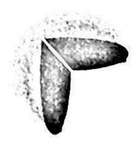
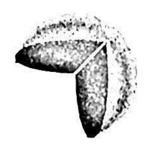
الفصل السادس: زمن العهدة المرجّح.

الفصل السابع: المتوكّل ووضع الشروط العمرية.

الفصل الثامن: أثر عهدة عمر على أوضاع النصارى.

الفصل التاسع: عهود الرسول وعمر للنصارى كما وردت في التاريخ السعردي.

الفصل العاشر: مناشير المتوكل وخلفائه في معاملة أهل الذمة.

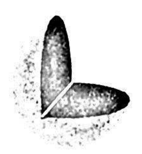
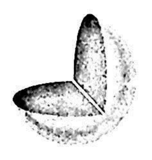



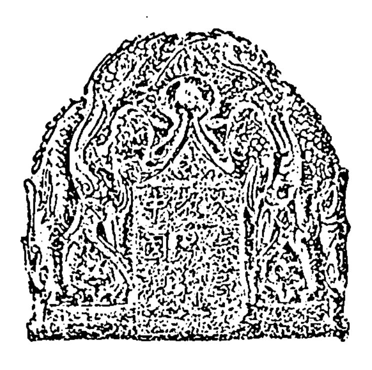
الباب الرابع

الفصل الأول

من عهود الخلفاء للبطاركة

إلى مناشيرهم في أهل الذمة



مسلّة سي نغان فو 781 م/جزء من الكتابة الكلدانية التي وردت فيها

في دراستنا "النساطرة والإسلام جدلية علاقة وتأثر" تناولنا بالعرض والبحث عهود الخلفاء لبطاركة النساطرة وسائر رؤساء ملل أهل الذمة. والدراسة المذكورة جاءت بمثابة مقدمة وتمهيد لنشر أخبار بطاركة كرسي المشرق من المجدل المنسوب لماري بن سليمان. وما دفعنا إلى تناول عهود الخلفاء في تلك الدراسة هو أن أخبار المجدل قد تضمّن إثنين منها، فوجدنا من المفيد مقارنة العهدين المذكورين بعهود أخرى، وكذلك مقارنة نصوص العهود في المجدل بنصوص العهود عينها المذكورة في مصادر أخرى. ودراسة العهود هذه أفضت بنا إلى دراسة أوضاع المسيحيين في الدولة الإسلامية/العصر العباسي من خلال ما تنبئ هذه الوثائق في طيّاتها عن أحوالهم.

ومما تبيّن لنا في الدراسة تلك أن لهجة الوثائق كانت مع الزمن تزداد قسوة وتشدّداً.

والتشدّد هذا غالباً ما كان يتزامن مع ضعف الدولة الإسلامية وترهّلها، وكأنه نتيجة حتمية له، أو ردّة فعل عليه. وهكذا فالقوي سمِح والضعيف متشدّد غالباً، وكأنه يخفي ضعفه وراء تزمّته أو أنه يحاول التعويض عنه.

هذه الخلاصة ستبدو أكثر جلاءً لنا في دراسة صنف آخر من الوثائق: إنها مناشير الخلفاء بشأن أهل الذمة، وهي على تعدّدها واختلاف أزمنتها ومُصدريها، يمكن أن تقسم إلى فئتين: الأولى تتعلّق بألبسة النصارى واليهود وإلزامهم الغيار وما إلى هنالك، والثانية تتناول

استخدامهم في الدواوين والوظائف العامّة ومنع ذلك.

وما يدفعنا إلى عرض هذه الوثائق ودراستها في مبحثنا هذا الذي نمهّد به لنشر أخبار البطاركة لصليبا بن يوحنا أن هذا الأخير تناول فيها أوضاع النصارى في عهود البطاركة والخلفاء، وهو على إيجازه المعهود توقف عند عهد الخليفة العباسي المتوكل (232 – 247 هـ/847 – 861 م). (الفصل 49) وروى ما تعرّض له النصارى في عهده من ذلّ وهوان: «أهلك العلماء (...) أمر في جميع البلدان أن تهان النصارى وتؤخذ بلباس الغيار (...) وجرى على النصارى في زمانه من الصعوبات والإهانات ما لا يوصف».

ويصبّ صليبا جام غضبه على هذا الخليفة بسبب اضطهاده المسيحيين. ويعتبر نهايته المأساوية قصاصاً له وانتقاماً لله من ظلمه: «إلى أن انتقم الله منه وأرسل عليه بعض جنده الواصلين إليه، فقتله في فراشه وخلّص المؤمنين من شرّه» (فصل 49).

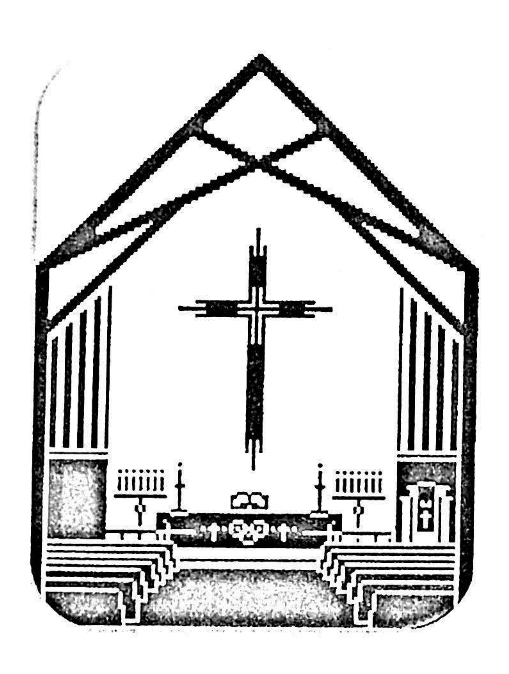
هذا السخط العنيف على المتوكل لا يمكن أن يفهم وتعرف أسبابه إلاّ متى عرضت إجراءات هذا الخليفة بحق أهل الذمّة وما أصدر بشأنهم من أوامر ومناشير ومدى صدق نسبة هذه الأخيرة إليه.

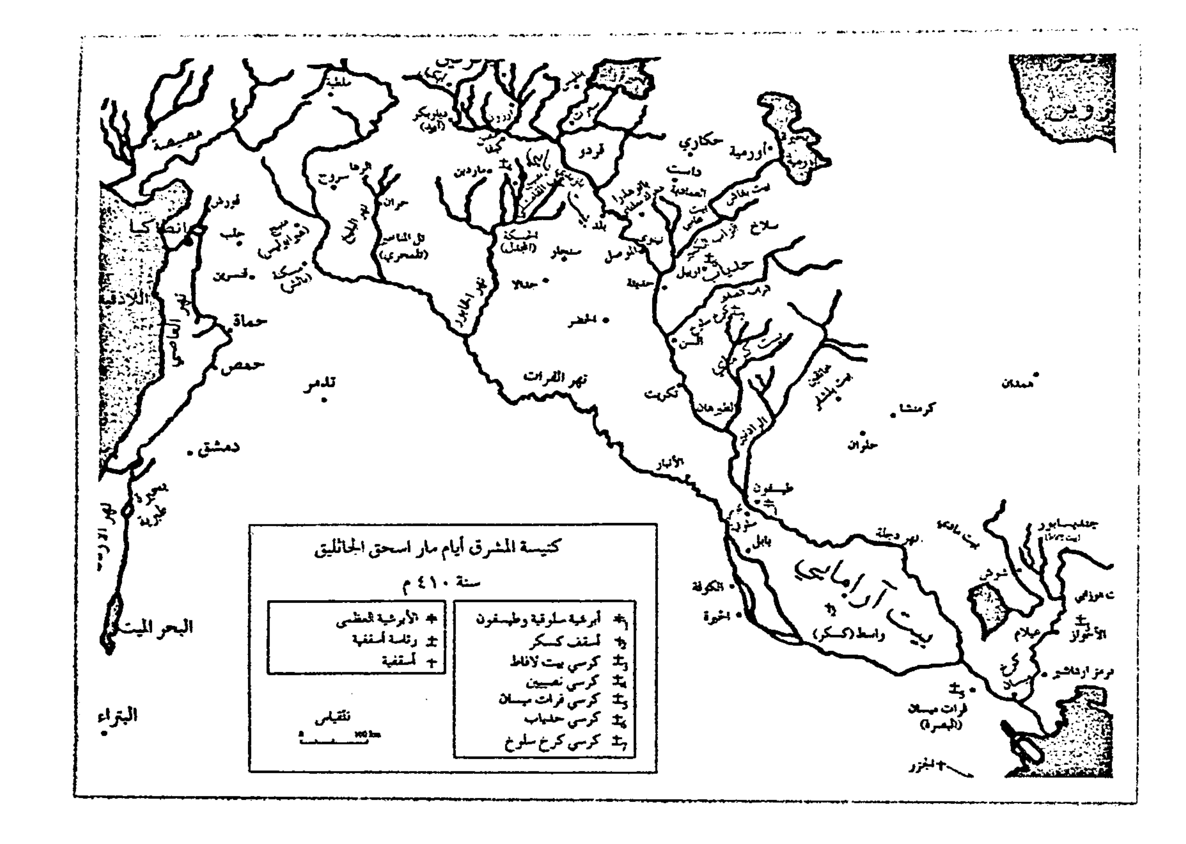
وأولى الوثائق والمناشير المختصّة بالمسيحيين واليهود في الدولة العباسية تعود، على الأرجح، إلى عهد المتوكل.

لذا فاستكمالاً لدراستنا السابقة لعهود الخلفاء للجثالقة، وتوضيحاً للإشارات المهمّة الواردة في أخبار البطاركة لصليبا بن يوحنا الذي ننشر في هذا المجلّد، ورفداً لهذا لنصّ التاريخي بالوثائق اللازمة والوثائق أصول التاريخ كما يقال. سنعمد في مبحثنا/المدخل هذا إلى عرض ما وصلنا من وثائق تتناول أهل الذمة في الدولة الإسلامية ووضعها في ظروفها

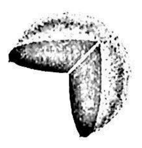
التاريخية وأطرها الثقافية والدينية لاستقرائها واستخلاص ما تحوي من أخبار الماضي ومن عِبَر للحاضر والآتي.

وستكون نقطة انطلاقنا عهد الخليفة المتوكل، من دون أن نسهو عن تسليط الضوء على ما سبقه ومهّد له متى لزم الأمر، وكذلك ما تلاه من أحداث كان هو من أبرز أسبابها والممهدين لها.





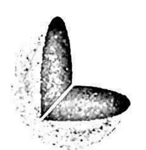
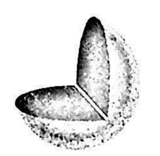
كنيسة المشرق أيام مار اسحق الجاثليق
سنة ٤١٠ م
أبرشية سلوقية وطيسفون
أسقف كسكر
كرسي بيت لافاط
كرسي نصيبين
كرسي فرات ميسان
كرسي حدياب
كرسي كرخ سلوخ
الأبرشية العظمى
رئاسة أسقفية
أسقفية
مقياس
حكاري
اورمية
حماة
حمص
تدمر
دمشق
البحر الميت
البتراء
نهر الفرات
الأنبار
تكريت
الحضر
سنجار
الموصل
حلوان
كرمنشا
همدان
طيسفون
بابل
الكوفة
الحيرة
واسط (كسكر)
بيت آراماي
نهر دجلة
عيلام
الأهواز
فرات ميسان
(البصرة)

الباب الرابع

الفصل الثاني

المتوكل أوّل مَن طبق الشروط العمرية

مواضيع فصل 2//باب 4//:

-المتوكل بداية انحطاط الدولة العباسية

-المتوكل يضطهد كل الملل والفرق باستثناء السنة

-إجراءات المتوكل بحق أهل الذمة

-إجراءات المتوكل هي الأولى في قسوتها وشمولها

المتوكل بداية انحطاط الدولة العباسية

المتوكل (232 - 247هـ/847 - 861 م) هو الخليفة العباسي العاشر وابن المعتصم وحفيد هارون الرشيد. «ويعتبر عهد الخليفة المتوكّل العباسي بدء انحلال الدولة العباسية الذي انتهى بسقوطها على أيدي التتار سنة 656 هـ، وبداية العصر العباسي الثاني»[1].

اشتهر هذا الخليفة بمزاجيته، فالمؤرخون الذين رووا أحداث خلافته غالباً ما يكرّرون عبارة: «غضب المتوكل على».

وذكر المؤرخ الإسلامي سيد أمير علي لهذا الخليفة كنية أخرى وهي "نيرون العرب"[2].

وكثيراً ما كان يفرط في معاقرة الخمر فلا يعود يعرف ما يدور حوله، لا في مجلسه ولا في دولته. والمثل الفاقع على ذلك مقتله على أيدي خدّامه الأتراك. ففي تلك الليلة كان على ما روى مسكويه «قد جاوز العشرة أرطال، "من الخمر"، «وقد سكر»[3].

ويقول المؤرّخ المستشرق وليم موير Muir مقيّماً عهد المتوكل: «اشتهر هذا العهد بالظلم المنضوي على القسوة والانغماس في الملاذ والتطرّف في

---

1 - حسن، إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 7، 1965، ج3، ص 6.

2 - علي، سيد أمير، مختصر تاريخ العرب، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1961، ص 254.

3 - مسكويه، الرازي، أبوعلي، (ت 421 هـ)، تجارب الأمم، تحقيق أبوالقاسم إمامي، طهران، دار سروش، ط1، 1997، ج4، ص 310.

الآراء الدينية»[1].

ظلم، قسوة، تطرّف وملذات تلك أبرز ما ألحق بالمتوكل وعهده من أوصاف تصل حدّ التهم.

المتوكل يضطهد كل الملل والفرق باستثناء السنة

وقد لحق ظلمه الفرق الدينية والملل كافة باستثناء أهل السنة.

اضطهد المعتزلة وأفناهم. واضطهد الشيعة وأمر عام 230 هـ «بهدم قبر الحسين، ع، وما حوله من المنازل والدور وأن يبذر ويمنع الناس من إتيانه»[2].

وعرف بكرهه لعلي بن أبي طالب، يروي القلقشندي عنه:«وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث. وكان يشدّ على بطنه مخدّة تحت ثيابه.. ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص ويقول:

قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين

يعني علياً رضي الله عنه. والمتوكل يضحك. ففعل ذلك يوماً بحضرة ولده المنتصر . فقال له: يا أمير المؤمنين إن علياً ابن عمّك، فكُلْ أنت لحمه إذا شئت، ولا تدع مثل هذا الكلب وأمثاله يطمع فيه. فقال المتولكل للمغنين غنوا:

غـــار الفتـــى لابـــن عمّـــه

رأس الفتـــى فـــي حِرامـــه[3]

واضطهد المتوكّل الصوفية بمختلف فرقهم. وتعاظم في زمنه نفوذ

---

1 – حسن، م. س، ص 6.
2 – مسكويه، م. س، ج5، ص 299.
3 – القلقشندي ، مآثر الإنافة، م. س، ص 111.

الحنابلة (أتباع أحمد بن حنبل) بعد محنتهم في زمن أسلافه المأمون والمعتصم والواثق. «فسيطروا على الشارع حتى أوقعوا المحنة بالإمام الطبري في آخر أيامه. وتحكّموا بحياة الناس تحت شعار "مَن رأى منكم منكراً فليغيّره" وهو حديث اخترعوه ليؤكدوا به سلطانهم»[1].

ومعلوم أن لفظة "حنبلي" صارت مع الزمن وإلى يومنا هذا المرادف للمتزمّت المتعصّب.

وقد عرف السلفية والحنابلة في زمن المتوكل وما بعده بـ "الحشوية". أي الذين يحشون رؤوسهم بأحاديث منسوبة إلى النبي، صلعم، دون دليل أو سند[2].

تلك أبرز ملامح شخصية المتوكل، أعدنا رسمها هنا نقلاً عن المصادر لأن من شأنها توضيح خلفية وحوافز إجراءاته بحق النصارى واليهود، وهي صلب موضوعنا.

فما هي هذه الإجراءات التي اتخذها؟ وأيّة مناشير أصدر؟

إجراءات المتوكل بحق أهل الذمة

يذكر صليبا بن يوحنا في أخبار البطاركة أبرز ما نال النصارى من ظلم على يد المتوكل وفي عهده، ولكن لا بدّ من العودة إلى المصادر الأكثر قدماً لمزيد من التفاصيل ومعرفة الخلفيات.

يقول مسكويه (نحو 320 - 431هـ) راوياً هذه الأحداث:

«وفي هذه السنة (235 هـ) أمر المتوكل بأخذ النصارى وأهل الذمة بلبس العسلي والزنانير، وركوب السروج بركب الخشب، وبتصيير

---

1 - منصور، أحمد صبحي، مقالة على موقع www.scraw.org

2 - منصور، م. س.

كُرَتين على مؤخر السرج، وبتغيير القلانس لِمَن لبس قلنسوة، وبتغيير زيّ النساء في أزرهن العسلية ليعرفن، وكذلك مماليكهم، ومنعهم لبس المناطق، وإن دخلوا الحمّام كان معهم جلاجل ليعرفوا. وأمر بهدم بيعهم المستحدثة، وبأخذ العشر من منازلهم. فإن كان الموضع واسعاً صيّر مسجداً، وإن لم يصلح أن يكون مسجداً صيّر فضاءً. وأمر أن يجعل على أبواب دورهم صور شياطين من خشب مسمورة تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين. ونهى أن يستعان بهم في الدواوين وأعمال السلطان التي تجرى فيها أحكامهم على المسلمين. ونهى أن يتعلّم أولادهم في كتاتيب المسلمين، وألاّ يعلّمهم مسلم. ونهى أن يظهروا في أعيادهم صليباً وأن يشمعوا (يلعبوا) في الطريق، وامر بتسوية قبورهم مع الأرض، لئلاّ يشبه قبورهم قبور المسملين، وكتب إلى العمّال في الآفاق بذلك»[1].

ويروي أبو الفرج ابن العبري (ت 685 هـ/1286 م) عن المتوكل: «وتمادى في بغض المسيحيين حتى اضطرهم أن يتعمّموا بعمائم صوف، وأن لا يخرجوا خارجاً إلّم يتزنروا بزنار وكستيج. ومَن كان له عبد لزمه أن يخيط على قميصه من قدّام ومن خلف رقعة لونها غير لون القميص. وأن تقوّض الكنائس الحديثة البناء. وإذا كان للنصارى كنيسة واسعة ولو قديمة وجب أن يؤخذ جانب منها ويجعل مسجداً. وأن لا يطوفوا بالصلبان في احتفالاتهم. وشدّد بمثل هذه الأوامر الجائرة، وأفظع منها على اليهود»[2].

وروايات المؤرخين عن محنة المسيحيين واليهود في عهد المتوكل

1 - مسكويه، م. س، ج4، ص 297 - 298.
2 - ابن العبري، أبو الفرج جمال الدين، تاريخ الزمان، ترجمة إسحق أرملة، بيروت، دار المشرق، ط2، 2005، ص 37.

تتشابه، فاللاحق ينقل فيها عن السابق، فلا ضرورة لسردها كلها.

إجراءات المتوكل هي الأولى في قسوتها وشمولها

واللافت بشأن إجراءات المتوكل هذه أن المؤرخين مسلمين ومسيحيين يتفقون على أنها كانت الأولى ولم يسبق للنصارى أن عانوا من إجراءات بهذا العسف تناولت لباسهم ومعاشهم في آن.

يقول المؤرّخ البطريرك سعيد ابن البطريق (ت 328 هـ/939):«ولم يترك النصارى يلبسون السواد، ويركبون الخيل حتى أيام المتوكل»[1].

ويقول القلقشندي (ت821هـ/1418) «فيما كان يكتب عن الخلفاء في إلزام أهل الذمة ما يلزم بشريطة عقد الذمّة وأخذهم بذلك، وأوّل مَن كتب في ذلك في خلافة المتوكّل»[2].

وهكذا فدراسة إجراءات المتوكل ومناشيره في أهل الذمة تقودنا حتماً إلى البحث في الشروط العمرية ونسبتها والزمن الذي كتبت فيه وغير ذلك من المسائل. فمن دون ذلك لا تفهم تدابير المتوكل حق فهمها. والسؤال الكبير المطروح هنا: لمَ لم تطبّق هذه الشروط بمجملها قبل زمن المتوكل وبينه وبين عمر ابن الخطاب (ت23هـ) نحو قرنين من الزمن؟!

---

1 - ابن البطريق، سعيد (ت328 هـ)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ط1، 1906، ص 59.

2 - القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت821هـ)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق أحمد عبدالستّار فرّاج، بيروت، عالم الكتب ، ط1، 2006، ص 407 - 408.

دير ربن هرمزد/الموصل تأسّس 662 م

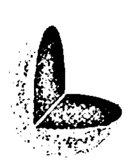
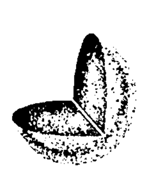



الباب الرابع

الفصل الثالث

الشروط العمرية:

مصادرها ونصّها

مواضيع فصل 3//باب 4//:

-نص الشروط العمرية وأبرز مَن ذكروه

-ذكر الشروط العُمرية وأحكامها وموجباتها

نص الشروط العمرية وأبرز مَن ذكروه

تطرح الشروط العمرية أو عهدة عمر إشكاليات عديدة بشأن سندها ونسبتها وزمنها. ونصوصها المتعدّدة.

وقد سعينا في تحضيرنا لمبحثنا هذا أن نحصي مختلف المصادر القديمة التي ذكرتها، فتبيّن في حدود ما وقع بأيدينا أن أقدم مصدر أوردها هو عبدالله بن أحمد (213- 290هـ)، ابن الإمام أحمد بن حنبل في زوائده على مسند أبيه. وعنه نقلت أكثر المظانّ اللاحقة، ومنها ابن القيم الجوزية الذي نورد نصّه هنا.

ويلاحظ أن هذه العهدة حظيت باهتمام غالبية فقهاء الحنابلة منذ عبدالله ابن الإمام ابن حنبل.

ومن أبرز الذين أوردوا رواية أو أكثر للشروط العمرية مع اختلاف الروايات: البيهقي (384هـ - 458) في السنن الكبرى وأبو الحسن الماوردي (450هـ) في الأحكام السلطانية، أبو بكر الخلاّل (ت 311) في أحكام أهل الملل. وابن الأخوّة محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت 729هـ/1329) في معالم القربة في أحكام الحسبة وتقي الدين السبكي (ت756هـ) في الفتاوى. وابن تيمية (ت728هـ) في الجواب الصحيح لِمَن بدّل دين المسيح. وفيه يذكر شيخ الإسلام أن أبا داود أخرج العهدة في سننه. ولكن لا أثر لها في هذه السنن.

ومِمّن أورد العهدة ابن حزم الأندلسي (384هـ/456) في المحلّى والقلقشندي (ت821هـ) في صبح الأعشى وابن كثير (ت774هـ) في

تفسيره والنويري شهاب الدين (ت723هـ) في نهاية الأرب في فنون الأدب.

وأبرز مَن اعتنى بهذه الشروط وعمد إلى شرحها من القدماء ابن قيم الجوزية (ت751هـ)[1] تلميذ ابن تيمية وأستاذ ابن كثير.

وقد أفرد لها ولشرحها القسم الأكبر من الجزء الثاني من كتابه أحكام أهل الذمة. وعنه سنأخذ نصّ الشروط أو العهدة العمرية برواياته الثلاث ثم نبحث فيها سنداً ومتناً وزمناً وغير ذلك.

ذكر الشروط العُمَريّة وأحكامها وموجباتها

قال عبدالله ابن الإمام أحمد: حدثني أبو شُرَحْبيل الحمصي عيسى بن خالد قال:

حدثني عمر أبو اليمان وأبو المغيرة قالا: أخبرنا إسماعيل بن عياش قال: حدثنا غير واحد من أهل العلم قالوا: كتب أهل الجزيرة إلى عبدالرحمن بن غَنْم:«إنّا حين قدمت بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا على أنّا شرطنا لك على أنفسنا ألاّ نُحْدِثَ في مدينتا كنيسة، ولا فيما حولها ديراً ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا نجدّد ما خرب من كنائسنا، ولا ما كان منها في خطط المسلمين.

وألا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً، وألاّ نكتم غشاً للمسلمين، وألا نضرب بنواقيسنا إلاّ ضرباً خفيّاً في جوف كنائسنا.

---

1 - ابن قيّم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله (ت751هـ)، أحكام أهل الذمة، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1995، ج2، ص 113 - 115.

ولا نظهر عليها صليباً، ولا نرفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون، وألا نخرج صليباً ولا كتاباً في سوق المسلمين، وألاّ نخرج باعوثاً – قال: والباعوث يجتمعون كما يخرج المسلون يوم الأضحى والفطر – ولا شعانين[1]، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين، وألا نجاورهم بالخنازير ولا ببيع الخمور، ولا نظهر شِرْكاً، ولا نرغّب في ديننا، ولا ندعو إليه أحداً. ولا نتخذ شيئاً من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين.

وألا نمنع أحداً من أقربائنا أرادوا الدخول في الإسلام.

وأن نلزم زيّنا حيثما كنا، وألا نتشبّه بالمسلمين في لِبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم، ولا نتكلّم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم[2]، وأن نجز مقادم رؤوسنا ولا نفرق نواصينا، ونشد الزنانير على أوساطنا، ولا ننقش خواتمنا بالعربية، ولا نركب السروج، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله، ولا نتقلد السيوف، وأن نوقر المسلمين في مجالسهم، ونرشدهم الطريق ونقوم لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس، ولا نطلع عليهم في منازلهم، ولا نعلّم أولادنا القرآن.

ولا يشارك أحد منا مسلماً في تجارة إلاّ أن يكون إلى المسلم أمر التجارة، وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوساط ما نجد. ضمنّا لك ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا، وإنْ نحن غيّرنا أو خالفنا عمّا شرطنا على أنفسنا، وقبلنا الأمان عليه، فلا ذمّة لنا، وقد حلّ لك منّا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق».

---

1 – الشعانين عيد مسيحي يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح يحتفل به المسيحيون بدخول السيد المسيح عليه السلام.

2 – الكنية ما بدأت بأب أو أم كأبي حنيفة وأم الخير.

فكتب بذلك عبدالرحمن بن غُنْم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه عمر «أن أمض لهم ما سألوا، وألحق فيهم حرفين اشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم: ألا يشتروا من سبايانا[1]، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده».

فأنفذ عبدالرحمن بن غنم ذلك، وأقرّ مَن أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط.

قال الخلال في "كتاب أحكام أهل الملل": «أخبرنا عبدالله بن أحمد» فذكره.

وذكر سفيان الثوري، عن مسروق، عن عبدالرحمن بن غنم قال: كتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام وشرط عليهم فيه ألاّ يحدثوا في مدينتهم ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا يجددوا ما خرب، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم، ولا يؤووا جاسوساً، ولا يكتموا غشاً للمسلمين، ولا يعلّموا أولادهم القرآن، ولا يظهروا شركاً، ولا يمنعوا ذوي قراباتهم من الإسلام إن أرادوه.

وأن يوقروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس.

ولا يتشبّهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم، ولا يتكنَّوْا بكناهم، ولا يركبوا سرجاً، ولا يتقلّدوا سيفاً، ولايبيعوا الخمور، وأن يجزّوا مقادم رؤوسهم، وأن يلزموا زيّهم حيثما كانوا، وأن يشدّوا الزنانير على أوساطهم، ولا يظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في شيء من طرق المسلمين، ولايجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيّاً، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة

---

1 – السبايا: المأسورون.

المسلمين، ولا يخرجوا شعانين، ولا يرفعوا أصواتهم مع موتاهم، ولا يظهروا النيران معهم، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت فيه سهام المسلمين.

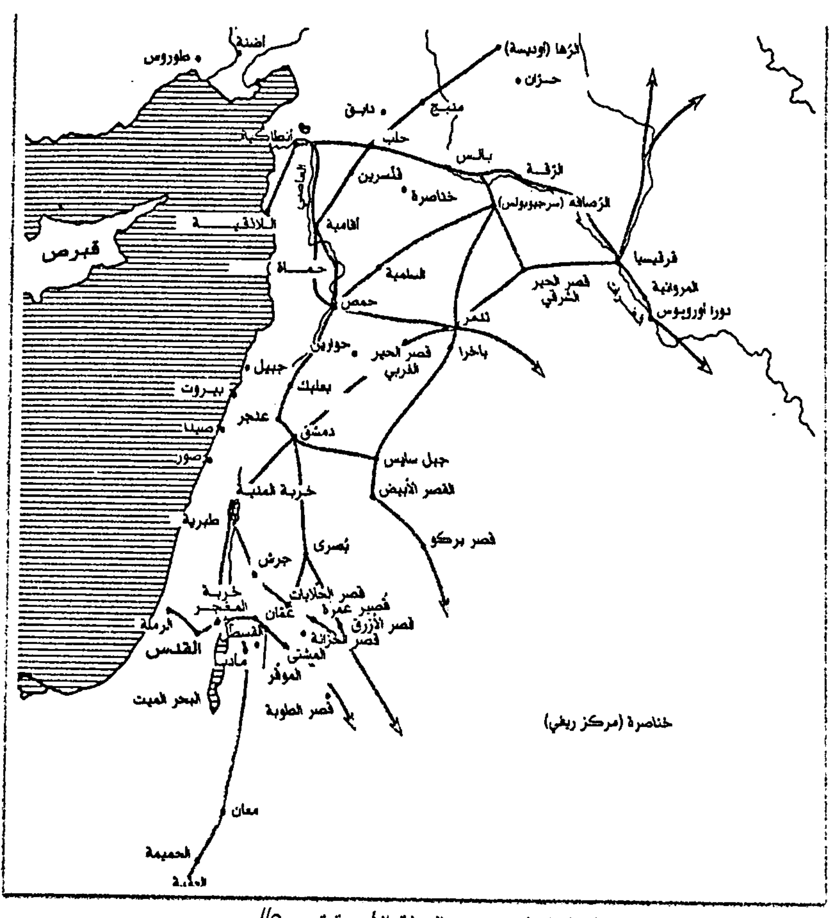
فإن خالفوا شيئاً مما شرطوه فلا ذمّة لهم، وقد حلّ للمسلمين منهم ما يحلّ من أهل المعاندة والشقاق».

وقال الربيع بن ثعلب حدثنا يحيى بن عقبة بن أبي العَيْزار، عن سفيان الثوري، والوليد بن نوح، واليسرى بن مصرف يذكرون عن طلحة بن مصرف، عن مسروق، عن عبدالرحمن بن غنم قال: كَتَبْت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام:«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب لعبدالله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا: إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملّتنا، وشرطنا لكم على أنفسنا ألا نحدث في مدائننا ولا فيما حولها ديراً ولا قلاية ولا كنيسة ولا صومعة راهب»[1] فذكر نحوه.

وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها: فإن الأئمة تلقوها بالقبول، وذكروها في كتبهم، واحتجّوا بها، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم، وقد أنفذها بعده الخلفاء، وعملوا بموجبها.

---

1 - إن عمر رضي الله عنه كان أشد عدلاً من هذا المذكور فإنه قد اعطى لأهل القدس الأمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم... الخ. وكثير من الفقهاء يبيحون لهم تجديد كنائسهم.(تعليق لمحقق النص طه عبدالرؤوف سعد).



بلاد الشام في عصر الدولة الأموية قرن 2// هـ




الباب الرابع

الفصل الرابع

عهدة عمر وأبرز إشكالياتها




مواضيع فصل 4"/باب 4":

- إشكالية سند الشروط العمرية
- ابن القيّم يموّه ضعف أسناده
- علماء الحديث يتفقون على تضعيف عهدة عمر
- تضارب في روايات عهدة عمر
- إشكالية بنية العهدة وأسلوبها

إشكالية سند الشروط العمرية

لا بدّ أن نلحظ أولاً أن عدداً من المصادر التي أوردت "الشروط" لم تذكر لها سند. فابن الأخوّة (ت729هـ)[1] تخلو روايته من أي سند.

وابن كثير أبو الفداء إسماعيل، وخلافاً لعادته يورد في تفسيره نص العهدة نقلاً عن الأئمة الحفّاظ أيّ من دون سند.

والإغفال المتعمّد لذكر السند في هذه المصادر اعتراف ضمني بضعفه.

ماذا الآن عن أسناد روايات ابن القيّم: كتاب أحكام أهل الذمة مصنف فقهي بالدرجة الأولى. والعهدة العمرية عموده الفقري وأساس أكثر أحكامه. وشرحها يستغرق أكثر من نصف حجم الجزء الثاني منه.

ومعلوم أهمية السند لا سيما في الأحاديث التي تستخرج منها أحكام فقهية. ورغم كل ذلك فأي سند أعطى ابن القيّم أو نقل؟!

يورد هذا الفقيه الحنبلي ثلاث روايات للعهدة. يسند الأولى "إلى غير واحد من أهل العلم" والمجهول سند ضعيف عند أهل الحديث، بل ليس بسند.

أما أسناد الراويتين الثانية والثالثة فمتضاربان فالثانية عن سفيان الثوري عن مسروق عن عبدالرحمن بن غنم إنه سند مبتور. ويظهر ذلك من مقارنته بسند الرواية الثالثة فهي عن يحيى بن عقبة عن سفيان الثوري عن طلحة عن مسروق.

---

1 – ابن الأخوّة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت729هـ)، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق روبن ليوى، كيمبردج، مطبعة دار الفنون، ط1، 1937، ص 40 – 41

واللافت في سند الثانية أنه يتجنّب ذكر يحيى بن عقبة، ففي هذا الأخير كلام كثير. فقد قال عنه أبو حاتم الرازي متروك الحديث، كان يفتعل الحديث. وأبو داود قال ليس بشيء، والنسائي قال: ليس بثقة والدارقطني ضعيف، والبخاري قال منكر الحديث. وابن حبّان قال عنه يروي الموضوعات عن الأثبات لا يجوز الاحتجاج به بحال[1].

فأئمة علوم الحديث والرجال اتفقوا على تضعيف يحيى بن عقبة، فحديثه بالتالي ضعيف.

وهكذا فسند الرواية الأولى والثالثة كلاهما ضعيف. والرواية الثانية سندها هي الأخرى ضعيف لانقطاعه.

وبالتالي فروايات ابن القيم الثلاث ضعيفة.

ابن القيم يموّه ضعف أسناده

وقد أدرك الفقيه الحنبلي ضعف رواياته وأقرّ به ضمناً عندما قال إثر ذكرها:«وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها: فإن الأئمة تلقوها بالقبول، وذكروها في كتبهم واحتجّوا بها». وزعم ابن القيم هذا مردود ولا يؤخذ به. وقد عقّب عليه الشيخ الدكتور صبحي الصالح،شارح كتاب ابن القيم ومحققه بما يلي:«من العجيب أن يقول العالم السلفي الكبير ابن القيم في موضوع خطير كهذا الموضوع التشريعي: إن شهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها. ومتى كانت الاستفاضة دليل الصحة؟!. ومن الذي يسوّغ للعلماء حتى المحققين منهم أن يستغنوا عن إسناد الروايات تعويلاً على شهرتها فقط؟!»[2].

1 - مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه، موقع الشبكة الإسلامية www.ebnmaryam.com

2 - الصالح، صبحي، شرح الشروط العمرية مجرّداً من كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم الجوزية، بيروت، دار العلم للملايين، ط2، ص7.

علماء الحديث يتفقون على تضعيف عهدة عمر

وقد اتفق العديد من عُلماء الحديث المعاصرين على تضعيف العهدة العمرية. فالمحدث المعروف ناصر الدين الألباني (ت1420هـ/1999) ضعّفها في كتابه إرواء الغليل (103/5)[1].

ومركز الفتوى بإشراف د. عبدالله الفقيه قال: كل رواية من روايات هذا الأثر (الشروط العمرية) لا تخلو من مقال في أسنادها[2].

ويرى د. كحيلة في خلاصة بحثه عن العهدة أن عهد عمر لم يصدر عن عمر ولا في عهد عمر. فتقد الأسانيد الأربعة إذا نحن راجعنا أسماء رجال السند نجد أن بعضهم لا يعدّ من الثقات أو أنهم من المجاهيل. ويضيف: يتّضح لنا أن المسانيد الأربعة تشوبها شوائب. ونعلم أن الإسناد له مكانة خاصة عند الفقهاء ووثاقته من وثاقة المتن»[3].

تضارب في روايات الشروط العمرية

وإلى هذا الضعف في السند ففي روايات ابن القيم الثلاث تضارب صارخ في نسبة كلّ منها، فالرواية الأولى نصّت على أن أهل الجزيرة هم الذين كتبوا إلى عبدالرحمن بن غنم فكتب هذا الأخير إلى عمر. أما الثانية فتقول إن عبدالرحمن كتب مباشرة إلى عمر عندما صالح نصارى الشام.

والرواية الثالثة تبيّن أن عبدالرحمن إنما صاغ شروط النصارى في كتاب لعمر.

وثمّة تعارض آخر في الروايات الثلاث في هوية النصارى الذين زعمت

---

1 – نقلاً عن موقع www.ebnmaryam.com

2 – م. ن.

3- www.metransparent.com

أنهم كتبوا إلى عمر. ففي الرواية الأولى هم أهل الجزيرة. وفي الثانية هم نصارى الشام. وفي الرواية الثالثة تعبير كافٍ لوحده للدلالة على الوضع إذ جاء:«من نصارى مدينة كذا وكذا». فما قيمة الرواية أصلاً إذا كان الراوي لا يعرف نصارى أية مدينة كتبوا؟! وما الداعي إلى هذا التدليس والتمويه؟! الجواب البديهي هو لأن ما من أحد من النصارى كتب عهداً كهذا، بل الواضع كتبه عنهم وحار في النسبة فتركها مموّهة: مدينة كذا وكذا.

ويعتبر المستشرق دي خويه أن تعدّد الروايات وتضاربها كافيان لوحدهما دليلاً ضدّ نسبتها لعمر. ويضيف «ولو أن هذه الوثيقة وضعت بأمر من عمر، ثم أقرّها، لكان الخلف تحفّظ كثيراً في أن يحذفوا منها أو يضيفوا إليها أو يغيّروا فيها كلمة»[1] وهذا ما يسمّيه دي خويه البرهان الصوري. وسنعود لاحقاً إلى مسألة الإضافة في الروايات.

إشكالية بنية الشروط وأسلوبها

وفي بنية العهد وأسلوبه مفارقة كبرى. فهل يعقل أن يشترط نصارى الشام على أنفسهم، وبمبادرة شخصية منهم كل هذه الشروط، ومن دون أن يُطلب منهم ذلك؟ والمضحك المبكي هنا الردّ المنسوب إلى عمر عند تلقيه كتاب النصارى، إذ كتب: أمضي لهم ما سألوا، وكأنهم سألوه حاجة. وهم في الحقيقة لم يسألوا شيئاً، وإنما واستناداً إلى هذه الرواية، قد التزموا من تلقاء ذاتهم أن يذلّوا أنفهسم ويورثوا الذلّ هذا أبناءهم. والرواية الملفقة هذه تقدّم التزامات النصارى وكأنها شروط اشترطوها، فقبلت. وفي ذلك يقول المستشرق تريتون A.S. Tritton في كتاب له

1 - فييه، أحوال النصارى، م. س، ص 155.

صادر عام1930 «العهد ينسب إلى عمر تارة وتارة إلى قائده عبدالرحمن بن غنم. ولم يذكر فيه اسم المدينة التي اشترط فيها النصارى على أنفسهم هذه الشروط الظالمة. ويُستغرب أن يشترط المغلوبون على الغالبين»[1].

وبدوره يبدي الشيخ صبحي الصالح شارح نصّ الشروط استغرابه لهذا الأمر، فيقول في مقدمة كتابه:«فمن عجب العجاب أن يملي المغلوبون على الغالب شروطهم كأنه في حاجة لأن يوادعوه»[2]. ثم يعود في تعليقاته على النصّ فيكرّر دهشته هذه:«لا يسعنا إلاّ أن نبدي استغرابنا من اشتراط المغلوبين على الغالب ما يرتضونه من شروط. كأن الغالب في حاجة إلى موادعتهم، أمّا هم فيملون شروطهم عليه إن قبلوا أن يوادعوه»[3].

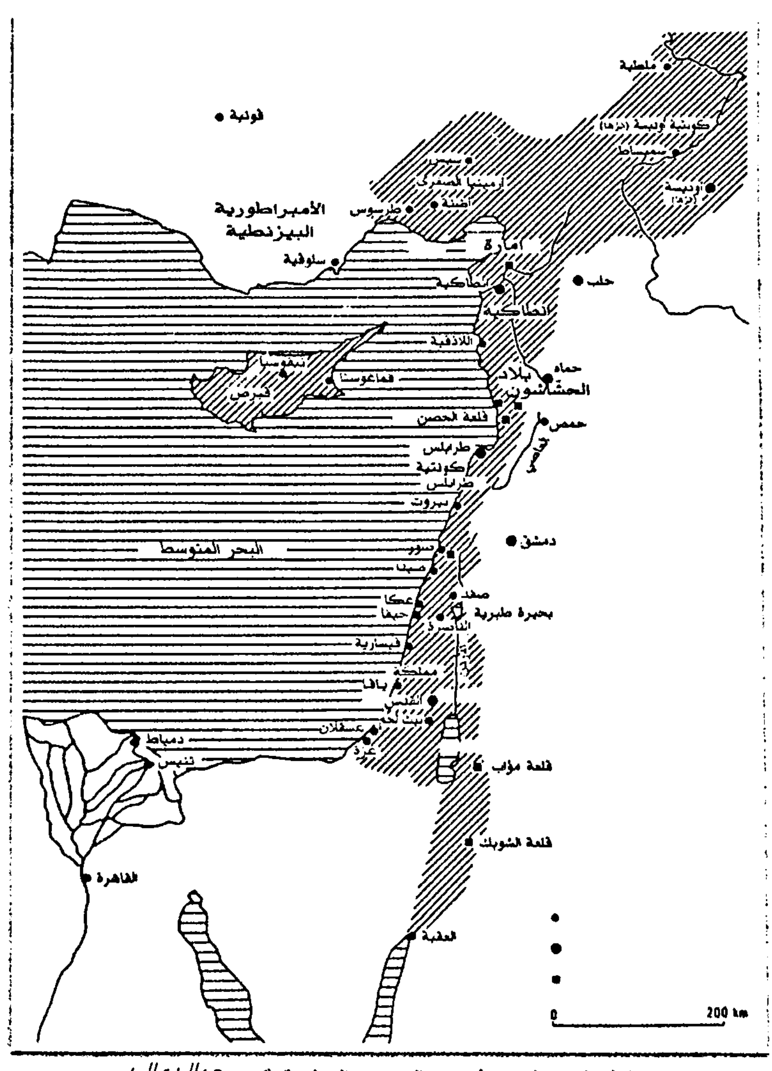
هذه الصيغة الغريبة، اشتراط المغلوب على الغالب، تظهر لوحدها الوضع في العهدة العمرية، ولكن يبقى السؤال لمَ عمد الواضع إلى صيغة من هذا النوع؟!.

لعلّه أراد أن يبرّئ ذمّة الإسلام من شروط مهينة كهذه فنسبها إلى المغلوب لا إلى الغالب.

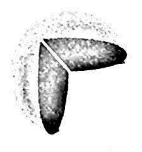
أو أنه قصد أن يعطي الحاكم أو الفقيه مبرّراً في التشدّد في تطبيق هذه الشروط، فذلك لا يحسب له تشدّداً أو قسوة، لأنه لا يفعل سوى أن يطالب النصارى بالتزام ما اشترطوا هم على أنفسهم العمل به.

1- www.metransparent.com

2 – الصالح، م. س، ص ي.
3 – م. ن، ص6.



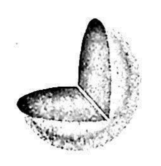
ساحل البحر المتوسط زمن الحروب الصليبية (قرن 12م/6هـ)




الباب الرابع

الفصل الخامس

في تفنيد متن العهدة العمرية

مواضيع فصل 5"/باب 4":

-الإضافات إلى العهدة تؤكّد وضعها

-نقد شرط الامتناع عن تعلّم القرآن

-عبارة زنانير تفضح الوضع

الإضافات إلى العهدة تؤكد وضعها

سبق وتوقفنا عند التناقض في الروايات الثلاث من حيث النسبة والإسناد وغير ذلك، وفي ما يلي نتناول مسألة الإضافة إلى العهود. ففي رواية ابن القيم الأولى أن عمر أضاف إلى ما كتبوا إليه. ألا يشتروا من سبايانا، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده.

هذه الإضافة يبدو أنها فتحت شهية الفقهاء إلى المزيد منها. وسنعطي مثلاً على ذلك، فإبن الأخوة (ت729هـ) في كتابه معالم القربة، يورد رواية ابن القيم الأولى[1] مع اختلاف بيّن في الألفاظ والتعابير والجمل، وعندما يصل إلى ما أضافه عمر على كتاب النصارى نراه يتوسّع في هذه الإضافات ليحدّد، وباسم عمر بالطبع، للنصارى ما عليهم أن يلبسوا من ثياب وألوان، بل يشمل اليهود في شروطه، وهم لا دخل لهم البتة في هذا العهد، فيلزمهم باللون الأصفر. وبكلمة، لو لم يكُن هذا الفقيه مقتنعاً في قرارة نفسه بوضع هذا العهد، لما استهان به إلى هذه الدرجة وأدخل فيه كل هذه التفاصيل والألوان ونسبها إلى عمر.

وفي ما يلي أبرز إضافات ابن الأخوّة على العهدة العمرية: «فكتب إليه أن أمضي ذلك. وألحق فيه هذا: ولا يشتروا شيئاً من سبايا المسلمين، وأن من ضرب مسلماً عمداً أو شتمه فقد خلع عهده. وكتب إليه أن اقطع ركبهم وإن تركنا يركبوا على الأكفّ وأن يركبوا من شقّ واحد. وأن

---

1 - ابن الأخوة، معالم القربة، م. ، ص 40 - 41.

يلبسوا خلاف لباس المسلمين ليعرفوا به. واللون الأصفر أولى باليهود على رؤوسهم. ويشدّون النصارى الزنانير أي خيوطاً غلاظاً فـي أوساطهم فوق الثياب»[1].

ولو شئنا التوقف عند كل ما جاء فـي متن العهد من شروط وتفاصيل لطال بنا المقام ولأحوجنا الأمر إلى مؤلّف خاص. ولكننا نكتفي بالإشارة إلى بعض ما فيه مما يفضح الوضع والتزييف.

نقد شرط الامتناع عن تعلّم القرآن

جاء فـي الرواية الأولى:«ولا نعلّم أولادنا القرآن» وفـي الثانية «ولا يعلّموا أولادهم القرآن».

لمَ هذا الشرط وهو نقيض للإسلام ومبادئه؟! فالإسلام دين دعوة وإشهار، وليس ديانة باطنية. ودعاته يتلون القرآن ويعلّمونه للناس ولاسيما للذين لا يؤمنون به، علّهم يؤمنون.

وأيّ ضير فـي تعليم صغار غير المسلمين القرآن. وهذا تحديداً ما يسعى إليه الكثير من الأنظمة والدعاة: تعليم غير المسلمين القرآن وتلاوته عليهم علّهم يسلمون.

ونرى ابن القيم مربكاً فـي شرح هذا الشرط وتبريره، يقول:«قالوا، ولا نعلّم أولادنا القرآن» صيانة للقرآن أن يحفظه مَن ليس من أهله ولا يؤمن به. بل هو كافر به، فهذا ليس أهلاً أن يحفظه»[2].

وأي ضرر فـي أن يحفظ القرآن مَن لا يؤمن به؟ ويعطي ابن القيم دليلاً على كلامه، مثلاً لا تصحّ المقايسة عليه، يقول:«وقد نهى النبي، صلعم،

---

1 – ابن الأخوّة، م. س، ص 41.

2 – ابن القيم، أحكام أهل الذمة، م. س، ج2، ص 192.

أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن تناله أيديهم، فهذا ينبغي أن يصان عن تلقينهم إياه»[1]. وابن القيم يدرك عدم جدوى شرط منع تعليم القرآن ولا حجّيته فيستدرك على شرحه وتبريره له قائلاً:«فإن طلب أحد منهم أن يسمعه منهم فإن له أن يسمعه إياه إقامة للحجة عليهم، ولعلّه أن يسلم»[2].

وواقع الأمر أن المسلمين ودعاة الإسلام لا يعملون تحديداً إلا نقيض هذا الشرط. وكيف الدعوة إلى دين لا يُعرف كتابه ولا يُقرأ؟!

لكأن واضع هذا الشرط لا يعرف الإسلام على حقيقته، أو أنه أغفل ذلك.

وما نرجّحه نحن هنا أن هذا الشرط وضع مقدّمة أو تبريراً لإجراء المتوكل في «تحريم أولاد النصارى أن يدرسوا في كتاتيب المسلمين»[3] ويذكر ابن الجوزي في المنتظم أنه في عام 240هـ/854. أي أثناء إجراءات المتوكل:«ألزم أهل الذمة بتعليم أولادهم وتأديبهم بالعبرية أو بالسريانية، وذلك لكي لا يقدروا على المحاجّة في الإسلام»[4].

عبارة زنانير تفضح الوضع

ونصل في متن عهدة عمر إلى لفظة مفتاح تفضح وضع هذه الوثيقة. إنها كلمة "زنانير" "ونشدّ الزنانير على أوساطنا".

ومعلوم أن الفيلولوجيا (علم الكلمات أو فقه اللغة وفق التعبير العربي)

---

1 – م. ن.
2 – م. ن.
3 – فييه، م. س، ص 145.
4 – نقلاً عن فييه، م. س، ص 158.

هي أنجع الطرق والوسائل لمعرفة زمن نصّ ما.

"زنانير" جمع تكسير لِ زنّار مرادف حزام أو منطق. وزنار ليست عربية بل يونانية الأصل، دخلت العربية على الأرجح عن طريق السريانية، فالأصل اليوناني لهذه الكلمة Zonarion ما يلفّ الخصر أي زنّار أو حزام. وفي السريانية زن رًا بالمعنى عينه.

ولا يعقل أن تكون هذه الكلمة اليونانية قد دخلت العربية في ذلك الزمن الباكر أي عهد عمر لا سيما وأنها ترد في العهدة في صيغة جمع التكسير. زنانير: وهي تدلّ على رواج هذا التعبير وتواتر استعماله حتى حُسب لفظة عربية أصيلة.

فلو سلّمنا جدلاً أن لفظة زنّار بالمفرد دخلت العربية في زمن مبكر، فلا يمكن أن يكون قد درج استخدامها حتى جمعت بتلك الصيغة في ذلك العصر. والكلمات الدخيلة غالباً ما تجمع جمع المؤنث السالم:

تلفيزيون: تلفزيونات، تلفون: تلفونات وهكذا.

وبالعودة إلى معاجم اللغة قديمها ومتأخرها. فإننا نجد فيها كلمة زنار بالمفرد. ولا أثر لها بصيغة جمع التكسير. ففي كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) وهو أقدم المعاجم:

زنار: ما يتزنّر به أهل الذمّة[1]. أما الزنانير: الحجارة الواحدة زنيرة وزنّارة[2] وفي لسان العرب لابن منظور (630 - 711هـ) وهو من المعاجم المتأخرة. وقد جمع أكثر ما في لغات العرب والمعاجم من ألفاظ. لا نجد أثر لِ زنانير، فهو يعطي لهذه اللفظة معانٍ عديدة: جمع حصاة، ذباب صغير

---

1 - الخليل من أحمد الفراهيدي (100 - 175هـ)، كتاب العين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 2005، ص 398.

2 - م. ن.

وأرض باليمن[1].

فإبن منظور، كما يبدو لا يعرف جمعاً لِ زنّار على زنانير. هذا مع أنه يعرف العهدة العمرية، ويشرح بعض غريب فقراتها. فيقول في مادة بعث: «وفي حديث عمر، ر، لما صالح نصارى الشام، كتبوا له: إنا لا نحدث كنيسة ولا قلية، ولا نخرج سعانين ولا باعوثاً والباعوث للنصارى كالاستسقاء للمسلمين وهو إسم سرياني»[2]. فكيف يعرف العهدة ويشرح الباعوث ويجهل "زنانير"؟!

والقاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (113 - 182هـ) تلميذ أبو حنيفة النعمان وخليفته في زعامة المذهب الحنفي يفرد في كتابه "الخراج" فصلاً لِ لباس أهل الذمة وزيّهم فيتحدّث عن "الزنارات" ويشرحها بما يلي: مثل الخيط الغليظ يعقده في وسط كل واحد منهم[3].

فأبو يوسف يجمع زنّار على زنّارات وهي صيغة الجمع المألوفة في العربية للكلمات الأعجمية. وهو يقرن لفظة زنارات بشرح لها، ما يدلّ على أن لفظة زنّار لم تكُن كثيرة التداول في زمنه.

فإذا كان أبو يوسف والفراهيدي وحتى ابن منظور كلّهم لا يعرفون "زنانير" جمعاً لِزنّار، فهل يمكن أن تكون معروفة وشائعة في زمن عمر بن الخطّاب الباكر؟!

ولِمَ يلجأ الخليفة عمر إلى استخدام مفردة أعجمية وفي العربية مرادف بل وأكثر (حزام، منطق) يؤدّي المعنى عينه؟!

---

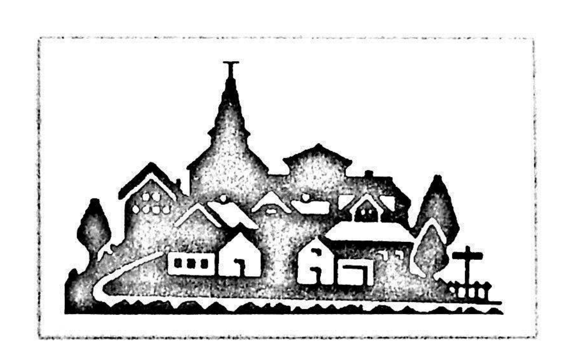
1 - ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، تحقيق يوسف البقاعي، بيروت، مؤسسة العلمي، ط1، 2005، ص 1698.

2 - ابن منظور، م. ن، ص 316.

3 - أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت182هـ)،الخراج، تقديم الفضل شلق، بيروت، دار الحداثة، ط1، 1990، ص 256.

إن لفظة زنّار لم تدخل العربيّة إلاّ بعد أن صارت اسم علم لِ حزام. وبعد أن صار الحزام علامة مميّزة لأهل الذمّة على المسلمين. وقد حصل كل ذلك بعد زمن عمر بعقود.

وفي المحصّلة نقول إن لفظة "زنانير" تفضح الوضع والتزييف في العهدة العمرية، وتؤكّد أن هذه الأخيرة لا يمكن أن تكون قد كتبت في زمن عمر، ولا حتى في زمن أبي يوسف (نهاية القرن الثاني ه). وسنبحث في الزمن المرجّح لوضع هذه الوثيقة في الفصل التالي.

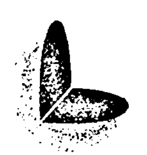
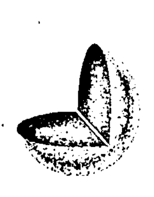





الباب الرابع

الفصل السادس

زمن العهدة المرجّح

مواضيع فصل 6"/باب 4":

-العهدة تناقض سائر العهود المماثلة

-زمن العهدة العمرية

-كتاب الخراج مفتاح زمن العهدة

-دلائل وضع وثيقة أبي يوسف

-ما الذي يُلجئ الفقيه إلى الوضع؟!

-تضييق مؤقت في عهد المعتصم

العهدة تناقض سائر العهود المماثلة

ومن الدلائل على انتحال هذه الوثيقة أنها لا تشبه سائر العهود التي أمضاها المسلمون في بلاد الشام. وقد أشار إلى ذلك أكثر من باحث من بينهم المستشرق تريتون السابق الذكر[1].

لا بل إنها تناقض سائر العهود. وتتنافى مع ما عرف عن عمر بن الخطاب من عدل وسماح جعله محطّ إعجاب النصارى ومحبّتهم حتى لقّبوه "الفاروق" أي المخلّص بالسريانية. وهو لم ينسَ هؤلاء حتى في وصيته وهو على فراش الموت، فقال[2] أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة، خيراً، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وأن لا يكلّفوا فوق طاقتهم[3].

ولإيضاح ما في العهدة من تضارب مع سائر عهود المسلمين سنورد هنا وثيقتين الأولى معاهدة عمر بن الخطاب نفسه مع أهل القدس، والثانية معاهدة خالد بن الوليد مع أهل دمشق.

أورد الطبري، (ت310):

1- www.metransparent.com

2 – يحي بن آدم القرشي (ت203 هـ)، كتاب الخراج، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الحداثة، ط1، 1996، ص 464.

3 – أخرجه ابن آدم القرشي م. س، عن إسماعيل عن الحسن يحيى عن أبي بكر بن عيّاش عن حصينين عبد الرحمن عن عمرون بن ميمون عن عمر بن الخطاب.

صالح عمر أهل أيليا[1] بالجابية، وكتب لهم فيها الصلح، لكل كورة كتاباً واحداً، ما خلا أهل أيليا. وأما سائر كتبهم فعلى كتاب لُدّ على ما سيأتي بعد هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملّتها. إنه لا تُسكَن كنائسهم ولا تهدَم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرَهون على دينهم ولا يضارّ أحد منهم، ولا يسكن بأيليا معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل أيليا أن يعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن. وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللُّصوتَ. فمن خرج منهم فإنه آمنٌ على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومَن أقام منهم فهو آمنٌ. وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجِزية. ومَن أحبَّ من أهل أيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم، وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمَن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل أيليا من الجِزية، ومن شاء سار مع الروم ومَن شاء رجع إلى أهله. فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

---

1 – أيليا: أطلق الأمبراطور الروماني هدريانس عام 135 على أورشليم اسم أياليا كابيتولينا. أياليا على اسم القائد الروماني أيليوس Aelius وكابيتولينا نسبة إلى الكابيتول. أحد رؤوس روما وبقيت تعرف بهذا الاسم أياليا إلى ما بعد الغزو العربي. لذا نجد اسمها في المصادر العربية أيليا وهو تعريب للاسم الروماني أياليا. أما هدف الأمبراطور هدريانس من تغيير الاسم فكان محو الهوية اليهودية للمدينة لا سيما بعد ثورة ابن الكوكب 135م التي انتهت بهزيمة اليهود وانتحار جماعي لهم في حصن مصعدة Massada، حيث فضّل 500 ثائر يهودي الموت على الوقوع في أيدي الرومان.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذِمّة رسوله، وذمة الخلافاء وذِمّة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبدالرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة.

ونقل البلاذري أحمد بن يحيى (ت 279 هـ) في فتوح البلدان معاهدة خالد بن الوليد مع أهل دمشق، كما نقلها أبو عبيد القاسم بن سلاّم (ت224) في كتاب الأموال، وقدامة بن جعفر (ت328) في الخراج وصناعة الكتاب مع فروقات بسيطة في الألفاظ.

ونورد هنا نصّ ابن سلاّم:

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذاكتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق:

إني قد أمّنتهم على دمائهم وأموالهم وكنائسهم. وسور مدينتهم لا يهدم. ولا يُسكن شيء من دورهم. لهم بذلك عهد الله وذِمّة رسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمؤمنين. لا يُعْرَض لهم إلاّ بخير إذا أعطوا الجزية.

شهد أبو عبيدة بن الجراح، وشُرَحْبيل بن حَسَنَة، وقُضاعيّ ابن عامر، وكتب سنة ثلاث عشرة.

ونلاحظ هنا أن أبا عبيدة بن الجرّاح كان من شهود هذه الوثيقة وموقعيها. وهو أمر سنعود إليه في المقطع التالي.

زمن العهدة العمرية

متى ظهرت هذه الشروط إذاً، بعد أن تأكّد لنا في الفصل السابق استحالة نسبتها إلى الخليفة عمر بن الخطّاب؟

قبل أن نقدّم إجابتنا عن هذا السؤال/الإشكالية نعرض لآراء بعض

الباحثين في هذا الموضوع.

يلاحظ المستشرق تريتّون أن لا وجود لتطبيق هذا العهد في حياة عمر. ويستنتج أن العهد المذكور تمّ انتحاله في المدارس الفقهية بعد سنوات طويلة من موت عمر[1].

ويميل هذا المستشرق إلى إرجاع نصوص هذا العهد إلى زمن الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز(99 - 102هـ/717 - 720م)، يقول:«ليس من شكّ في أن حكم عمر بن عبدالعزيز في نهاية القرن الأوّل الهجري، كان بداية سلسلة من المتاعب التي المّت بالذميين، ففرضت القيود الخاصة على ملابسهم، وبدأت حركة فصلهم من الوظائف الحكومية، وإقصائهم عنها»[2].

ونسبة الشروط العمرية إلى عمر الثاني (عمر بن عبدالعزيز) رأي كرّره العديد من الباحثين. ولا نرى نحن في حدود بحثنا صحة هذه النسبة. ومن الدلائل على ذلك أن المصادر القديمة مثل تاريخ الطبري (ت310هـ) وفتوح البلدان للبلاذري (ت279هـ) لا نجد فيها أي ذكر لأزياء خاصّة للذميين، ولا لإجراءات من هذا النوع في عهد عمر الثاني. ويؤكّد الشيخ صبحي الصالح الذي درس الشروط العمرية ونشر شروحاً لها أن عهد عمر بن الخطاب برمّته ظلّ مجهولاً خلال القرن االأول هـ، ولم يبدأ ظهوره إلاّ في أواخر الثاني»[3].

1- www.metransparent.com

2 - ترتّن، أرثرستانلي (1881 - 1973)، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1967، ص 277.

3 - الصالح، م. س، ص م.

كتاب الخراج مفتاح زمن العهدة

أما نحن فنعتقد أن مفتاح معرفة زمن هذه العهدة هو كتاب الخراج لأبي يوسف (ت182هـ). فقد أورد هذا الفقيه الحنفي كل ما بحوزته من وثائق وعهود تختصّ بأهل الذمّة، ولكنه لم يأتِ على ذكر عهدة عمر، مما يعني أنها لم تكُن معروفة في أيامه. ولكننا نجد في كتاب الخراج المذكور النواة الأولى، ربما، للعهدة العمرية. فخلافاً لما أورد ابن سلاّم في الأموال (ت224) والبلاذري في فتوح البلدان وقدامة بن جعفر في الخراج وصناعة الكتابة من وثيقة لخالد بن الوليد في مصالحة أهل الشام، ينفرد أبو يوسف بإيراد وثيقة منسوبة لأبي عبيدة بن الجرّاح في صلح أهل الشام.

جاء في الخراج:

قال أبو يوسف: حدثني بعض أهل العلم عن مكحول الشامي.

إن أبا عُبَيدة بن الجرّاح صالحَهم بالشأم واشترطَ عليهم حين دخلها: على أن تُترك كنائسهم وبيعهم، على أن لا يُحدِثوا بناء بيعة ولا كنيسة. على أنّ عليهم إرشاد الضالّ وبناء القناطر على الأنهار من أموالهم، وأن يُضيفوا مَن مَرَّ بهم من المسلمين ثلاثة أيام، وعلى أن لا يَشتموا مسلماً ولا يَضربوه، ولا يَرفعوا في نادي أهل الإسلام صليباً، ولا يُخرجوا خنزيراً من منازلهم إلى أفنية المسلمين، وأن يُوقدوا النيران للغزاة في سبيل الله، ولا يدلُّوا للمسلمين على عورة، ولا يضربوا نواقيسهم قبل أذان المسلمين ولا في أوقات صلاتهم – (وفي رواية: أوقات أذانهم)_ ولا يُخرجوا الرايات في أيام عيدهم، ولا يلسبوا السلاح يوم عيدهم، ولا يتخذوه في بيوتهم. فإن

فعلوا من ذلك شيئاً عوقبوا وأُخذ منهم»[1].

دلائل وضع وثيقة أبي يوسف

في هذه الوثيقة عناصر عديدة مما في العهدة العمرية، ولعلّها النواة الأولى لها. أما الحكم بوضعها فأمر مؤكّد. وذلك لأسباب عديدة:

فمن ناحية السند ينسب أبو يوسف الوثيقة إلى بعض أهل العلم، وهي نسبة رواية ابن القيم الأولى للعهدة العمرية عينها. إنها سند منقطع وضعيف. وفي هذا السند الضعيف ما يجعلنا نظنّ أن واضع هذه الوثيقة هو أبو يوسف نفسه، فطالما أن بعض أهل العلم حدّثه مباشرة بذلك: قال أبو يوسف حدثني بعض أهل العلم، فلمَ لمْ يسمّه؟!.

والوثيقة هذه تنقض في مضمونها وفي مصدرها عهد خالد بن الوليد لأهل دمشق. فهل يُعقل أن يُعطى هؤلاء وفي الوقت عينه عهدين ومتناقضين؟!.

ويتأكد لنا الوضع في وثيقة أبي يوسف بالأخصّ لأن أبا عبيدة الجرّاح نفسه المنسوبة إليه شاهد وموقّع على معاهدة خالد بن الوليد كما سبق وذكرنا.

ويروي قدامة بن جعفر كيف اعترض بعض المسلمين على صلح خالد في حين أسكتهم ابو عبيدة وأمضى الوثيقة وكتب بها إلى الخليفة عمر بن الخطاب فأنفدها يقول قدامة:«فقال بعض المسلمين: والله ما خالد بأمير فكيف يجوز صلحه. فقال أبو عبيدة، إنه يجيز على المسلمين أدناهم. وأجاز صلح خالد وأمضاه. ولم يلتفت إلى ما فتح عنوة، فصارت دمشق كلها صلحاً، كتب بذلك إلى عمر فأنفذه وفتحت أبواب المدينة،

1 - أبو يوسف، م. س، ص 270 - 271.

فالتقى القوم جميعاً»[1].

لهذه الأسباب وغيرها يتبيّن لنا أن وثيقة أبي يوسف المنسوبة إلى أبي عبيدة موضوعة من دون شك.

ما الذي يُلجئ الفقيه إلى الوضع؟!

كان الفقهاء ذراع الحاكم. وأبو يوسف كتب الخراج تلبية لطلب الخليفة العباسي هارون الرشيد (170 - 193هـ/786 - 809 م). يقول في فاتحة كتابه: «إن أمير المؤمنين (هارون الرشيد) أيده الله تعالى سألني أن أضع له كتاباً جامعاً يعمل به جباية الخراج»[2].

وفي كتابه هذا إضافة إلى الوثيقة المذكورة ينسب أبو يوسف إلى عمر بن الخطاب أنه: «أمر عمّاله أن يأخذوا أهل الذمة بهذا الزيّ [الزنّارات والقلانس الطوال] وقال: حتى يعرف زيّهم من زيّ المسلمين»[3].

وكتاب أبي يوسف هذا يتزامن، أو يسبق إجراءات لهارون الرشيد في أهل الذمة لعلّها كانت الأولى من نوعها وشدّتها «في رمضان 191هـ/نيسان 807 أصدر الرشيد أوامره من الرقة بهدم الكنائس بالثغور، وأخذ أهل الذمة حتى ببغداد بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم»[4]. ويروي أخبار البطاركة/المجدل المنسوب لماري (فصل 43) هذا الحدث وكيف عمل طبيب الخليفة المسيحي جبرائيل بن بختيشوع

---

1 - قدامة بن جعفر (ت 328)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، بغداد، وزارة الثقافة، ط1، 1981 ص 292.

2 - أبو يوسف، م. س، ص 96.

3 - م. ن، ص 256 - 257.

4 - فييه، م. س، ص 94. نقلاً عن الكامل في التاريخ لابن الأثير وتاريخ الطبري.

على إبطال هذا الإجراء.

ويذكر ابن القيم في شأن هذا الحدث «أفتاه [الرشيد] بذلك علماء الإسلام»[1].

ما يعني أن الخليفة كان يستفتي الفقهاء في إجراءاته، فيفتونه بما يبرّر هذه الإجراءات، أو أنه يأخذ من فتاويهم ما يعجبه وما يسوّغ له القيام بما يحلو له. ومن المرجّح أن يكون كتاب أبي يوسف وما فيه من وثائق مندرجاً في إطار هذه الفتاوى، وأن بعضه جاء إما مقدمة، أو تبريراً، لإجراءات الرشيد.

ولا بدّ أن نلحظ هنا أن الفقيه كان في خدمة الخليفة، في حين أن هذا الأخير، وهو مطلق الصلاحيات، فغير مقيّد بفتاوى الفقيه. ومثال على ذلك أن تدخّل طبيب هارون الرشيد كان كافياً لوحده[2] لإبطال إجراءات الخليفة وما سبقها أو واكبها من فتاوى العلماء.

وجدلية العلاقة هذه بين الخليفة والفقهاء سنراها تتكرّر مع العديد من خلفاء بني العباس.

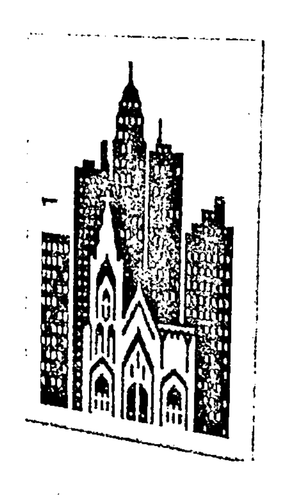
تضييق مؤقت في عهد المعتصم

وفي أيام المعتصم أزمة جديدة، ولكن مؤقتة، كسابقتها في أيام الرشيد. يروي المؤرّخ ميخائيل السرياني أن أحد أبناء الخليفة المعتصم (218 - 227هـ/833 - 842) المكنّى بأبي داود سعى عام 223هـ/838 «إلى استصدار أمر من أبيه يحظّر على النصارى أن يظهروا

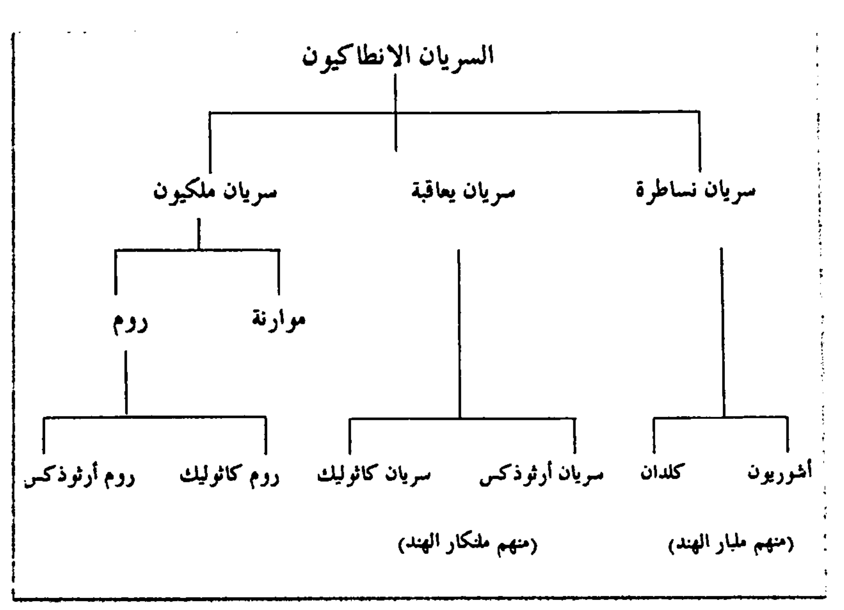
1 - ابن القيم، م، س، ط1، ص 170.
2 - راجع ماري بن سليمان وعمرو بن متى، المجدل، أخبار البطاركة، دار ومكتبة بيبليون، ط2، فصل 43.

الصلبان خارج الكنائس وأن يقرعوا النواقيس، وأن يجهروا بالصوت في الصلاة أو في الجنائز بالسبل، وأن يظهروا الخمر بأية مدينة أو على الطرق. فصار الناس منذئذ طعمة للعمّال الذين كانوا يتشدّدون أو يترفقون في تنفيذ هذا الأمر حسبما يشاؤون أو بقدر ما يأخذون»[1].

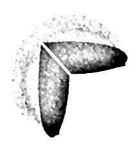
ولكن إجراءات الرشيد والمعتصم كانت مؤقتة وآنية. وقد واكبها الفقهاء كما رأينا بما يلزم من فتاوى ووضع عهود. أما الأزمة الكبرى والأشدّ فكانت على عهد المتوكل. وأزمات عهود الرشيد والمعتصم لم تكُن سوى مقدمة لها.



1 - نقلاً عن فييه، م. س، ص 128.



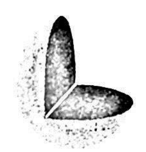
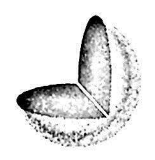
مخطط فروع الكنائس السريانية




الباب الرابع

الفصل السابع

المتوكّل ووضع الشروط العمرية

مواضيع فصل 7"/باب 4":

-عهدة عمر سبب لإجراءات المتوكل أم ذريعة لها؟

-مؤشرات الوضع في عهدة عمر

عهدة عمر سبب لإجراءات المتوكل أم ذريعة لها؟

ما حدث للنصارى وأهل الذمة عامّة في عهد المتوكل سبق أن عرضناه نقلاً عن الطبري ومسكويه وابن العبري. فلا ضرورة لتكرار الحديث عنه. وهو ما دفعنا إلى الكلام المستفيض على الشروط العمرية. والعلاقة بين هذه الشروط والأحداث لا يختلف فيها إثنان. ولكن الخلاف يكمن في هل كانت الشروط سبباً لأحداث التضييق على النصارى أم مجرّد ذريعة ومبرّر لها؟!

لا نجد عند قدامى المؤرّخين أمثال الطبري ومسكويه ربطاً بين أحداث عهد المتوكّل والعهدة العمرية. بل يمكننا أن نجزم حتى أن هؤلاء المؤرخين لا يعرفون شيئاً عمّا سمّي الشروط العمرية.

أما المتأخرون، فجلّهم يربط بين العهدة والأحداث. لنستمع إلى ما يقوله ابن القيم في شرحه للشروط العمرية وكيف يربط بينها وبين أحداث عهد المتوكّل يقول:«كذلك المتوكّل لما ألزم أهل الكتاب شروط عمر استفتى علماء وقته في هدم الكنائس والبيع، فأجابوه، فبعث بأجوبتهم إلى الإمام أحمد، فأجابه بهدم كنائس سواد العراق، وذكر الآثار عن الصحابة والتابعين»[1].

يقول الجوزية إن إجراءات المتوكّل كانت مجرّد إلزام للنصارى بالعهدة العمرية، وهو كلام سيكرّره من بعده الكثيرون. وهذا الربط بين الشروط والإجراءات واستفتاء العلماء لا سيما ابن حنبل يوحي بعلاقة

---

1 - ابن القيم، أحكام، م. س، ج2، ص 128.

ما بي الإجراءات ومحورالخلافة (المتوكل) الفقهاء (لا سيما الحنابلة).

وأين يمكن للعهدة أن توضع إلاّ في المدارس الفقهية. وهذا ما سبق ورأيناه عند المستشرق ترتن:«إن هذا العهد تم انتحاله في المدارس الفقهية بعد سنوات طويلة من موت عمر»[1].

مؤشرات الوضع في عهدة عمر

ويذهب المستشرق جان فييه إلى حدّ القول إن الشروط وضعت في عصر المتوكّل وبإيحاء منه، فيكتب:«نحن نعلم أن النقد التاريخي الذي أبطل نسبة القيود المفروضة على النصارى إلى الخليفة العظيم عمر بن الخطاب، لينسبها إلى عمر بن عبدالعزيز، قد خطا الآن خطوة ثانية وصار يعدُّ الشروط وثيقة مزيّفة ترقى إلى القرن الرابع للهجرة (...) أليس من الممكن أن يكون النصّ قد خرج من بعض أروقة عصر المتوكل، إن لم نقل بإيعاز منه»[2].

وفي الواقع ثمّة مؤشرات عديدة تدلّ (أو على الأقل توحي) على أن العهدة قد وضعت في زمن المتوكل، ومنها:

1 - ما ذكرناه لابن القيم،

2 – قول القلقشندي الذي أوردناه في الفصل 1/ب «وأوّل مَن كتب في ذلك في خلافة المتوكل» ويتبع القلقشندي، كما ذكرنا في ذلك الموضع، قوله بسرد الشروط التي فرضها المتوكل وهي الشروط العمرية عينها.

3 – يبدو أنه كان من عادة المتوكّل استكتاب المؤلفين في عصره

---

1 – ترتّن، أهل الذمة، م. س.

2 – فييه، أحوال النصارى، م. س، ص 141.

للردّ على النصارى، فالجاحظ (ت 255هـ) الذي يعتبره شارل بللا أحد كبار دارسيه: «المستشار غير الرسمي للمتوكل، المكلّف بإعلان القرارات الحكومية ونشرها، وتعميم الأفكار الدينية المستحسنة في فترة مخصوصة»[1] أوصى إليه المتوكل، بواسطة حظيّه التركي ووزيره الفتح بن خاقان، تأليف الردّ على النصارى، للحطّ من قيمة المسيحيين في أعين المسلمين المعجبين بعلمهم والمتأثرين بثرواتهم»[2].

4 – ولم يكتفِ المتوكّل بتكليف الجاحظ كتابة الردّ على النصارى، بل أراد مصنّفاً سجالياً أرصن وأبقى فكلّف ابن ربّن الطبري (ت نحو 247 هـ)[3] وهو طبيب نصراني أسلم على يده بالردّ على النصارى واليهود. فألّف هذا الطبيب "الدين والدولة في إثبات نبوّة محمد" وهو في خاتمة كتابه يذكر تكليف المتوكّل له بتأليفه، فيقول: «ولله الشكر – على ما هداني، ثم لعبده وخليفته جعفر المتوكل على الله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، على ما ندبني له، واجترني وغير مَن أهل الذمة إليه ترغيباً منه وترهيباً»[4]. كما يذكر في المقدمة تشجيع المتوكل له ومتابعته مراحل التأليف واهتمامه بنشر كتاب من هذا الصنف بين الناس تعزيزاً للإسلام يقول: «ثم حللت بتوفيق الله وعونه، وببركة خليفته جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وبما اهتديت به

---

1 – فييه، م. س، ص 146.

2 – فييه، الكنيسة السريانية الشرقية، م. س، ص 22.

3 – تناولنا هذا الكاتب بالدراسة في تحقيقنا لمبحث له هو "مقالة في جوامع كتب الهند" في كتابنا "الأيورڤيدا والطب العربي دراسة في الطب الهندي وأثره في أرض الإسلام، جبيل/لبنان، دار ومكتبة بيبليون، ط1، 2006، الباب الثاني.

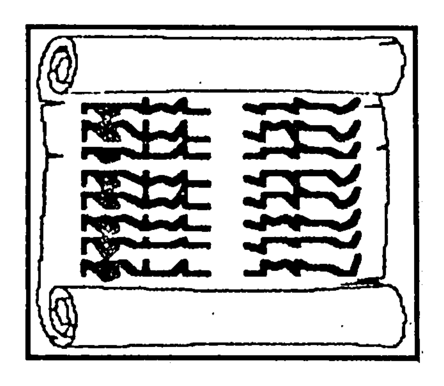
4 – ابن ربّن الطبري، علي، الدين والدولة في إثبات نبوّة محمد، صلعم، تحقيق عادل نويهض، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط4، 1982، ص 210.

واستفدت عنه وسمعت من ألفاظه، ولما هو مغرم كَلِفٌ به من بث مثل هذا الكتاب وتخليده إعزازاً لأسباب الدين»[1].

فالمتوكل يستفتي ابن حنبل، ويستكتب الجاحظ، وينتدب ابن ربّن الطبري للردّ على النصارى واليهود. وهو أوّل مَن يكتب المناشير ليحدّد لأهل الذمّة لباسهم وكيفية وضع الزنانير ومعاملة عبيدهم الخ.

فهل يصعب على مَن أوعز بتصنيف هذه الكتب الإيحاء بوضع العهدة العمرية وأمثالها؟! ويزداد شكّنا وظننا هذا إذا تذكرنا أن أقدم الروايات للعهدة تعود إلى زمن المتوكل، وهي كما سبق وأشرنا من زوائد عبدالله ابن الإمام ابن حنبل على مسند أبيه.

فهل خرجت الشروط العمرية في نصّها الأوّل من دوائر المدرسة الحنبلية في عهد الخليفة المتوكل؟! لسنا نستبعد هذا الاحتمال، وإن كنا في حدود بحثنا لا نستطيع تأكيده.



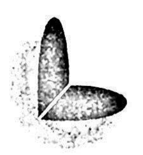
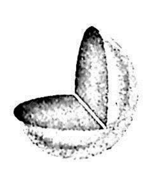
1 - ابن ربّن الطبري، م. س، ص 35 - 36.




الباب الرابع

الفصل الثامن

أثر عهدة عمر على أوضاع النصارى وردّة فعلهم

مواضيع فصل 8"/باب 4":

-العهدة أساس لمعاملة الذميين

-العهدة سبب تحوّل الأكثريات المسيحية إلى إسلامية

-مواجهة النصارى للعهدة العمرية

1 – التظاهر بالإسلام

2 – العهود المضادة للشروط العمرية

دلائل وضع العهدة المضادة

العهدة أساس لمعاملة الذميين

الشروط العمرية وثيقة منحولة نسبت إلى عمر بن الخطاب لكسب مرجعية كبرى وتبرير إجراءات تعسفيّة، تلك حقيقة مؤكّدة. لكن زيف هذه الشروط المكتشف حديثاً لم يؤثر في فاعلية تطبيقها في العصور الإسلامية المتتالية.

أكانت هذه الوثيقة موضوعة في عهد المتوكل أم لا؟ فمن المرجّح بل شبه المؤكد أنه أوّل مَن عمل على وضعها موضع التطبيق. ومنذ زمنه وحتى العصر الحديث بقيت حجّة ومستنداً في تعامل المسلمين، ولا سيما حكّامهم، مع المسيحيين في مختلف الدول الإسلامية. يقول المستشرق فييه:«كان هذا النص أصلاً لكل الإجراءات اللاحقة ضدّ النصارى»[1] ومناشير الحكّام اللاحقة كانت غالباً ما تستند إلى الشروط العمرية.

جاء مثلاً في بداية منشور الملك صالح ابن الملك الناصر (الدولة الأيوبية) سنة 755هـ «مرسوم شريف بأن يعتمد جميع طوائف اليهود والنصارى والسامرة بالديار المصرية والبلاد الشامية المحروسة وأعمالها حكم عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لِمَن مضى من أهل ملّتهم»[2].

أصل هذه الوثيقة موضع شبهات وظنون. أما أثرها ونتائجها فواضحة مؤكّدة لا شبهة فيها.

واللافت أن الشروط العمرية وإن كانت تختصّ بالنصارى، فقد جاء تطبيقها يشمل أهل الذمة بمختلف فئاتهم من نصارى ويهود وسامريين

---

1 – فييه، أحوال النصارى، م. س، ص 141.
2 – القلقشندي، صبح الأعشى، م. س، ج 13، ص 379.

وغيرهم، رغم أن الفئتين الأخيرتين لا دخل لهما أساساً بما نسب إلى عمر. ومرسوم الملك صالح مثل على ذلك.

الشروط سبب تحوّل الأكثريات المسيحية إلى إسلامية

يقول باحث معاصر «الشروط العمرية هي مجموعة الشروط والأحكام التي بنيت عليها مظالم النصارى مدّة أربعة عشر قرناً. وهي التي شتّتت شملهم في الشرق والغرب، وأخلت بيعهم ودياراتهم. واستنزفت أموالهم ودماءهم وأباحت حرماتهم العامة والخاصة»[1].

ويقول آخر «لا بدّ لمن شاء درس تاريخ المسيحية في الإسلام من البحث في الشروط العمرية. فأوّل أسباب اندثار النصرانية هي هذه الشروط التي جرّت على المسيحيين في كل حين أصناف المحن والشدائد. وأرغمت الكثيرين منهم على الخروج من دين آبائهم وانتحال الإسلام صيانة لدمائهم وأموالهم وأعراضهم. وهرباً من الذلّ والصغار. فأقفرت الديار والأديار، وعادت الكنائس مساجد والبيع معابد والصوامع جوامع»[2].

لا شكّ أنه كان لتطبيق الشروط العمرية دور أساسي في تحوّل الكثير من النصارى إلى الإسلام كما يقول هذا الكاتب. فمن الثابت تاريخياً أنه مع كل موجة اضطهاد طالت أهل الذمة كانت أعداد غفيرة منهم تشهر إسلامها. والنتيجة أن أقطاراً كبرى مثل مصر وسوريا والعراق كانت بأكثرية سكّانها المطلقة عند الغزو العربي مسيحية، قد تحوّل المسيحيون فيها إلى مجرّد أقلّيات. فهذه الأكثرية الإسلامية اليوم ليست سوى نتيجة تحوّل مستمرّ وعبر القرون من المسيحية إلى الإسلام. وسنتناول

1- www.amcoptic.com
2- Ibid.

في الفقرة التالية كيف واجه النصارى حملات تطبيق الشروط العمرية عبر إظهار الإسلام وغير ذلك.

واعتبر بعض الباحثين أن الشروط العمرية كانت من أبرز أسباب الحروب الصليبية، إذ حملت مسيحيي الغرب على التجنّد لنصرة إخوتهم المضطهدين في الشرق.

تلك كانت بعض آثار الشروط العمرية على أوضاع أهل الذمة في الدول الإسلامية المتعدّدة والمتوالية. ونحن نوافق القائل إن تاريخ المسيحيين في أرض الإسلام لا يمكن أن يفهم حق الفهم إذا أغفلت هذه الشروط ولم تدرس.

مواجهة النصارى للعهدة العمرية

ولكن كيف واجه هؤلاء هذه العهدة وما نتج عنها من اضطهاد وعسف؟! سنقتصر في عرضنا لردّات الفعل النصرانية على إثنتين:

1 – التظاهر بالإسلام

سبق وذكرنا أن حملات الضغط وتطبيق العهدة كانت سبباً لموجات من إشهار الإسلام والدخول في الدين المحمّدي. وغني عن القول إن هذه الظاهرة لم تكن بدافع القناعة والإيمان بقدر ما كانت تنتج عن الرغبة في الاحتماء وصون النفوس والأموال.

وإذا كان بعض النصارى قد اعتنق الإسلام إتقاءً للذلّ والهوان، فإن البعض الآخر وجد مخرجاً ثانياً وهو التظاهر بالإسلام. وهذه مسألة تستحقّ أن تدرس على حدة. كان النصارى يظهرون الإسلام عند اشتداد الأزمات، ومع هدوء الحال يحاولون الارتداد إلى النصرانية. وليس الأمر

بهذه البساطة بالطبع، فحدّ الردّة، وهو القتل، كان سيفاً مسلّطاً على هؤلاء.

كيف حاولوا إذاً التخلّص من مأزق خطير كهذا؟!

من المتعارف عليه أن النطق بالشهادتين كافٍ لإشهار الإسلام. وهذا ما كان يقوم به هؤلاء النصارى مظهرو الإسلام. ولكنهم كانوا عند رغبتهم بالعودة إلى دين آبائهم يزعمون أن شهادتهم هذه ليست اعتناقاً للإسلام وإنما اعتراف بمحمد رسولاً للأميين. وقد تنبّه بعض فقهاء المسلمين، ولا سيما الحنفيين منهم، إلى هذا التحايل، وفي زمن مبكر على ما يبدو، فأكثروا من وضع الضوابط لعملية إشهار الإسلام تحاشياً لأيّة ردّة محتملة، وأجبروا الراغبين في إشهار الإسلام على اعتماد سلوك جليّ والنطق بشهادة واضحة لا تحتمل أي التباس. ولنا من الفقيه الحنفي محمد الشيباني (ت190 هـ/805) تلميذ أبي يوسف السابق الذكر شهادة بيّنة في هذه المسألة . يقول:«فأما اليوم ببلاد العراق فإن اليهود والنصارى يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكنهم يزعمون أنه رسول إلى العرب لا إلى بني إسرائيل. ويتمسّكون بظاهر قوله تعالى: "هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم"»[1].

لذا لم يكتفِ الشيباني بالشهادتين إشهاراً للإسلام بل كان يفرض على الراغب بالدخول في الإسلام أن يتبرّأ من دينه الأوّل أولاً والجهر بالدخول في الإسلام ثانياً. ومن دون ذلك لا يحكم بإسلامه. يضيف الشيباني:«فمن يقرّ منهم بأن محمداً رسول الله لا يكون مسلماً حتى يتبرّأ من دينه مع ذلك، أو يقرّ بأنه دخل في الإسلام. حتى إذا قال اليهودي أو النصراني: أنا مسلم أو أسلمت لم يحكم بإسلامه. لأنهم لا يدعون ذلك.

1 – السرخسي، محمد بن أحمد، في شرح السير الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ، 1957، ص 151.

فإن المسلم هو المستسلم للحقّ المنقاد له: وهم يزعمون أن الحق ما هم عليه. فلا يكون مطلق هذا اللفظ في حقهم دليل الإسلام حتى يتبرّأ من دينه. كذلك لو قال: برئت من اليهودية، ولم يقل مع ذلك: دخلت في الإسلام، فإنه لايحكم بإسلامه، لأنه يحتمل أن يكون تبرّأ من اليهودية ودخل في النصرانية. فإن قال مع ذلك: ودخلت في الإسلام فحينئذ يزول هذا الاحتمال»[1].

كان هدف الفقهاء قطع كل طرق التحايل على الراغبين في الدخول في الإسلام. ما يدلّ على تنامي هذه الظاهرة. والشيباني في كلامه يؤكّد ذلك، فنصارى العراق ويهوده، كما زعم كانوا يقرّون برسالة محمد وينطقون بالشهادتين من دون أن يعني ذلك اعتناقهم لهذا الدين.

وقد وضع الفقهاء شهادة واضحة ومفصّلة للراغبين في الدخول في الإسلام، تزيل كل شك والتباس. وحفظ لنا شهاب الدين النويري (677 - 723هـ/1278 - 1323) نصّ إحدى صيغ هذه الشهادة، إذ تضمّنت:«الشهادتين المعظّمتين، وهما شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون،وأن عيسى عبدالله ونبيّه ومريم أمة الله، وأن محمداً، صلعم، خاتم النبيين وأفضل المرسلين وأن شريعته أفضل الشرائع وملّته أفضل الملل، وأن ما جاء به عن الله حق ويقول: أنا برئت من كل دين يخالف دين الإسلام. ثم تسجّل شهادته عند القاضي ويشهد عليه شاهدان»[2].

---

1 - م. ن، ص 151 - 152.
2 - النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت723 هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، 1923، ط9، ص 145.

حالات ارتداد عن الإسلام

وتتحدّث المصادر التاريخية عن حالات ارتداد عن الإسلام وإحصاؤها ودراستها يحتاجان دراسة مستقلة. ومنها قصّة غنّام المرتدّ الذي أحرق عام 225 هـ على ما يذكر الطبري[1]. وقد كتب الجاحظ عنه رسالة إنكار بصيرة غنام المرتد وذكرها في كتاب الحيوان[2].

ومما ذكر في هذا الصدد «أن رجلاً من المسلمين راح يطارد المرتدّين عن الإسلام (الذين عادوا إلى النصرانية)، ببلده سرج، فقبض على نفر منهم فتحمّلوا التعذيب بشجاعة. بيد أن امرأة من قرية بشمان قاومت وأقنعت قاضي الرقة فطلب هذا الرجل وقبض عليه، وضربه وألقاه في السجن... فكان بذلك خلاص النصارى»[3].

2 - العهود المضادة للشروط العمرية

مثلما وضعت عهدة عمر للتضييق على النصارى، وضع هؤلاء وثائق مضادّة للردّ عليها ونقض ما جاء في شروطها. وقد حفظ لنا التاريخ السعردي[4] عدداً من هذه الوثائق الموضوعة.

---

1 - تاريخ الطبري، م. س، ص 1871.

2 - الجاحظ، عثمان بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1965، ج1، ص 9.

3 - فييه، م. س، ص 128 - 129.

4 - عرّفنا بهذا المصدر التاريخي في كتابنا دراسة للأثر اليهودي في الحديث النبوي، جبيل ، دار ومكتبة بيبليون، ط2، 2011، ص 134.
لا نعرف بالتحديد كاتب هذا التاريخ، وهو أحد أبرز مصادر أخبار البطاركة/المجدل وأخبار البطاركة لصليبا بن يوحنا الذي ننشره في هذا الكتاب. يرجّح أنه كتب بعد عام 1036م/424هـ. نشر المطران إدي شير هذا التاريخ في سلسلة الباترولوجيا الشرقية Patrologia Orientalis. المؤلف نسطوري. والكتاب مصدر مهمّ في دراسة آداب النصارى المشرقيين وتاريخهم.

وجاء عن الأولى أنها نسخة عهد من الرسول محمد، صلعم، لأهل نجران وللنصارى كافة وجده حبيب الراهب سنة 265 هـ. وكان يعمل في بيت الحكمة ويتولّى حفظ ما فيه من وثائق قبل أن يترهب. والوثيقة في جلد ثور قد اصفرّ، ومختومة بختم الرسول، صلعم[1] ومما جاء في هذا العهد «ليس لأحد من الولاة، ولا لذي شيعة من السلطان وغيره نقضه ولا تعدّيه إلى غيره، ولا حمل مؤونة من المسلمين سوى الشروط المشروطة في هذا الكتاب»[2].

وجاء في العهد أن لا يغيّر أسقف عن أسقفيته ولا يهدم بيت من بيوت بيعهم، وأن يعفى الرهبان وسائر رجال الدين النصارى من الجزية وأن تحدّد الجزية على أربعة دراهم في كل سنة على الرأس و 12 درهم على التجّار ويضاف إليها الخراج على الأرض. وأن لا يجبر أحد من النصارى في حال الحرب على القتال أو التجسّس على العدو أو تجهيز الجيش.

وأن لا يُكره أحد منهم على الإسلام، ولا ترغم نساؤهم على الزواج من المسلمين.

وتسمّي الوثيقة أبرز الصحابة من خلفاء الرسول والمقرّبين إليه شهوداً.

دلائل وضع العهدة المضادة

والدلائل على وضعها عديدة وأبرزها:

1 – التطويل والإسهاب . وهذا بعيد عن أسلوب الكتابة في العصر

1- Scher, Addaî, Histoire nestoriènne inédite ou chronique de Séert, coll. Patrologia Orientalis, Vol 13, Brepols, Belgique, 2ème Edition, 1983, p 600.
2- Ibid, p 603.

النبوي والراشدي وقد تميّزت المكاتيب النبوية بإيجازها[1] وابتعادها عن الحشو.

وكان العرب في ذلك العصر يرون الإيجاز وحذف الفضول في الكلام من البلاغة بل من أعلى طبقاتها: ويمدحون بلاغة الرجل بحسن الإيجاز، والابتعاد عن الإسهاب، ويرون التطويل عيباً ومخلاً بالبلاغة. وخطب قسّ بن ساعدة وكلمات أكثم بن صيفي[2] ومكاتيبه أمثلة على ذلك. وأسلوب هذه الوثيقة غريب عن الإيجاز البليغ وفيها آثار عجيبة وألفاظ لم تكن معروفة في العهد النبوي.

2 – إطراء النصارى في الوثيقة فيه مبالغة ويظهر أنها مفتعلة.

3 – لا أثر لهذه الوثيقة في المصادر الإسلامية. وتفرّد التاريخ السعردي بها يعزّز الظن بوضعها.

لهذه الأسباب ولغيرها فمسألة وضع هذه الوثيقة تبدو بديهية.

وواضح أنها تستهدف العهدة العمرية وتردّ عليها بشروط أكثر تسامحاً، وبمرجعية أقوى وأقدم (عهد من الرسول لا من خليفته عمر) ويلفتنا تاريخ ظهورها 265 هـ أي بعد إجراءات المتوكل بسنوات. وكأنها

---

1 – مثل على ذلك رسالته، صلعم، إلى المقوقس عظيم القبط على ما أورد الواقدي: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي صاحب مصر أما بعد فإن الله أرسلني رسولاً وأنزل عليّ كتاباً قرآناً مبيناً، وأمرني بالإعذار والإنذار ومقاتلة الكفار حتى يدينوا بديني، ويدخل الناس فيه. وقد دعوتك إلى الإقرار بوحدانيته تعالى، فإن فعلت سعدت، وأن أبيت شقيت، والسلام.

2 – أكثم بن صيفي (ت9هـ/603م) من بلغاء العرب عرّفنا به في كتابنا رسالة الأكويني في الردّ على المسلمين، ط1، 2012، باب 1// فصل 5، ص 62 – 63. ومن رسائله: بسمك اللهم من العبد إلى العبد، فأبلغنا ما بلغك، فقد أتانا عنك خبر لا ندري ما أصله فإن كنت أريت فأرنا، وإن كنت علّمت فعلّمنا، وأشركنا في كنزك والسلام.

تأتي ردّاً عليها.

ويتبع التاريخ السعردي هذه الوثيقة بأخرى منسوبة إلى عمر كتبها لنصارى المدائن وبلاد فارس، وتتضمّن الأمان على أنفسهم وعيالهم وأموالهم. وتكرّر هذه الوثيقة العهود الواردة في تلك المنسوبة إلى النبي من الحفاظ على الكنائس وعدم الإكراه على الإسلام وغير ذلك مما ذكرنا.

وتشترط على النصارى أن لا يساعدوا أعداء المسلمين بأي طريقة من الطرق تحت طائلة نكث العهد والخروج عن الذمّة.

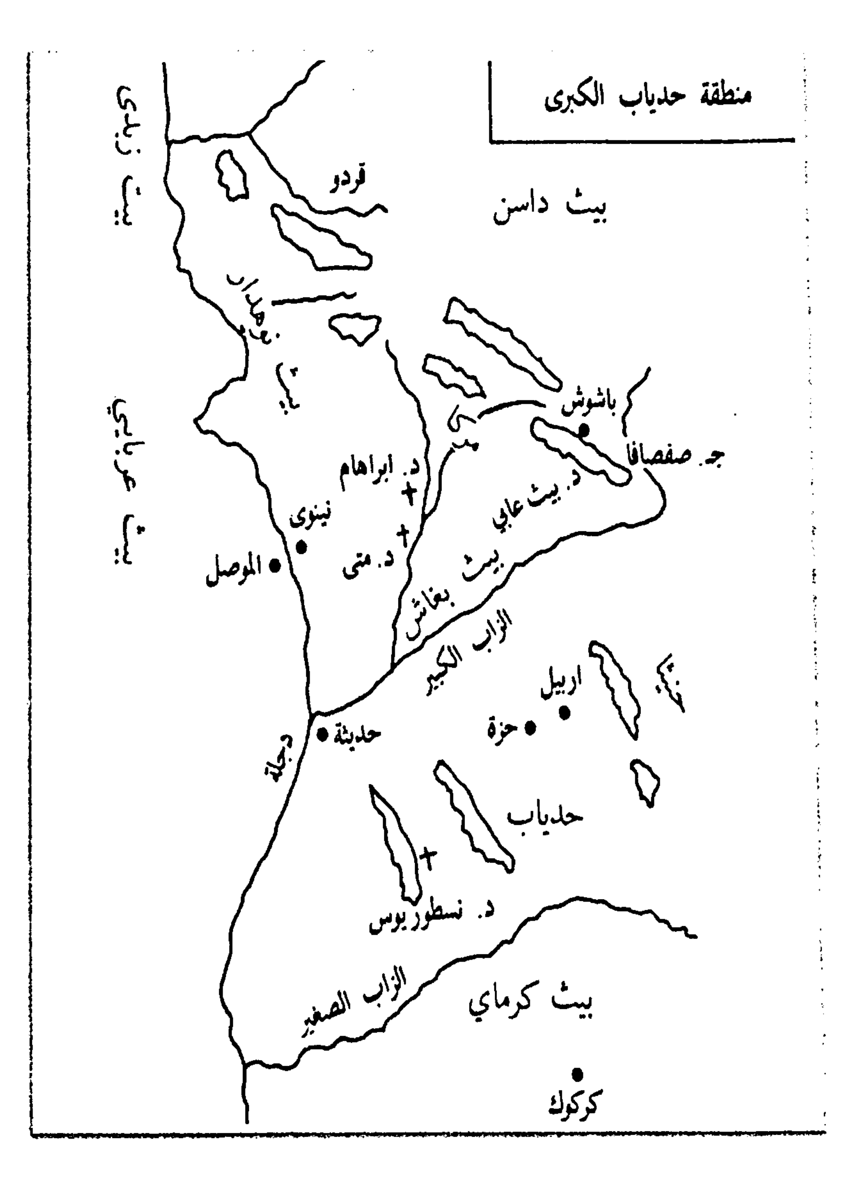
والوثيقة العمرية المنحولة هذه تأتي لتؤكّد ما جاء في شقيقتها المنسوبة إلى النبي وتكرّره وتنقض بدورها ما ورد في الشروط العمرية.

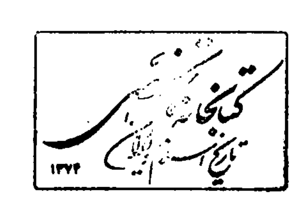
ولا تنفرد المصادر النسطورية بالردّ على العهدة العمرية بوثائق أخرى. فقد شاركت المصادر اليعقوبية النساطرة هذه المهمّة.

فثمّة تقليد سرياني يعقوبي يروي قصّة جبرائيل أسقف طور عابدين الذي أرسله البطريرك أثناسيوس سنة 629 م لمقابلة الخليفة عمر بن الخطاب. فاستقبله الخليفة ببشاشة ومنحه عهداً يسمح فيه للمسيحيين بإنشاء كنائس وأديرة، ويعفي الرهبان والكهنة والشمامسة من الجزية. وقد نشر المستشرق Nau النصّ السرياني لقصّة الأسقف جبرائيل هذا مع ترجمة فرنسية لها[1].

إنها حرب الوثائق والعهود فالمسلمون يظهرون عهدة ويتذرّعون بها. والنصارى يبيّنون ما ينقضها ويبطلها. والملاحظ أن التي بحوزة النصارى لم تنجح غالباً في وقف الإجراءات "العمرية" أو التلطيف من حدّتها.

1- Nau, M.F, Un colloque du Patriarche Jean l'émir des Agaréens, in Journal Asiatique n°5, mars-avril, 1915, pp – 274-279.


منطقة حدياب الكبرى
بيت زبدى
قردو
بيت داسن
بيت عرباي
باشوش
ج. صفصافا
د. بيت عابي
د. ابراهام
نينوى
الموصل
د. متى
بيت بغاش
الزاب الكبير
اربيل
حزة
حديثة
دجلة
حدياب
د. نسطوريوس
الزاب الصغير
بيت كرماي
كركوك

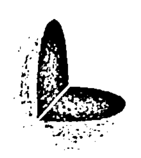
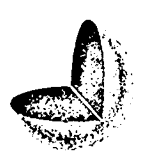




الباب الرابع

الفصل التاسع

عهود الرسول وعمر للنصارى

كما وردت في التاريخ السعردي

مواضيع فصل 9"/**باب** 4":

- ظهور الإسلام ثبّته الله ونصره
- وكتب سجلا نسخته
- عهد عمر

ظهور الإسلام ثبّته الله ونصره

في أيام إيشوعيَب الجدالي كان ظهور شريعة الإسلام. في سنة خمس وثمانين وتسع مائة للإسكندر، وسنة إحدى وثلاثين لملك أبرويز بن هرمز، وسنة اثنتي عشرة لهرقليس ملك الروم، ظهر بأرض تهامة محمدُ بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم عليه السلام، ودعا العرب إلى عبادة الله. تعالى. وأطاعه أهل اليمن، وقاتل مَن كان بمكّة، وجعل دياره بيثرب، وهي مدينة قَنطورا سريّة إبراهيم وسمّاها المدينة. والعرب على ما يُحكى مِن وَلَدِ إبراهيم، الذي وُلِدَ مِن هاجر بعد إسماعيل، واسمه لاعارز. ولما اتصل خبره بملك الروم لم يحفل به، واتّكل على قول المنجّمين الذين كانوا معه. وقوي أمر محمد بن عبدالله وزاد. فلما كان في السنة الثامنة عشرة لهرقليس ملك الروم، وهي السنة التي ملك فيها أردشير بن شرويه كسرى أبرويز، ساد العربَ وقوي الإسلامُ وامتنع هو من الخروج والحروب، وصار يُنفِذ أصحابَه. وقصده أهلُ نجران مع السيد الغسّاني النصراني بهدايا وألطاف، وبذلوا له المعاونة والمعاضدة والمقاتلة بين يديه إن أمرهم. فقبل ما حملوه، وكتب لهم عهداً وسِجلاً، وكذا فعل عُمَرُ بن الخطاب أيام خلافته.

نسخة عهدٍ وسِجلٍ، من محمد بن عبدالله عليه السلام لأهل نجران، وسائر مَن ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض، نُسِخَ من دفترٍ وجد ببرمنثا (؟) عند حبيب الراهب في سنة خمس وستين ومائتين، وذكر الراهب أنه من بيت الحكمة، وكان يتولّى حفظ ما فيه قبل أن يترهّب، وأنه في جلد ثور قد اصفرَّ مختومٌ بخاتمه عليه السلام نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب أمان الله ورسوله،للذين أُتوا الكتاب من النصارى، مَن كان منهم على دين نجران، أو على شيء من نِحَل النصرانية كتبه لهم محمدُ بن عبدالله، رسول الله إلى الناس كافةً، ذمّة لهم من الله ورسوله، وعهداً عهِده إلى المسلمين مِن بعده. عليهم أن يَعُوه، ويعرفوه، ويؤمنوا به، ويحفظوه لهم، ليس لأحد من الولاة، ولا لذي شيعة من السلطان وغيره نقضه، ولا تعدّيه إلى غيره، ولا حمل مؤونة من المؤمنين، سوى الشروط في هذا الكتاب. فمَن حفظه ورعاه ووفى بما فيه، فهو على العهد المستقيم والوفاء بذمّة رسول الله. ومَن نكثه وخالفه إلى غيره وبدّله فعليه وزره، وقد خان أمان الله، ونكث عهده وعصاه، وخالف رسوله، وهو عند الله من الكاذبين. لأن الذمّة واجبة في دين الله المفترض، وعهده المؤكّد. فمَن لم يرعَ خالف حرمها. ومَن خالف حرمها فلا أمانة له، وبرئ الله منه، وصالحُ المؤمنين.

فأما السبب الذي استوجب به أهلُ النصرانية الذمّة من الله ورسوله والمؤمنين، فحقٌ لهم لازم لِمَن كان مسلماً، وعهدٌ مؤكّد لهم على أهل هذه الدعوى، ينبغي للمسلمين رعايته، والمعونة به، وحفظه، والمواظبة عليه، والوفاء به، إذ كان جميع أهل الملل، والكتب العتيقة،أهل عداوةٍ لله ورسوله، وإجماع بالبغضاء والجحد للصفة المنعوتة في كتاب الله، من توكيده عليهم في حال نبيّه. وذلك يؤذن عن غشّ صدورهم، وسوء مأخذهم، وقساوة قلوبهم، بأن عملوا أوزارهم وحملوها، وكتموا ما أكّده الله عليه فيها بأن يُظهروه، ولا يَكتموه، ويعرفوه، ولا يَجحدوه. فعملَت الأمم بخلاف ما كانت الحجة به عليهم، فلم يرعوه حقّ رعايته، ولم يأخذوا في ذلك بالآثار المحدودة، وأجمعوا على العداوة لله ورسوله،

والتأليب عليهم، والتزيين للناس بالتكذيب والحجة ألاّ يكون الله أرسله إلى الناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، يبشّر بالجنّة مَن أطاعه، ويُنذر بالنار مَن عصاه. فقد حملوا من ذلك أكثر من ما زيّنوا لأنفسهم من التكذيب، وزيّنوا للناس [من مخالفة] فعله، ودفعِ رسالته، وطلبِ الغائلة له، والأخذِ عليه بالمرصاد. فهمّوا برسول الله، وأرادوا قتله، وأعانوا المشركين من قريش وغيرهم على عداوته، والمماراة في نقضه وجحوده، واستوجبوا بذلك الانخلاع من عهد الرسول، والخروج من ذمّته. وكان من أمرهم في يوم حُنَينٍ، وبني قَينُقاع، وقُريظة، والنضير، ورؤسائهم، ما كان من موالاتهم أعداءَ الله من أهل مكة على حرب رسول الله، ومظاهرتهم إياهم بالمادّة من القوّة والسلاح، إعانةً على رسول الله وعداوةً للمؤمنين.

خلا ما كان من أهل النصرانية: فلما لم يُجيبوا إلى محاربة الله ورسوله، لِما وصفهم الله مِن لين قلوبهم لأهل هذه الدعوة، ومسالمة صدورهم لأهل الإسلام. وكان فيما أثنى اللهُ عليهم في كتابه، ما أنزله مِن الوحي، أن وصف اليهودَ وقساوة قلوبهم، ورقة قلوب أهل النصرانية إلى مودّة المؤمنين فقال:«لَتَجِدَنَّ أشَدَّ الناسِ عَدَاوَةً للّذين آمَنُوا اليَهُودَ وَالذينَ أَشْرَكُوا، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهم مَوَدَّةً للّذينَ آمَنُوا الذينَ قَالُوا إنّا نَصَارى ذَلكَ بأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأنَّهُم لاَ يستَكْبِرُونَ... الصَّالحين». وذلك أن أناساً من النصارى، وأهل الثقة والمعرفة بدين الله، أعانونا على إظهار هذه الدعوة، وأمدّوا الله ورسوله فيما أحبّ، من إنذار الناس وإبلاغهم ما أُرسل به.

وأتاني السيدُ، وعبدُ يشوع، وابنُ حجرة، وإبراهيم الراهب، وعيسى الأسقف، في أربعين راكباً من أهل نجران، ومعهم من جلّة أصحابهم،

مِمّن كان على مِلّة النصرانية في أقطار أرض العرب وأرض العجم. فعرضتُ أمري عليهم، ودعوتُهم إلى تقويته وإظهاره والمعونة عليه. وكانت حجة الله ظاهرةً عليهم. فلم ينكصوا على أعقابهم، ولم يولّوا مُدبرين، وقاربوا ولبثوا، ورضوه وأرفدوا وصدّقوا، وأبْدَوا قولاً جميلاً ورأياً محموداً، وأعطوني العهودَ والمواثيق، على تقوية ما أتيتُهم به، والردّ على مَن أبي وخالفه، وانقلبوا إلى أهل دينهم، ولم ينكثوا عهدهم، ولم يبدّلوا أمرهم، بل وفوا بما فارقوني عليه، وأتاني عنهم ما أحببتُ من إظهار الجميل، وحلافهم على حربهم من اليهود، والموافقة لِمَن كان مِن أهل الدعوة، على إظهار أمر الله، والقيام بحجّته، والذبّ عن رُسُله. فكسّروا ما احتجّ به اليهود في تكذيبي، ومخالفة أمري وقولي.

وأراد النصارى من تقوية أمري. ونصبوا لِمَن كرهه، وأراد تكذيبه وتغييره، ونقصه وتبديله وردّه. وبعث الكتبَ إليّ كُلُّ مَن كان في أقطار الأرض، من سلطان العرب من وجوه المسلمين، وأهل الدعوة بما كان من تجميل رأي النصارى لأمري، وذبّهم عن غزاة الثغور في نواحيهم، والقيام بما فارقوني عليه وقبلتُه، إذ كان الأساقفة والرهبان لذلك منّةً قويّة في الوفاء بهما أعطوني من مودّتهم وأنفسهم، وأكّدوا من إظهار أمري، والإعانة على ما أدعو إليه وأُريد إظهاره، وأن يجتمعوا في ذلك على مَن أنكر، أو جحد شيئاً منه، وأراد دفعه وإنكاره، وأن يأخذوا على يديه ويستدلّوه، ففعلوا واستدلّوا واجتهدوا، حتى أقرّ بذلك مُذعِناً، وأجاب إليه طائعاً أو مُكرَهاً، ودخل فيه منقاداً [أو] مغلوباً، محاماةً على ما كان بيني وبينهم، واستقامة على ما فارقوني عليه، وحرصاً على تقوية أمري، ومظاهرتي على دعوتي. وخالوا في وفائهم اليهودَ والمشركين من قريش، وغيرهم. ونزّهوا نفوسهم عن رقة المطامع التي كانت اليهود تتّبعها وتريدها، من الأكل للربا، وطلب الرِشا، وبيع ما أخذه الله عليهم بالثمن

القليل «فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَوَيْلٌ لهم مِمَّا يَكْسِبُونَ». فاستوجب اليهودُ ومشركو قريش وغيرهم، أن يكونوا بذلك أعداء الله ورسوله لِما نَوَوه من الغشّ، وزيّنوا لأنفهسم من العداوة، وصاروا إلى حرب عوان، مغالبين مَن عاداني، وصاروا بذلك أعداء الله ورسوله وصالحِ المؤمنين. وصار النصارى على خلاف ذلك كله، رغبةً في رعاية عهدي، ومعرفةَ حقّي، وحفظاً لِما فارقوني عليه، وإعانةً لِمَن كان من رُسُلي في أطراف الثغور، فاستوجبوا بذلك رأفتي ومودّتي، ووفائي لهم بما عاهدتُهم عليه، وأعطيتُهم من نفسي، على جميع أهل الإسلام، في شرق الأرضِ وغربها، وذِمّتي، ما دُمْتُ وبعد وفاتي إذا أماتني الله، ما نَبَتَ الإسلامُ، وما ظهرتْ دعوةُ الحقِ والإيمان، لازمٌ ذلك من عهدي للمؤمنين والمسلمين، ما بَلّ بحرٌ صوفةً، وما جادت السماءُ بقطرة، والأرض بنباتٍ وما أضاءت نجومُ السماء، وتبيّن الصبحُ للسائرين. ما لأحدٍ نقضُه، ولا تبديله، ولا الزيادة فيه، ولا الانتقاص منه، لأنّ الزيادة فيه تُفسِد عهدي، والانتقاص منه ينقض ذِمّتي. ويلزمني العهد بما أعطيتُ من نفسي. ومَن خالفني من أهل مِلّتي، ومَن نكث عهد الله عز وجل وميثاقه، صارت عليه حجة الله، وكفى بالله شهيداً.

وإنّ السبب في ذلك ثلث نفر من أصحابه سألوا كتاباً لجميع أهل النصرانية، أماناً من المسلمين، وعهداً ينجز لهم الوفاء بما عاهدوهم، وأعطيتموه إياه من نفسي، وأحببتُ أن أستتمّ الصنعة في الذمّة، عند كل مَن كان حاله حالي، وكفّ المؤونة عني، وعن أهل دعوتي في أقطار أرض العرب، مِمَّن انتحل اسم النصرانية وكان على مللها، وأن أجعل ذلك عهداً مرعياً، وأمراً معروفاً، يمتثله المسلمون، ويأخذ به المؤمنون. فأحضرتُ رؤساء المسلمين، وأفاضلَ أصحابي، وأكدتُ على نفسي الذي أرادوا، وكتبتُ لهم كتاباً، يحفظ عند أعقاب المسلمين، مَن كان منهم

سلطاناً أو غير سلطان. فإنّ على السلطان إنفاذ ما أمرتُ به، ليستعمل بموافقة الحق الوفاء، والتخلي إلى مَن [التمس] عهدي، وإنجاز الذمّة التي أعطيتُ من نفسي، لئلا تكون الحجة عليه مخالفة أمري. وعلى السوقة أن لا يؤذوهم، وأن يكمّلوا لهم العهدَ الذي جعلتُه لهم، ليدخلوا معي في أبواب الوفاء، ويكونوا لي أعواناً على الخير، الذي كافيتُ به مَن استوجب ذلك مني، وكان عوناً على الدعوة، وغيظاً لأهل التكذيبَ والتشكيك، ولئلا تكون الحجّة لأحد من أهل الذمّة على أحد مِمَّن انتحل ملّة الإسلام، ومخالفةً لِما وضعتُ في هذا الكتاب، والوفاء لهم بما استوجبوا مني واستحقّوا، إذ كان ذلك يدعوا إلى استتمام المعروف، ويجرّ إلى مكارم الأخلاق، ويأمر بالحُسنى، ويَنهى عن السوء، وفيه اتّباع الصِّدق، وإيثار الحق إن شاء الله تعالى.

وكتب سجلا نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، رسولُ الله إلى الناس كافةً، بشيراً ونذيراً، ومؤتمناً على وديعة الله في خَلقه، ولئلاّ يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسُل والبيان، وكان عزيزاً حكيماً.

للسيد ابن الحارث بن كعب، ولأهل مِلّته، ولجميع مَن ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وأعجمها، معروفها ومجهولها، كتاباً لهم عهداً مرعيّاً، وسِجلاً منشوراً، سُنّةً منه وعدلاً، وذِمّةً محفوظةً: مَن رعاها كان بالإسلام متمسّكاً، ولما فيه من الخير مستأهلاً. ومن ضيّعها ونكث العهدَ الذي فيها، وخالفه إلى غيره، وتعدّى فيه ما أمرتُ، كان لعهد الله ناكثاً، ولميثاقه ناقضاً، وبذمّته

مستهيناً، ولِلَعنته مستوجباً، سلطاناً كان أو غيره، بإعطاء العهد على نفسي، بما أعطيهم عهد الله وميثاقه، وذمّة أنبيائه وأصفيائه، وأوليائه من المؤمنين والمسلمين، في الأوّلين والآخرين، ذمتي وميثاقي وأشدّ ما أخذ الله على بني إسرائيل من حق الطاعة وإيثار الفريضة، والوفاء بعهد الله، أن أحفظ أقاصيهم في ثغوري بخَيلي ورَجلي، وسلاحي وقوّتي، وأتباعي من المسلمين، في كل ناحية من نواحي العدوّ، بعيداً كان أم قريباً، سِلماً كان أو حَرباً، وأن أحمي جانبهم، وأذبّ عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السيّاح، حيث كانوا من جبل، أو وادٍ، أو مغار، أو عمران، أو سهل، أو رمل. وأن أرس دينهم وملّتهم أين كانو، مِن بَرٍّ أو بحر، شرقاً وغرباً، بما أحفظ به نفسي وخاصّتين وأهل الإسلام من ملّتي، وأن أُدخلهم في ذمّتي وميثاقي وأماني، من كل أذى ومكروه، أو مؤونة، أو تبعة. وأن أكون من ورائهم، ذابّاً عنهم كلَّ عدو، يُريدني وإياهم بسوء، بنفسي، وأعواني، وأتباعي، وأهل ملّتي. وأنا ذو السلطنة عليهم، ولذلك يجب عليّ رعايتهم وحفظهم مِن كل مكروه. لا يصل ذلك إليهم، حتى يصل إليّ وأصحابي الذّابّين عن بيضة الإسلام معي. وأن أعزل عنهم الأذى في المؤن التي يحملها أهل الجهاد من الغارة والخراج، إلاّ ما طابت به أنفسهم. وليس عليهم إجبار ولا إكراه على شيء من ذلك، ولا تغيير أسقف عن أُسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا سائح عن سياحته، ولا هدم بيت من بيوت بِيَعهم، ولا إدخال شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد، ولا منازل المسلمين. فمَن فعل ذلك فقد نَكث عهدَ الله، وخالف رسوله، وحاد عن ذِمّة الله. وأن لا يحمل الرهبان والأساقفة، ولا مَن تعبّد منهم، أو لبس الصوف، أو توحّد في الجبال والمواضع المعتزلة عن الأمصار شيئاً من الجزية أو الخراج، وأن يقتصر على

غيرهم من النصارى، مِمَّن ليس بمتعبّد ولا راهب ولا سائح على أربعة دراهم في كل سنة، أو ثوب حبرة، أو عصب اليمن، إعانة للمسلمين وقوّة في بيت المال. وإن لم يَسهل الثوب عليهم طلب منهم ثمنه، ولا يقوّم ذلك عليهم إلاّ بما تطيب به أنفسهم. ولا تتجاوز جزية أصحاب الخراج، والعقارات، والتجارات العظيمة في البحر والأرض، واستخراج معادن الجوهر والذهب والفضة، وذوي الأموال الفاشية والقوّة مِمّن ينتحل دين النصرانية، أكثر من اثني عشر درهماً من الجمهور في كل عام، إذا كانوا للمواضع قاطنين وفيها مقيمين. ولا يطلب ذلك من عابر سبيل ليس من قُطّان البلد، ولا أهل الاجتياز مِمَّن لا تُعرَف مواضعه ولا خراج ولا جزية إلاّ [على] مَن يكون في يده ميراث من ميراث الأرض، مِمّن يجب عليه فيه للسلطان حق، فيؤدّي ذلك على ما يؤدّيه مثله. ولا يجار عليه، ولا يحمل منه إلاّ قدرَ طاقته وقوّته على عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتها. ولا يكلّف شططاً، ولا يُتجاوز به حدّ أصحاب الخراج من نظرائه. ولا يكلّف أحد من أهل الذمّة منهم الخروجَ مع المسلمين إلى عدوّهم، لملاقاة الحروب ومكاشفة الأقران، فإنه ليس على أهل الذّمة مباشرة القتال، وإنما أعطوا الذمّة عليَّ، على أن لا يكلّفوا ذلك. وأن يكون المسلمون ذباباً عنهم، وجواراً من دونهم. ولا يُكرهوا على تجهيز أحد من المسلمين إلى الحرب الذين يلقون فيه عدوّهم، بقوّة وسلاح أو خيل، إلاّ أن يتبرّعوا من تلقاء أنفسهم. فيكون مَن فعل ذلك منهم وتبرّع به، حمدٌ عليه وعرفٌ له، وكوفئ به.

ولا يُجبر أحد مِمَّن كان على ملّة النصرانية كرهاً على الإسلام. «ولا تجادلوا [أهل الكتاب] إلا بالتي هي أحسن». ويُخفض لهم جناح الرحمة ويُكفّ عنهم أذى المكروه حيث كانوا، وأي كانوا من البلاد.

وإن أُجرم أحدٌ من النصارى، أو جُني جنايةً، فعلى المسلمين نصره، والمنع والذّب عنه، والغرم عن جريرته، والدخول في الصلح بينه وبين مَن جنى عليه. فإمّا مُنَّ عليه، أو يفادى به. لا يرفضوا ، ولا يخذلوا، ولا يتركوا هملاً، لأني أعطيتهم عهد الله على أنّ لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين. وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام، والذبّ عن الحرمة، واستوجبوا أن يُذبّ عنهم كل مكروه، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم، وفيما عليهم.

ولا يحملوا من النكاح شططاً لا يريدونه، ولا يُكره أهل البنت على تزويج المسلمين، ولا يضارّوا في ذلك إن منعوا خاطباً وأبَوا تزويجاً لأنّ ذلك لا يكون إلاّ بطيبة قلوبهم، ومسامحة أهوائهم، إن أحبّوه ورضوا به. إذا صارت النصرانية عند المسلم، فعليه أن يرضى بنصرانيتها، ويتبع هواها في الاقتداء برؤسائها، والأخذ بمعالم دينها، ولا يمنعها ذلك. فمن خالف ذلك وأكرهها على شيء من أمر دينها، فقد خالف عهدَ الله وعصى ميثاق رسوله، وهو عند الله من الكاذبين.

ولهم إن احتاجوا في مرمّة بِيَعهم وصوامعهم، أو شيء من مصالح أمورهم ودينهم، إلى رفد من المسلمين وتقوية لهم على مرمّتها، أن يُرفدوا على ذلك ويعاوَنوا، ولا يكون ذلك ديناً عليهم، بل تقويةً لهم على مصلحة دينهم، ووفاءً بعهد رسول الله موهبة لهم، ومنّة لله ورسوله عليهم.

ولهم أن لا يلزم أحد منهم، بأن يكون في الحرب بين المسلمين وعدوّهم، رسولاً، أو دليلاً، أو عوناً، أو متخبراً، ولا شيئاً مما يُساس به الحرب. فمَن فعل ذلك بأحد منهم، كان ظالماً لله ولرسوله عاصياً، من ذمّته متخلّياً. ولا يَسَعه في إيمانه إلاّ الوفاء بهذه الشرائط التي شرطها محمدُ بن عبدالله، رسولُ الله لأهل ملّة النصرانية، واشترط عليهم أموراً يجب عليهم في دينهم التمسُّك والوفاء بما عاهدهم عليه. منها: ألا يكون

أحد منهم عيناً ولا رقيباً لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين في سره وعلانيته، ولا يأوى منازلهم عدوّ للمسلمين، يريدون به أخذ الفرصة وانتهاز الوثبة، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا في شيء من مساكن عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملّة، ولا يوفدوا أحداً من أهل الحرب على المسلمين بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم، ولا يصانعوهم. أن يَقْرُوا مَن نزل عليهم من المسلمين ثلثة أيام بلياليها في أنفسهم ودوابّهم، حيث كانوا وحيث مالوا، يبذلون لهم القِرى الذي منه يأكلون، ولا يكلّفوا سوى ذلك، فيحملوا الذى عليهم والمكروه. وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم، وعند منازلهم، ومواطن عباداتهم، أن يأووهم ويرفدوهم ويواسوهم فيما يعيشوا به ما كانوا مجتمعين، وأن يكتموا عليهم، ولا يظهروا العدوَّ على عوراتهم، ولا يخلوا شيئاً من الواجب عليهم.

فمَن نكث شيئاً من هذه الشرائط وتعدّاها إلى غيرها فقد برئ من ذِمّة الله وذِمّة رسوله. وعليهم العهود والمواثيق التي أُخذت عن الرهبان وأخذتُها، وما أخذ كل نبيّ على أُمته من الأمان والوفاء لهم وحفظهم به، ولا ينقض ذلك ولا يغيّر حتى تقوم الساعة إن شاء الله.

وشهد هذا الكتاب الذي كتبه مُحمد بن عبدالله، بينه وبين النصارى الذين اشترط عليهم، وكتب هذا العهد لهم: عتيقُ بن أبي قحافة، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، أبو ذرّ، أبو الدرداء، أبو هريرة، عبدالله بن مسعود، العباس بن عبدالمطلب، الفضل بن العباس، الزبير بن العوّام، طلحة بن عبيدالله سعد بن معاز، سعد بن عبادة، ثُمامة بن قيس، زيد بن ثابت، ولده عبدالله، حرقوص بن زهير، زيد بن أرقم، أُسامة بن زيد، عمار بن مظعون، مصعب بن جبير، أبو الغالية، عبدالله بن عمرو ابن العاص، أبو حذيفة، خوات بن جبير، هاشم بن عتبة، عبدالله ابن خُفاف، كعب بن مالك، حسان بن ثابت،

جعفر بن أبي طالب، وكتب معاويةُ بن أبي سفيان.

[عهد عمر]

وتوفي أبو بكر، وولي الأمر بعده عُمرُ بن الخطاب، ففتح البلاد وقرّر الخراج على ما تحتمله أحوال الناس – وبقي ذلك التقرير إلى أيام معاوية بن أبي سفيان– ، ولقيه إيشوعيَب الجاثليق، وخاطبه بسبب النصارى، فكتب له عهداً نُسختُه:

هذا كتاب من عبدالله عُمَرَ بن الخطاب أمير المؤمنين:

لأهل المدائن، وبهر سير، والجاثليق بها، وقُسّانها، وشمامستها. جعله عهداً مرعيّاً، وسِجِلاً منشوراً، وسُنة ماضيةً فيهم، وذِمّةً محفوظة لهم. فمَن كان عليها كان بالإسلام متمسّكاً، ولِما فيه أهلاً. ومَن ضيّعه ونكث العهد الذي فيه، وخالفه وتعدّى ما أُمر به، كان لعهد الله ناكثاً، وبذمّته مستهيناً، سلطاناً كان أو غيره من المسلمين.

أمّا بعد: فإني أعطيتكم عهد الله وميثاقه، وذِمّة أنبيائه ورُسُله، وأصفيائه وأوليائه من المسلمين، على أنفسكم وأموالكم وعيالاتكم وأرجلكم، وأماني من كل أذى. وألزمتُ نفسي أن أكون من ورائكم، ذابّاً عنكم كل عدوّ يريدني وإيّاكم، بنفسي وأتباعي وأعواني والذابّين عن بيضة الإسلام وأن أعزل عنكم كل أذى في المؤن التي يحملها أهل الجهاد من الغارة، فليس عليكم جبر ولا إكراه على شيء من ذلك.

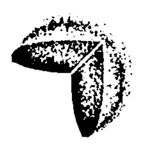
ولا يغيّر أسقف من أساقفتكم ولا رئيس من رؤسائكم، ولا يهدم بيتٌ من بيوت صلواتكم ولا بيعة من بيعكم، ولا يدخل شيء من بنائكم إلى بناء المساجد ولا منازل المسلمين، ولا يعرض لعابر سبيل منكم في أقطار الأرض، ولا تكلّفوا الخروج مع المسلمين إلى عدوّهم لملاقاة

الحرب. ولا يجبر أحد مِمَّن كان على ملّة النصرانية على الإسلام، كرهاً لما أنزل الله إليه كتابه:«لاَ إكراه في الدِّين قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِن الغي»، «ولا تُجادِلُوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أَحسَنْ».

وتُكفّ أيدي المكروه عنكم حيث كنتم. فمن خالف ذلك فقد نكث عهد الله وميثاقه، وعهد محمد صلى الله عليه وخالف ذِمّة الله والعهد الذي استوجبوا به حقن الدماء، استحقّوا أن يُذَبّ عنهم كل مكروه لأنهم نصحوا وأصلحوا ونصروا الإسلام.

ولي شرط عليهم: ألا يكون أحد منهم عيناً لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين في سرٍ ولا علانية، ولا يؤوي في منازلهم عدوًّاً للمسلمين،فيكون منه وجود فرصة أو غِرَّةُ وثبة، ولا يرفدوا أحداً من أهل الحرب على المؤمنين والمسلمين بقوّةٍ عارية، لسلاح ولا خيل ولا رجال، ولا يدلُّوا أحداً من الأعداء ولا يكاتبوه. وعليهم إن احتاج المسلمون إلى اختفاء أحد منهم عندهم وفي منازلهم، أن يخفوه ولا يظهروا العدوَّ عليه، ويرفدوهم ويواسوهم ما أقاموا عندهم. لا يُخَلُّو شيئاً مما شرط عليهم. فمَن نكث منهم شيئاً من هذه الشروط وتعدّاها إلى غيرها، فقد برئ من ذمّة الله ورسوله (عليه الصلاة والسلام). وعليهم تلك العهود والمواثيق التي أخذت على الأحبار والرهبان والنصارى من أهل الكتاب، وأشدّ ما أخذ الله على أنبيائه من الأيمان بالوفاء أين كانوا. وعليّ الوفاءُ بما جعلتُ لهم على نفسي وعلى المسلمين رعايته لهم لمعرفتهم به والانتهاء إليه، حتى تقوم الساعة وتنقضي الدنيا.

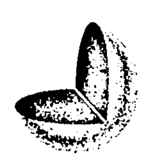
شهد على ذلك عثمان بن عفان، والمغيرة بن شعبة، في سنة سبع عشرة للهجرة.

الباب الرابع

الفصل العاشر

مناشير المتوكل وخلفائه في معاملة أهل الذمّة

مواضيع فصل 10"/باب 4":

-مناشير المتوكل واختلافها عن إجراءاته

-منشور المتوكل في أهل الذمة برواية الطبري

-منشور المتوكل في رواية ابن القيم

-مراسيم الخلفاء العباسيين في أهل الذمة

مرسوم يمنع استخدام أهل الذمة في الدواوين295 هـ

مرسوم القائم بأمر الله سنة 429 هـ

توقيع المقتدي بالله بإلزام اليهود عدم تغيير ملابسهم

رسالة الناصر بمنع استخدام أهل الذمة في الدواوين

مكتبة البحث، مراجع الدراسة والتحقيق

مناشير المتوكل واختلافها عن إجراءاته

تطرح المناشير المنسوبة إلى المتوكل إشكالية كبرى في نصوصها. فأقدم نصّ لها أورده الطبري في تاريخه. وهو لا يحوي سوى تعليمات تتعلّق بملابس أهل الذمة وألوانها من طيالس عسلية ووضع أزرة على القلانس.

ويختلف مضمون هذا المنشور عمّا تنسب المصادر التاريخية كالطبري ومسكويه وغيرهما مما أوردنا سابقاً من إجراءات اتخذها المتوكل بحق أهل الذمّة. وهي في جلّها مستوحاة من العهدة العمرية كما أسلفنا.

ويورد ابن القيم الجوزية في أحكام أهل الذمة ومن بعده القلقشندي في صبح الأعشى ومآثر الإنافة منشوراً آخر يختلف كلّياً عن وثيقة الطبري ولا ينصّ إلاّ على منع استخدام أهل الذمة في الدواوين والوظائف العامة، فأيهما هو منشور المتوكل الأصلي؟! ما جاء في الطبري أم عند ابن القيم؟.

بديهي أن يكون نص الطبري وهو أقدم بقرون هو الأصحّ نسبة. ولكن لمَ هذه الاختلافات بين إجراءات المتوكّل من جهة ومناشيره من جهة ثانية؟! إجراءات المتوكل المطابقة للشروط العمرية لا يرقى إليها الشكّ. فقد أجمعت على ذكرها المصادر التاريخية المسيحية (السعردي، ابن العبري، صليبا بن يوحنا) والإسلامية (الطبري، مسكوية وغيرهما).

ولكن لمَ يختلف المنشور الوارد في الطبري عن االإجراءات؟ ولم يختلف المنشور المذكور عند ابن القيّم والقلقشندي كلّياً عمّا نجد عند الطبري؟

إجراءات المتوكل تعمل بموجب الشروط العمرية وتسعى إلى تطبيقها. أما منشور المتوكل أو مناشيره فبعيدة عن إجراءاته، فهل إن الشروط العمرية هي بطريقة من الطرق "منشور المتوكل"؟

لا شكّ أن إجراءات المتوكل هي التطبيق التاريخي الأوّل والشامل لما ورد في العهدة المنسوبة إلى عمر. أما منشوره أو مناشيره فتنحصر في أمور معينة: اللباس أو الوظائف وهي بالتالي بعيدة عن إجراءاته. لكأن، العهدة العمرية هي بالفعل منشور المتوكّل نسب إلى سلفه الخليفة الراشدي.

الملاحظ أن مناشير الخلفاء العباسيين بعد المتوكل تنتمي إلى نمط من إثنين، فبعضهما يختصّ بألبسة أهل الذمّة وألوانها أي أنه من نمط منشور المتوكل/الطبري والبعض الآخر يأمر بمنع استخدامهم في الوظائف العامة أي أنه ينتمي إلى فئة منشور المتوكل لابن القيم.

وسنورد أبرز ما وصلنا من هذه المراسيم.

والخلاصة أن المتوكل بإجراءاته ومناشيره الأصلية والمنحولة كان نقطة انطلاقة تقاليد وتدابير في معاملة أهل الذمة لم تنتهي بنهاية دولة بني العباس. بل استمرّت تستلهم نهجه في مختلف الدول الإسلامية التالية وحتى العصرين الحديث والمعاصر.

منشور المتوكل في أهل الذمة برواية الطبري

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإن الله تبارك وتعالى بعزته التي لا تحاول وقدرته على ما يريد ارتضى الإسلام فرضيه لنفسه وأكرم به ملائكته وبعث به رسله وأيّد به أوليائه، وكنفه بالبر وحاطه بالنصر وحرسه من العامة وأظهره على الأديان مبرءاً من الشبهات، معصوماً من الآفات، محبواً بمناقب الخير، مخصوصاً من الشرائع بأطهرها وأفضلها،

ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها، ومن الأحكام بأعدلها وأقنعها، ومن الأعمال بأحسنها وأقصدها.

وأكرم أهله بما أحل لهم من حلاله وحرّم عليهم من حرامه، وبيّن لهم من شرائعه وأحكامه، وحدّ لهم من حدوده ومناهجه، وأعدّ لهم من سعة جزائه وثوابه، فقال في كتابه فيما أمر به ونهى عنه، وفيما حضّ عليه فيه ووعظ:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

وقال فيما حرم على أهله مما غمط فيه أهل الأديان من رديء المطعم والمشرب والمنكح لينزههم عنه وليظهر به دينهم ليفضلهم عليهم تفضيلاً: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ...﴾آخر الآية[2].

ثم ختم ما حرم عليهم من ذلك في هذه الآية بحراسة دينه ممن عنده وبإتمام نعمته على أهله الذين اصطفاهم فقال عز وجل:﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾[3] الآية. وقال عز وجل:﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ...﴾[4]، وقال:﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ...﴾[5]، فحرم على المسلمين من مآكل أهل الأديان أرجسها وأنجسها، ومن شرابهم أدعاه إلى العداوة والبغضاء وأصده عن ذكر الله وعن الصلاة، ومن مناكحهم أعظمها عند الله وزراً، وأولاها عند ذوي

1 - سورة النحل، الآية 90.
2 - سورة المائدة، الآية 3.
3 - سورة المائدة، الآية 3.
4 - سورة النساء، الآية 23.
5 - سورة المائدة، الآية 90.

الحجى والألباب تحريماً. ثم حباهم بمحاسن الأخلاق وفضائل الكرامات فجعلهم أهل الإيمان والأمانة والفضل والتراحم، واليقين والصدق، ولم يجعل في دينهم التقاطع والتدابر ولا الحمية ولا التكبر، ولا الخيانة ولا الغدر. ولا التباغي ولا التظالم، بل أمر بالأولى ونهى عن الأخرى، ووعد وأوعد عليها جنته وناره وثوابه وعقابه. فالمسلمون، بما اختصهم الله من كرامته وجعل لهم من الفضيلة بدينهم الذي اختاره لهم، بائنون على الأديان بشرائعهم الزاكية وأحكامهم المرضية الطاهرة وبراهينهم المنيرة، وبتظهير الله دينهم بما أحلّ وحرّم فيه لهم وعليهم، قضاءً من الله عز وجل في إعزاز دينه حتماً ومشيئة منه في إظهار حقه ماضية، وإرادة منه في إتمام نعمته على أهله نافذة: ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيى عن بينة[1].

وليجعل الله الفوز والعاقبة للمتقين، والخزي في الدنيا والآخرة على الكافرين.

وقد رأى أمير المؤمنين – وبالله توفيقه وإرشاده – أن يحمل أهل الذمة جميعاً بحضرته وفي نواحي أعماله،أقربها وأبعدها، وأخصّهم وأخسّهم على تصيير طيالستهم التي يلبسونها، ومن لبسها من تجارهم وكتابهم، كبيرهم وصغيرهم، على ألوان الثياب العسلية، لا يتجاوز ذلك منهم متجاوز إلى غيره، ومن قصر عن هذه الطبقة من أتباعهم وأرذالهم، ومَن يقعد به حاله عن لبس الطيالسة منهم، أخذ بتركيب خرقتين صبغهما ذلك الصبغ يكون استدارة كل واحدة منهما شبراً تاماً في مثله، على موضع أمام ثوبه الذي يلبسه تلقاء صدره ومن وراء ظهره. وأن يؤخذ الجميع

1 – سورة الأنفال، الآية 44.

في قلانسهم بتركيب أزرة عليها تخالف ألوانها ألوان القلانس، ترتفع في أماكنها التي تقع بها لئلا تلصق فتستر، ولا يركب منها على حباك فتخفى. وكذلك في سروجهم باتخاذ ركب خشب لها ونصب أكر على قرابيسها تكون ناتئة عنها وموفية عليها، لا يرخص لهم بإزالتها عن قرابيسهم وتأخيرها إلى جوانبها، بل يتفقد ذلك منهم ليقع ما وقع من الذي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليه ظاهراً يتبينه الناظر من غير تأمل وتأخذه الأعين من غير طلب. وأن تؤخذ عبيدهم وإماؤهم ومن يلبس المناطق من تلك الطبقة بشدّ الزنانير والكساتيج مكان المناطق التي كانت في أوساطهم، وأن توعز إلى عمالك فيما أمر به أمير المؤمنين في ذلك إيعاز تحدوهم به استقصاء ما تقدم إليهم فيه، وتحذرهم إدهاناً وميلاً وتتقدم إليهم في إنزال العقوبة بمن خالف ذلك من جميع أهل الذمة عن سبيل عناد وتهوين إلى غيره ليقتصر الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم على السبيل التي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليها أخذهم بها إن شاء الله.

فأعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره، وأنفذ إلى عمالك في نواحي عملك ما ورد عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعمل به إن شاء الله. أمير المؤمنين يسأل الله ربه ووليه أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وملائكته، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه ويتولّى ما ولاّه مما لا يبلغ حقه فيه إلاّ بعونه حفظاً يحمل به ما حمله، وولاية يقضي بها حقه منه ويوجب بها له أكمل ثوابه وأفضل مزيده، إنه كريم حليم. وكتب إبراهيم بن العباس في شوال سنة خمس وثلاثين ومائتين[1].

---

1 - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ط1، 1939، ج7، ص 355 - 357.

منشور المتوكل في رواية ابن القيم

أما بعد، فإن الله اصطفى الإسلام ديناً، فشرّفه وكرّمه، وأناره ونصره، وأظهره وفضّله وأكمله، فهو الدين لا يُقبَل غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ بعث به صفيَّة خيرته من خلقه محمداً صلعم، فجعله خاتم النبيين وإمام المتقين وسيد المرسلين ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلى الْكافرِينَ﴾ وأنزل كتاباً عزيزاً ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مَنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد﴾، أسعد به أمته وجعلهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلْنَاسِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بالله، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ، مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرهمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وأهان الشَّرْكَ وأهله، ووضعهم وصَغّرهم وقمعهم وخذلهم وتبرّأ منهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة وقال: ﴿قَاتِلُوا الْذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالله وَلاَ بالْيَومِ الآخِرِ، وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَلاَ يدينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَى يُعْطَو الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وطبع على قلوبهم وخبث سرائرهم وضمائهرم، فنهى عن ائتمانهم والثقة بهم، لعداوتهم للمسلمين وغشهم وبغضائهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خبَالاً، وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ، قَدْ بَدَت الْبَغْضَاءُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكبَرُ، قَدْ بَيَّنَا لَكُمُ الآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقال: ﴿لا يَتَّخِذَ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤمِنِينَ، وَمَنْ يَفعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فـي شَيْء﴾ وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ والنَّصَارى أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعضٍ، ومَن يَتَوَلَّهُم مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنهُم، إنَّ الله لا يَهْدي الْقَوْمَ الْظَالِمِينَ﴾.

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناساً لا رأي لهم ولا رويّة يستعينون بأهل الذمة في أفعالهم، ويتخذونهم بطانة من دون المسلمين ويسلطونهم على الرعية فيعسفونهم، ويبسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشمهم، والعُدْوانِ عليهم، فَأَعظمَ أمير المؤمنين ذلك وأنكره وأكبَرهُ وتبرّاً إلى الله منه، وأحبَّ التقرّب إلى الله تعالى بحَسمِهِ والنهي عنه، ورأى أن يكتب إلى عمّاله على الكُوَرِ والأمصار وَوُلاةِ الثغور والأجناد في ترك استعمالهم للذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم، والإشراك لهم في أماناتهم وما قلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه، وجعل في المؤمنين الثقة في الدين والأمانة على إخوانهم المؤمنين، وحسن الرعاية لما استرعاهم، ولكفاية لما استكفوا، والقيام بما حملوا، ما أغنى عن الاستعانة بالمشركين بالله والمكذّبين برسله، الجاحدين لآياته، الجاعلين معه إلهاً آخر، لا إله إلا هو وحده لا شريك له. ورجاء أمير المؤمنين بما ألهمه الله من ذلك وقذف في قلبه جزيل الثواب وكريم المآب، والله يعين أمير المؤمنين على نيته في تعزيز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وحزبه. فَلْيُعْلَمْ هذا مَن رأى أمير المؤمنين، ولا يستعان بأحد من المشركين، إنزال أهل الذمة منازلهم التي أنزلهم الله تعالى بها. فاقرأ كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك وأَشِعْهُ فيهم، ولا يعلمنَّ أمير المؤمنين أنك استعنت ولا أحد من عمالك وأعوانك بأحد من أهل الذمة في عمل . والسلام»[1].

1 – ابن قيم الجوزية، أحكام، م. س، ج1، ص 173 – 174.

مراسيم الخلفاء العباسيين في أهل الذمة

مرسوم بمنع استخدام أهل الذمة في الدواوين 295هـ.

عوائد الله عند أمير المؤمنين توفّى على غاية رضاه ونهاية أمانيه، وليس أحد يظهر عصيانه إلا جعله الله عظة للأنام وبادره بعاجل الاصطدام. والله عزيز ذو انتقام، فمن نكث وطغى وبغى وخالف أمير المؤمنين وخالف محمد صلعم، وسعى في إفساد دولة أميرالمؤمنين، عاجله أمير المؤمنين بسطوته وطهّر من رجسه دولته، والعاقبة للمتقين.

وقد أمر أمير المؤمنين بترك الاستعانة باحد من أهل الذمة فليحذر العمال تجاوز أمر أمير المؤمنين ونواهيه[1].

مرسوم القائم بأمر الله سنة 429 هـ.

بإلزام أهل الذمة الغيار، وقرئ أمام القضاة والشهود والجاثليق ورأس جالوت اليهود، وكان فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد: فإن الله تعال بعزته التي لا تحاول وقدرته التي لا تطاول اختار الإسلام ديناً وارتضاه وشرّفه وأعلاه. وبعث به محمداً واجتباه وأذلّ مَن ناوأه فقال تعالى: وجعل كلمة الذين كفرو السفلى وكلمة الله هي العليا[2]. وقال: ليظهره على الدين كله[3]. وأمير المؤمنين يرى أن من أقرب الوسائل إلى الله به بقاءً ما كان حافظاً للشرع ومجدداً لمعالمه. وقد كان الخلفاء الراشدون فرضوا على أهل الذمة المعاهدين حدوداً معقودة على الاستشعار والإخبات والاستكانة والتفرّد

---

1 – القلقشندي، صبح الأعشى، م. س، ج 13، ص 369.

2 – سورة التوبة: الآية 41.

3 – سورة الفتح: الآية 28.

عن المسلمين إعظاماً للإسلام وأهله. ولما تطرّق على هذه السنة إغفال واستمرّ فيها الإهمال أطرحت هذه الطائفة دواعي الاحتراس وتشبهت بالمسلمين في زيّهم، فرأى أمير المؤمنين الإيعاز إلى جميع أهل الذمة بتغيير اللباس الظاهر مما يعرفون به عند المشاهدة فليعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين[1].

توقيع المقتدي بالله بإلزام اليهود عدم تغيير ملابسهم، سنة 478 هـ.

قد رفع إلى مجلس العرض الأشرف حال بني اليهود وتظاهرهم بما حظر على أهل الذمة المظاهرة به، فمتى تعدّوا شرطاً مما أخذ فيهم نقضوا العهد وبرئت منهم الذمة، قال الله تعالى:﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2][3].

رسالة الناصر بمنع استخدام أهل الذمة في الدواوين

منع الناصر استخدام أهل الذمة في أعمال الدواوين، وكان لابن الأشقر كاتب ديوان العرض ولد وقد أسلم بين يدي ابن البخاري، فأرسل ابن البخاري نائب الوزارة يعلم الخليفة بذلك فأجابه الخليفة: إنما منعنا من استخدام الكفار لأجل كفرهم، فمَن أسلم يعاد إلى خدمته، وهذا يخلع عليه ويستخدم في ديوان العرض عوضاً عن أبيه. ويقال لكل من صرفنا من خدمتنا إن أحب الدخول في الإسلام فيعاد إلى خدمته ويشرف، ومن لم يفعل لا يمكن من خدمة تتعلق بنا، والسلام[4].

---

1 – ابن الجوزي، علي بن عبدالرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد الدكن/الهند، دائرة المعارف العثمانية، 1359 هـ، ج8، ص 96 – 97.

2 – سورة النور: الآية 63.

3 – ابن الجوزي، المنتظم، م. س، ج9، ص 14.

4 – الأيوبي، محمد بن تقي الدين، مضمار الحقائق وسرّ الخلائق، تحقيق حسن جمش، القاهرة، عالم الكتب، 1968، ص 74.

سوريا وشمال ما بين النهرين

مكتبة البحث

مراجع الدراسة والتحقيق

1- إبراهيم،غريغوريوس وخليفة، إلياس، نحو وحدة التراث السرياني الإنطاكي،غوسطا/لبنان، دير سيدة النصر، ط1، 1997، 118ص.

2- ابن الأخوّة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت729)، معالم القربة في أحكام الحسبة،تحقيق روبن ليوي، كمبريج، مطبعة دار الفنون، ط1، 1937.

3- ابن البطريق، سعيد (ت328)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ط1، 1906.

4- ابن الجوزي، علي بن عبدالرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد الدكن/الهند، دائرة المعارف العثمانية، 1359 هـ، ج8.

5- ابن العبري، أبو الفرج (ت1286 م)، تاريخ الزمان، ترجمة الأب إسحق أرملة، بيروت، دار المشرق، ط2، 2005، 417 + 11 ص.

6- ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج (ت 1286 هـ)، منارة الأقداس، ترجمة ديونيسيوس بهنام حجاوي، حلب، سلسلة التراث السرياني، ط1، 1996.

7- ابن ربّن الطبري، علي (ت247هـ)، الدين والدولة في نبوّة سيدنا محمد، تحقيق عادل نويهض، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط4، 1982، 239 ص.

8- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت751هـ)، أحكام أهل الذمة، تحقيق عبدالرؤوف سعد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1995، جزئين 354 + 260 ص.

9- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ)، لسان العرب، تحقيق يوسف البقاعي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط1، 2005، 2272 ص.

10- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت 182هـ)، الخراج، تقديم الفضل شلق، بيروت، دار الحداثة، ط1، 1990، 372 ص.

11- أبونا، الأب ألبير، الكنيسة الكلدانية السريانية الشرقية، ضمن دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، بيروت، دار المشرق، ط1، 1997.

12- أحد علماء المشارقة (1170 م)، شرح أمانة آباء مجمع نيقية، تحقيق بيير مصري، بيروت، مركز التراث العربي المسيحي، ط1، 2011، ج1، 473 + 14 ص.

13- إيليا الثاني، البطريرك (ت1131)، كتاب أصول الدين، تحقيق جان ماريا جانتسا، بيروت، مركز التراث العربي المسيحي، ط1، 2005، جزئين، 571 + 29 ص.

14- الأيوبي، محمد تقي الدين، مضمار الحقائق وسرّ الخلائق، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، عالم الكتب، 1968.

15- برصوم، أثناسيوس إفرام، عبر في سيَر، بيروت، ط2، 1997، 290ص.

16- تريّن، أرثر ستانلي (1881 – 1973)، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1967.

17- جبارة، جوزيف كميل، قاموس أعلام الفكر الديني المسيحي، بيروت، المكتبة البولسية، ط1، 2010، 710 ص.

18- حَبي، الأب يوسف، كنيسة المشرق الكلدانية الأثورية، الكسليك/لبنان، منشورات جامعة الروح القدس، ط1، 2001، 291 ص.

19- حَبي، الأب يوسف، مجامع كنيسة المشرق، الكسليك/لبنان، منشورات جامعة الروح القدس، ط1، 1999، 621 ص.

20- حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط7، 1965، ج3.

21- حموي، صبحي، معجم الإيمان المسيحي، مراجعة الأب جان كوربون، بيروت، دار المشرق، ط2، 1998، 714 ص.

22- الخلاّل، أبو بكر أحمد بن محمد (ت 311هـ)، أحكام أهل الملل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق سيد كردي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1994، 502 ص.

23- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، كتاب العين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 2005، 1119 ص.

24- دوفال، روبنس، تاريخ الأدب السرياني، ترجمة لويس قصاب، بغداد، مطرانية السريان الكاثوليك، 1992، 514 ص.

25- السرخسي، محمد بن أحمد، في شرح السيَر الكبير، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1957.

26- شير، أدي، تاريخ كلدو وأثور، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط1، 1912، ج2، 312 ص.

27- الصالح، صبحي، شرح الشروط العمرية مجرّداً من كتاب أحكام أهل الذمّة لابن القيم الجوزية، بيروت، دار العلم للملايين، ط2، 276ص.

28- صليبا، د. لويس، الأيورڤيدا والطب العربي، دراسة في الطب الهندي وأثره في أرض الإسلام، جبيل، دار ومكتبة بيبليون،ط1، 2006.

29- صليبا، د. لويس، المسيحية واليوغا مسلكان متناقضان أم متكاملان ضمن قاموس الفلسفة المسيحية، جبيل، دار ومكتبة بيبليون، ط1، 2012.

30- صليبا، د.لويس، قاموس الفلسفة المسيحية، اللاهوت الكاثوليكي مصادره وفلاسفته، جبيل، دار ومكتبة بيبليون، ط1، 2012، 480ص.

31- ضرغام، المطران يوسف (إشراف)، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الكنائس الشرقية والكاثوليكية، بيروت، دار المشرق، ط1، 1997، 362 ص.

32- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ط1، 1939، ج 7.

33- عطية، عزيز سوريال (1898 – 1988)، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة ميخائيل إسكندر، القاهرة، مكتبة المحبة، ط1، 2005، 432 ص.

34- علي، سيد أمير، مختصر تاريخ العرب، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1961.

35- الفغالي، الخوري بولس، المحيط الجامع في الكتاب المقدّس والشرق القديم، بيروت، المطبعة البولسية، ط2، 2009، 1444ص.

36- الفغالي، بولس، فيوض في الفكر المشرقي، سلسلة على هامش الكتاب 18، بيروت، الرابطة الكتابية، ط1، 2009.

37- فييه، الأب جان موريس، الكنيسة السريانية الشرقية، ترجمة كميل حشيمه،بيروت، دار المشرق، ط1، 1990، 56.
38- قاشا، سهيل، أحوال النصارى في خلافة بني أمية، بيروت، مركز التراث العربي المسيحي، ط1، 2005، 3 أجزاء، 925 + 14 ص.
39- قدامة بن جعفر (ت 328)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، بغداد، وزارة الثقافة، ط1، 1981، 624 ص.
40- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (821 ه)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق أحمد عبدالستّار فرّاج، بيروت، عالم الكتب، ط1، 2006.
41- كامل، مراد، وبكري محمد، تاريخ الأدب السرياني، القاهرة، دار الثقافة، ط2، 1974، 384 ص.
42- مخول، موسى، الحضارة السريانية حضارة عالمية، بيروت، بيسان للنشر، ط1، 2009، 710 ص.
43- مسكويه الرازي، أبو علي (ت 421 ه)،تجارب الأمم، تحقيق أبوالقاسم إمامي، طهران، دار سروش، ط1، 1997، ج4، 528 ص.
44- منصور أحمد صبحي،مقالة على موقع www.sscraw.org
45- موريون، جان، لويس ماسينيون، ترجمة منى النجار، سلسلة أعلام الفكر العالمي، بيروت، المؤسسة العربية، ط1، 1981، 144 ص.
46- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت723 ه)، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب، 1923، ج9.
47- نيكول، دونالد ،معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة، ط1، 2003، 285 ص.

48- يتيم، المطران ميشيل وديك، إغناطيوس، تاريخ الكنيسة الشرقية، بيروت، المكتبة البولسية، ط4، 1999، 406 ص.

49- يحيى بن آدم القرشي (ت 203 هـ)، كتاب الخراج، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، دار الحداثة، ط1، 1990.

50- يوسابيوس القيصري (ت340 م)، تاريخ الكنيسة، ترجمة مرقس داود، القاهرة، مكتبة المحبة، ط3، 1998، 470 ص.

51- شيخو، الأب لويس، وزراء النصرانيّة وكتابها في الإسلام، تحقيق الأب كميل حشيمة، بيروت، مركز التراث العربي المسيحي، ط1، 1987، 279 + 31 ص.

52- Landron, Benédicte, Chrétiens et musulmans en Irak, Attittudes Nestoriennes vis à vis de l'Islam, Paris, Cariscript, 1994, p 139.

53- Nau, M.F, Un colloque du Patriarche Jean avec l'émir des Agériens, in Journal Asiatique n°5, mars-avril, 1915, pp – 274-279.

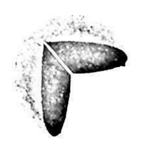
54- Scher, Addaî, Histoire nestoriènne inédite ou chronique de Séert, coll. Patrologia Orientalis, Vol 13, Brepols, Belgique, 2ème Edition, 1983, p 600.

55- Wright, William, a catalogue of the syriac Manuscripts preserved in the library of the university of Cambridge, C. University Press, Vols II.

56- Gianazza, Gianmaria, traité de la demonstration et de la direction de Saliba ibn Yuhanna, in Parole de l'Orient, Kaslik, U.S.F.K, 1997, vol. 22, pp. 567 – 629.

57- Gianazza, Gianmaria, lettre de Makkîhâ sur la verité de la religion chrétienne, in Parole de l'Orient, Kaslik, U.S.E.K, 2000, vol. 25, pp.493 – 555.

58- Gianazza, Gianmaria, Bref traité sur la paternité et la filiation selon les chrétiens du Patriarche Makkîhâ I (1092 – 1109), in Parole de l'Orient, Kaslik, U.S.E.K, 1983, vol. XI, pp. 235 – 255.



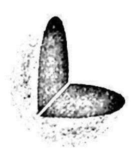
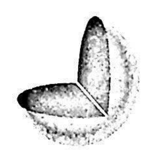

أخبار بطاركة كرسي المشرق
من كتاب أسفار الأسرار

تأليف صليبا بن يوحنا الموصلي

تحقيق وتعليق

د. لويس صليبا

الأصل الثاني من السِفر الخامس

أبواب القسم الثاني

الباب الأول/البطاركة منذ ظهور المسيحية حتى مجيء الإسلام.

الباب الثاني/البطاركة في صدر الإسلام.

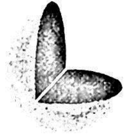
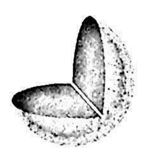
الباب الثالث/البطاركة في العصر العبّاسي.

الباب الرابع/ البطاركة في العهد المغولي.



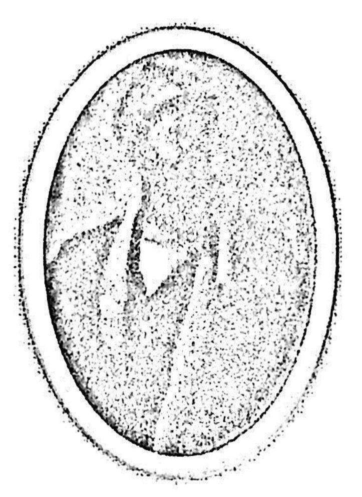

الباب الأوّل

البطاركة منذ ظهور المسيحية حتى مجيء الإسلام



القديس توما الرسول



مار ماري مؤسس كنيسة المشرق

فصل 1″
الجاثليق 1″

[ماري مؤسّس الكرسي البطريركي في المداين]

مار ماري هذا السليّح الطاهر هو الذي أسّس كرسي المشرق، وهو الذي تلمذ الراذان ثم المداين بجهدٍ عظيم وتعبٍ شديد، لأنها كانت كرسي مملكة الفرس وسكّانها أكثرهم كانوا مجوساً. ثم دورقني وكشكر. وأسام على كشكر أسقفاً وهو أوّل أسقف أسيم في تلك البلاد، ولذلك صار هو أوّل كل الأساقفة، وناظر كرسي الفطركية، ثم إنه بادر إلى تلماذ جميع نواحي أرض بابل والعراقين والأهواز واليمن والجزائر وبلاد العرب سكان الخيم ونجران وجزائر بحر اليمن وبحر الهند. ولا يزال يتردّد في كل هذه البلاد المذكورة وفي البلاد التي تلمذ فيها مار أداي رفيقهُ ويتلمذ ويعمّد ويعلّم ويقيم البيع ويشفي الأمراض ويعمل الآيات والعجائب حتى انطاعت له العباد. وأظهر الدين المسيحي في كل هذه البلاد [وذلك في أيام أفرهط ملك بابل ونيرون قيصر ملك الروم وأوّل ولاية هذا السليّح كانت سنة ثلاثماية وستين يونانية بسرجاد عادد]. وعاد إلى المداين وأقام بها. وأسّس كرسي الفطركية فيها وثبتهُ. وأمر أن لا يكون أسياميذ الجاثليق فطرك المشرق إلاّ بها خاصة إلى آخر الزمان. وكان إذا قدّس أو سام يلبس بيرون أبيض. وأقام في التلماذ بعد مار اداي رفيقه ثلاثة وثلاثين سنة أوصى وقت نياحه أن المختار للكرسي من بعده هو في أورشليم، فليطلب من هناك. واستناح يوم الجمعة الثانية من سابوع القيظ تاسع عشر تموز سنة ثلاثماية وثلاثة وتسعين يونانية ودفن عن يمين

المذبح بالبيعة الكُبرى بدورقني في سرجاد ولو [وخلا الكرسي من بعده سبع سنين].

فصل 2//
الجاثليق 2//
أبريس (أمبرواس) (121 – 137)

[جاثليق آت من أورشليم]

ابريس وهو اسم فارسي وتفسيره العضد. وكان شيخاً بهيّاً طويل القامة تقيّاً زاهداً في العالم، وفي لذّات الدنيا متخلّياً عنها. وهو عبراني من أهل بيت يوسف خطّيب السيدة وأقاربه. وأسامه شمعون ابن قليوفا مدبّر بيعة أورشليم بعد يعقوب المسمّى أخو الرب. وذلك أن المؤمنين المشارقة بعد موت مار ماري السلّيح أرسلوا إلى أورشليم يطلبون الفطرك الذي اختاره المسيح [لهم] على ما عرّفهم مار ماري الرسول. ولما كان شمعون ابن قليوفا لم يعرف مَن هو المختار لذلك أمر باتفاق مَن عنده من المؤمنين أن يعملوا الصلاة ثلاثة أيام ويسألون [ويسألو] الرب فيها أن يختار لبيعته في المشرق مَن يدبّرها ويعرّفهم مَن هو [المختار]. فلمّا أكملوا الصلاة في اليوم الثالث رأى ثلاثة رجال من الفضلاء المشهورين بالصدق والعفة في وقت واحد في منامهم شخصاً كهلاً يقول لهم قد سمع الله صلاتكم وأجاب دعاءكم واختار لبيعته رجلاً [صالحاً]، وهو في الجبل اسمه إبريس. فذكر كل واحد منهم ما رأى، فقيل لهم لسنا نعرف الجبل ولا الرجل فعاودهم الرؤيا في الليلة الأخرى أن يوم الأحد وقت الصلاة يوافيكم الإنسان الذي تطلبون. فلمّا كان يوم الأحد وهم في الصلاة دخل إليهم هذا القدّيس. فلمّا نظروا إليه وسألوه صدّقوا الرؤيا وتمسّكوا

به. ولم يكُن له شيء من درجات الكهنوت، فأعطاه شمعون المذكور جميعها في وقت واحد. وألبسه بيرون أخضر. وأسامه فطركاً. وسيّره إلى المشرق سنة أحد وأربعماية يونانية بسورجاد يدا [في أيام أدريانوس قيصر]. فأحسن سيرته في الناس، وجمع شمل المؤمنين. وما ظهر يوماً منه حرد ولا سخط ولا لعن ولا غضب، ولا قاوم أحد على ذنب إلا وهو يبكي. وكانت الرعيّة له طائعة لحسن قيامه بأمورهم. وكان عاضداً لكل ضعيف مشبعاً لبطون الجياع كاسياً لأجساد العراة ومفرّجاً عن قلوب المكتئبين باذلاً نفسه لعيادة المرضى ولا يسيم أسقفاً أو مطراناً إلا بعد السؤال والفحص. ودبّر الكرسي سبعة عشر سنة واستناح سنة تيح يونانية [وآيات السنة يبددز في أيام إليا أدريانوس قيصر]. ودفن بالمداين [وخلا الكرسي من بعده اثنين وعشرين سنة].

فصل 3″
الجاثليق3″
إبراهيم الأوّل (159 – 171)

[مار إبراهيم يشفي ابن الملك ويرفع الاضطهاد]

إبراهيم قرابة يعقوب المسمّى أخو الرب.

[هذا الأب كان] متشيّباً شهماً بطالاً [بطلاً] كريماً عالماً مدوّر اللحية معروفاً بالسخا والجود يكاد يداني إبراهيم الأب الأوّل. وكان مقامه بإنطاكية ثم بكشكر. فاجتباه روح القدس، فاختير، وعقدت له الفطركة. [وأسيم] وعليه بيرونٌ أحمر [سنة أحد وأربعين وأربعماية يونانية والحصة من الدايرة بوطب في أيام أنطونيوس قيصر]. ولبث قليلاً، ثم انفتحت عليه أبواب المحن لأن ملك الفرس كان قد زاد في أذيّة النصارى

في زمان هذا الأب، فصبر وتضرّع إلى المسيح وأذرى دمعته وسأله كشف الضرّ عن المؤمنين بآية يظهرها. فاستجاب منه، وأزال المكروه بدعائه وصلاته. وذلك أن ملك الفرس كان له ابناً [ابن] قد عارضه الشيطان وصرعه وعذّبه مدّة طويلة، وبذل للمعزّمين والسحرا [والسحرة] والرقائين والمتطبّبين أموالاً كثيرة، فلم يقدروا على برئه. فعرّفه بعض أصحابه حال إبراهيم رئيس النصارى. فدعاه إليه، وقد بلغ منه المجهود وكره الحيوة من شدّة الغمّ والهمّ. فلما حضر عنده نظر إليه الملك. وشاهد شحوبة لونه وجفاف جسمه، فاهتزّ وخشع قلبه منه حتى ترجرج عن مجلسه وأنكر ما رآه من طول شعره وأظافيره. فسأله عن سبب ذلك، فقال قد اجتمعت هذه الخلال في عبدالملك لسخطه عليه وعلى رعيته: فقال له أتحبّ أن أرضى عنك وعن رعيتك؟ قال نعم. قال تطرد الشيطان عن ولدي، فإن عوفي على يدك لأرفع قدرك وأقضي حوايجك وحوايج أصحابك. فتقدّم هذا الأب القدّيس ورسم على الصبيّ آية الصليب، وقال أيها الشيطان المارد أخرج من هذا الصبيّ باسم أيشوع المسيح ولا تمكث وأنت ممنوع بكلمة الله الأزليّ الحيّ الناطق الحالّ في أحشا السيدة مريم العذرى المتّحد بالبشري المأخوذ منها وهو ربنا يسوع المسيح. فخرج الشيطان كالزوبعة والريح الخاطف وهو يُوَلْوِل ويستغيث من المسيح وأصحابه. فاشتدّ فرح الملك وأصحابه وجلسائه، وأمر بأن يكتب إلى جميع ممالكه وينادى فيها برفع الأذيّة عن النصارى، ومَن تجاوز ذلك فقد أوجب على نفسه العقوبة. فلبث المؤمنين[المؤمنون] آمنين باقي حيوته.

واستناح في سنة ثلاثة وستين وأربعماية يونانية وحساب الدايرة يطوو. ودفن بالمداين. وكانت مدة رياسته اثني وعشرين سنة. وخلا الكرسي من بعده تسعة عشر سنة.

فصل 4″
الجاثليق 4″
يعقوب الأول (... – 190)

يعقوب ابن إبراهم. [هذا الأب كان] شيخاً مدوّر اللحية له رؤاء ومنظر ليّن الأخلاق. أصله من آل يوسف خطّيب السيدة.

[جاثليق عنوان القداسة]

فاجتمع على اختياره جميع مَن له الاختيار. فامتنع من أن يسام. وقال لم أكن أصلح أن أرعى غنم خرس، فكيف أرعى أغناماً ناطقة؟ وأجتهد أن يعفى، فلم يعفَ. وأسيم قهراً. وكان لابساً بيرون نفطي [سنة ثلاثة وثمانين وأربعماية يونانية في نوبة أحبّها من دايرة الحساب]. وسلّمت إليه درج الكهنوت كلها في وقت واحد، فأحسن سيرته وتدبيره وواظب على الصوم والصلوة دايماً. وكان لا يسيم أسقفاً إلاّ مَن يشابهه ويماثله في الطهارة والقدس بعد أن يصوّمه سنة كاملة، وإن كان يكون مِمّن يقدر على الصوم دايماً ألزمه ذلك. فحسنت أحوال البيعة في أيامه، وكان إذا جلس بين أساقفته أزهر كالشمس بين الكواكب.

وفي أيامه ظهر بمصر فرفوريوس الفيلسوف وعمل تفصيل الإنجيل.

وفي أيامه قوي أمر الفرس وبنى أردشير مدينة المسماة باسمه [وكان الملك على الروم قوميذوس قيصر والطبيب جالينوس ومات جالينوس في السنة الخامسة من رياسة قوميذوس قيصر].

واستناح هذا الأب سنة أحدى وخمسماية [وحساب الدايرة يطوو] ودفن بالمداين. وكانت مدة رياسته ثمانية وعشرين سنة وشهور وخلا الكرسي من بعده أربعة عشر سنة.

فصل 5//
الجاثليق 5//
أحاد دبوي (204 – 220)

أحادابوي وهو اسم سرياني وتفسيره أخو أبيه، لأنه كان أشبه الناس بأبيه. وأصله كان من بيت المقدس. وهو شيخ مدوّر اللحية يخالطها سواد قليل.

[مرشحان للجثلقة يتوجّهان إلى إنطاكيا]

وصورة اختياره كانت أن يعقوب من قبل وفاته أوصى [هكذا] أن يتوجّه اثنان من تلاميذه وهما قاميشوع وأحادابوي[1] إلى أنطاكية ليسام أحدهما هناك فطركاً لعلمه بأن [ملك] الفرس لم يمكّن من الأسياميذ. ومن بعد ما استنتاح مضيا كما أمر، فلمّا وصلا وجد الأعداء طريقاً إلى السعاية بهما إلى ملك الروم. وقيل له إنهما جواسيس وإن فطرك إنطاكية مواطئ مع ملك الفرس لأجل النصارى الذين في بلاده، وإنه يراسله على ألسِنَةِ مَن يسيمه باختيارك يتجنّب المكاتبة إليه خوفاً من وقوعها في يدك. فأمر ملك الروم في القبض على الفطرك وعليهما، فقبض قاميشوع والذي وجد في منزله وهو صليبا الرئيس الإنطاكي، وصُلبا هما والفطرك عراتا [عراة] مجرّدين على باب بيعة السلّيحين بإنطاكية. وأحادابوي هرب إلى أورشليم.

[أحادابوي ينجو ويسام في أورشليم]

فلمّا جرت هذه الحادثة الصعبة المرّة وترتّب على الإنطاكية فطرك

---

1 – في مخطوط الفاتيكان وهما يهب إيشوع وأحدا بوي.

آخر، اتفق الأربع فطاركة على رأيٍ واحد، وكتبوا سجلاً على ما يأتي ذكره، وأثبتوا فيه أنه لا يعود يجي إلى إنطاكية ولا إلى غيرها ليسام مَن يروم أن يكون فطركاً لكرسي المشرق [ولو كان عليهم خوفاً أو اضطهاداً أو قتالاً]. بل تجتمع المطارنة والأساقفة والروسا والمومنين[والمؤمنون] ويختارون مَن يصلح، ويكملون أسياميذه في بيعة المداين، ونحن معهم بالروح. و[أما] أحادابوي لما حصل بأورشليم أسامه [متاوس] صاحب الكرسي بها في بيعة القيامة ببيرون نفطي [وسيره إلى كرسيه بالمداين سنة خمسماية وستة عشر يونانية في أيام الخسندروس قيصر بسورجاد يهباد وفرح المومنين بقدومه] ودبّر تدبيراً حسناً مدّة حيوته.

واستناح سنة أحد وثلاثين وخمسماية [يونانية وحصّة دايرة السنة كانت يادد]، ودفن بالمداين. وكانت مدّة رياسته خمسة عشر سنة. وخلا الكرسي بعده ثلاثة سنين.

[سجل البطاركة بإلغاء الذهاب إلى إنطاكيا]

[نسخة السجل المذكور والعهد المشهور المكتوب من الآباء المغاربة فطاركة الأربع كراسي الكبار لكرسي المشرق. لجماعة الإخوة بالمسيح سيّدنا مخلّص جوهر الأقدمين ومنهض سقطة الأوّلين. وقابل توبة الخاطيين. وأعضاء النصرانية السكّان بالمشرق. من أخوتكم في الأمانة. واضلاعكم في الدرجة، وأقرانكم في الدعوة. جماعة الرعاة المتعوبين في حياطة أغنام يشوع المسيح وطاردي الذئاب الخاطفة البشرية عنها وحرّاسها من غلبة الطائفة من الروحانين المنحرفين من الطاعة الخارجين عن المحجّة السالكين في غير محبة الخالق سيلم مخلصنا من وضر الخلية ومنقذ هلكتنا من قنية الطاغوث يكون معنا ومعكم إلى انقضاء الدهر

أمين.

نحن الذين بلا استحقاق نُصّبنا في بيعة المسيح سيدنا رعاة ولقبنا فيها رؤساء وجعلنا آباء للرعية وأخوة للروسا........................ فاخراً جزيلاً ونسنّ فيكم سنناً نافعة محموداً عواقبها مفرحاً عاجلها، لأنكم أخوتنا وابنا صبغة سيدنا المسيح لا سيما في هذا العصر الذي قد تكفينا فيه المكاره فيكم، وعظمت المصائب، وتنبعت ينابيع الأحزان، واضطربت، وغلب بعضها بعضاً. وأشفقنا معاشر الرعاة المتعوبين المحزونين عليكم معشر الأخوة والأبنا المؤمنين، وذكرنا مضمون الكتاب المنبّه المحذّر، إذ يضمن أن المكروه ليس له حدّ يقف عنده، وينتهي إليه، خاصة مكروه دين النصرانية. لأن جميع الأمم المقاومة له حريصة على إبادته.

ولما عاينت أبصارنا إراقة دم الأبوين الطاهرين راعيين فاضلين، وهتكهما بالتعرية، والصلب على باب بيعة إنطاكية بغير جرم كان لهما، أو خيانة كانت منهما. فألمت لهما القلوب. فتصدّعت وبكت العيون. فسخنت وارتاعت النفوس. فانخذلت واضطربت الأرض وتزلزلت وزعقت أصوات بيعتَي المشرق والمغرب بالويل والعويل، ونادت ودعت بالثبور الطويل. لأن الأبوَين المظلومَين الراعيَين المشهورَين أحدهما راعي بيعة المشرق والآخر راعي بيعة المغرب ندبا، وكان قتلهما مشهوراً، وهتكهما مكشوفاً فانهدّت أركان النصرانية، وعظمت المصيبة على أهلها. فاجتمعت من الآباء الموافقة بالروح، واتفقت على رأي واحد، وسالمت إجازة أنه متى مضى رئيس المطارنة والأساقفة المتقلّد لرعاية المشرق من بيعة أسليق المدينة السنّية ذات البيعة الكبيرة الكاثوليكية الفاخرة ألاّ يصعد إلى إنطاكية مَن يندب للرياسة مكانه، وأن ذلك كان مَنًّا بالإشفاق على دين النصرانية، وحذراً من هتك رؤسائها، وطلباً لسترهم، وخوفاً من

خلاف يجري من الملوك، فيهيّج المكروه على الدين. بل يختار مَن يتفطرك مطارنته وأساقفته ورعيّته. وهذا رأينا وتسليمنا ورضانا برعاية الرئيس الكبير الذي يكون كرسيّه باسليق واقطسفون، وهي تخوم كرخي وساحة المداين في البيعة الكبرى وأنه الرئيس الفطرك على جميع أساقفة المشرق وما يليه وأن كرسيه كأحد الكراسي الأربعة وتاليها التي أحدها كرسي متى الإنجيلي وثانيها كرسي مرقس نظيره في كتابة الرسالة. وثالثها كرسي لوقا الشهم البطل المشبع لشرح إنجيل سيدنا ومولده. ورابعها كرسي يوحنا البتول كاشف أسرار النبوّة الأزلية الموضح لفضائل الروح. وصار له أن يتولى أسياميذ المطرنة. وتبريك الأساقفة وتكميل أمر الرعاة وترتيب الروسا بتخوم المشرق. وأشور وماداي وفارس. وأن تكون جميع الكراسي من تحت يده. وترضى بتدبيره. وتصدر عن أمره وتعمل برأيه. ومتى انصرف هذا الرئيس المفطرك بمطارنته وأساقفته من دار السكني إلى دار الملك الأعلى فليس لأساقفته أن يختاروا مَن يُرتّب للفطركة مستبدّين. إلا أن يحضر مطران أم مطرانان. إذ ليس واجباً أن يلد البنون أباهم. ولا يبارك الناقص للكامل، كما أن إبراهيم، وإن كان كبيراً عندالله، لم يمتنع أن يباركه ملكيزدق عليه السلام تبركه. بل تواضع إبراهيم عليه السلام وطأطأ رأسه وقبل البركة من ملكيزدق، وقرّب له العشر، وأهدى إليه مِمّا كان عنده من غنمه، لأنه كان ملكاً وصديقاً واسمه ملك النصفة وسلم. وهو أوّل مَن قرّب بالخبز والخمر مقدّمة لما أمر به سيدنا تلاميذه أن يفعلوا من ذلك ويقيموه مقام جسده المقدّس ودمه المطهّر المسفوك المنقذ للعالم. وإن اتفقت المطارنة والرؤسا بأسرهم، فليجتمعوا مع كل مَن مكّنهم الزمان من الاجتماع به. وليبتدئوا بالصلوة، ونحن معهم بالروح والإخلاص والوفاق والاتحاد المسيحي

والاتفاق، وليختاروا شخصاً بهيّاً تقيّاً نقيّاً صالحاً ذكيّاً طاهراً، خايفاً من بأس الله وسطوته، عاملاً بمحبّته وإرادته، واقفاً عند طاعته، عالماً بشريعته، حافظاً لسنّته. ثم لِيَتْلُ عليه المطارنةُ الأول ثم الأول منهم، ومن الأساقفة الصلوةَ التي يجب أن تتلى عليه حسب الرسوم الجارية. وحينئذ يصير أب الآبا وراعي الرعاة فطريرك مدبّر الشعوب في سائر المشرق ونواحيه. ونحن الآن الضعفاء مدبّرين بيت الله جلّت عظمته ورعاة غنمه الناطقة، قد أذنا بإذن الله الأب الحي، وإرادة ابنه ومسيحه الخالق بلاهوته الخلايق، ومحبة روحه المنشي مانح المنايح والمهدي إلى الحقائق، وسالمنا بأجمعنا بكلمة متّفقة متألّفة وآراء مجتمعة غير مختلفة الرئاسة على الأساقفة والمطارنة وتدبير الفطركة لِمَن يجلس على الكرسي الفاخر ببيعة كرخي العظمى بتخوم أسليق بالمشرق البيعة التي أسّست على الإيمان الفاضل الصحيح. والاعتقاد الجليّ الصريح. وهذا التسليم والرضا والإجازة والإنفاذ والإمضاء منا، فليكن باقياً لجميع مَن تفطرك على هذا الكرسي المكرّم إلى ظهور سيدنا المسيح في مجده العظيم، ليس لأحد أن يغيّره ويبدّله، ولا يزيله، ولا يحيله، ولا يزعزع بنيته، ولا يشوّش قاعدته، ولا يعترض عليه، ولا يسير بأمر ولا نهي إليه، فريضة حتّمناها بسلطان السما والأرض المسلّمين إلينا. والمجد العلوي المفاض علينا لا يحلّ لأحد بكلمة الله الخالقة التي هي أحدّ من السيف ذي الحدّين التي تصل إلى صميم القلب فتبرمه، وإلى الأعضاء فتفصلها، أن يخالفها أو ينقضها أو يفسخها أو يدحضها. ومَن تخطّى ذلك كان ممنوعاً من شرائع النصرانية والاختلاط بشيء من فضائلها. وهذا الرئيس الفاضل المؤهّل لهذه الرتبة النبيلة والمنصب المفضّل النبيل، الجالس على هذا الكرسي الممجّد الجليل، فليسم المطارنة ويكمل الأساقفة. وله أن يختار للكراسي مَن

يعلم اضطلاعه وقيامه بشرائط واجباتها، ونهوضه بمُقْتَضاها، بغير اعتراض عليه ولا أخذٍ على يده ما لم يتجاوز القانون الذي رسمه الآباء المقدّسون والرعاة المختارون الذين آثروا الدين على النفس والمنتخبون بروح القدس. وليس له أن يسيم مطراناً أو أسقفاً إلا ومعه أسقفان. ومتى أسيم أسقف من مطران، فليس له أن يحضر في محافل الروسا إلاّ إلى بعد أن يصير إلى أب الأبا الأكبر الأعظم ورئيس الرعاة الفطريرك المكرّم، فيباركه ويكمل له السلطان للأسقفة كما كان يحمل إلى موسى مرارى وأهرون. وإذا أسيم، فليقرأوا من الإنجيل على رأسه الفصل الذي لرئيس الإثني عشر صفاة البيعة وأساس الشريعة لما أعطاه سيّدنا مفاتيح ملكوت السما وسلطنة على العقد والحلّ والتولية والعزل في العلويات وأسفليات والسما والغبراء، يكون ذلك عهداً شاهداً له بتضمّنه والعمل بما سمعه منه. ثم ليتلى على رأس رئيس الرؤسا الصلوة الواجبة له، ويُؤَمَّن على دعاية [دعائه]، لأنه تاج البيعة وإكليل الكهنة وفخر الرعيّة. ثم يلبسه لباس الكمال، وليعطه العصاة [العصى]، وليأمره بأن يتّقي الله ويطيع مسيحه، وليحفظ مواعيد، وليجتهد في رعاياه ما أوتمن عليه. وأن يسلك مسالك الأبرار، ويحذّر من طرق الفجّار. ومتى تعدّى الفطريرك طوره وجار أعوذ بالله في حكمه، وخاف في أيامه، وكان سلطان المملكة نصرانياً فلينه أمره إلى الملك حتى يحضره ويقوّمه بحضرة مطارنته وأساقفته مستورين. وإن كان ذلك قبيحاً أن يدان مَن دُفعت إليه مفاتيح ملكوت السما وجُعل إليه غفران الخطايا. وإن لم يكُن للنصرانيّة ملك، فليتأخر مداينته لظهور سيّدنا المسيح ديَّان الملوك وسائر الشعوب.

وهذه الشروط شرطناها وأنفذناها وحكمنا بها ورضيناها رضى لا رجوع فيه وتسليماً لا شي يحلّه ويعفيه. فليكن ما ذكرنا أمام أعينكم،

وما رسمناه ثابتاً في قلوبكم، وما برهنّاه مدوّناً عندكم. والمسيح سيدنا يودع سلامه وأمانه ورأفته في جميع بيعه ويمينه تحوطكم إلى دهر الداهرين آمين.

والراعيان الأوّلان اللذان أريق دمهما واختلط بدم سيّدنا المسيح، وصارا شريكَيه في الآلام وصفييه في الملكوت الأعلى والنِعم صلاتُهما. وإن كانا راقدين تحفظ جميع بني البيعة المفجوعة بفقدهما. وكذلك نحن الضعفا نسأل سيدنا ومخلّصنا أن يحفظ بيعته، ويستر كهنته، ويخلّص رعيته من كيد الأعدا الناصبين وفخاخ الروحانيين وجور الجسمانيين، وأن يسبغ عليكم من قوّة نعمته وعظيم بركته ما ترهبون معه كل مقاوم وتقهرون به لكل معاند. فلا تولون مدبّرين، ولا تنكصون على أعقابكم خاسرين. نعم يا ربّ أحلل نعمتك على عبيدك الفطاركة والمطارنة والأساقفة والقسّان والشمامسة والمؤمنين، وأفرغ مواهبك عليهم، وظاهر إحسانك إليهم، وطهّر أجسادهم، وصغ آذانهم وحكم غفلاتهم، وأيقظ سنتهم وأعزز ذلّتهم، وكثر قلتهم، وأغن فاقتهم، وأجبر كسرتهم، وأصلح أمرهم واردد ضالّهم ونافرهم. وتمّم وعدك بمجازاتهم كما تمّمته لأصفياك إبراهيم وإسحاق ويعقوب آمين آمين آمين.

فصل 6″

الجاثليق 6″

شحلوفا (220 – 240)

شحلوفا [هذا الأب كان] شيخاً مفروق اللحية حكيماً عالماً ماهراً من أهل كشكر مقدّماً في أهل زمانه عارفاً بالأمور حافظاً للعلوم.

[جاثليق يتقن محاجة اليهود والمجوس]

وكان فيه لطفاً عجيباً، ومعرفة بقراءة الكتب وحفظ المعاني. ماهراً في الخطب، قوياً في حجج المجادلة [مع اليهود ومع المجوس] حليماً عند الغضب، وقوراً عند الحرد. فاجتمع الناس على محبّته. وكان أسقفاً، وظهر منه رغبة في عمارة البيع، وتعهّد المساكين، وتفقد الأسكوليين ومطالبتهم بالتعلّم.

فاختير للفطركة [سنة خمسة وثلاثين وخمسماية يونانية في أيام أردشير ملك الفرس وغرديانوس قيصر ملك الروم والحصة يهباد]. واجتمع الأبا وعقدوا له الأسياميذ ببيعة المداين، وهو لابس بيرون أخضر. ورعى غنم المسيح أحسن رعاية ودبّر الأمور أشدّ تدبير.

وفي أيامه زالت ملوك الطوايف واجتمعت الممالك لأردشير ملك الفرس.

وفي أيامه أسيم أغناطيوس تلميذ يوحنا الإنجيلي فطركاً على إنطاكية. وهو الذي رأى الملايكة يشمسون كُدّين أعني [يصلون] صفّين فرسم ذلك في البيعة [ورتّبه وأمر به]. وفي أيامه ظهر أنطونيوس وپولا ببرية مصر.

واستناح هذا الأب الطاهر في السنة الرابعة من ملك شابور ابن أردشير سنة خمسة وخمسين وخمسماية يونانية [وحصة السنة الدايرة يهطب] ودُفن في [بيعة] المداين وكانت مدّة رياسته عشرين سنة [وخلا الكرسي من بعده سنتَين وأيام].

فصل 7"

الجاثليق 7"

فافا الأوّل (ت329) (310 – 327)

فافا ابن حجي [هذا الأب كان] من أهل العراق، أعني [بلد] بابل. [وكان] شاباً عالِماً باللغة الفارسيّة والسريانيّة. وعمّر في الكرسي حتى صار شيخاً كبيراً هرماً.

ولما وقع الاختيار له [قام له في الأسياميذ] وعليه بيرون مسني، وعقدت له الفطركة بالمداين سنة ثمان وخمسين وخمسماية يونانية [في حصة بطوو وذلك] في أيام [أوغانيوس قيصر] وشبور ابن أردشير ملك الفرس.

[شابور يتوّج في بطن أمه]

وفي أيامه مات [تسع ملوك من القياصرة]، ومن ملوك الفرس سبع ملوك وهم شابور المذكور وهرمزد ابنه بهرام شاهنشاه ونرسي وهرمزد ابن نرسي ومات هرمزد المذكور، ولم يكُن له ولد يقوم مقامه. وكانت امرأة من نسائه حامل، فسألوها عظما الدولة قايلين هل تعلمين نفسك أنك حامل بغلام أم بجارية، فقالت أرى الجنين يتحرّك في الجانب الأيمن مع خفة الحمل دليلاً على أن يكون ذكراً ففرحوا بذلك، وعقدوا التاج على بطن تلك الامرأة، فولدت غلاماً، فسُمّي شابور، ولقب بذي الأكتاف لأنه ان إذا ظفر بملك من الملوك خلع كتفَيه. فاشتدّ أهل فارس بملكه، إلا النصارى فإنهم لاقوا منه جوراً صعباً وشراً لا يوصف [وجمع عساكر ومضى إلى بلاد الحبشة وغزاها ونهب وأحرق وقتل وسبى وعاد لذلك كان

يسعى شابور الجندوي].

[شابور يأسر بطريرك إنطاكيا]

وفي أيام هذا الأب خرج شابور إلى بلاد المغرب وقتل [أيضاً] وسبى وأحرق وتوجّه إلى بلاد الروم، وقصد الإنطاكية وسبى أهلها. وحصل في السبي ديماطريوس الفطرك وجماعة من الأساقفة، وحمل الجميع إلى الأهواز، وبنى لهم مدينة وسمّاها جنديسابور. وحيث حصل الفطرك هناك تقدّم فافا فطرك المشرق إليه، وسأله أن يجلس في الكرسي ويدبّره مدّة حيوته. فامتنع، ولم يفعل. فقال هل دبّر مَن معك من السبي كجاري عادتك في الفطركة، فقال معاذ الله أن أفعل ما لم تعطينيه روح القدس، لأن الرياسة بالمشرق هي لفافا ليس لي. فسأله فافا أن يتسلّم مطرنة جنديسابور، وقدّمه على سائر مطارنة المشرق، وصيّره صاحب اليمن وأن يكون المستولى لعقد الفطركة، لِمَن يقع عليه الاختيار، وبقي هذا الرسم إلى الآن.

[أحداث زمن فافا ومشاهيره]

وفي أيام هذا الأب ظهر ببلاد الروم والمغرب ماني وأريوس الإسكندراني ونحوهم من أصحاب البدع.

وفي أيامه كان من القدّيسين مار يعقوب مطران نصيبين صاحب الآيات والمعجزات[1] ومار أفريم المعلم الكبير، وغريغوريوس فاعل

1 - مار يعقوب أسقف نصيبين من 308 إلى 338. معاصر للقدّيس إفرام السرياني الشهير الملقب بكنارة الروح القدس. بنى الكنيسة العظمى المندثرة اليوم في نصيبين. قام بدور فاعل في مجمع نيقيا عام 325 في إدانة آريوس. وقد شهد له القدّيس أثناسيوس بطريرك الإسكندرية بذلك. يروى أن

العجائب، ومار أوجين القدّيس الكبير ظهر بأرضة القبط، وسكن برية مصر وانتقل إلى جبل نصيبين[1]، وبنى الدير المعروف به وجمع إليه الرهبان واستناح فيه.

وفي أيامه استشهد سرجيس وباكوس[2].

القدّيس أفرام رافقه إلى هذا المجمع. وقد أقام يعقوب إفرام مفسّراً للكتب المقدّسة لدى عودته. وأشار إفرام إلى دور يعقوب المثالي في الحفاظ على نصيبين بالعصا من الفساد والرذيلة.
يروى أنه أنقذ نصيبين بصلواته من حصار شابور الأول لها عام 338. وقد توفي بعد الحصار بمدة وجيزة. وبقي جثمانه حامياً لنصيبين لا سيما أثناء الحصار الثالث 350. ثم نقلت ذخائره إلى أمد عام 363 بعد أن احتلّ الفرس نصيبين. ينسب إليه دور في البشارة في أرمينية.

1 - القدّيس أوجين أبو الرهبان. ورد في سيرته أنه بدأ حياته غوّاصاً يجمع اللؤلؤ مدّة خمسة وعشرين عاماً، في جزيرة قليزمه (كوم القلزم الحالية قرب السويس). وكان يصنع الكرامات، ويتنبأ عن حدوث العواصف، وينقذ الغرقى ممّن لم يصدّقوا توقعاته بشأن الأحوال الجوية.
بعد ذلك دخل دير القدّيس باخوميوس في صعيد مصر. وزاد صيته ذيوعاً بعدما جلس في غفلة منه على النار التي يحضّر عليها الخبز.
اجتمع حوله نحو سبعين تلميذاً. وانطلق معهم بداية إلى نصيبين، حيث بنى ديراً في جبل الأزل. وجرى على يده فيه الكثير من المعجزات. وقد نعته الأمبراطور قسطنطين هو وأنطونيوس وهيلاريون بالأعمدة الثلاثة لأمبراطوريته.
ويروى في سيرته أنه التقى يعقوب أسقف نصيبين وماني ويوليانس الجاحد. لقب بأبي رهبان الشرق. تختلط في سيرته الوقائع بالأساطير.

2 - سركيس وباخوس من أشهر شهداء المشرق. يرجّح أن استشهادهما وقع في أواخر القرن الثالث أوائل الرابع. وهذان الشهيدان العظيمان كانا ضابطين رومانيين، وقد امتنعا عن تقديم الذبائح لآلهة الأمبراطورية. فاستشهد أوّلاً باخوس في صور تحت الجلد الشديد بالسياط. ويروى أنه دفن لاحقاً في باليس على الفرات. على مسافة مائة كلم شرقي حلب. أما سركيس فأذيق شتى أنواع التعذيب، قبل أن يقطع رأسه في الرصافة على الفرات. وقد شيّدت في المكان المذكور كنيسة فخمة غدت أكثر المزارات شهرة في

وفي أيامه كان الملك القدّيس قسطنطين ومجمع الثلاثماية والثمانية عشر، وخوطب بالمراسلة أن يحضر مع الأساقفة في المجمع. فلم يمكنه المسير لكبر سنّهِ. فأرسل عوضه شمعون ابن صباعي وشاهدوست وأقامهما مقام حشمةٍ مع باقي الأساقفة المذكورين من قَبل.

وفي أيامه ابتدأ المؤرخون بكتابة التواريخ والأقلاسيستقات[1].

واستناح في السنة الثامنة عشر لشابور وهي سنة ستماية وسبعة وثلاثين يونانية بسرجاد جبب ودفن بالمداين. وكانت مدّة رياسته تسعة وسبعين سنة [ولم يخل الكرسي بعده].

فصل 8//

الجاثليق 8//

مار شمعون الأول برصباعي الشهيد (329 – 341)

شمعون ابن صباعي [هذا الأب كان] شاهداً جليلاً من مدينة السوس، وأكثر مقامه كان بالمداين.

[شمعون يخلف فافا قبل وفاته]

وهو شيخاً مشهوراً [شيخ مشهور] بالعفاف والتقوى والقدس [والقداسة]. وكان أركندياقونا لفافا الفطرك. وأسيم قهراً [وعليه بيرون

→ القرون التالية. يتقاطر إليها الروم والمسيحيون العرب على حدّ سواء. وتروي المصادر أن كسرى نفسه عندما تلقى الدعم من الأمبراطور موريس لاسترداد ملكه، قدّم نذ ا
انتشرت شهرة سركيس وباخوس في العالم المسيحي باسره. وتعيّد لهما غالبية الكنائس المسيحية.

1 – الأمور الكليستيتية Ecclésiastique .

أحمر] في السنة السادسة لشابور، وذلك في الوقت الذي جرت فيه مشاجرة بين فافا وأساقفته. وجعله فافا نائباً عنه في حيوته، وفطركاً بعد مماته.

[شمعون يشجّع رعيته ويودّعها]

وفي أيامه اشتدّ شابور ملك الفرس في بغضه النصارى، وقتلهم، وأخذهم بالقهر على الدخول في دينه. واحتمل هذا الأب منه شدايد عابرة عن الوصف، وعانده على أنه يصير مجوسياً ويأمر النصارى باتباعه، فامتنع ولم يلتفت لقوله. وجرى في ذلك خطوب كثيرة يطول شرحها. ثم أنه طالب نصارى المداين وأسفانير الدخول في دينه، فلم يطيعوه. فأمر بخراب بيعهم لأجل ما خالفوا أمره. فجمع هذا الأب رعيّته، وجعل يشجّعهم ويقول: يا أولادي تأمّلوا ما جرى على الأنبياء وعلى السلّيحين من القتل والرجم، ويجب أن تعلموا أن الله عزّ وجلّ ليس بضعيف القدرة، ولا المسيح ذليل، لكن يريد أن تظهر قوّته في صبر الضعفا على الآلام في محبّته. وهو يجبركم ويغيثكم إن رفعتم قلوبكم إليه، ويقوّي ضعفنا ويجعلنا شجعاناً في الجهاد. ويجب أن تتيقّنوا في أنفسكم أن هذه الشدّة تزول، ويأتي بعدها فرح وراحة. والبيع التي هُدمت فسوف تُبنى بالمجد وتزيّن بالمحاسن. وإن هدمت بيعنا، فليس سبيلنا أن نحزن، فإن لنا بنيان في السما، ما لم تصنعه الأيادي البشريّة، وليس هو بالمداين وأسفانير وكرخي، إلا في أورشليم العالية التي في السما. وأنا من الآن أرحل إلى باب الملك، ولا أعلم ماذا يعرض بعدي. فكونوا من الآن مستعدّين متلبّسين درع الإيمان والشهادة، حتى إذا ما اصطفّ مقابلكم الحرب لم تنفذ سهام العدو في دروعكم. هذه أقول لكم، وأحذّركم مثل الأب الذي يحذّر

بنيه. إحفظوا وصايا سيّدنا المسيح، ليحفظكم. أحبوا مَن أكرمنا وبذل نفسه عنا، لينجّينا بموته. إحفظوا وصيّتي وتحفّظوا بالأمانة الصحيحة، بوحدانية ذات الباري الأزليّة، وتثليث أقانيم صفاته الأبدية الآب والابن والروح القدس. احتملوا من أجل هذه الأمانة الآلام الكثيرة والمؤونات الصعبة الشديدة. تذكّروا ما قال السلّيح المؤيد فولوس إن الكلمة مصدقة ومستحقّة للقبول، فإن متنا في طاعة المسيح فإننا واثقين بأن نحيى [نحيا] معه. وأن تألمنا لأجله فمعه نملك. وقد أوصيتكم بهذه الوصايا من حيث أعلم أن وجهي ليس ترون مرة أخرى. لأني أريد أن أصير ضحيّة وقرباناً من أجل الأمانة، ومن أجل شعب الله. والذي يؤهلني ويسوقني إلى ذلك هو رحمة سيدنا يسوع المسيح ابن الله [الوحيد]. وهو يكون معي ومعكم إلى أبد الأبدين آمين.

فلما سمعوا ذلك منه بكوا بكاءً شديداً على فرقة الراعي المتيقّظ، وعلى رحلة المدبّر الحريص، وعلى انتقال الرئيس الصحيح، وعلى انصراف المعلّم الحكيم، وعلى بُعد الأب الشفيق الرحوم. وأكثر ما تمرمروا بالبُكاء لما قال لهم أنكم ليس تروني مرّة أخرى. وأخذ القدّيس يعزّيهم ويصلّي عليهم ويباركهم.

[شابور يعتقل شمعون]

وما أكمل صلواته، إلا وفي تلك الساعة وردت عليه رسل الملك شابور. فقبضوا عليه، وحملوه إليه. فأكرمه، وأدناه منه، وأجلسه إلى جانبه. وقال له قد أحببت لك ما أحببته لنفسي من العبادة والدين، فإن أجبت إلى ذلك اتخذتك لي أباً ومدبّراً. فأجابه القدّيس قائلاً. إعلم أيها الملك أنه لو أني وجدت في جسدي عضواً يوافق على ترك محبّة المسيح ودينه لقطعته

مني وألقيته عني، لأني لست خائفاً من السيف ولا من الموت. فلا تتعب نفسك في طلب ما لا يصير. فغضب وأمر بسجنه في الحبس ومعه ماية وثلاثة نفر أساقفة، وغيرهم من قسّان وشمامسة.

[شمعون يستشهد مع ستين ألف مسيحي]

ومن بعد ذلك جمع إليه ستين ألف نصرانياً، ثم أخرجهم يوم جمعة الآلام إلى الميدان بمدينة كرخ ليذان، وطاله بأن يأمر النصارى الحاضرين أن يكفروا بالمسيح ويدخلوا في دينه، فإن فعلوا ذلك فإنه يعطيهم ما أحبّوا من المال والجاه ويجعلهم أشرافاً. وإن أبوا فإنه يأمر بضرب أعناقهم بلا تأخير. فنادى فيهم هذا الأب القدّيس شمعون ابن صباعي وقال: يا أولادي قد سمعتم كلام الملك شابور من فمه فما الذي تحبّون عطايا الملك السماوي التي مصيرها إلى الدوام والبقا، أو عطايا الملك الأرضي التي مصيرها إلى العنا والشقا. فنادوا بصوتٍ واحدٍ أجمعين: يا قديس المرتبة نحن رعية المسيح وأنت الذي أقامك علينا راعياً، فلا نعصى أمرك، بل نحبّ ما تحبّ ونبغض ما تبغض. فعند ذلك هزّته محبّة الحق ونادى فيهم وقال: يا أحباي وأولادي دوسوا حمة الموت، فقد كسرها إيشوع المسيح بموته وقيامته. يا أحباي شدّوا عزايمكم شدّ الرجال، وبادروا إلى قبول ملكوت السما على كيد الراعي إلى الضلاة والعماء.

فنفر الملك شابور، وغضب من هذا الكلام. وأمر أن تُضرب أعناقهم بحدّ الحسام. فلمّا استشهدوا جميعهم قال هذا الأب الشكر لله الذي لم يفجعني في أحد من أولادي. ثم قدّم نفسه إلى القتل بعد كلهم، وهو يقول اللهم إقبل هذه الذبائح الطاهرة.

وبعد قتلهم عزم المجوس على حرق أجسادهم، فأرسل الله سبحانه

ريحاً عاصفة، فهبّت وجمعت التراب عليهم حتى صار تلاً عظيماً على هيئة الأكمة. وذلك باقي إلى الآن. وقد ينبت على تلك الأكمة أنواع الرياحين الطيّبة الأرايبح. وإلى الآن النصارى في ذلك البلد يتباركون من ذلك الموضع، ويظهر لهم منه عجائب ومعجزات.

وفي تمام تلك السنة أرسل شابور الكافر قتل النصارى في باجرمي وكرخ سلوخ والأهواز والدير الأحمر وأربل وأشور والموصل ونينوى والمرج والجزيرة والفرات، جملة الكل مائة ألف وتسعين ألف.

[إبنة ملك الأهواز تستشهد]

وفي تلك السنة استشهدت القدّيسة دختانشاه ابنت [ابنة] ملك الأهواز. وذلك أن أباها كان جمع نصارى بلده. وأمر بقتلهم. وكانت ابنته جالسة على القصر أمام الماشطة تضفر ذوائبها. فنظرت أرواح الشهدا الذين أمر أبوها بقتلهم تطير إلى نحو السما على هيئة القناديل النيّرة. فوقع ذلك في قلبها. فنهضت وقد ضفرت الماشطة بعض شعرها، واحتجّت بحاجة تدعيها إلى النزول. ونزلت وتنكّرت، ودخلت بين الجمع، واستشهدت مع أولائك. ولم يعرفها السيّافون. فلما كان وقت الأكل طلبوها، فلم يجدوها. فأخبرتهم الماشطة بذلك. فقصدوا المكان ووجدوا رأسها مقطوعاً بين روس [رؤوس] الشهدا، فعرفوها بشعرها. وأذاعت الماشطة خبرها، أنها قالت لها أترين هذه القناديل التي تعلوا في الهواء، فقالت لها لست أرى من ذلك شياً [شيئاً]. فأسرعت ونزلت وما عادت رأتها. وكان ذلك سبباً في قوّة قلوب المومنين وصبرهم على الشدايد.

[الكرسي يخلو بعد استشهاد شمعون]

واستشهد هذا القدّيس مار شمعون برصباعي ببلاد الأهواز في كرخ ليذان يوم جمعة الصلبوت ثالث عشر نيسان سنة ستماية وخمسة وخمسين لتاريخ الإسكندر اليوناني [وحصة السنة من دايرة السنين بحبو]. وكانت مدّة رياسته ثمانية عشر سنة. وخلا الكرسي بعده ثلاثة سنين من الخوف وشدّة الفزع.

فصل 9″
الجاثليق 9″
مار شاهدوست (341 – 343)

شاهدوست [وتفسيره صديق الملك. وكان] شيخاً مفروق اللحية شاهداً [منتخباً] قدّيساً طاهراً [من مدينة السوس]. وسكن في باجرمي. وكان أركندياقونا لشمعون.

[شاهدوست ينقدّم ليملأ الفراغ]

ولما بقي الكرسي ثلاثة سنين بغير مَن يدبّره، ولم يجسر أحد أن يقدم على الأسياميذ خوفاً من شابور، فهزّت الغيرة لهذا الأب ووهب نفسه للمسيح [سنة 659 يونانية وأجرا الدور ولو..]. وأسيم وعليه بيرون أخضر في منزل أحد المومنين سرّاً، لأن بيعة المداين كان شابور قد هدمها. وكان ينظر في الأمور سرّاً ويسيم الأساقفة والكهنة. فوشي به إلى شابور فقبض عليه بعد سنتين من رياسته.

[شاهدوست يستشهد حيث قضى شمعون]

وكان من قبل ذلك بثلاث ليال قد رأى في منامه سلّماً في الأرض وراسه في السما وعليه شمعون برصباعي. وهو يقول اصعد إليّ.. ولا تخف فإني صعدت عليه بالأمس، وأنت مزمع أن تصعد بعدي. وكان قد أخذ معه في القبض ماية وثمانية وعشرين نفساً من أسقف وقسيس وشماس وراهب. وعذّبوه غاية العذاب خمسة أشهر. واستشهد نيّح الله نفسه بكرخ ليذان في المكان الذي استشهد فيه شمعون برصباعي في شهر آذار. وكان مدّة رياسته سنتان وخمسة شهور[وخلا الكرسي بعده ثلاثة سنين واستشهد سنة أحد وستين وستماية والحصة هوز].

فصل 10//
الجاثليق 10//
بربعشمين (343 – 346)

بربعشمين وتفسيره ذو الأربعة أسماء.

[جاثليق وشهيد ثالث]

كان هذا [الأب] شيخاً تقيّاً زاهداً حسن التدبير. وهو ابن أخت شمعون برصباعي وكان أسقفاً واختير.. وأسيم فطركاً في بيت أحد المؤمنين خوفاً من شابور. وكان لابساً بيرون نارنجي [664 يونانية. وأجزا الدور بيكدز]. وأقام أساقفة، ودبّر البيعة خفياً مدّة سبع سنين. ووشي به إلى شابور. فقبض عليه، وعلى ستة عشر نفس قسّاناً وشمامسة. وحبسوا وعذّبوا أحدى عشر شهراً. ثم استشهد مع جماعته في الموضع الذي استشهد به شمعون و[بعده] شاهدوست،.

وفي أيامه تنصّر قرداغ[1] الذي كان ملك من قِبَل شابور على البلاد الذي من باجرمي إلى نصيبين. واستشهد مرجوماً مثل أسطفانوس في سنة تسعة وأربعين لشابور.

[شليطا وبرشبا وسائر مشاهير زمن بربعشبين]

وفي أيام هذا الأب بُني دير مار يونان بالعراق، ودير كمول بالجزيرة، ودير الزرنوق.

وفي أيامه كان المغبوط مار قوفريانا مطران أفريقيا، ومار شليطا القدّيس[2] والقدّيس برشبا[3] الأسقف الذي تلمذ عالماً [كثير] لا يحصى ومات. ثم أحياه الله بعد ثلاثة أيام، وبقي بعد ذلك خمسة عشر سنة.

واستناح بربعشمين شهيداً وكانت مدّة رياسته سبع سنين. وخلا

---

1 - قرداغ (ت 359 ؟). اكتنفت سيرته أساطير عديدة. حتى اعتبر هو نفسه أسطورياً. يقال إنه اهتدى على يد راهب اسمه عبديشوع. من أقدم مصادر سيرته التاريخ السعردي وعنه أخذ ماري وعمرو في المجدل وصليبا في هذا المتن.
بني عدد من الأديرة على اسمه مما يعزّز القول بتاريخيته.

2 - شليطا: مصري الأصل من تلامذة القدّيس أوجين على ما يروى. يقال إنه مات في الدوير حيث شيّد عند ضريحه دير. تطلب شفاعته لمكافحة الطاعون ودمله وذلك على الأرجح تخليداً لذكرى أعجوبة جرت على يده. وتطلب شفاعته في منطقة البترون في لبنان في حالات أوبئة المواشي.

3 - برشبا: كان أوّل أسقف على مرو في خراسان نحو عام 370. يشير إليه البيروني في الآثار الباقية باسم مار شابا الكاهن الذي تنصّرت مرو على يده. شفى شيراران شقيقة شابور وزوجته (وفق التقاليد الفارسية)، فأمرت بترقيته إلى درجة الأسقفية واهتدت إلى المسيحية وبنت كنيسة في طيسفون. وطلبت من برشبا أن يكرّسها. منذ ذلك الوقت تمكن الأسقف برشبا من زيادة عدد الجماعة المسيحية في المدينة من خلال تبشير المجوس أنفسهم. أسّس مدرسة وبنى كنائس. قيل إنه بقي أسقفاً على مرو مدّة 69 عاماً. وكان لا يزال على قيد الحياة عام 424 عندما شارك في المجمع الذي عقده الجاثليق داديشوع.

الكرسي بعده أحد وثلاثين سنة إلى بعد موت شابور [الذي] كانت مدّة مملكته اثنين وسبعين سنة.[وكان نياحه سنة اثنين وسبعين وستماية يونانية والحصة يطوو].

فصل 11//
الجاثليق 11//
تو مرصا (تموزا) (384 – 393)

تومرصا هذا الأب كان مطراناً من أهل باجرمي. وهو شيخ مدوّر اللحية زاهد تقي صالح التدبير.

[تومرصا يعيد بناء الكنائس]

ولما استناح بربعشمين شهيداً منع شابور من ترتيب فطرك، وذلك في السنة التاسعة وأربعين لملكه. فلما مات وكان له في الملك اثنين وسبعين سنة وتولّى المُلك المَلك برهام ابنه اختير هذا الأب وأسيم فطركاً بالمداين، وعليه بيرون أحمر سنة ثلاثة وسبعماية يونانية، والحساب يبكدز. وبذل نفسه للعذاب لأجل إقامة دين المسيح، واحتمل من المجوس شدايد كثيرة، وصبر على البلايا، وأسام أساقفة إلى النواحي القريبة والبعيدة. وكان يطوف البلدان متعهّداً لرعيته. وبنى البيع وأعادها إلى ما كانت عليه بمعونة بختيشوع الخادم[1] الذي مات شهيداً في محبّة المسيح وفدا دينه.

1 – بختيشوع الشمّاس الشهيد: معاون الجاثليق تومرصا في إعادة بناء الكنائس التي كانت قد دمّرت في الاضطهاد الأربعيني زمن شابور الثاني. يسمّى أحياناً ابن بختيشوع أو أمين السرّ. أبرز مصادر سيرته تاريخ سعرد، وعمرو وماري في المجدل وصليبا في هذا المتن.

[مار عبد إيشوع وعجائبه]

وكان في أيام هذا الأب من القدّيسين مار عبدا من أهل دورقني الذي بنى دير صليبا على نهر صرصر. وعبد أيشوع تلميذ مار عبدا الذي بنى العمر الذي بالقرب من الحيرة، وهو الذي أنفذه رابه مار عبدا ليملي الماء فأبطى عليه. [فلما] استخبره عن بطائه ذكر أنه أقسموا عليه وحلّفوه بالمسيح أن لا يبرح حتى يملى جميع جرار النساء التي كانوا [اللواتي كنّ] هناك. فتقدّم إليه رابه مار عبدا وأقسم عليه بالمسيح أن يدخل تنوراً كان يتوقّد عنده فدخله فانطفت النار ولم تؤثر فيه ولا في ثيابه. وخرج من التنوّر كما دخله. ومن بعد ذلك أسيم أسقفاً على دير محراق.

واستناح تومرصا في السنة التاسعة لبرهام وهي سنة سبعماية وأحدى وعشرين يونانية بسرجاد أبها.. ودفن بالمداين وكانت مدّة رياسته ثمان سنين وشهور. وخلا الكرسي بعده سنة ونصف.

فصل 12"
الجاثليق 12"
قيوما (395 – 399)

قيوما [وتفسيره الوكيل]. هذا الأب كان شيخاً كبير مدوّر اللحية [ساذجاً] ضعيف البدن.

[قيوما يتقدّم للجثلقة زمن الاضطهاد]

ومن بعد وفاة تومرصا خلا الكرسي، ولم يعطِ أحدٌ نفسه أن يصير فطركاً من شدّة الخوف والفزع والاضطهاد. فنادى هذا الأب التقي قايلاً [في وسط الأبا والمومنين] لا يجوز أن [يتشاغل كل واحد منا بمصالح

نفسه و] تبقى بيعة المسيح بغير مدبّر يتعاهدها وينظر في أمورها. فإن لم يوجد مَن يعطي نفسه لذلك، وإلاّ فأنا قد سمحت بأن أفدي نفسي عوض رعية المسيح مخلّصي. وخير لي أن أموت في محبّته، من أن أعيش في الدنيا. فاختير وأسيم فطركاً بالمداين، وعليه بيرون بنفسجي. وذلك في السنة العاشرة لبهرام، وهي سنة خمسة عشر وسبعماية يونانية [وحصة الحساب هيج]. ودبّر الأمور على قدر ضعفه وكبر سنّهِ، إلى أن تقلّد الملك يزدجرد الأثيم، وتواترت الرسل منه إلى [ارقاذيوس] ملك الروم، ومن ملك الروم إليه. وصار الصلح بينهما، وانصلحت أحوال الناس بالأمن.

[قيوما يستعفي ويختار خلفاً له]

فعند ذلك أرسل قيوما فأحضر مطارنته وأساقفته، وجمع كثير من المؤمنين، وقام بينهم وقال: تعلمون يا إخوتي وأولادي أني لم أكُن أصلح أن أكون فطركاً لضعف جسمي وكثرة خطاياي. لكني بذلت نفسي للجهاد وقبول الموت خوفاً من أن يبطل هذا الكرسي، وتبعد وصلته وتتعذّر إقامته. والآن قد نظر إلينا المسيح برحمته، وجعل الصلح بين الممالك بصلواتكم. فينبغي أن تختاروا فطركاً يصلح أن يقوم بواجب هذا الكرسي المعظّم. فرفع الجميع أصواتهم بالبكا. وقالوا أنت أفديت نفسك عوض بيعة الله في أيام الخوف والصعوبة. والآن في الأمن تريد نختار سواك؟! حاشا وكلاّ من ذلك. فقال لا بدّ من ذلك. فسلّموا الأمر إليه، فاختار إسحاق قرابة تومرصا، وألبسهُ بيرون البنفسجي، وأسامه فطركاً بمحضر المطارنة والأساقفة. وسلّم إليه التدبير. وجلس في قلايته. وقال كما وهب الله لرعيّته سكوناً من النفا والبلايا والمحن يجب أن يردّ

تدبيرهم إلى مَن يكون فيه قوّة يقوم بأمورهم وينهض بها حق النهوض.

واستناح قيوما في السنة الثالثة ليزدجرد وهي سنة تسعة عشر وسبعماية [يونانية] والحصة طكزج. ودفن بالمداين. وكانت مدّة رياسته أربع سنين.

وفي أيامه كان مار أرسانيوس[1] الذي كان ملكاً أربعين سنة وترك مملكته طلباً للحيوة الدايمة فحصلت له.

فصل 13''
الجاثليق 13''
إسحق الأوّل (399 – 410)

إسحاق هذا الأب كان شيخاً خيّراً، عالماً فاضلاً رحيماً ملازماً للصوم والصلاة، فاعلاً العجائب والمعجزات وقايم [وقائماً] بأمور رعيته أحسن قيام.

[ملك الروم يرسل ماروثا فيشفي ملك الفرس]

وكان قد عرض ليزدجرد ملك الفرس مرض أعيى أطبّاء الفرس علاجه. وكان أطبّاء النصارى قد قُتل كثير منهم في أيام شابور، ومَن تخلّف منهم هرب. فأرسل إلى ملك الروم يطلب منه طبيباً حاذقاً، فأرسل إليه مروثا أسقف ميافرقين عالماً فاضلاً وطبيباً حاذقاً ومشهوراً بمخافة

---

1 – القدّيس أرسانيوس (354 – 449) تناولنا سيرته في كتابنا الصمت في المسيحية، ط2، ص 133 – 139. كان مربّيا لابني الأمبراطور ثاودوسيوس ومستشاراً في مجلس الأعيان. ثم لبّى نداءاً داخلياً فترك كل أمجاد العالم وتنسّك في برية مصر. هو واحد من أشهر أبطال الصمت والتوحّد.

الله وعمل الخير. وكان قد اتصل بارقاذيس ملك الروم ما يلحق النصارى في بلاد الفرس من العذاب والنفي والقتل، فأحزنه ذلك، وأغمّه. ولم يكُن له سبيل إلى إعانتهم بشيء. فوجد بذلك فرصة. فكتب إلى يزدجرد كتاباً يقول فيه إن الله عزّ وجلّ لم يعطينا [يعطنا] الملك لنؤثر صلاح أنفسنا، وإنما ردّ إلينا أمر الرعيّة لندبّرها بالاستواء، ونقمع الظالم، ونكافي المحسن باستحقاقه. وإن كنت عادلاً عن السجود له، فقد أعطاك عطية عظيمة من مملكة الدنيا، وبسط يديك على خليقته، وجعلك خليقته. وجعلك رئيساً. وليس من الحق والعدل ما يجري على النصارى في مملكتك من الظلم والنهب والقتل. وإن أكثر ذلك يجري عن غير علمك، وإنما يفعله أصحابك رغبةً فيما يأخذونه من أموالهم. وفي ذلك مع اجتلاب سخط الله بغض الناس لك. لأنهم إذا وقفوا على ما يلحق أمثالهم، أنكروه واستعظموه. ولو صرف هؤلاء القوم اهتمامهم إلى قصد الأعدا وإصلاح المملكة كان أجود أحظا. ونسألك بعد هذا الإحسان إلى النصارى، وإزالة الأذى والعنت عنهم، وإطلاق بناء البيع.. وأنفذ هذا الكتاب مع ماروثا الأسقف. فلما وصل إلى يزدجرد وعالجه وأبرأه من علّته أعرض عليه الكتاب. ففرح وسرّ به، وأجابه عنه. وأنفذ له هدايا. وعمل ما سأله. واشتمل السكون على النصارى. وزال عنهم ما كانوا فيه.

[إسحق يعقد مجمعاً بحضور ماروثا]

وأحبّ مار إسحاق الفطرك أن يعمل قوانيناً مفيدة في الفرائض والأحكام الدينيّة، فأرسل إليه الأبا الذي له في البلدان وأحضر منهم أربعين أسقفاً ومطراناً في السنة الحادية عشر لملك يزدجرد. وكان اجتماعهم يوم عيد الميلاد، وماروثا معهم حاضرٌ. وعمل إسحاق باتفاق

الجميع اثنين وعشرين قانوناً مِمّا يحتاج إليه في تدبير البيعة بالمشرق. وحسن ذلك في عين مروثا واستصوبه. ثم أنه أورد لديهم القوانين التي كتبها الأبا المغربيون جميعاً. فعند ذلك أحضروا له مكاتيب استكتبوها في مجمع نيقية وقت حضورهم معهم في المجمع، وماروثا أيضاً استكتب جميع ما وجد من القوانين والتفاسير عند الأبا المشارقة التي ليست موجودة عند اليونانيين، وجمع معه شيء كثير من عظام الشهدا، وأخذ معه.

[ماروثا ومجمع القسطنطينية]

ولما كان مجمع المابة وخمسون أسقفاً بالقسطنطينيّة اجتمع معهم هذا الأسقف ماروثا وبث لديهم وعرّفهم جميع ما شاهد ورأى من فضائل المشارقة، وصحّة اعتقادهم، ومحبّتهم وسلامة خاطرهم، وزهد رهبانهم، وصبرهم على الشدائد والبلايا، وترتيب بيعهم، وثباتهم على رأي واحد وسلامتها من التدنيس بشي من الآراء الفاسدة. وأن جميع اهتمامهم والاجتهاد مصروفٌ إلى معاني الكتب الإلهيّة وخصوصاً الإنجيل المقدّس، وقصص الرسل، ورسائل فولوس، وتفسير ذلك وشروحه. وقال إني وجدت نصارى المشرق كالملائكة الجسمانيين، لأنهم قد حازوا العلم والمحبّة والتواضع والعفة.

واستناح إسحاق في السنة الثانية عشر ليزدجرد وهي سنة ثمانية وعشرين وسبعماية يونانية [وحصة حسابها حيزج]، ودفن في المداين. وكانت مدّة رياسته أحدى عشر سنة.

وفي أيامه كان يوحنا فم الذهب[1] ويابالاها من عمر مار عبدا

---

1 - يوحنا فم الذهب (نحو 347 - 407) بطريرك القسطنطينية وأشهر آباء الكنيسة اليونانيين. توسعنا في عرض سيرته وآثاره في قاموس الفلسفة المسيحية. خاصمه تيوفيلوس بطريرك الإسكندرية وعمّ القديس كيرلس. فنفي يوحنا مرتين. وتوفي في طريقه إلى المنفى الثاني.

صاحب العجائب. [وخلا الكرسي من بعد إسحاق سنة واحدة. وفي أيامه ملك على الروم تاداسيوس الصغير] سنة 721 يونانية.

فصل 14//
الجاثليق 14//
أحى الأوّل (410 – 414)

أحى هذا [الأب] كان شيخاً مدوّر اللحية من دورقني. وهو تلميذ مار عبدا القدّيس، وكان قد جعله رئيساً على ديره، وفوّض إليه تدبير الأسكولانيين فيه.

[أحي يجمع قصص شهداء فارس]

ولما توفّي إسحاق اجتمع أصحاب الاختيار وأسيم على الرسم بالمداين، وهو لابس بيرون أحمر سنة تسعة وعشرين وسبعماية يونانية. [وحصتها من دائرة الحساب بطوو]. وأحبّه يزدجرد ومال إليه. وبعد مدّة من تقلّده أنفذه إلى فارس في مهمّةٍ كانت له لأمور حدثت بينه وبين بيهور ابن شابور أخيه المتقلّد لفارس وأعمالها. ولما وصل هذا الأب إلى فارس، وأصلح الأمور التي توجّه لأجلها، سأل عن قبور الشهداء الذين قبلوا الشهادة في أيام شابور، وبأي سبب قتل كل واحد منهم. كتب قصصهم وعاد إلى يزدجرد، فعرّفه ما وقف عليه وتأتّى له، وحظي عنده بجاهٍ عظيم. وبسط يده في تدبير رعيّته. وأمر الأبا أن يحرموا كل بيت يجدون فيه شيأ [شيئاً] من علوم سحر المجوس [وآلاته]، لأن قوم من المرقيونية والمنانية كانوا قد تنكّروا ودخلوا بين الناس. وعمل كتاباً أثبت فيه أخبار الشهداء الذين استشهدوا

بالمشرق. وقد أثبتها أيضاً دانيال ابن مريم[1] في تاريخه المسمّى أقلاسيسطيقي. وعمل تشعيت مار عبدا رابه.

وكانت مدّة رياسته أربع سنين. واستناح ودفن بالمداين.

وفي أيامه ملك تاداسيس الصغير على الروم في سنة ثلاثة وثلاثين وسبعماية يونانية. [وخلا الكرسي بعد أحي سنة واحدة. وسنة نياحه كانت الحصة ددبه].

فصل 15''
الجاثليق 15''
يهبالاها الأوّل (415 – 420)

يهبالاها هذا الأب كان شيخاً، في لحيته، قليل سواد، مشهور بالفضل والزهد.

[يهبالاها يشفي ابن ملك الفرس]

اختير للفطركة في السنة السادسة عشر ليزدجرد. وأسيم بالمداين، [وهو] لابس بيرون أحمر سنة أربعة وثلاثين وسبعماية يونانية [والحصة هيج].

وفي أيامه وصل أقاق مطران آمَد وماروثا أسقف ميافارقين برسالة تاداسيس ملك الروم إلى يزدجرد ملك الفرس، وكان ابنه مريضاً، وقد

---

1 – دانيال برمريم (ت 650 هـ). كان معاصراً لأيشو عياب الحديابي. وينسب إليه عبديشوع الصوباوي شرحاً للتقويم وتاريخاً كنسياً بأربعة أجزاء. ولم يصلنا شيء من هذا التاريخ بنصّه الأصلي. ولكنه كان مصدراً أساسياً للتاريخ السعردي. ويذكر صليبا هنا أن التاريخ الكنسي الذي وضعه دانيال برمريم احتوى سير الشهداء في بلاد فارس. وهو ما يذكره التاريخ السعردي كذلك.

أشرف على الموت، فأنفذ وطلب يهبالاها إليه ليستعين بصلاته. ومع دخوله إليه انطفأ ابنه ومات. وكان حاضراً مع يهبالاها أقاق ومروثا. فتقدّم هذا الأب وصلّى، فعادت الروح إلى الصبي وعاش. فارتفع قدره وزال الجور عن النصارى بسببه. وعظم في عين الأسقفين المذكورين، وكتبوا اسمه معهم في سفر الحيوة. وفي السنة الثالثة من رياسته أنفذه يزدجرد إلى ملك الروم للجواب عن رسالته. فسُرّ به ملك الروم، وسأله عن الأمانة، فأجابه بما عنده. فاستحسن أمانته، وأقبل عليه غاية القبول، ورجع بهدايا كثيرة عالية القدر. وهو الذي جدّد بناء بيعة المداين، وسأل الله أن يقبضه قبل أن يرى مكروهاً في النصارى.

واستناح سنة تسعة وثلاثين وسبعماية يونانية، والحصة حها. ودفن بالمداين. وكانت مدّة رياسته خمسة سنين [وخلا الكرسي بعده سنتين].

[عودة الاضطهاد بعد وفاة يهبالاها]

ومن بعد وفاته أمر يزدجرد بهدم بيع النصارى، ونفيهم، ولحقهم مكروه عظيم منه. وقتل منهم خلق عظيم. وقتل مار عبدا أسقف الأهواز وكان عالماً فاضلاً. والسبب الذي حرّك يزدجرد لذلك أن قس [قسّاً] يقال له هوشع في مدينة الأهواز هدم بيت نار كان مجاور البيعة، وكان النصارى يتأذّون بالقوّام ومدبرين النار. فلما بلغ الملك أنه هدم بيت عبادة الفرس وأطفأ النار غلظ ذلك عليه، وأمر بخراب البيع. وبقي الأمر على ذلك إلى أن سأله إسحاق عامل أرمانية الذي كان سبب دخول الأرض في طاعته أن يخفّف عن النصارى، فأمر بالكفّ عنهم[1].

---

1 – في السنة الأخيرة من عهد الملك الفارسي يزدجرد (399 – 420) تسبّب كاهن من هرمزد أردشير، وكان يدعى هاسو بإثارة اضطهاد محلي، وذلك لأنه قلب في ساعة غضب بيت نار مجاوراً وأطفأ النار المقدّسة فيه، من

فصل 16''

الجاثليق 16''

معنا (... – 420)

معنا هذا كان عالِماً بالسريانيّة والفارسيّة.

[إختاره ملك الفرس ثم أراد عزله]

وكان مطران فارس. وله تقدّم عند يزدجرد. فاختاره، وألزم الأبا بتصييره فطركاً. ثم من بعد ذلك سخط عليه وأمر بتخريق ثيابه، ونفيه إلى فارس. وأرسل أحضر المطارنة والأساقفة وأخذ عليهم العهد أن لا يدعى معنا فطركاً لا ظاهراً ولا باطناً. ولما مضى إلى فارس، وصل إلى يزدجرد أنه يدبّر الرعية هناك. فأمر بحبسه. ثم سألوه في أمره، فأطلقه ومات بفارس.

وفي أيامه كان نسطوريس. وفي أيامه تنصّر أهل نجران. واستشهد

← جرّاء ما كان يحدثه خدّام هذا المعبد من إزعاج للكنيسة. فأمر الملك باعتقال الكاهن وأسقف المدينة عبدا وكاهناً آخر يدعى يعقوب وأفرام الكاتب، وفافا الشمّاس، وداذوق ودورثان المعلّمين وفافا شقيق الأسقف. وحكم عليهم الملك بإعادة بناء بيت النار. ولما رفضوا ذلك أعدموا سنة 420.

ويقول ماري وعمرو في المجدل وصليبا في هذا المتن نقلاً عنه أن الاضطهاد خفّ بتأثير إسحاق بطريرك أرمينيا الذي كان قد عمل من أجل التحالف بين أرمينيا وبلاد فارس. ومات يزدجرد بعد ذلك بمدّة وجيزة.

ويرد ذكر عبدا الأسقف في وثيقة أرمنية. لكن ذكره لم يقرن بذكر الكاهن هرمزد وشاهين وبنيامين الشمّاس. وقد تخلّل اعتقالهم فترة إفراج بعد أن تدخل في الأمر سفراء ثيودوسيوس الثاني الذين كانوا قد قدموا عام 422 للتفاوض مع الفرس بشأن السلام. ولكن بعد رحيلهم قضى عبدا ورفاقه تعذيباً على الخازوق.

مار يعقوب المقطّع[1] يوم الجمعة سابع عشرين من تشرين الثاني سنة ثلاثة

---

1 - مار يعقوب المقطّع: يذكر التقليد أنه كان مسيحياً من شرفاء بلاد فارس ، فقرّبه الملك يزدجرد (299 - 421). من بلاطه وأولاه مركزاً مرموقاً. وعندما ألزم الملك جميع المسيحيين أن يقدّموا الذبائح الوثنية استشهد الكثيرون لرفضهم الانصياع إلاّ أن البعض خاف وأطاع، ومنهم يعقوب.
ولما بلغ الخبر أمه وزوجته كتبتا إليه رسالة عتاب وأسف وتوسّل وطلبتا منه العودة إلى إيمانه المسيحي. فكان لتلك الرسالة أثرها العميق في نفسه. فأسرع إلى سرداقه وتناول الإنجيل وبدأ يتأمل بتعاليمه ولا سيما في الآية: مَن آمن بي وإن مات فسيحيا (يوحنا 25/11). فخرج إلى الشارع ينادي. أنا مسيحي. أنا مسيحي. فوبّخه الملك بهرام الخامس خليفة يزدجرد على جسارته وتوعّده بالقتل. لكن يعقوب أجابه بجرأة أنه لا يحيد عن إيمانه. فغضب الشاه وأمر بأن يقطع إرباً.
فقطعوا أولاً أصابع يديه ورجليه واحدة واحدة، ثم قطعوا يديه ورجليه، ثم ساقيه وذراعيه، وهو صابر يشكر الله، حتى استغرب الحاضرون شجاعته. وأخيراً قطعوا رأسه فاستشهد نحو عام 421.
معظم اللوائح السريانية الشرقية منها والغربية تحيي تذكار هذا الشهيد في 11/27 وهو تاريخ استشهاده على ما يذكر صليبا في هذا المتن. وعرفت سيرته انتشاراً واسعاً في الأوساط الشعبية. غير أن كثيراً من النقاد يشك في صحّة هذه السيرة سواء لجهة التسلسل الاعتباطي للأحداث أم لجهة الاستفاضة في سرد التفاصيل أو لشبهها بسيرة يعقوب الكاتب الذي استشهد في عهد بهرام الخامس 422. وهذا الأخير كتب سيرته أحد معاصريه واسمه أبجر. اعتقل يعقوب الكاتب مع خمسة عشر من رفاقه وأمروا بأن يكفروا بإيمانهم المسيحي. ولما رفض حكم عليه الملك بِ الميتات التسع. وتم تنفيذ الحكم في مكان يقع غربي بهرسير على أطلال ساليق، وراء مجرى نهر دجلة القديم الجاف. فقطعت أصابعه ورجلاه ويداه. ولما فارق الحياة تُرك جسده ورأسه تحت حراسة عدد من الجنود لكي يكون لحمه طعاماً للكلاب والطيور الآكلة. وقد تمكّن بعض المسيحيين بالرشوة والتخفي بزي المجوس من أخذ ما تبقّى من رفاته وموارتها في دير مجاور. ثم نزلوا في مياه دجلة وحملوا الرفات إلى مسقط رأس الشهيد. فكفنته أمّه وهي لابسة البياض بالثياب الفاخرة والطيوب التي كانت قد أعدّتها لعرسه، في حضور الأسقف المحلّي واسمه صومايا. وهكذا ففي سيرة يعقوب المقطع ويعقوب الكاتب —

وثلاثين وسبعماية يونانية. وفي أيامه مات يزدجرد وكانت مدّة ملكه اثنين وعشرين سنة.

فصل 17"

الجاثليق 17"

فرابخت (... – 421)

[جاثليق حاول أن يمجّس النصارى فعزل]

فرابخت هذا كان أسقف كازرون، وكان له وجه عند صاحب جيش بهرام جور ابن يزدجرد. وكان يتخادمه ويتقرّب إلى قلبه. فعاونه، وألزم الأبا بالقهر على جعله فطركاً، لأنه ضمن له أشياء من جملتها أنه يستعمل بالبيعة سُنّة المجوس، ويطالب النصارى بذلك. فأساموه، وبقي مُديدة يسيرة غير مقبول. واجتمع الأبا والمومنون وروسا المداين واستعانوا بالملك والوزرا في إزالته. وأسقطوه، ونفوهُ إلى مدينته وأراح الله منه.

فصل 18"

الجاثليق 18"

داد يشوع (421 – 456)

دادايسوع هذا [الأب] كان متشيّباً خيّراً فاضلاً.

العديد من نقاط الشبه، ولا سيما في طريقة الاستشهاد. على أن سيرة الثاني لم يتخللها ما طرأ، على سيرة الأول من إضافات. نقلت سيرة يعقوب المقطع إلى اليونانية والأرمنية والعربية والجورجية والقبطية واللاتينية. فأثارت مخيلة الكثيرين في وصف الميتات السبع وردود يعقوب الذي تقول بعض الروايات إنه عام في الفضاء كالطيف. ولا يظهر يعقوب المقطع لأول مرّة إلا في قائمة سريانية تعود إلى القرن التاسع (نقلاً عن عدد من المصادر أبرزها السنكسار الماروني والقدّيسون السريان لجان فييه).

[بهرام يقبل بجثلقة داديشوع ثم ينقلب عليه]

ولما اجتمع الأبا والرؤسا لعزل قرابخت، اختاروا هذا الأب. وكان بهرام يعرف شمويل أسقف طوس ويميل إليه، لأنه كان قد حفظ بحسن تدبيره حدود البلاد في طوس وخراسان من تطرّق الأعدا ودخولهم أرض فارس. فتقدّم إليه، وسأله في أمر دادايشوع. فأذن بتصيره [بتصييره] فطركاً. فأسيم بالمداين على الرسم. وكان لابساً بيرون وردي سنة أحدى وأربعين وسبعماية يونانية والحصّة بيكدز. وذلك في السنة الرابعة لملك بهرام ابن يزدجرد.

ثم بعد مدّة أنقم عليه وحبسه بعد ضرب موجع. فلما جاء رسول تاداسيس ملك الروم في عمل الصلح والمهادنة أطلقه لأجله. ثم إنه استعفى من الفطركة وأصرّ على ذلك، ومكث في دير القيبوث، واجتمع إليه الأبا والروسا وتلطّفوا به، وسألوه حتى انطاع لهم، ورجع إلى الكرسي. ودبّر تدبيراً حسناً، وعمل قوانين مفيدة في تشييد الدين والأحكام الشرعية. وكتب بها إلى سائر البلدان.

[وفي أيامه ملك مرقيان على الروم وعمل المجمع في مدينة خلقيدونية وأنشأ مذهب الملكية وثبته سنة 743].

[موسى الساحر وأحداث أخرى في زمن داديشوع]

وفي أيامه ظهر موسى اليهودي الذي أوعد اليهود بالطيران وألقوا نفوسهم من على الجبال إلى البحر. فاختنقوا ومَن سلم منهم اعتمد وتنصّر. وفي أيامه وقع الشقاق بين نسطوريس فطرك القسطنطينية[1] وبين

---

1 – هو الصراع بين نسطور وكيرلس.

قورلوس فطرك الأسكندرية. وفي أيامه ظهر القدّيس مار يوحنا الكشكري[1] الشاهد، والقدّيس مارفثيون[2] بحلوان في سنة سبعماية واثنين وثلاثين [يونانية]. وتوفي تاداسيس [الصغير] ملك الروم. وفي أيامه مات فيروز ابن يزدجرد ابن شابور وملك بعده ولده يزدجرد.

واستناح دادايشوع سنة ستة وسبعين وسبعماية يونانية في حصة طكزج ودفن بالحيرة وكانت مدّة رياسته خمسة وثلاثون سنة [وخلا الكرسي بعده سنة واحدة].

---

1 - مار يوحنا الكشكري: يرد ذكره في الآثار الباقية للبيروني وفي قائمة القدّيسين الخاصّة بأبرشية كشكر للسريان الشرقيين. في أول تشرين الأول.
وذكر هذا الراهب في كتاب العفة وفي أخبار البطاركة لماري وعمرو. لكن سيرته لا تخلو من الإبهام.
وُلد يوحنا في منطقة كشكر. وانضمّ أوّلاً إلى دير ماركني. وبعد أن اختطف بالروح أكثر من مرّة جاء بين عامي 421 و 458 إلى دير عين قلة (عين البلح) في جبل أوروخ(جبل حمرين). ولا نعرف شيئاً عن هذا الدير.

2 - مار فثيون (ت449). جدّه مجوسي يدعى مهريار، وأبوه داكوشنسب. وقد اهتدى إلى الإيمان المسيحي على يد شقيقه يازدين، وتعمّد وتسمّى داديشوع. ترهّب فثيون وتتلمذ على عمّه يازدين. بشّر في بلاد الزاب الصغير وهدم معابد النار. استشهد في عهد يزدجرد الثاني، وتكثر في قصة استشهاده مشاهد التعذيب والخوارق. فتسقط الأغلال عن السجين في سجنه ويحاول رئيس السجن أن ينتحر ويتوقف سيل النهر الذي ألقي فيه، وتنطفئ النار التي أعدّت لحرقه. وانتهى الأمر به أن أنزلت به الميتات التسع فقطع إرباً. وقد تكون وفاته وقعت في 449/10/25، وهو اليوم الذي تعيّد له فيه الكنائس السريانية الشرقية والغربية.

فصل 19″
الجاثليق 19″
بابويه (457 – 484)

بابوي هذا [الأب] كان فهيماً فيلسوفاً كثير الفحص عن المذاهب. وكان من قبل حنفياً مجوسياً من قرية تعرف بالتلّ على نهر صرصر.

[فيلسوف مجوسي يتنصّر]

وسبب تنصّره كان أنه التقى راهباً عليه خلقان وهُدومٌ رثة. فاستزاره وقال له في معنى زيّه. فذكر له أنه نصراني، وأن شريعة النصارى تأمر بإطراح هذا العالم الفاني واقتناء العالم الآخر الباقي، وأن لبسه لهذا الزيّ طلباً لذلك. وعرّفه مجي [السيد] المسيح وتدابيره وصعوده إلى السما، وما أوعد به من نيل النعيم في الآخرة. [فوقع في قلبه]، وأحبّ أن يتنصّر. وكان الراهب من دير مار عبدا بدورقني. فمضى معه إلى الدير، واعتمد هاك [هناك]. وكدّ نفسه في طلب العلم. فبرز وعلى [وعلا] أمره، حتى اختير للفطركة.

[بابوي يخاصم طبيب الملك]

وأسيم بالمداين و [هو] لابس بيرون أخضر سنة سبعة وسبعين وسبعماية يونانية، وجزء الدور من دايرة السنين حها. وحرص ودبّر الأمور الدينيّة في كرسيّه خمس عشر سنة تدبيراً صالحاً.

وكان لملك الفرس طبيب واصلٌ عنده يقال له جبرايل السنجاري. وكان قد أخذ [له] عدّة نسا وجمع بينهن. فأنكر عليه هذا الأب، ووبّخه. وحكم عليه بأن يختار له منهنّ واحدة ويتمسّك بها بموجب ما في الإنجيل

ويصرف الباقي. فلم يفعل. فأحرمه ومنعه من البيعة من القربان. فاتخذه عدواً، وصار [يتقصده و] ينكث فيه عند الملك وأصحابه. ورام الرَمْيَ بينه وبين أساقفته ورعيّته. فما أمكنه ذلك، ولا دخل كلامه عليهم. ودام على عصيانه، ولم يرَ على نفسه أن يدخل تحت طاعته. فأرسل إلى نواحي ملطية، وجاب إليه أقوام من أهل رأي أو طيخي وديوسقورس. ودفع إليهم الجاه والمال [وقوى أمرهم وشيده] وميّل إليه قليل من الناس، وعمل له بيعة، وجدّد هذا المذهب هناك. ونقل إلى فيروز أن بابوي الفطرك كان مجوسياً وتنصّر. فعانده ومنعه من أن يسيم أساقفة وغيرهم. فأسام وخالفه. وكان قد جمع عنده مالاً كثيراً فأخذ الجميع منه. وقيّده وضربه وعذّبه وأرماه في الحبس سبع سنين. وجرى على النصارى بسببه من الأذى والمكروه ما يطول شرحه.

ثم إنه كتب إلى لاوون ملك الروم كتاباً يشكو فيه ما أصابه من ملك [الفرس] وختمه بختمهِ وأنفذه [سرّاً] سنة اثنين وتسعين وسبعماية [يونانية].

[الطبيب يوقع ببابوي فيُصلب]

وكان [فيروز] ملك الفرس كثير العناية ببرصوما مطران نصيبين، واطمأن إليه وأحبّه وقرّبه منه لما رأى من علمه وشجاعته وحسن شكله وقامته. وفوّض إليه الحكم على نصيبين وما يليها من البلدان المتاخمة لبلاد الروم، وألزمه تدبيرها وحفظها. فاضطرّ إلى أن يكون له نواطير على مفارق الطرق والمعابر لحفظ البلاد. وفي تلك الأيام اجتاز حامل كتاب بابوي الفطرك ببعض النواطير، فاستنكر حاله، ورام قبضه. فأرمى جميع ما كان معه ونجا بنفسه. فحمل الكتاب إلى برصوما

بختمه، فأنفذه إلى فيروز على جهة النصيحة، ولم يفتحه. ولما وصل الكتاب إلى الملك وفتحه فوجده سريانياً، فدفعه إلى جبرائيل طبيبه. فقرأه وبدّل بعض الكلام، وزاد من عنده كلمات توجب السخط على كاتبه، منها أنه يشكو من ملك الفرس ويقول صاحب المملكة الفاجرة [الملعونة وما شاكل ذلك]. فعند ذلك انزعج فيروز [وغضب]، وأحضر بابوي [إليه]. وقال له كان قد وجب قتلك من قبل لمخالفتك أمري، وسامحتك حتى أدّت بك المسامحة إلى أن كتبت وقلت ما قلت. والآن إن كنت ترجع عن ما أنت عليه وتصير مجوسياً غفرت لك جميع ما بدا منك وزدت في إكرامك [ورفعت شأنك]. فقال له معاذ الله أن انتقل من الضيا إلى الظلام، ولا أشتري حيوة الفنا بحيوة [البقا و] الدوام. [فعند ذلك] أمر بصلبه بإصبعه التي فيها الخاتم. فصلب خارج المداين إلى أن مات. وأخذ قوم [مومنين] الحيرة جسده، ودفنوه بها [سنة اثنين وتسعين وسبعماية يونانية والجزو من الدايرة ولو]، وكتب اسمه مع الشهدا.

وكانت مدّة رياسته خمسة عشر سنة [وخلا الكرسي بعده ثلاث سنين.

[فيروز يرسل المطران برصوما إلى ملك الروم]

وفي أيام بابوي مات لاوون ملك الروم، وملك بعده زينون. وفي تلك الأيام التي قبض فيها بابوي واستشهد صيّر فيروز ملك الفرس مكاتيبه إلى برصوما، ويأمره أن يمضي بها إلى زينون ملك الروم، لأجل تجديد المهادنة وعمل الصلح. فأخذ برصوما الكتب وسار بها إلى زينون الملك. فلما وصل إليه وشاهده قبله، وأقبل عليه أحسن قبول، وأكرمه، وقرّبه منه. وتلطّف به. ومن بعد المؤانسة أياماً قال له كان قد بلغني ما أنت عليه من

الجمال، وحسن القامة، ونضارة الوجه مع العلم والشجاعة والكرم. فأعجبني ذلك، وقلت إن هذه قلما تجتمع لشخص واحد. وكنت أحبّ أن أبصرك، والآن قد جمع الله بيننا، ورأيتك مثلما سمعت وأكثر. وقد بقي أن تعرفني ما عندكم في معنى الأمانة لأعلم الأقاويل المسموعة عنك بسببها هل هي صحيحة أم لا.

فلمّا سمع برصوما ذلك من زينون ملك الروم، نهض قايماً وشكر الله وتشكّر للملك ودعا له وقال ما هذا نسخته:

[قانون إيمان برصوما نموذج للعقيدة النسطورية]

أومن أنا هكذا وأعلّم الناس أيضاً أن الآب والابن والروح القدس جوهراً واحداً إلهاً واحداً قديماً أزلياً بلا ابتدا باقياً سرمديّاً بلا انتهاء متعالياً عن الأزمان والعوالم. وهو علّة كل معلول وخالق كل ما يُرى وما لا يُرى. وبهذا القول وحده ينحلّ ويبطل ضلالة الحنوفية وطغيانها وتعللات اليهوديّة وبهتانها، ووسواس الهرسيوطية وهذيانها. وأوصل بهذا الإقرار المعظّم السامي ذكر التعليم في أمر تدبير تجسّد المسيح ربّنا وإلهنا. وأقول لكل مَن أحب أن يسمع بنيّة صالحة أن الوحيد ابن الله الكلمة المساوي للآب وللروح القدس في الذات الأزلية المتعالي عن التغيير والاستحالة، وعن قبول الآلام والموت بوجه من الأوجه، جاء من أجل خلاصنا، وأخذ له ناسوتاً كاملاً من السيدة الطاهرة مريم العذراء من ذرّية آل داود. وتردّد في العالم، إذ هو لابسٌ شبه العبد، كشهادة فولوس الرسول. ولا أقول إن ذلك الشبيه كان فارغاً ومجرّداً كقول ماني ومرقيون وغيرهما من معلمي الطغيان. بل أقول إن الإله الحقيقي أخذ له إنسان بالحقيقة، واتّحد ذلك الذي لا يُرى بالذي يُرى اتحاداً سرمديّاً لا

يداخله افتراق ولا يطرق عليه انفصال. وذلك من بقا الجوهرَين ولوازمها المحفوظة فيه. وهو واحد في الشخص والعظمة والسلطان والقدرة، ولا أقول كقول الهراطقة المخمورين في الاختلال والاختلاط إن الوحيد ابن الله استحال بجوهر لاهوته وسار [وصار] إنساناً، وتألّم وذاق طعم الموت. وهو مساوي للآب ولروح القدس. بل أقول إن جميع ما أعتقده في تنزيه الآب وروح القدس من ذلك اعتقده في لاهوت سيّدنا ومخلّصنا أيشوع المسيح، وأعلّمه أيضاً للمؤمنين. ولا أطلق وقوع الآلام ودخول الموت على الأزلي ولا أجيزه. لأن جميع ذلك من الممتنعات التي لا يمكن وجودها البتّة. ولا يراها عاقلٌ. لأن الحنفاء لبُعدهم عن معرفته تمسّكوا باسمه فقط، وسمّوا أصنامهم آلهة وعبدوها، وتغالوا في مدحها، حتى اعتقدوا في الصور العديمة الحياة أنها لا تموت. فكيف أجوز الموت على مفيد الحيوة. ولأجل هذا قد بغضني وسبّني جميع مَن في بلاد الروم من التايهين والغير راشدين. وها هم في كل مكان يثلبوني ويتقوّلون عليّ بكل شي ردي، لكوني لم أرافق ولم أوافق على الافتراض الشنيع، والقول الفظيع في لاهوت المسيح أنه استحال وصار جسماً وتألّم ومات على خشبة الصليب. والموت بالجوهر البشري الذي أخذه منا وجوهر لاهوته المتّحد بهيكل ناسوته أقامه من بين الأموات بالآية العجيبة والقدرة التي لا توصف. والشاهد بصحّة هذا التعليم قول المخلّص عن نفسه حيث قال انقضو هذا الهيكل وأنا أقيمه إلى ثلاثة أيام. وأثبت ذلك وحققه الإنجيل إذ يفسّره قائلاً إنه إنما قال ذلك وأشار به إلى هيكل جسده. فكل مَن يبغضني لأجل هذا الإقرار ويسبّني بالأشيا الردية، فإن كان لا يرتأى ونفسه لا توبّخه وتزجره، فإنه البتة لا يحبّني ولا يسمح بأن يثني عني صالحاً، ويقول عليّ خيراً. فإني لا أبالي به، ولا أميل عن الحق، لعلمي بأن عدالة الله

تحكم بيننا.

فلما فرغ برصوما من كلامه هذا صعب على أكثر الحاضرين، ولم يكُن فيهم من قدر أن يجاوبه، أو يناظره. وتعجّب الملك، وبقي متعجّباً من فطنته وشهامته وحدّة قريحته، واستحضاره الكلام بسرعة، وجسارته من غير تقديم خوف. ثم إنه تلطّف به، وأخذ عهده، واستحلفه أن يكون له ناصحاً وعن بلاده المتاخمة للفرس محامياً. وعاد من عنده مكرّماً بالتحف الجميلة والعطايا الجزيلة.

[برصوما يخاصم طبيب الملك]

فلمّا وصل إلى فيروز ملك الفرس [أي] برصوما وسمع [الذي جرى على بابوي] أنه كان من يد جبرائيل [الطبيب]، فأسرع ودخل إلى الملك ليكشف ما قاله جبرائيل [في نقله لكتاب بابوي] صدقاً كان أو كذباً. وطلب الكتاب قدام الملك ليقرأه، فأنكر جبرائيل الكتاب وقال إنه مزّقه من تلك الساعة لسوء ما كان فيه من الكلام الردي. فكذّبه برصوما، وقال له لو كنت صادقاً فيما قلت لحفظت الكتاب وقابلت به، وجري لأجل ذلك أشيا يطول شرحها بين برصوما وأهل مذهب جبرائيل أريق فيها الدماء.

فصل 20//
الجاثليق 20//
أقاق (485 – 496)

أقاق [هذا الأب] كان شيخاً خيّراً فاضلاً، وهو قرابة بابوي. وكان بالرها.

[فيروز يرسل أقاق لمفاوضة الروم]

ولما صار بابوي فطركاً استدعاه وجعله ملفاناً أعني معلّماً بالمداين.
ولما استشهد بابوي [وقع الاختيار عليه و] أسيم بالمداين، وهو لابس بيرون أخضر سنة ستة وتسعين وسبعماية يونانية. ودبّر أحسن تدبير، وقاوم علماء المجوس وناظرهم في دينهم، فأذوه وحبسوه مدّة من الزمان.

وأراد فيروز ملك الفرس أن يرد جواب زينون ملك الروم في أمر الصلح والمهادنة، فأرسل أقاق الفطرك ومعه هدايا جليلة القدر، لأنه كان عالماً ماهراً متكلّماً. [ولما] حضر عند زينون ملك الروم قبله أحسن قبول، وسأله أن يردّ الأساقفة الذين كان نفاهم. وعمل ميمراً على الأمانة كشف فيه عور مَن يعتقد جوهراً واحداً بالمسيح. وعمل ثلاثة ميامر أخر في الصوم [والصلاة]. وشهد له الروم والفرس بالذكا والخيرية.

وفي أيامه مات برصوما مطران نصيبين.

وفي أيامه كان مار نرسي[1] الملفان وإيليشع مطران

---

1 - نرساي أو نرسيسي (399 – 499). وُلد في ما بين النهرين وتيتّم باكراً. فدخل إلى دير كفر ماري حيث كان عمّه رئيساً للدير. ثم انتقل إلى مدرسة الرها، وتولّى رئاستها عام 437. أدخل تفاسير تيودورس المصيصي إلى هذه المدرسة وتعاليم نسطور فوقعت الخلافات بين المعلمين والطلاب. فاضطر إلى مغادرتها واللجوء إلى برصوما أسقف نصيبين. وهناك أسّس مدرسة جديدة وصار معلّمها الأوحد ابتداءً من 471. وبقي فيها حتى لبّى نداء ربّه عام 502. انشغل طيلة حياته بتفسير الكتاب المقدّس. ولم يبقَ من تفاسيره إلاّ القليل. تنسب إليه 360 مقالة في اللاهوت و 82 ميمراً. بينها ستة ميامر في الخلق وخمسة أخرى ذات صبغة كريستولوجية. وكذلك مقالة يوبّخ فيها صديقه الأسقف برصوما لأنه تزوّج من راهبة.

نصيبين[1] وفي زمانه زادوا السريانية في ق د ي ش ا [قدوس] د ا ص ط ل ب ت ح ل ف ي ن. [يا من صلبت لأجلنا].

واستناح أقاق سنة سبعة وثمانماية يونانية [وأجزا الدور] بيجو، ودفن بالحيرة. وكانت مدّة رياسته أحد عشر سنة. وخلا الكرسي بعده سنة.

فصل 21"

الجاثليق 21"

باباي (497 – 503)

بابــاي [هـذا الأب] كــان شـيخاً كـبيراً خيّـراً [خـبيراً] تقيّـاً حسـن

1 - أليشع يقول صليبا هنا أن أليشع هو من خلف برصوما مطراناً على نصيبين. بينما تسمّي المجامع والقوانين هذا الخلف هوشع الذي كان مطراناً على نصيبين منذ سنة 496 أي منذ موت برصوما.
أما اليشع المقصود في متننا فهو أليشع برقوزبايي(ت 509) الذي خلف نرساي في مدرسة نصيبين منذ وفاة هذا الأخير 492. واستمرّ إلى حين وفاته عام 509. له مؤلفات عديدة منها ردود ضدّ تهم المجوسية، وجدالات ضدّ الهراطقة، وشرح لكل أسفار العهد القديم. وعبديشوع الصوباوي في فهرسه يسمّيه المفسّر وينسب إليه شروح لسفر أيوب ورسائل القدّيس بولس، ومقالة في سبب تأسيس المدارس، وأخرى في الشهداء ومجموعة ميامر. ويقول التاريخ السعردي إنه ألّف كتاباً ضمّنه الأمانة الصحيحة ويشمل 38 مقالة في وجود الله والثالوث والخليقة والتجسّد.
يقول المطران إدي شير في كتابه مدرسة نصيبين الشهيرة (ص15) «إن كاتب تاريخ السعردي يقول إن أليشع هذا صار مطراناً على نصيبين، ومثله يزعم ماري بن سليمان، أما برحذبشبا عربايا فيؤكد أنه لم يصر مطراناً أبداً. وإني أرجّح كلام برحذبشبا على كلام الكاتبين المذكورين. فإن هذا الكاتب الجليل كان من عائلة أليشع ومن تلاميذ مدرسة نصيبين وكتب مقالته في نهاية القرن السادس. فتكون المشابهة بين اسم هوشع وأليشع ومعاصرتهما وسكناهما في مدينة واحدة قد حملت ماري بن سليمان ومؤلف كتاب التاريخ السعردي على أن يخلطا بينهما، ويجعلاهما شخصاً واحداً».

الأمانة والديانة من أهل المداين، وله امرأة وأولاد.

[جاثليق متزوّج يلزم الكهنة بالزواج]

ولما اجتمع الأبا للاختيار لم يوافق بعضهم بعضاً على اختيار واحدٍ معيّنٍ، وصار كل من يريد المرتبة لنفسه. وطال الكلام بينهم حتى ضجروا. فعند ذلك وقع الاتفاق على عمل الصلاة بقلبٍ واحدٍ، وأن يطلبوا من المسيح أن يقيم مَن يختار على رعاية بيعته. وبينما هم يصلّون سمعوا صوت هاتف ينادي أن الفطركة لباباي الشيخ الفاضل. فاجتمع الأبا والمومنين [والمؤمنون] على اختياره. فامتنع عليهم، وأصرّ على الامتناع. فأخذوه قسراً، وأساموه قهراً، وهو لابس بيرون أخضر. وذلك في السنة الرابعة لزاماسف ملك الفرس. وهي سنة تسعة وثمانماية يونانية والجزء من الدور دكبه.

ومن بعد ما أسيم جمع الأبا وعمل سِنْهادوساً وأبطل الحروم التي كانت بين بابوي وبرصوما وأقاق. وأمر أن يتزوّج سائر خدم البيعة، [ولا يكون أحد من] القسان والشمامسة [بغير زوجة]. ويكون لكل واحد منهم امرأة واحدة ظاهراً جلياً كأمر الناموس. ولا يكون بغير زوجة. وهو بين العالم ليحفظ نفسه من الوقوع في الخطية.

وفي أيامه كان القدّيس مار إبراهام الكبير وهو من أهل كشكرٍ[1]، و [هو الذي] أمر أن يجتمع الأبا إلى عند الجاثليق فطركهم

---

1 – إبراهيم الكشكري (القرن السادس). يعرف أيضاً باسم إبراهيم الكبير. وإليه يعود إصلاح النظام الرهباني في بلاد ما بين النهرين، فالأديرة التي كانت قد تأسّست في القرن الرابع أقفرت من الرهبان وكادت تندثر تماماً لأسباب عديدة أبرزها: ←

في شهر تشرين الثاني كل أربع سنين مرّة واحدة للنظر في أمور البيعة، وما يحتاج إليه من مصالحها.

[باباي يشرح للملك عقيدة القيامة]

وسأله زاماسف ملك الفرس يوماً، وقد دخل إليه مع مسّوي قرابته، وقال له الأجسام تؤول إلى الجيفة والتراب، فلماذا تكرمون عظام موتاكم وتعظّمونها ولا تطرحونها في النار مثل المجوس؟! فقال نحن نعلم

1 – النزاعات الداخلية الناجمة عن الانشقاق ما بين أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ومذهب الطبيعتين.

2 – قرارات المجامع السريانية الشرقية المعقودة بين عامي 485 – 490. والتي أدخلت مبدأ الزواج لجميع المراتب الدينية بتأثير من السلطات الزردشتية.

ظهر إبراهيم في أواخر جثلقة بابوي (497 – 503)، تعلّم في مدرسة نصيبين وصنع المعجزات ثم راح يبشر في نواحي الحيرة في بلاد العرب. ويقال إنه حجّ إلى بريّة الأسقيط في مصر وسيناء. بعد ذلك استقرّ في جبل إزلا المطل على نصيبين في المكان المعروف بـ موردره Modra. وفي المغارة عينها التي يعتقد أن يعقوب النصيبيني أقام فيها. وهناك اجتذب إليه الكثير من التلامذة لتقشفه، إذ لم يكن يتغذى إلا بالأعشاب، ولعجائبه ومنها طرد سرب من الجراد. وتدريجياً تأسّس دير إبراهيم الكبير الذي عرف بالدير الكبير وبالمؤسسة الرهبانية الأم على صعيد الإصلاح الرهباني. وتمييزاً لرهبانه عن أتباع سويريوس المونوفيزيين جعل إبراهيم إشارة الإكليل الرهباني علامة على رؤوسهم. ونزولاً عند طلب سمعان مطران نصيبين سنّ إبراهيم في حزيران 571 قوانين نقلت من السريانية إلى الفارسية. ومنذ ذلك الحين بات يقصد إبراهيم كل مَن أراد تعلّم الفلسفة الروحية مثلما كان يفعل طلاب الفلسفة في الذهاب إلى أثينا. فصار إبراهيم رئيساً ومعلّماً لجميع رهبان المشرق.

عاش إبراهيم خمسة وثمانين عاماً. وقد فقدت المصادر الأوّلية في سيرته وتاريخ ديره وخلفائه.

نشرت قوانين إبراهيم بالسريانية ثم ترجمت إلى الإنكليزية.

أن أجسام الناس تبطل وتصير إلى البلى والتراب ولاكنا [ولكننا] نعتقد عودتها بحسنٍ وبهاءٍ أحسن مِمّا كانت عليه. وهكذا علمنا مَن كتب ديننا أن الأجساد تقوم وتنبعث الناس كلّهم في طرفة عين، ويصيرن غير مايتين. وكما قام المسيح من بين الأموات [حيّاً]، كذا نقوم نحن. وكما أن حبّة الحنطة تموت في الأرض ويذهب [جسمها و] حسنها ثم تفرع وتظهر أفضل مِمّا كانت عليه، هكذا بنو آدم. وإن لم يصحّ لك تصديق ما قلته فكّر في ابتداء خلق الإنسان، وأنه من نطفة ماءٍ تحصل في ظلمة الأحشا، ثم يصير له عظام وعروق وأعضاء، ويخرج بعد تسعة أشهر بصورة تامّة بقدرة الله، والقيامة وعود الأجسام بعد البلى بهذه الصورة. فاستحسن زاماسف ملك الفرس ما سمعه منه. وخرج من عنده مسروراً فرحاً. واستقامت الأمور لباباي.

وكانت [مدّة] رياسته خمسة سنين واستناح ودُفن بالمداين سنة أربعة عشر وثمانماية يونانية وجزء الدور طبدج [وخلا الكرسي بعده سنة].

فصل 22//

الجاثليق 22//

شيلا (505 – 523)

شيلا [هذا الأب] كان شيخاً عالِماً من أهل المداين.

[جاثليق متزوّج ومحب المال]

وفيه عُجب وشدّة محبّة المال. وكان له امرأة وبنت. وامرأته ابنة إيليشع

الآتي ذكره. وماتت وكان أركندياقونا[1] لباباي. واختير في السنة السادسة عشر لقباذ ملك الفرس. وأسيم بالمداين وعليه بيرون نفطي سنة ستة عشر وثمانماية يونانية [وجزء الدور كان يادد..] وكان قباذ يكرّمه لأجل يوزق أسقف الأهواز، لأنه أبراه وأبرأ ابنته من علّةٍ صعبة كانت بها. وكان النصارى في أيامه ساكنين متمكّنين من عمارة البيع، وفي أيامه كان يعقوب البرادعي[2]. وفي أيامه مات قباذ، ومدّة ملكه كانت اثنين وأربعين سنة وولّى ولده كسرى انوشروان. واستناح شيلا سنة أربعة وثلاثين وثمانماية [يونانية وجزء الدور حها]، ودُفن بالمداين. وكانت مدّة رياسته ثمانية عشر سنة [وخلا الكرسي بعده اثني عشر سنة].

---

1 – أركندياقون Archidiacre رئيس الشمامسة.

2 – يعقوب البرادعي (578). ولد بالقرب من حرّان واعتنق الحياة التوحدية في دير فسيلتا في جبل إيزلا. عام 528 جاء إلى القسطنطينية فرسمه ثيودوسيوس الإسكندري بطلب من الأمبراطورة تيودورا والملك الحارث بن جبلة أسقفاً على الرها، نحو عام 542. تزعّم التيار المناهض لسياسة الأمبراطور يوستنيانس (527 – 565) في التقريب بين الكنائس الخلقيدونية واللاخلقيدونية وتعميم عقيدة المشيئة الواحدة، فأخذ يطوف في أنحاء الأمبراطورية راسماً الكهنة والأساقفة ومنظماً شؤون الكنيسة السريانية. وتمكن من النجاة مراراً من الحرس الإمبراطوري متخفياً تحت البردعة فلقب بالبرادعي. ضعف نشاطه إثر وفاة الأمبراطورة ثيودورا وثيومدوسيوس بطريرك الإسكندرية عام 566.

توفي في 578/07/30 في دير قاسون، بمصر. وقد أطلق الملكيون على الكنيسة السريانية الغربية اسم الكنيسة اليعقوبية نسبة إليه.. لم يصلنا من مؤلفاته سوى تسع رسائل. وقانون إيمان وعظة في البشارة. وحفظت كلها في ترجمة عربية.

فصل 23//
الجاثليق 23//
نرساي (524 – 537)

[جاثليقان متناحران]

نرسي[1] [هذا كان كاتباً عالماً من الأهواز، وقع عليه الاختيار من البعض. وتأخر أسياميذه لأجل مشاجرة حدثت بين المؤمنين، بسبب إيليشع، من حزيران إلى نيسان. وامتنع يعقوب مطران جنديسابور وشمويل أسقف كشكر وفولس أسقف الأهواز من معاونة أحدهما. فانفرد جماعة من الأساقفة بأمر أرباب الدولة مع أيليشع، وأسيم ببيعة أسفانير باليد الغاصبة من غير اختيار. فاتفق الأبا والروسا ورفعوا أمر إيليشع إلى ملك الفرس لأنه رجل علماني وطريقه غير صالحة فلا يصلح أن يكون فطركاً. ففوّض الأمر إليهم، فاجتمع يعقوب مطران عيلان، وكوسى مطران نصيبين، وتيمن مطران هوبلث، وفولس مطران أربل، ويوحنا أسقف ميشان، وشمويل أسقف كشكر، ونرسي أسقف الحيرة، وإيشوع أسقف الزوابي، وداود أسقف الأنبار، وأساموا لنرسي في بيعة المداين ببيرون خمري. وجرى من التخليط والخصومات ما لم يجرِ مثله. وأساما كلاهما أساقفة في المراعيث. وحصل في كل بيعة مذبحين وقسيسين.

---

1 – ورد المقطع الأول من هذا الفصل في مخطوط الفاتيكان كما يلي:
نرسي: هذا كان كاتباً علماً من الأهواز. وأسيم ببيعة المداين بغير اختيار. أسامه جوهر مطران نصيبين والأساقفة. إلاّ أنه بعد أسياميذ أليشع الذي كان استام ببيعة اسبانير بعد أن جرى الخلف بين المومنين والشقاق من حزيران إلى نيسان. وامتنع يعقوب مطران جنديسابور وشموئيل أسقف كشكر وفولس أسقف الأهواز من معاونة أحدهما وانفردا وجرى...

وبقي الأمر على هذا إلى أن مات نرسي، وكانت مدّته اثني عشر سنة.

فصل 23″ مكرَر

أليشع [هذا كان] طبيباً من أهل المداين. وزوّج ابنته لشيلا. وكان قد أوصى شيلا أن يكون فطركاً بعده. فاجتمع معه جماعة، وعليه جماعة. و [بعد المشاجرات والتغلّب] أسامه داود مطران مرو وجماعة من الأساقفة في بيعة أسفانير. وعدلوا عن الأسيام ببيعة الأكواخ التي هي مكان الأسياميذ وتقوى بالملكة. وصار يسيم هو ونرسي إلى المراعيث كل واحد بمفرده. فحصل في كل مراعيث أسقفان. وفي كل بيعة قسيسان. وجرى الأمر على هذا إلى أن مات نرسي. فلمّا مات ظنّ إيليشع أن الأمر يستقيم له. فاجتمع الأبا والروسا وعزلوه. [وأسقطوه. ولم يتمكّنوا من إسقاطه دون أن أسقطوا اسم نرسي أيضاً، لكونه قام بغير اختيار الجميع لإبطال الأهوية من البيعة].

الفصل 24″
الجاثليق 24″
بولس (538 – 539)

فولس [هذا الأب] كان شيخاً طويل اللحية يخالطها قليل سواد. وهو من الأهواز. وكان أركندياقون يوذق أسقف الأهواز. ولما مات جعله مكانه [بالإسياميذ من شيلا الفطرك].

[كسرى يختار جاثليقاً]

وكان كسرى يكرّمه ويميل إليه. وسبب ذلك كان أنه انصرف في

السنة الثالثة من ملكه من فارس في حرٍّ شديد، فتلقاه بولس بماءٍ كثير حمله على الدواب. فشرب سائر العسكر في تلك الجبال الصعبة. فتعجّب كسرى من تيقُّظه واهتمامه بأمره من دون أهل الأهواز. واعتقد محبته، ومكافاته، وتصيّره رئيساً على النصارى. فلما جرى ما تقدّم ذكره، فوقع الاختيار عليه، والرضى به من [جميع] أصحاب الاختيار ومن كسرى. فأسيم فطركاً ببيعة المداين على الرسم. وكان لابساً بيرون أخضر. وأقام شهرين واستناح يوم الشعانين في السنة السادسة لكسرى ودُفن بالمداين سنة ستة وأربعين وثمانماية يونانية [وجزء الدور] جبب [وخلا الكرسي بعده سنة].

فصل 25″
الجاثليق 25″
مار آبا الأوّل الكبير (540 – 552)

مارابا هذا الأب كان شيخاً هادياً عالماً فاضلاً، من قرية تُدعى حالى من بلد الراذان. وأصله يرتقي بالتناقل إلى جنس ملوك الفرس [وكان] مجوسياً كاتباً ماهراً.

[كاتب مجوسي يتنصرّ]

واتفق في بعض الأوقات أنه أراد العبور في نهر الدجلة، ونزل في السفينة. وكان هناك أسكولانيٌّ اسمه يوسف يريد العبور أيضاً، فمنعه وأخرجه من السفينة. فلما حصل في سوط الدجلة هبّت ريح عاصفة وأعادته إلى حيث كان. وصبر إلى أن سكن الريح. وعاد ليعبر. وقام الأسكولاني ليعبر معه، فأخرجه كالأوّل. فلما توسّط الدجلة عادت

الريح، فعاد إلى حيث كان. هكذا ثلاث دفعات. وبعد ذلك عاود الأسكولاني النزول إلى السفينة، فاستحى من طرده مرة رابعة. فلمّا وصل إلى وسط النهر لم تهبّ الريح، وعبر سالماً. فسأل الأسكولاني ما هو؟ وما مذهبه؟ وما اعتقاده؟ فشرح له الأمر شرحاً بليغاً. فمشي معه [من ساعته إلى البيعة] وتنصّر في الحال والوقت. واعتمد من كاهن رئيس اسمه برشحدا. وتعلّم وتمهّر العلوم واللغات في أسرع وقت بعناية روح القدس. ولم يكُن في زمانه مَن يدانيه قدساً وعقلاً وديناً وعلماً وتدبيراً. ومشى إلى بلاد اليونانيين، وناظر العلماء في العلوم [الدينيّة والعقليّة]، حتى تعجّبوا منه ومن حذقه ومحاورته. وعاد إلى نصيبين، ثم إلى المداين. فاستخاره الجميع أن يكون معلّماً للعالمين. وجلس وجادل مع المجوس وقهرهم حتى أذعن له أكثر علماءهم [علمائهم]. وأخذ أحد بيوت النار، [وهو] المعبد الذي لهم وعمله بيت التعليم. ومن جملة تلاميذه المشهورين نرسي أسقف الأنبار، ويعقوب مطران باجرمي، وفولوس مطران نصيبين، وحزقيل أسقف الزوابي، وقيواي معلم الحيرة، ورام يشوع الملفان، وموشي أسقف الكرخ، وبرشا أسقف شاهقرد، وداويد مطران مرو، وشوبحالماران أسقف كشكر، وتوما الرهاوي، وسرجيس ملفان حَزّة، ويعقوب الملفان، وكثيرين من العلماء لم نطول بذكرهم.

[مار أبّا يعيد تنظيم الكنيسة]

ولما توفي فولوس اختير أن يكون فطركاً. وأسيم بالمداين في بيعة الأكواخ على الرسم، وهو لابس بيرون نفطي سنة سبعة وأربعين وثمانماية يونانية [وجزء الدور كان] دكبه. وأحسن في تدبيره، وأزال جميع ما كان قد جرى من التخليط المقدّم ذكره في زمان نرسي وإيليشع. وظهرت

منه الآيات العجيبة الباهرة ووضع القوانين الجميلة المشهورة عنه وفسّر الكتب العتيقة والحديثة وشرحها. وعمل كتاب التراجيم سريانياً. [وأيضاً] كتاب التعزية، وميامر كثيرة. ورتّب طقوس البيعة. وجمع الأبا. ومنع من أن يصير أسقفاً [أو مطراناً] مَن كانت له زوجة البتة منعاً قاطعاً، لِما كان قد جرى من ملك الفرس في زمان برصوما مطران نصيبين وغصبهِ الأبا على الزواج. ثم أن كسرى طالبه بالمجوسيّة، فأبى ولم يفعل. فنفاه إلى أذبيجان سبع سنين. ثم أمر برجوعه ولا زال أكثر أوقاتهِ في الحبوس والقيود والعذاب في محبّة المسيح. واستناح بالحيرة ليلة الجمعة الثانية من الصوم الماراني في السنة الحادية والعشرين لانوشروان وهي سنة ثلاثة وستين وثمانماية يونانية [والجزو من الدور كان] اكها ودفن بالحيرة وبني عليه دير وكانت مدّة رياسته ستة عشر سنة وشهر وخلا الكرسي [من بعده] خمس سنين.

فصل 26''

الجاثليق 26''

يوسف الأوّل (ت 570) (552 – 567)

يوسف المكنى جاثليقاً هذا كان شيخاً، وكان طبيباً تعلّم العلم ببلاد الروم. وأقام هناك أكثر زمانه. ثم عاد إلى نصيبين وأقام بديرها مدّة.

[كسرى يفرض طبيبه جاثليقاً]

واتفق أن كسرى اعتلّ، فوُصف له، فأحضره وطبّبه، فبرا على يده، فأنس به، وصار عنده متقدّماً. فلما استناح مار أبا، قدس الله روحه،

استأذن النصارى في ترتيب فطرك، فتقدّم كسرى أنوشروان بترتيبه قسراً من غير اختيار. فعقدت له الفطركة. ودبّر البيعة مدّة ثلاثة سنين أحسن تدبير ،وعمل باجتماع الأبا اثني عشر قانوناً[1] في تدبير البيعة.

ثم [من بعد ذلك] تغيّر، وقبل الرشا [والتبرطل]. واستعمل ما يخالف ناموس شريعة المسيح.

وفي أيامه قصد كسرى إنطاكية، وسبا أهلها، وحملهم إلى المداين. وبنى لهم مدينة وسمّاها إنطاكية، وأسكنهم بها. وهي المسمّاة في هذا الزمان الرومية.

وفي أيامه حدث في بلاد الفرس كلها موتان لم يصر مثله، حتى خلت البلاد جملة ذلك. ودام إلى أن مات يوسف [المذكور].

[يوسف يطغى فيعزل]

كل هذا وهو مرتكبٌ لسوء التدبير وإهانة الأساقفة والكهنة والإساءة إليهم. حتى أنه حبس شمعون أسقف الأنبار وأتى عليه الخميس الكبير ولم يمكّنه يخرج ليتقرّب. فوقف في الحبس، وقد أعدّ له خبزاً وخمراً ليقدّسه قرباناً ليتقرّب. فعلم به، ودخل عليه، وبدّد ما كان عنده [للقربان وداسه برجليه]. فعلم المؤمنون بذلك فأزعجهم جداً. واجتمعوا إلى موشى الطبيب النصيبيّ، فأخذ الأكابر [منهم]، ودخل إلى كسرى، وضرب له مثلاً، وقال كان رجلٌ مسكينٌ ودخل [ديراً] ذات يوم إلى مجلس ملك الزمان، فرآه الملك، وحسن في عينيه، وأحبّه، ووهبه فيلاً عظيم الجثة. فأخذه ذلك الفقير، ومضى إلى منزله، وبقي حائراً في نفسه. وقال باب بيتي صغير ولا يسع الفيل، وإن أنا أخربته فالبيت بأسره لا يسعه.

---

1 - في مخطوط الفاتيكان: باجتماع الأبا إثني وعشرين قانوناً.

ومع ذلك ليس لي أن أطعمه. فأخذه وعاد إلى الملك، وجعل يتوسّل إليه قائلاً: أريد أن ترحمني لوجه الله تعالى، وتأخذ فيلك مني، لأني عاجز عنه، وبيتي لا يسعه، وليس لي شيء أطعمه. فعرف كسرى مضمون كلامه، وقال فماذا تريد الآن؟ قال نحبّ أن تأخذ فيلك من عندنا. فأمر أن يجتمع الأبا والرؤسا، ويَعْمِلوا ما يوجبه الناموس من عزل وإقامة غيره. فاجتمع الآباء والمومنون، وأسقطوه من جميع درج الكهنوت.

وبقي ذلك تسع سنين ومات ودفن بالأنبار وكانت مدّته اثني عشر سنة.

فصل 27//
الجاثليق 27//
حزقيال (570 – 581)

حزقيال [هذا الأب كان] شيخاً طويل القامة، عارفاً بأمور العِلم، فهيماً في العلوم ومفهّماً.

[من خباز إلى جاثليق]

وكان [من قبل] خبّازاً لمار أبا، ثم تلميذاً له. وصار أسقفاً على الزوابي. ولما قُتِرس يوسف اختير، وكان الملك [كسرى أنوشروان] يميل إليه، لأنه أنفذه في مُهم كان له مرّة ما، فعاد بما يسّره. فأسر أكراه. [ولما] استأذن المروزي الطبيب في ترتيبه[1]، فأذن له في ذلك.

وعقدت له الفطركة بالمداين، وعليه بيرون أخضر سنة ثمانية وستين وثمانماية يونانية، [وجزو الدور واو]. واستقامت له الأمور. وعمل باجتماع

---

1 – في مخطوط الفاتيكان: في ترتيبه فطركاً.

الأبا [والمطارنة والأساقفة] في تدبير البيعة ستة وثلاثين قانوناً.

[الطاعون يفتك بالألوف]

وفي أيامه بطل الموت الذي كان حُدوثه في أيام يوسف المكنّى بالجاثليق من الطاعون المسمّى الشرعوط. وعلامته كانت أن يظهر في كفّ الإنسان ثلاث نقط سود، وفي حال ما يُبصرها يموت، حتى خلت مدن كثيرة وقرى كثيرة من الناس. وبقي الذهب والفضة والأمتعة بلا أصحاب. وليس لها مَن يأخذها. واستكرى كسرى رجالاً لدفن الموتى في المدينة [التي] كان بها في تلك الأيام. وعيّن لهم من كل ميّت شيئاً معلوماً. فحصل لهم في يوم واحد أربعماية وخمسين دينار. وعند المسا جلسوا ليقتسموا، فماتوا على المكان، وبقي المبلغ [المذكور] على الأرض.

[صوم نينوى يرفع الطاعون]

وسبب ارتفاع الموت المذكور كان أن مطران باجرمي وأسقف نينوى اتفق رأيهما على عمل الباعوث، وعرّفا هذا الأب ذلك. فأعجبه [واستصوبه]. وكتب إلى سائر الأمصار المشرقية أن يكونوا بأسرهم متفقين على رأي واحد ونيّة واحدة، ويصوموا ويصلّوا ثلاثة أيام أوّلها يوم الاثنين [الذي] قبل الصوم الكبير بعشرين يوم ويطلبوا من الله أن يرحمهم ويقبل سؤالهم مثلما قبل من أهل نينوى. ويرفع الموت عن خلقه. وأن يكون صيام هذه الثلاثة أيام مُأَبداً [مؤبداً] طول الزمان. فلما عملوا ذلك قبل الله منهم، ورفع الموت. ومن ذلك اليوم سُمّيت [هذه] الباعوث صُوَيمة نينوى، لكونهم قالوا نعمل مثل أهل نينوى. وتخلّصوا [مثلهم] برفع السخط عنهم.

ثم إن حزقيال في بعض الأيام استخفّ ببعض الأساقفة، وقال لهم يا

عميان. فأبلاه الله بنزول الماء في عينَيه، وعمى سنتَين.

واستناح ودفن بالحيرة سنة ثمانية وثمانين وثمانمية يونانية، وجزء الدور زحد. وكانت مدّة رياسته عشرين[1] سنة.

وهذه أيامه كان القديس دانيال الأبيل وأبي ملك[2] الذي بنى الدير على باب نصيبين وفي أيامه [أيضاً] كان مار إيشوعياب برقوسرا[3] وديره بالموصل [وخلا الكرسي بعده ثلاثة سنين].

---

1 – في مخطوط الفاتيكان: أحد عشر سنة.

2 – أبيمالك: ينسب إليه تأسيس مدرسة بيت الشهداء في نصيبين. يعود أصله إلى قردو الواقعة على ضفاف دجلة شرقي جزيرة ابن عمر. ترهّب في جبل إزلا المطلّ على نصيبين. وكان تلميذاً لمار إبراهيم الذي جدّد النظام الرهباني في كنيسة المشرق في مطلع القرن السادس. ثم صار ملفاناً ومفسّراً في مدرسة بلد (أسكي موصل)، حيث أجبره مطران نصيبين إيليا قبيل العام 552 على الالتحاق بمدرسة أخرى في نصيبين تدعى مدرسة بيت الشهداء وكان الشمّاس أليشاع قد بناها في محاذاة باب الجبل. فعمل معلّماً ومفسّراً فيها. وبعد ذلك أسّس ديراً من الحجر المنحوت، وقد جرت على يده عجائب كثيرة. ويذكر صليبا في المتن أنه كان حيّاً زمن الجاثليق حزقيال. دفن في الدير الذي بناه.

3 – إيشوعياب بار قصري (القرن السادس) من نينوى انكبّ منذ حداثته على دراسة الكتب المقدّسة. وسلك الحياة الرهبانية في جبل حدياب حيث تتلمذ على ربّان أيوب طيلة خمسة عشرسنة. وكان هذا الأخير بدوره تلميذاً لإبراهيم النثغري. عاش بعد ذلك في مغارة في جبل الآلاف (جبل مقلوب). لكنه اضطر إلى مغادرتها بسبب اضطهاد جيرانه الرهبان المونوفيزيين، فقصد حصن الجهة الأخرى المواجه لنينوى والذي صار بعد الاحتلال العربي نواة مدينة الموصل. وهناك بنى هيكلاً عظيماً بين 570 و 581 عرف لاحقاً بكنيسة مار أشعيا ولا تزال قائمة إلى اليوم. وكانت مقرّ أسقف الموصل ثم مطرانها حتى القرن 12//. وأُلحق ببناء الكنيسة دير صغير دفن فيه بار قصري. يحتفل بذكراه في 06/3 من كل سنة.

فصل 28

إيشوعياب الأوّل الأرزني (582 – 595)

إيشوعياب الأرزني هذا الأب كان شيخاً حسن الصورة، تامّ القامة، عالماً فاضلاً من أهل باعربايا. وكان معلّماً ومفسّر الكتب.

وصار أسقف لمدينة أرزن في أيام كسرى أنوشروان. في أيام أسقفته مات أنوشروان وله في الملك سبعة وأربعين سنة.

[هرمزد يرسل إيشوعياب إلى ملك الروم]

فلما استناح حزقيال اجتمع الأبا والمومنون للاختيار، فوقع الاختيار على أيوب المفسّر بالمداين. وكان [من] قرابة مار نرسي الملفان، [وعلى] إيشوعياب أسقف أرزن. ونهي الأمر إلى هرمزد ابن أنوشروان. [وإن] في السنة الأولى لملكه أمر بتصيير إيشوعياب، فألبس بيرون بنفسجي، وأسيم فطركاً بالمداين سنة اثنين وتسعين وثمانماية يونانية، وجزء الدور يادد. ودبّر تدبيراً حسناً. واستقامت له الأمور، لأن هرمزد ملك الفرس كان يحبّ النصارى، ويكرمهم، ويميّزهم على المجوس أكثر من كل ملوك الفرس. وهو أرسل لهذا الأب إلى موريقا ملك الروم، ومعه هدايا [كثيرة] لعمل الصلح والمهادنة. وكان إذ ذاك. موريقا في حلب، فأقبل عليه وقبله أحسن قبول، وفرح بقدومه، وأنعم [له] بإتمام جميع ما أتى به، وقال له إن من وقت مجمع خلقيدونيا إلى الآن ما عاد وصل إلينا منكم مكاتبة، ولا راسلتمونا مثلما كنتم معتادين. والآن أحبّ أن أعرف حقيقة أمانتكم، ونصّ اعتقادكم. وتوضح لي ذلك مكتوباً لأتأمّله وأفهمه. فكتب له الأمانة التي تعتقدها المشارقة في سجل. [وهذه نسخة سجل الأمانة التي كتب إيشوعياب الجاثليق فطرك المشرق حسب ما وجدناه في كتب

اليونانيين المنقولة إلى اللغة العربيّة. ثم وجدنا ذلك بصيغته بالسريانية في تاريخ الأباء فأجابه وكتب هذه الأمانة:

[قانون إيمان إيشوعياب]

نومن بالله الأب خالق كل ما يرى وما لا يرى. وبالابن المولود منه قبل الدهور، المساوي له بالأزلية والقدم الذي به خلقت كل الخلايق. وبروح القدس المساوي بالجوهر والمشبه للأب والابن. ونقرّ بأن الأب والدٌ غير مولود، والابن مولودٌ غير والد، وروح القدس منبعث لا والدٌ. ولا مولودُ وأن الثالوث الأقدس جوهرٌ واحدٌ لا يحدّ [ولا يدرك]، ولا يتغيّر. وهو غير متألّم وغير مائت. وأن في آخر الزمان من أجلنا نحن البشريين، ومن أجل خلاصنا، نزل من السما أحد الأقانيم المقدّسة، وهو أقنوم البنوّة بمسرّته هي مسرّة أبيه، إذ لم يفارقه. وحلّ من السيدة مريم العذراء من آل داود، وأخذ له منها بفعل الروح القدس إنساناً كاملاً بالنفس والعقل مثلنا في جميعها سوى الخطية. واتّحد به اتحاداً لا انفصال له. وصار واحداً معه بالشخص والنبوّة والقدرة، مع بقاء الطبيعتَين وخواصهما فيه. ووُلد منها بعد تسعة أشهر ربنا وإلاهنا يشوع المسيح. وختن ونشأ وتربّى، وحفظ الناموس. واعتمد في نهر الأردن من يوحنا. ورأى روح القدس نازلاً عليه كالحمامة. وسمع الأب ينادي من السما هذا هو ابني الحبيب الذي به ارتضيت. واتخذ له تلاميذ. وصام أربعين يوماً وليلة. وجاهد مع الشيطان حتى قهره وأخزاه. وكان بما هو إلهُ يعمل العجائب والمعجزات مثل تطهير البرص، وفتح أعين العميان، وطرد الشياطين، وإقامة الموتى، وغير ذلك. وبما هو إنسان جاع، وعطش، وأكل، وشرب، وتألّم، وصُلب ومات، ودُفن وقام بعد ثلاثة أيام. وانبعث حيّاً بقوّة لاهوته المتّحدة به من وقت

البشارة. ولم يفارقه[1] لا في الصليب ولا في القبر. ومن بعد قيامته تردّد مع تلاميذه على الأرض أربعين يوماً. وكان يريهم يديه ورجلَيه وجنبه، ويقول جسّوني واعلموا أن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي. ومن بعد ما أزال عنهم ما خامرت نفوسهم من الشكوك، وحقّق لهم أمر قيامته، ونزول الروح القدس عليهم، وإتيانه يوم القيامة لمداينة الأموات والأحيا، صعد إلى السما تجاههم، وهم يبصرون. وقال انطلقوا وتلمذوا كل الشعوب والأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن وروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا كل ما أمرتكم به. وها أنا معكم إلى انقضا الأيام وانتهاء العالم حقاً آمين.

فسمعنا، وصدّقنا، وأمننا [وآمنّا]، واعتمدنا. ونحن نسأله أن يديمنا على إيماننا باسمه، وتصديقنا لرسله، واعتمادنا برسمه. ويثبتنا على رجائنا بقيامة المايتين، والجزاء في يوم الدين، ويجعلنا من أهل اليمين. آمين.

فلما كتب الأب إيشوعياب فطرك المشرق هذه الأمانة، ثم ناولها لموريقا [ملك الروم فأخذها]، وتأمّلها طويلاً. ثم ناولها لقرياقوس فطرك القسطنطينية، وغريغوريوس فطرك إنطاكية لأنهما كانا معه، وأساقفة أخر. [فقرأوها] واستحسنوها واستصوبوها. وقالوا بأجمعهم مع الملك هذه أمانة صحيحة سليمة برية من كل عيب. فقال لهم إيشوعياب [ما بيننا وبينكم خلف على الأمانة و] ليس فرق بيننا وبينكم إلاّ الملقّين وأرباب الفتن الذين رموا علينا اسم رجل لا رأيناه ولا رآنا، وليس هو من قومنا، ولا نحن من قومه. [ولا كان حاكماً علينا]. فأجابه الملك موريقا وقال إن

1 – في مخطوط الفاتيكان: ولم تفارقه لا في الأخشى ولا وحدة الإيمان شرقاً.

نسطوريوس هذا الذي تعني عنه يعتقد مثل هذا الاعتقاد، وكانت أمانته مثل أمانة [المشارقة]، فليس هو محروم.

ثم [بعد هذا] التمس منه [الملك وسأله] أن يفسّر له القدّاس. ففسّره. وسأله أن يقدّس عندهم. فأجاب وفعل ذلك. فأعجب الجميع القداس، وتقدّم الملك والفطاركة وجميع مَن حضر من الفطاركة[1]. وتقرّبوا من يده [وفي آخر يوم قدّس قرياقوس فطرك القسطنطينية. وتقرب إيشوعياب من يده. وعاد إلى كرسيّه بالإكرام والإنعام والعطايا الجزيلة].

وفي تلك الأيام عصي برهام على كسرى في تخوم بلاد الروم. فأرسل العساكر موريقا، وقبض على برهام وأرسله إلى كسرى.

[شفاء النعمان ملك الحيرة وتنصّره]

و [في ذلك العصر] كان بمدينة الحيرة ملك جميع عربان البادية والحجاز يُقال له النعمان ابن المنذر، وكان يعبد الزهرة. فعارضه الشيطان ودخل فيه، وصار يصرعه في كل يوم. واستعان بالمعزّمين وابَمته وخدم صنمه، ولم يقدروا على إشفايه. [فلما عاين العجز] دعا النصارى إليه، وطلب منهم المعونة والشفاء. فدخل إليه شمعون أسقف الحيرة، ووعده بأنه يسال المسيح [فيه] ويشفيه. وخرج من عنده، وأرسل طلب إليه إيشوعزخا الراهب، وسبريشوع أسقف لاشوم، ليعينوه بالصلاة والطلبة إلى المسيح. ولما حضروا قالوا إن هذا الجنس لا يخرج إلاّ بالصوم والصلاة، [كما قال سيدنا لتلاميذه في الإنجيل المقدّس]، فينبغي لنا أن نعمل كمين على هذا الشيطان، ونأخذ علينا باليمين أن لا نأكل ونشرب ولا نرى وجوه بعضنا

1 – في مخطوط الفاتيكان: والفطاركة أيضاً في كل ذلك كانوا موافقين وصار الصلح بين الملكين على يده.

بعض من هذا الساعة إلى أن يبرأ النعمان، أو نموت كل واحد [منا] على مكانه. ورتّبوا أن شمعون يكون ملازماً للملك النعمان، وسبريشوع يخرج إلى القفر والخراب، وإيشوعزخا يقوم قدام مذبح الرب، ويصلّوا [ويطلبوا] بقلب واحد. ولما مضى نصف النهار وهم يصلّون كل واحد في مكانه، فشفي النعمان، وعرفوا [ذلك] بالروح. وعادوا إليه، فرأوه [قد شفي و] تعافى. وسألوه عن ما رأى في وقت برئه، قال رأيت عشرة من أجناد الملايكة أتوا إليّ وأنا طريح، وقالوا للشيطان أخرج منه يا ملعون ولا تعمل فيه أذية. فخرج مني شيء مثل عبد أسود رأسه يبلغ السطح العالي، وانفلت من أيديهم وضرب صدر الدار وشقّه هذا الشقّ الذي ترون. ثم إنهم قبضوا عليه وربطوه بسلسلة من النار، وقالوا خذوه وامضوا به إلى بريّة مصر، واسجنوه هناك. وعند ذلك سألهم النعمان أن يعتمد. فقدّسوا له معموديّة وأعمدوه. وصار من ذلك الوقت الملك النعمان مؤمنا بالمسيح. وعمل مع النصارى خير كثير.

[أبرز آثار إيشوعياب ومشاهير زمنه]

وعمل إيشوعياب في السنة الرابعة من مقامه باجتماع الأبا اثنين وعشرين قانوناً ضمّنها ما يحتاج إليه [في الأحكام و] تدبير البيعة، وفسّر القدّاس والرازين مختصراً. وعمل كتاباً في روايات المزامير، [وكتاب في التعزية] وكتاب التراجيم، وكتاباً في المراسلات.

وكان في أيامه [من القديسين] مار إليا صاحب دير سعيد بالموصل[1] [1]. وربان برعيتا[2] وربان جيورجيس [تلميذه] وديره عند

---

1 – في مخطوط الفاتيكان: مار إيليا صاحب دير سعيد بلموصل وهو ابناه.

1 - مار إيليا الحيّري (نهاية القرن 6//) عربي مسيحي من الحيرة عاصمة اللخميين في جنوب غرب العراق اليوم. ترهّب في الدير الكبير الواقع في جبل إزلا. تتلمذ على إبراهيم الكشكري السابق الذكر واتبع القوانين الرهبانية التي وضعها معلمه عام 571.

في أيام باباي الكبير الخليفة الثاني لإبراهيم، تدخل إيليا ليطرد من الدير عدداً من الإخوة الذين كانت الشكوك تكتنف سيرتهم. ثم تحامل على مار يعقوب مؤسّس دير بيت عابي لاحقاً واتهمه بأنه هو السبب في سوء سيرة أولئك الإخوة، فأمر باباي يعقوب بمغادرة الدير. بعدها غادر إيليا جبل إزلا مع عدد من رفاقه الذين تفرّقوا لبناء عدّة أديرة.

ثم حلّ إيليا بين 582 و 590 يرافقه ابن شقيقه حنا نيشوع في منطقة حصن عبراية التي صارت الموصل. وطهّر تلك المنطقة من الحيوانات المفترسة . وأسس ديراً جمع فيه عدداً من الرهبان. ومات في سن متقدمة جاوزت المائة عام كما ذكر.

تغنّى الشعراء العرب بحانوت هذا الدير. إلاّ أنه بدأ يقفر مع الزمن إلى أن جُدّد بناؤه على نحو أصغر في أواخر القرن 17//. وبقي خالياً من الرهبان حتى أيامنا، بعد أن رمّم مرّات عديدة.

2 - برعيتا (ت 612) معنى اسمه ابن الكنيسة. وُلد في الرصافة على الفرات. أمضى 23 عاماً في دير إبراهيم الكبير في جبل إزلا واعتبر "بكر التلاميذ". وفي عام 562 بنى ديراً في منطقة المرج الواقعة قرب نهر الخازر، شرقي جبل مقلوب، في نواحي جسر مندان الحالي. وبلغ عدد رهبان هذا الدير 400. ذاع صيته بسبب تنبؤاته ومعجزاته. وضع سيرته تلميذه يوحنا الفارسي، ووصلت إلينا مبسّطة وغير مؤرّخة بقلم الكاهن إبراهيم الزابي في أرجوزة من 2036 بيت.

أقامت شقيقة برعيتا حنة يشوع في تلك النواحي ديراً بني على اسم الشهيدة فبرونيا.

كرمليس ببلد الموصل. ومار يوحنا صاحب دير انحل [ببلد ارزن]. ومار باباي النصيبي. ومار يونان عبد المجوسي. وربان شهرون. وربان شابور المتكلّم باللغات. وربان باعوث [وديره بالموصل]. ومار يعقوب صاحب دير باعابا[1] [على جانب قرية يقال لها بامازاي ببلد نينوى. ومار دنحا وديره في بلد البقعة من أعمال الموصل].

واستناح إيشوعياب ودفن بالحيرة بدير هند في البيم سنة سبعة وتسعماية [يونانية]، وجزء الدور زحد. وكان مقامه في الكرسي خمسة عشر سنة [وخلا الكرسي بعده سنة].

فصل 29"
الجاثليق 29"
سبريشوع (596 – 604)

سبريشوع [هذا الأب] كان شيخاً قصير القامة، ضعيف الجسم، قدّيساً فاضلاً، [يقول الحق] ولا يرائي. ابن رجل راعي غنم من بلد باجرمي من قرية تدعى فيروزاباد.

[سبريشوع يظهر على كسرى وينصره في الحرب]

ورأى أبوه في المنام ملاكاً يبشّره بولادته، وأنه يكون عظيماً طاهراً، وإليه تنساق رياسة البيعة المشرقية، ويدعوه كل أحد أباً.

ثم إنه لمّا نشأ وتعلّم صار راهباً، ثم أسقفاً على مرعيث لاشوم من

---

1 – في مخطوط الفاتيكان: ومار يعقوب صاحب دير باعابا وأبا يونان دبرطورا وديره بجبل سنجار. ومار إبراهيم وديره عند قرية يقال لها باحادا من بلد نينوى. ومار دنحا وديره في البقعة ببلاد الموصل.

أعمال باجرمي.

ولما كان كسرى في بلد الريّ يحارب مع الملك بسطام ورأى جيشه وكثرته، فعظم في عينه وعزم على الهزيمة. وبينما هو واقف يفكّر في أمره إذ رأى شيخاً قصير القامة ضعيف الجسم عليه قلنسوة وفي يده عصاة قد قبض على لجام حصانه، وجذبه بقوة وشجاعة، وأنزله إلى الحرب، وقال له قاتل[مع أعدائك وحاربهم]، ولا تخف وأنت الغالب [الفائز بالنصر]. ولم يره أحد مِمَّن كان معه. فقال له مَن أنت؟ قال أنا سبريشوع أسقف لاشوم، أرسلني سيدي المسيح لمعاونتك. فرفع يده ورمى، وكذلك فرسانه. وفي الحال انكسر عسكر بسطام وانهزم، وانتصر كسرى وغنم. والتفت ولم يرَ سبريشوع، وأسرّ في نفسه أنه يجعله فطركاً. وفي ذلك الوقت الذي أبصر فيه [كسرى] سبريشوع بالريّ، رُئِيَ في قلايته والمسافة بينهما [يكون] نحو أربعين يوماً.

[كسرى يأمر بترتيب سبر يشوع جاثليقاً]

فلما استناح إيشوعياب وقع الاختيار على خمسة أنفار، أشرفهم [وأحقهم بالمرتبة] كان سبريشوع. فعرف كسرى بذلك، فأمر بترتيبه. وقال الشكر لله الذي خلّصنا من ذلك الشيخ. وتقدم بإحضار سبريشوع المذكور. فلما حضر أسكنه في قصر شيرين زوجته، وأمر لناطر الكرسي بأن يجمع الأبا ويحضرهم. فلما حضروا أتوا مع الرؤسا والمؤمنين إلى باب القصر، فخرج كسرى إليهم، وأخرجه معه. وقال لهم هذا الرئيس الذي أعطاكم الله ورضيه الملك لكم. فافعلوا به مثلما في سنّتكم. فعند ذلك تشكّروا ودعوا للملك، وأخذوا هذا الأب المذكور من عنده بالصلاة. ومضوا إلى دير الكرسي الذي بالمداين. وعقدوا له الفطركة. [وأساموه]

وعليه بيرون أخضر. وذلك في يوم خميس الفصح سنة تسعة وتسعماية [يونانية وجزء الدور كان] طكزج. ودعاه كسرى إليه بالإكرام والتعظيم. وأسكنه قصر شيرين عدّة أيام. وكانوا [وكان] النصارى في أيامه آمنين.

ولما توجّه كسرى [بجيوشه] إلى حصار مدينة دارا سأله المسير معه. ولم يمكنه من الجلوس. فقال له أنّي أجي معك راكباً على دابّتي لكن إرجع وأنا محمول على جمل.

وعندما وصل معه إلى نصيبين استنـاح بها يوم الأحد ثامن عشر أيلول سنة سبعة عشر وتسعماية يونانية وجزء الدور بزكطه وهي السنة الخامسة عشر لملك كسرى (بن) هرمزد، وعمره نيف وثمانين سنة.

وحمل جسده إلى ديره بكرخ جذان من أعمال باجرمي. وفضائله ومعجزاته أكثر من أن تعدّ أو تحصى، وهي مذكورة في ميمره.

ومدّة رياسته كانت ثمان سنين. وكان في زمانه [من القدّيسين] ربان زيني[1]، وجريغور مطران نصيبين الذي كان من قبل أسقفاً لكشكر. وقد كانت أعماله كأعمال السليحين وفضائله كفضائلهم [وتلماذه كتلماذهم]. ومار إيشوعياب صاحب دير العمر. ومار جبرونا صاحب دير

---

1 – زينا أسقف شهيد وشقيقته سارة. راهب من القرن السابع حوت سيرته الكثير من التنميق مثل مصرع التنانين وشفاء الملوك وتجارة القار والزئبق مما كانت قوافل القدّيس زينا تنقله.
شيّد هو وشقيقته عدداً من الأديرة واستشهد بعد سنوات عديدة من وفاة شقيقته، ولكن في اليوم ذاته.
وثمّة كنائس عديدة تحمل اسمه في المناطق الخاضعة لتكريت.

القـارة[1] [ببلـد الجزيـرة]. وكـثير مـن القدّيسـين أصـحاب العجائـب والمعجزات [وخلا الكرسي من بعده سنة أو أقل].

فصل 30//
الجاثليق 30//
غريغور الأوّل (605 – 609)

جريغور[هذا الأب] كان شيخاً تامّ القامة، حسن الصورة، ملفاناً [أعني معلّماً] من أهل ميشان.

[غريغور الملفان بدل غريغور نصيبين]

وكـان قدأوصـى سبريشـوع قبـل وفاتـه أن يصـير بعـده برحدبشـبا الراهـب المقيم بجبـل سـعران، لأنـه لم يكُـن لـه إرادة فـي تصـيير جريغـور مطـران نصـيبين. فلمـا اجتمـع أصـحاب الاختيـار اخـتير جريغـور المطـران المذكور لِما تقدّم من فضائله وقدسه. وانتهى ذلك إلى كسرى، فأمر بترتيبه. فانفرد إبراهيم النصيبي المتطبّب، ومعه جماعة خوفاً من إنكاره عليهم، ومقابلته لهم على ما جرى منهم أيام مطرنيته بنصيبين. فعدلوا عنه، ووصلوا إلى شيرين زوجة كسرى بأن يترتب جريغور الملفان لاتفاق الإسمَين لا المعنى. وأثبتوا ذلك عندها، ونادوا به. فأسيم فطركاً، وعليه

1 – جبرونا القرني (القرن السادس) عاش الراهب السرياني الشرقي جبرونا (الرجل الصغير) في عهد الجاثليق سبريشوع كما يذكر صليبا في المتن. وهو من بيت عربايه(منطقة نصيبين). أقام أولا في دير بارطورا في جبل سنجار ثم انتقل إلى جبل بردون في المنطقة المعروفة اليوم بالجزيرة في شمال شرق سوريا.
شفيت على يده ابنة شمونا شيخ إحدى القرى الواقعة بالمنطقة، فبنى له هذا الأخير ديرا سمّي دير القارة. وقد بقي عامرا حتى القرن 13//.

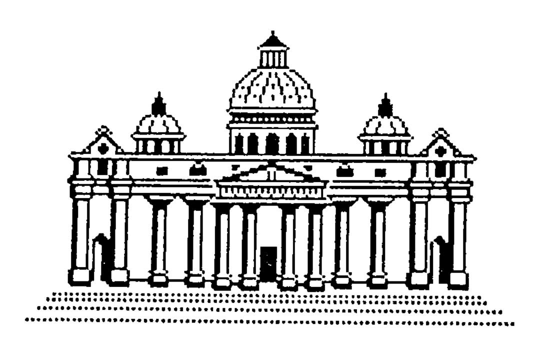
بيرون أحمر سنة ثمانية عشر وتسعماية يونانية والحصّة خرج. وأدخله النصيبيون إلى الملك ليباركه، ويدعي له. فلما رآه قال ما تَقَدَّمْتُ بتصيير هذا، بل مطران نصيبين. فأجابه مار أبا الطيّب هذا اختيار شيرين لأنه من بلدها. فأبغضه الملك وأبغض الأساقفة ووبّخ شيرين. فاغتمّ النصارى بسببه. وطرح عليه كسرى كتباً كان أخذها من فتح دارا بثمن مبلغه عشرين ألف أستار فضّة، وقسط ذلك على البيع، ولم تطل مدّته. فلما توفّي أخذ كسرى جميع ما جمعه، وتغيّر رأيه في النصارى، وضعّف عليهم الخراج، وأخذ أموالهم. وأمر أن لا يصير فطرك بعده. وبقي المدبّر للكرسي [بغير أسياميذ بل مثل نائب] مار أبا الأركندياقون[1]، ومار باباي الكبير[2]

1 - مار أبا الأركذياقون دبر كنيسة ساليق عند خلو كرسي الجثلقة بعد وفاة الجاثليق غريغور. وصفه المؤرّخون بالحكمة والفضل.

2 - باباي الكبير (553 – 628). من مشاهير الكتّاب النساطرة. ولد في بيت عيناثا من والدين من الشرفاء. درس الطب واللاهوت في نصيبين. وبعد حقبة قصيرة من التدريس ترهّب في دير إزلا الشهير وتتلمذ على إبراهيم الكبير (الكشكري). وعام 603 تقلّد رئاسة هذا الدير خلفاً لداد يشوع (586 – 603). وفي عهده طرد يعقوب مؤسس دير بيت عابي بتأثير من إيليا الحيري، كما ذكرنا في سيرة هذا الأخير. وإثر ذلك حصل انشقاق كبير بين الرهبان. وغادر الكثيرون منهم الدير نصرة ليعقوب.
لعب باباي دوراً أساسياً في تاريخ كنيسة المشرق. فبعد وفاة غريغور، كما يشير صليبا في المتن، خلا الكرسي زمناً طويلاً لأن كسرى منع المسيحيين من اختيار خلف له. وظلّت الكنيسة من 609 إلى 628 من دون جاثليق. فأخذ باباي زمام الإدارة الكنسية بتكليف من مجمع الأساقفة، وعُين زائراً عامّاً على كنيسة المشرق. وقام بأعباء هذه المهمة خير قيام. وشرع يجوب المقاطعات ويطوف المناطق الشمالية ويشجّع المؤمنين على الصمود أمام هجمات أعدائهم. وعندما جلس شيرويه على عرش المملكة عام 628 طلب الأساقفة من باباي أن يرسموه جاثليقا، فاعتذر. وتوفي بعد ذلك بمدة قصيرة.
ذكر له نحو 83 كتاباً، لم يبقَ منها إلاّ القليل. وأبرز ما وصلنا منه كتابه الشهير "في الاتحاد". أي اتحاد الألوهية والناسوت في المسيح. وفيه عرض ←

المذكورين في سفر الموتى.

وكانت مدّة رياسة جريغور أربع سنين [استنباح]. ودفن بالمداين سنة اثني وعشرين وتسعماية يونانية[1] والحصة جبب [وخلا الكرسي بعده سبعة عشر سنة].



← واف لمعتقد كنيسة المشرق في الكلمة المتجسّد يحوي عناصر قريبة جدّاً من المعتقد الأرثوذكسي. فهو يستخدم الألفاظ المكرّسة في التقليد الشرقي: أخذ، سكني، هيكل، ثوب، انصياع. لكنه يقرّ أن هذه الألفاظ لا تفي بالغرض إذا كانت معزولة لأن الاتحاد غير الموصوف وغير المدرك يتمّ حسبها كلها ولكن كذلك فوق كل تلك التعابير مجتمعة. وبينما ينفي النساطرة السابقون حقيقة اشتراك الأوصاف أو الخواص، يقرّ باباي بوجود تبادل في الأسماء، ولكنه يعارض بشدّة شرح الاتحاد في المسيح بتشبيه اتحاد النفس والجسد.
وضع باباي شرحاً للكتاب المقدّس ومقالات لأعياد السنة الليتورجية ونظّم قوانين المبتدئين والرهبان. ووضع شروح لمئويات أواغريس وأعمال مرقس الناسك: كما كتب سيرة ميهرام الفارسي الذي اعتنق المسيحية وتسمّى كيوركيس ثم استشهد عام 612.

1 – في مخطوط الفاتيكان: سنة أحد وعشرون وتسعماية يونانية بسرجاد بجو.



تمثال لنسطور الذي تبنَت كنيسة المشرق مذهبه

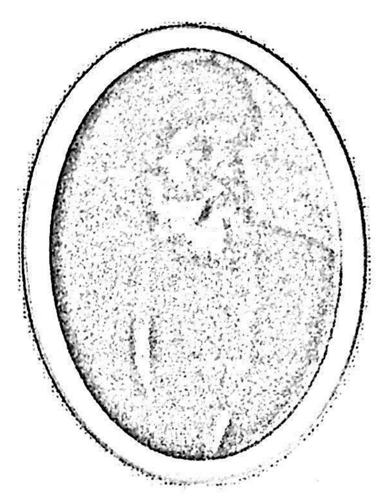



الباب الثاني

البطاركة في صدر الإسلام

[العهود النبوية والراشدية والأموية]



مار شمعون برصباعي



مار آبا الكبير

فصل 31//
الجاثليق 31//
إيشوعياب الثاني الجدالي (628 – 645)

إيشوعياب الجزالي هذا [الأب] كان شيخاً [عادلاً] عاقلاً فهماً جيد الطريقة، من قرية تسمّى جذال من بلد الموصل. وكان من قبل معلماً في مدينة بلد ثم أسقفاً وهو أحد ثلاثماية نفس خرجوا من أسكول نصيبين لما جرى بين حنانا [المعلم] والقدّيس جريغور مطرانها، وكلهم كانوا فضلاء وقدّيسين تفرّقوا في الأرض.

[ملكة الفرس ترسل إيشوعياب إلى هرقل]

ولما مات أبرويز ملك الفرس وملك ابنه شيرويه اختير هذا الأب الفاضل، وأسيم فطركاً بالمداين، وعليه بيرون أحمر سنة تسعة وثلاثون وتسعماية للإسكندر. بسرجاد أكها. فأقام بالتدبير أحسن قيام. وعمل كتاب الرووس في توبيخ المخالفين على المذهب، وكتاب في الأسامي والأشيا المتفقة في الكتابة المتخالفة في اللفظ، والمتفقة في اللفظ مختلفة في المعنى، وكتاب أسرار البيعة اثني وعشرين مسألة والجواب [على كل واحد منها].

وفي أيامه مات شيرويه، وولى ولده أردشير. وقُتل أردشير. وملكت بعده بوران أخت شيرويه. فاضطربت مملكة الفرس من قبل ملوكها في زمان شيرويه وأردشير. وخافت الملكة قصد ملك لها[1] فأنفذت هذا الأب

---

1 – في مخطوط الفاتيكان: قصد ملك الروم لها فأنفذت هذا الأب إلى ملك الروم زينون.

إلى ملك الروم هرقل رسولاً لتجديد الصلح مكرّماً، ومعه أساقفة ومطارين. فلما رآه [ملك] أعجبه فضله وحسن ديانته، فرغب إليه أن يكتب له الأمانة بحسب ما يعتقده هو والمشارقة أهل مذهبه. فكتب [له الأمانة و] هذه [هي] الأمانة [التي كتبها إيشوعياب الجذالي لهرقل ملك الروم].

[قانون إيمان إيشوعياب]

نومن بالثالوث الواحد المقدّس المساوي في الجوهر الذي هو من الأبد وإلى الأبد الذي لا يقبل لا تغيير ولا انفصال، ويعرف بالثالوث، ويسجد بالوحدانية آب وابن وروح قدس. فلمّا كان في منتهى الزمان من أجلنا نحن معشر البشريّين، ومن أجل خلاصنا واحد من الأقانيم المقدّسة، ابن الله، الله الكلمة نور من نور إله حق من إله حق ابن [طبع] أبيه نزل من السما وتجسّم وتأنس من روح القدس، ومن مريم البتول القدّيسة، حيث لم يتغيّر عن طبعه ولم ينقص عن مجده. بل اتخذ طبيعة بشريّة لظهور لاهوته، ليس إنسان شحيم كما يقولون الهراطقة حاشا وكلا، ولا نقول أيضاً إله بلا جسد كما يقولون [يقول] حاشا وكلا. بل هو إله كامل ابن طبع أبيه بلاهوته، وهو إنسان كامل ابن طبعنا بناسوته وشخصانيته واحدة. ربّ واحد باتحاد عجيب غير مدرك الذي لم يقبل تبلبلاً ولا تقسيماً. [وهو] بلا امتزاج ولا انفصال من الأبد وإلى الأبد بالطبيعتّين الحقيقتّين لاهوتية وناسوتية. ربّ واحد إيشوع المسيح ابن الله، اختار وتألم بالجسد من أجل خلاصنا نحن البشريين. فأما بلاهوته فلم يدخل عليه تألم، وهذا الواحد الربّ إيشوع المسيح هكذا يسجد ويمجّد بالكمل والتمام مع أبيه وروح القدس من جميع أصناف السماويين والأرضيين من الآن وإلى انقضا الدهر

والزمان، وإلى أبد الآبدين آمين [واحد الابن القدوس، واحد الأب القدوس، واحد روح القدس القدوس، المجد للآب والابن وروح القدس إلى أبد الآبدين آمين].

فلما طالعها[1] استحسنها، وسأله أن يقدّس. فدخل إلى المذبح ثلاث دفوع وقدّس، [وعاد لكرسيه بإكرام].

[مراسلات إيشوعياب مع نبي المسلمين]

وفي أيامه انقضت مملكة الفرس الأكاسرة [على يد يزدجرد آخر ملوكها]، وكانت مدّتها ثلاثماية وخمس وثمانين سنة. وكان قد بدا يظهر أمر العرب بني إسماعيل سنة خمس وثلاثين وتسعماية للإسكندر. ولما كشف الله لهذا الأب ما يؤول إليه هذا الظهور من السلطان والملك والقوّة وفتح البلاد جمع رأيه وسابق بعقله وحكمته إلى مكاتبة صاحب شريعتهم وهو بعد غير متمكّن [وأنذره بما يصير إليه أمره من القوّة وسيّر ذلك له مع هدايا جميلة فلمّا قوي أمره وتمكّن عاد كاتبه]، وأخذ منه العهد والزمام لجميع النصارى [كافة] في البلدان الذي يملك عليها هو وأصحابه من بعده أن يكونوا في حمايته آمنين على جاري عادتهم في إقامة الصلوة والبيع والأديرة. [وفي أيامه مات صاحب شريعة الإسلام. وكان مقامه ط سنين ح شهور. ومات أبو بكر وكان مقامه ب سنين ح شهور. ومات عمر وكان مقامه ي سنين وشهر].

وكان في أيامه من القدّيسين ربان أوكاما صاحب دير كوم

---

1 - في مخطوط الفاتيكان: فلما أخذ الملك زينون هذه الأمانة واعتبرها عجبته وفرح بها. وسرّ عظيماً وقال اللهم اجعلني مَن أحيا وأموت على هذه الأمانة. ثم إنه طلب من الأب إيشوعياب أن يقدّس.

بالعمادية، ومار سبريشوع صاحب دير باقوقا[1] [ببلد أربل]، ومار عبدا [القدّيس]، وربان خداهي [القدّيس][2]، وربان هرمزد [القدّيس] صاحب دير القوش[3] [ببلد الموصل]، ومار يوزاذاق القدّيس الكبير.

---

1 - سبريشوع (القرن السابع) ولد في عاوانا من منطقة طيرهان (منطقة تكريت سامراء). مال إلى الحياة الرهبانية إثر زيارته إيشوعسبران في السجن قبل استشهاده. لبس الإسكيم الرهباني على يد ناسك اسمه هرمزد الآرامي. وكان هذا الأخير يعيش على ضفاف نهر الزاب الكبير. وتتلمذ عليه مدّة اثنتي عشر سنة . ثم أصبح سبريشوع نفسه مجدّدا لدير قديم يعرف بِ دير الشهداء نحو عام 630.

شوهدت عام 637 بجوار هذا الدير طلائع الغزو العربي، فلجأ الرهبان إلى قرية مجاورة.

عرضت عليه أسقفية حدياب فاعتذر، توفي نحو عام 650.

2 - خوداهوي. تروي مصادر سيرته أنه كان تلميذاً لمار أوجين (القرن الرابع) ولكنه في الواقع تلميذ ربّان أبا شابور في خوزستان. بنى في نواحي الحيرة ديراً بعد الغزو العربي. وقد كرّس سبريشوع أسقف الحيرة (نحو 647 – 650) هذا الدير. وعرف باسم بيت حاليه (المنطقة الوحلية) أو المعرّة، وبقي هذا الدير قائماً حتى القرن 11.

عاش خوداهوي حتى خلافة معاوية (662 – 681). ومات عن خمس وتسعين عاماً. وكتب سيرته أحد معاصريه يوحنا سابا الرئيس الثاني على بيت عابيه. لكن نص السيرة فقد، ونقل عنه تاريخ سعرد وكتاب العفة.

3 - ربان هرمزد (القرن السابع). أحد مؤسسي الأديار السريان الأكثر شهرة. فقد عمّر حتى جاوز التسعين. واشتهر الدير الذي بناه في شمالي العراق على مقربة من القوش (يذكره صليبا في المتن). وصار أحد رؤساء هذا الدير عام 1552 أول بطريرك كلداني كاثوليكي.

عاش ربّان هرمزد كما يذكر صليبا في عهد البطريرك إيشوعياب، وعاصر الغزو العربي. أصله فارسي من مواليد خوزستان في شمال الخليج العربي. قدم إلى نواحي الموصل، ومن هنا رافق ثلاثة رهبان من دير برعيتا إلى منطقة المرج حيث ترهّب. وبعد سبعة أعوام قضاها في الخدمة داخل الدير، اختلى في قلاّية حيث عاش 32 عاماً. ولسبب غير معروف غادر الدير مع مجموعة من الإخوة وتوجّهوا إلى دير ريشا (القمة) الواقع حالاً في جبل مقلوب.

واستناح إيشوعياب بكرخ جذان[في حصة يطهو]، ودفن هنك.
وكانت مدّة رياسته تسعة عشر سنة [وخلا الكرسي بعده سنة].

فصل 32//
الجاثليق 32//
مارامه (645 – 649)

مارامه هذا الأب كان شيخاً كبيراً فاضلاً تقيّاً طاهراً معتنياً بالصدقة وإقامة الإسكولات. وهو من أرزن. وتعلّم في أسكول نصيبين. وترهّب في دير مار إبراهام. وصار أسقف نينوى، ثم مطران جنديسابور. [وبعد وفاة إيشوعياب] اختير سنة ثمانية وخمسين وتسعماية يونانية، وأجزاء الدور أكها [وهي السنة الأولى لخلافة عثمان]، وأسيم فطركاً بالمداين وعليه بيرون أخضر.

[أول من أمر الكهنة بالزنار]

وهو أوّل مَن أمر الكهنة بشدّ الزنار ظاهراً فوق كلّ ثيابهم، ليتميّزوا بذلك من غيرهم. وخرج إلى كرخ جذان فاعتلّ من شدّة التعب والحرّ، واجتهد به الأطباء أن يتناول شيئاً من الأدوية، فامتنع وقال قد بلغ الزرع

اضطر الإخوة إلى التفرق بعد جفاف جزئي أصاب عين ماء الدير. فأقام هرمزد في مغارة تقع في منطقة بيث عذرة بالقرب من القوش، وهناك استقطب عدداً من التلامذة. وجرت على يده عجائب متعدّدة منها واحدة عادت بالخير على حاكم الموصل المسلم. وبنى ديراً لا يزال يحمل اسمه إلى اليوم. وتوفي في هذا الدير بعد 25 من تأسيسه، وكان عدد رهبانه قد جاوز المئة. ذكر في العديد من السير النثرية والشعرية. ونسب إليه شفاء أعمى بعد قرنين من وفاته. كان ديره مقرّاً بطريركياً للكلدان. وشهد نشأة الجمعية الأنطونية للرهبان الكلدانيين للقديس هرمزد من النصف الأول من القرن19//.

الحصاد.

واستناح بكرخ جذان في خلافة عثمان [سنة 961 يونانية بسرجاد دكبه] وكانت مدّة رياسته ثلاثة سنين.

وفي أيامه كان ملكيشوع صاحب دير الحديثة [وخلا الكرسي بعده سنة].

فصل 33"
الجاثليق 33"
إيشوعياب الثالث الحديابي (649 – 659)

إيشوعياب الحزي [هذا الأب كان] شيخاً عالماً فاضلاً، قوياً في الأمانة، غيوراً سيّئ الخلق من بلد حزة [المعروفة الآن بأربل]. وهو من جملة مَن خرج من أسكول نصيبين مع جريغور القدّيس مطرانها. وصار أسقفاً على نينوى، ثم مطران الموصل.

[فوّضوه الاختيار فاختار نفسه جاثليقاً]

ولما توفّي مارامه حضر مع الأبا للاختيار. ولم يكُن فيهم أَمْيَز منه. فخافوه أن يتغلّب على الأمر لقوّة علمه وفضله وميل الناس إليه. فقالوا له قد فوّضنا الأمر إليك، فاختر مَن شئت. فأخذ خطوطهم بذلك استظهاراً عليهم. وقال لهم المستشار مؤتمن، وما أرى في الجماعة أحق مني بهذا الأمر، ولا أفخر عليكم. فأعطوه الطاعة، وأسيم فطركاً بالمداين وهو لابس بيرون مسّني في السنة الخامسة من خلافة عثمان. وهي اثنين وستين وتسعماية يونانية وجزء الدور هيج. ثم إنه أصرف عنايته في إقامة العِلم وطكس الفنقيث لدور السنة على ما هي عليه الآن. ووضع ميامر

ومداريس تقال في الصلوات، وكتاب الريشا، وكتاب هوفخ حوشايا أعني عكس الآراء. وكتاب الترجمة. وكتاب في الوعظ والعذلان. واضطهده والي المداين، فكره المقام بها. وخرج إلى دير مار يعقوب باعابا، وبنى الدير [وقواه وأقام به]. وكان في أيامه ربان قاميشوع[1]، ودانيال ابن مريم[2] وميخا الجُرمقاني[3]، وسرجيس الذي صار مطراناً لجندسابور. وأقام في كرسيه خمسة وأربعين سنة. واستناح إيشوعياب سنة 971 يونانية بسرجاد بدا [وفي أيامه مات عثمان بعد ما أقام أحدى عشر سنة وثمان شهور]. دفن بالمداين على جانب مار يعقوب رابه. وكانت مدّة رياسته تسع سنين وثلاثة شهور. وحضر وفاته من الأبا إليا مطران مرو، ويزدفنه أسقف كشكر، وإسحق مطران نصيبين، وسرجيس أسقف الحيرة، وموشى أسقف نينوى [وخلا الكرسي بعده سنة].

فصل 34//

كيوركيس الأوّل (661 – 681)

جيورجيس هذا الأب كان شاباً طويل [القامة] اللحية، طاهر الخلق، حسن المداراة، تامّ الفضل، شديد المحبّة لمعلّمه. وكان مطراناً على

---

1 – قاميشوع: راهب في دير بيث عابي الذي بناه مار يعقوب بعد طرده من دير إيزلا زمن باباي الكبير. وأشرف على سير بناء هذا الدير. ثم ترك هذا الدير بصحبة الكاتب سهدونا. (ت نحو 649) وقصدا جبل أوروخ (جبل حمرين) حيث قضيا مدّة في الحياة النسكية. عاد إلى دير بيت عابي مع سهدونا ترأس هذا الدير بعد وفاة يعقوب من (626 إلى 636).

2 – دانيال برمريم (ت نحو 65). سبقت ترجمته في حاشية فصل 1//.

3 – ميخا الجرمقي: كتب خمس مقالات في تأسيس المدارس، ومقالاً في رجل اسمه قنطروبيس. ومقالاً آخر في سبريشوع اللاشومي، وشرحاً لسفر الملوك وتاريخاً كنسياً.

الموصل وإربل[1].

[أي جيورجيس قصد إيشوعياب؟!]

وكان تلميذاً لإيشوعياب خصيصاً به، وهو أسامه مطراناً. وكان له تلميذ آخر اسمه جيورجيس وكان أيضاً أسامه مطراناً لنصيبين. وكتب وأوصى بأن يصير بعده تلميذه جيورجيس. ولم يفطن الأبا أيهما عنى. فأسيم هذا الأب فطركاً بالمداين على الرسم، وكان عليه بيرون أحمر [وذلك] في أيام خلافة علي، وهي سنة اثنين وسبعين وتسعماية يونانية وجزء الدور يهكاد. ودبّر أحسن تدبير، وخالف عليه رفيقه مطران نصيبين فقصد هذا الأب نصيبين. للاصطلاح مع مطرانها، فلم يقبله. فعاد إلى الحيرة إلى ربان خوداهواي فسأله في أمر الصلح. فأصلح بينهما، وجرت عليه محن يطول شرحها. وصبر لها.

واستناح سنة [اتنين وتسعين وتسعماية يونانية بسرجاد يوطب. وفي أيامه مات معاوية وله في الخلافة تسع عشر سنة وشهرين]. ودفن بالمداين.

وكانت مدّة رياسته عشرون سنة. وكان في أيامه من القدّيسين مار شبحا لماران ومار افنيماران صاحب دير الزعفران[2] ببلد الموصل.

---

1 – في مخطوط الڤاتيكان: الموصل وحزة.

2 – أفنيماران لقب بالكبير. دخل دير بيت عابي قرب عقرة شمال العراق الحالي. ولبس الإسكيم على يد الربان قاميشوع الذي تولى رئاسة الدير (626 – 636).

بعد أعوام في الزهد داخل الدير اختلى عدة أعوام. واتهم. باعتناق بدعة المصلية، فعوقب بالدفن الرمزي "في مكان سباق الحمير". إثر ذلك ترك دير بيث عابي إلى دير رزنوقة حيث مكث ثلاثة أعوام. وفي دير آخر أثار الحسد فاضطر إلى الرحيل مجدّدا. وأقام عند سفح جبل بحير في شمال العراق حيث كان يقيم ناسك اسمه كوسشوع. وهناك بنى ديرا عظيما عرف بدير الزعفران. وهوغير دير الزعفران بماردين. ومات في هذا الدير عن عمر يناهز المائة عام.

تنسب إليه مؤلفات عديدة وعدّة خطب وكتاب "رؤوس المعرفة" وكتب في سيَر القدّيسين.

فصل 35//

يوحنا برمرتا (681 – 683)

يوحنا ابن مرتا هذا الأب كان شيخاً فهماً عالماً فاضلاً من أرباب النعم بالأهواز.

[ربّان سابور يتنبأ له بالجثلقة]

وقبل الرهبنة من ربّان سابور[1] القدّيس صاحب الآيات والعجائب. وتنبّى عليه أن يكون فطركاً. وذاك أنه لما خرج من الأسكول هو ومعه إسحق الذي صار أسقفاً على كرخ السوس يريدان الدير للترهّب فيه، وفي يوم الأحد عملا الرازان والقداس مع الرهبان، ومن بعد ذلك أكلوا مع الإخوة في بيت المائدة. ثم مضوا بهما عند ربان سابور القدّيس ليسألوه عن أمورهم. فقال لهما يا قوم قد اختاركما المسيح لتكونا رعاة شعبه وبيعته وبعد مدّة يسيرة تدعوكما النعمة فانظرا كيف تقومان بما تتأهلان له. فكان الأمر على ما قال. ثم إن هذا الأب صار أوّلاً أسقفاً، ثم مطراناً على جنديسابور. ولما توفي جيورجيس اختير وأسيم فطركاً بالمداين، وهو لابس بيرون أخضر سنة ثلاثة وتسعين وتسعماية يونانية أجزا الدور بزكطه. ولازمته الأمراض. فأشار عليه الأطباء بالعود إلى بلده التي تربّى فيها وألف هواه، لعلّه ينصلح مزاجه، ويصحّ بدنه. فخرج يريد جنديسابور، فاستناح في الطريق [سنة خمسة وتسعين وتسعماية يونانية بسرجاد بطوو. وفي تلك السنة مات سيوري ابن مثقافطرك إنطاكية. وفي أيامه مات يزيد وله في المقام سنتين وأربعة شهور]. ودفن بمدينة متوث التي على طريق جنديسابور. وكانت مدّة رياسته سنتين وخلا الكرسي بعده سنتين.

---

1 – ربّان سابور: تعلّم في مدرسة دير محراق. عاصر ربّان خودا هوي.

فصل 36

حنا نيشوع الأوّل (الأعرج) (685 – 700)

حنانيشوع هذا الأب كان شيخاً كبيراً عالماً ماهراً ومعلّماً فاضلاً. أحيا العلوم البيعيّة وأوضحها. وعمل سبعة وأربعين ترجاماً، وكتاب الميامر، وكتاب المراسلات، وكتاب التعزية، وأربعة كتب في تفسير فصول الإنجيل وشرحها. وله على كل فصل بمفرده موعظة وعذلان يليق به. ووضع عشرين قانوناً في المحاكمات، وفي كل قانون منها عدّة قوانين. [وله كتاب مسمّى علل الموجودات].

[صراع على الجثلقة بين حنا نيشوع والأبرص]

ولما توفي يوحنا حضر الأبا والمؤمنون للاختيار. وحضر من جملتهم إيشوعياب مطران البصرة، وكان موسراً بالمال عالماً فهماً من أهل المداين. فخطب الأمر لنفسه، وجلس على كرسي الفطرك من تلقاء نفسه، واستبدّ بالتدبير من غير أسياميذ. فشقّ ذلك على الأبا والمؤمنين، فأخذ وحبس. واختير هذا الأب وأسيم فطركاً بالمداين، وهو لابس بيرون نفطي سنة سبعة وتسعين وتسعماية يونانية وأجزا الدور بيجو [في خلافة عبدالملك بن مروان]. وجلس على الكرسي، وشفع في مطران البصرة، فأطلق وأظهر الطاعة وأضمر العداوة. وعرف يوحنا مطران نصيبين المعروف بالأبرص بأسياميذ هذا الأب، فغلظ عليه، ولم يدخل في طاعته. ولم يزل يتوصّل إلى أن أخذ توقيع عبدالملك بن مروان بعزل حنانيشوع وتمليكه أزمّة النصارى، بعد أن بذل أموالاً لم يقدر بها حتى الجأته الضرورة إلى بيع آلات البيع والأديرة. ثم أحضر حنانيشوع وانتزع باليد الغاصبة بيرونه وعكازه ومغفرة، وقبض عليه، وأخرجه عن المداين إلى

جبل بأرض الصامعات. ولا زال حنانيشوع يتنقل قليلاً قليلاً من مكان إلى مكان حتى حصل بدير يونان النبي بالموصل، وأقام به. ومضى يوحنا الأبرص إلى المداين، وأخذ الأبا بقوّة السلطان، وقهرهم على أسياميذه. فأساموه بالكره سنة أربع وسبعين للهجرة بعد سبع سنين من رياسة حنانيشوع. ثم إن الأبرص هرب من الديون التي علته، ومات في قرية من قرى الكوفة. ودفن بها ومدّة تغلّبه كانت سنة [واحدة] وعشرة شهور.

[صليبا يشهد فتح ناووس حنا نيشوع بعد 650 سنة]

وأقام حنانيشوع بدير يونان الذي على جانب صور نينوى الغربي المقابل لأبواب الموصل الشرقية و[نهر] الدجلة يفصل بين المدينتَين المذكورتَين، إلى أن استناح، ودفن به، وجُعل جسده في تابوت من خشب الساج[1]. ومن بعد ستماية وخمسين سنة انفتح الناووس الذي كان التابوت فيه وظهر جسده وهو منطور كأنه نائم، وبادر إلى رويته أكثر أهل مدينة الموصل. وشاهدناه بأعيننا مع [جملة] الحاضرين. وإلى الآن كل مَن يقصد أن يراه ويتبارك، منه فذلك له مباح. ومَن يشكّ [فليمضِ] في ذلك فليمضي يبصره ويصدق.

[وكان نياح حنانيشوع سنة ألف وأحدى عشر يونانية وأيات الدور يوطب] [وفي أيامه مات عبدالملك بن مروان] وكان في أيامه من القدّيسين القدّيس سرجيس دوذا من الدوقرة بأرض كشكر، ومار يوحنا الديلمي صاحب دير الكرسي[2]، ومار يوحنا الأزرق أسقف الحيرة.

---

1 - في مخطوط الڤاتيكان على هامش هذه الفقرة: سنة ألف وعشرة يونانية بسرجاد بهكاد.

2 - يوحنا الديلمي (ت738) ولد نحوعام 660. في بيت قيرا جنوب ملتقى دجلة والزاب الكبير. قضى طفولته في التقوى والاجتهاد. والتحق في عمر مبكر -

وكانت مدّة رياسة حنانيشوع أربعة عشر سنة وتسعة شهور وخلا الكرسي أربعة عشر سنة.

فصل 36″ مكرّر

يوحنا الأبرص المتغلّب هو الذي كان أسقف كدنس ثم مطران نصيبين. وكان تغلّبه وأخذه الرياسة بغير واجب. أقام سنة واحدة وعشرة أشهر ومات. ودفن بقرية من أعمال الكوفة. ولأجله منع الحجّاج من ترتيب فطرك. وبقي الكرسي خالياً أربعة عشر سنة.

فصل 37″

الجاثليق 37″

صليبا زخا (714 – 728)

صليبا زخا هذا الأب كان من أهل الطيرهان، وصار أسقفاً على

(نحو 13 عام) بدير بيث عابية حيث تتلمذ على سمعان سانوتا. وإثر وقوع مجاعة اضطر الرهبان إلى التفرّق. فهاجر سمعان وثلاثة من تلامذته إلى منطقة سلخ في جبال شرقي العراق الحالي. وهناك وبعد وفاة سمعان، خطف يوحنا أثناء غارة شنها الديلميون. اهتدى على يديه في الديلم ألوف الوثنيين بعد أن أفرج عنه وذلك أثر العجائب التي اجترحت على يديه. نسب إليه شفاء الحجّاج بن يوسف من مرض عندما التقاه في دمشق.
وعند مروره بالبصرة قصد منطقة أرّجان الواقعة على نهر طاب عند حدود فارس وخوزستان فبنى ديراً للرهبان الفرس الذين انضمّوا إليه. ثم بنى ديراً آخر للرهبان الناطقين بالسريانية على الضفة الأخرى من نهر طاب، وأضاف إليه كنيسة باسم القدّيسة مريم. ويذكر الأصطخري (القرن 10″) في مسالك الممالك «قنطرة على نهر طاب تنسب إلى الديلمي طبيب الحجاج، وهي طاق واحد سعة الطاق على الأرض ما بين العمودين نحو ثمانين خطوة، وارتفاعه مقدار ما يجوز فيه الرجل راكباً جملاً وهو يرفع فوقه راية» (ص 153).
توفي يوحنا الديلمي يوم الأحد 738/01/26.

الأنبار وأسقطه الأبرص. فمضى إلى مدينة بلد، ثم إلى نصيبين. وأقام عند سبريشوع مطرانها، وأحسن إليه وجعله نائبه. فلم يقبله الشعب. فأنفذه إلى شمعون مطران الموصل، وسأله أن يجعله معلّماً لحزة وأربل.

[صليبا زخا يعيد كل مَن أسامه حنانيشوع]

فلما مات الحجّاج وأمكن من إقامة فطرك فاختاره الأباء بمعونة سبريشوع مطران نصيبين، وأسيم فطركاً بالمداين [ببيرون وردي] سنة ألف وخمسة وعشرون يونانية وأجزا الدور كانت يادد[في خلافة سليمان ابن الوليد(1) ودبّر تدبيراً صالحاً]، وأسقط مَن أسامه الأبرص، وأمر بردّ مَن كان أسامه حنانيشوع إلى رتبته. وأصلح أكثر الفساد الذي جرى. وفي أيامه كان من القدّيسين مار جيورجيس صاحب دير مرو، وقرابته ربّان يوحنا، ومار بختيشوع صاحب دير الحديثة، ومار أسطفانوس صاحب دير سجستان.

واستناح صليبا زخا بالمداين، ودفن بها [سنة ألف وتسعة وثلاثين يونانية في دور] ولو[وفي أيامه مات من الخلفاء سليمان ابن الوليد وله سنتَين وسبع شهور وعمر بن عبدالعزيز وله سنتين وأربع شهور ويزيد بن عبدالملك وله ثلاثة سنين وأحدى عشر شهر وكانت مدّة رياسته أربعة عشر سنة وخلا الكرسي بعده ثلاث سنين].

---

1 - هو على الأرجح الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك (97 - 99 هـ / 715 - 717) ميلادي. أخو الخليفة الوليد بن عبدالملك (86 - 97 هـ / 705 - 715). وخليفته على العرش الأموي.

فصل 38//

فثيون (731 – 740)

فثيون هذا الأب كان شيخاً مدوّر اللحية زاهداً من أهل باجرمي وكان أسقفاً على الطيرهان.

[بطريرك على خطى أبّا الأوّل]

واختير وأسيم فطركاً بالمداين وكان عليه بيرون أحمر سنة ألف واثنين وأربعين يونانية وأجزا الدور كانت طكزج [في خلافة هاشم]. ورزق محبة من المملكة لحسن سيرته. وعمّر الكرسي، وأقام الأسكول والملافنة. ولم يكُن محبّاً للمال قدّس الله روحه الطاهرة. فإنها أكرم خلة في روساء البيعة. وجدّد ما كان عمله مار أبّا الأوّل. وكان كثير الشبه به. واجتهد في صيانة النصارى وتخليصهم من الأذى بكل جهده. وفّقه الله لعمل كلما أراد وأمكن من عمل الخير.

وكان في أيامه من القدّيسين مار يعقوب الإعرابي، وفولوس أسقف الأنبار[1]، ويوحنا أسقف الحديثة، ومار سبريشوع صاحب دير واسط، وجريغور أسقف حاران العالم بالكيميا، ويوحنا أسقف البواريج العالم بها أيضاً.

واستناح فثيون سنة ثلاثة وعشرين وماية للهجرة وهي سنة ألف واثنين وخمسين في دور يطوو ودفن بالمداين وكانت مدّة رياسته عشر سنين وخمس شهور [وخلا الكرسي سنة وأيام].

---

1 – فولوس (بولس) أسقف الأنبار. له تعزيات وتراجيم وجداول.

فصل 39//
الجاثليق 39//
آبا الثاني (741 – 751)

مارابا [ابن بريخ صبيانه]. هذا الأب كان عالماً شيخاً، ومصباحاً مضيئاً مشهوراً بالفضل. وهو من الدوقرة من أعمال كشكر. وصار أسقفاً لكشكر.

[جاثليق يهجر المداين]

واختاره الجمهور [وجميع أصحاب الاختيار]. وعقدت له الفطركة بالمداين وعليه بيرون زنجاري سنة أربعة وعشرين وماية عربية، وهي سنة 1053 يونانية وأجزا الدور أكها [في أيام هاشم]. وما كان يروم المقام بالمداين لعتاوة أهلها، بل استخلف عليها تلميذيه وهما شاهادوست أسقف الطيرهان، وميلاس أسقف الزوابي، وذلك في السنة السادسة لرياسته. ومضى إلى كشكر، وأقام بدير واسط مدّة سنة. ومضى إلى الكوفة والحيرة، وعاد إلى كشكر. فغلظ ذلك على أهل المداين، وقطعوا كاروزته[1]. فاستعفى، ثم استعطفوه فأجاب وعاد إلى المداين.

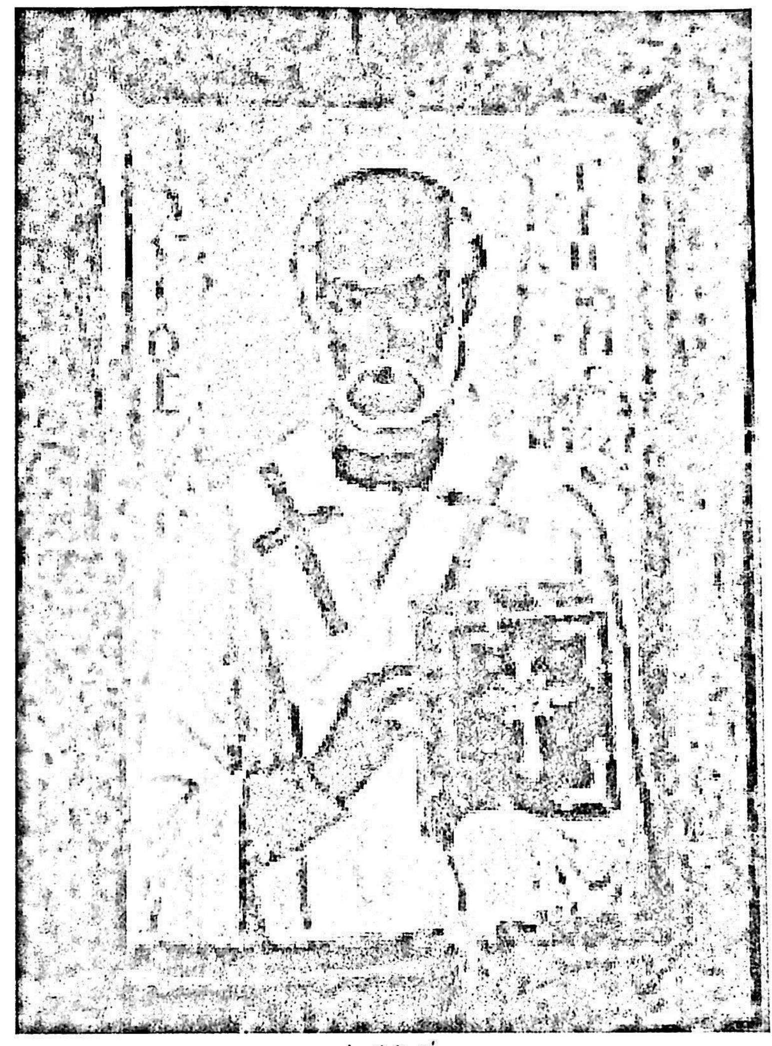
وفي أيامه انتقلت الدولة إلى بني العباس سنة تسعة وعشرين وماية. واستناح بالمداين ودفن بها سنة[2] [ثلاثة وثلاثين وماية عربية وهي سنة] ألف وثلاثة وستين يونانية في دور يادد.

وكانت مدّة رياسته عشر سنين وشهراً واحداً. وخلا الكرسي بعده سنتَين.

---

1 – كاروزته: من الكرازة أي البشارة وهي الخطبة التي يذكر فيها رؤساء الكنيسة.

2 – في مخطوط الفاتيكان: واستناح بالمداين وعمره ماية وعشر سنين.



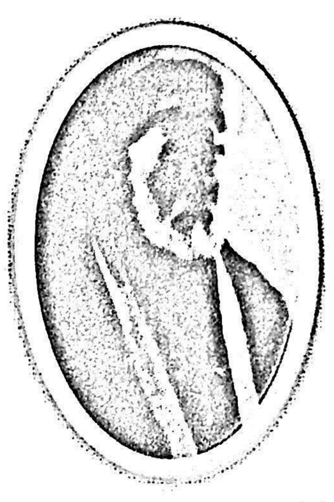
أيقونة لنسطور



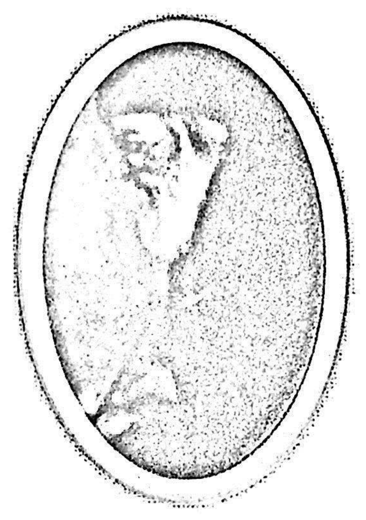

الباب الثالث

البطاركة في العصر العبّاسي



البطريرك إيشوعياب الثالث الحديابي



البطريرك طيموثاوس الأول الكبير

فصل 40//
الجاثليق 40//
سورين (... – 754)

[رسم بطريركاً ثم عزل]

سورين كان هذا شيخاً فهماً من أهل المداين. كان أسيم بالحيلة مطراناً على نصيبين، ولم يقبلوه. فنقل إلى حلوان. ولما توفي مار أبا اتفق الاختيار على يعقوب مطران جنديسابور. ولم يخالف أحد عليه إلاّ هذا سورين. وطلب الرياسة لنفسه. وعاونه مطران مرو وغيره. وشرع يستصلح المومنين مدّة طويلة، فلم يجيبوه إلى الرضى. فمضى واستنصر بالملكة. فأسيم قهراً يوم خميس الفصح. وكان السايوم يعقوب مطران جنديسابور الذي كان قد اختير ويداه مبسوطتان، وهو يتضرّع [إلى الله] أن لا يصلح له شأناً. وجلس في الكرسي إلى الأحد الذي بعد عيد الصعود. ولأجل ما كان متغلّباً بيد السلطان اتفق الجميع وقثرسوه وأسقطوه. وكانت مدّته في الكرسي إحدى وخمسين يوماً. وصار بعده يعقوب، وأعطاه مطرنة البصرة.

فصل 41//
الجاثليق 41//
يعقوب الثاني (754 – 773)

يعقوب هذا الأب كان شيخاً كبيراً ضعيف الرأي، وكان مطران جنديسابور. وأسيم فطركاً بالمداين وعليه بيرون نفطي سنة ألف وخمسة وستين يونانية وأجزا الدور يجبه بعد ما اشترطوا عليه شروط

كثيرة كتب بها خطّه، فوافى بها. ثم خلط في التدبير.

[جاثليق قضى تسع سنوات في السجن]

وفي السنة الثالثة من خلافة السفّاح سُمع بدمشق صوت هائل، وظهر ثمانية أنفار موتى من قبورهم، وظهر الراذان تنين عظيم كالنخلة، واستشهد إسرائيل الطبيب نيّح الله نفسه.

واستناح يعقوب سنة ألف وأربعة وثمانين يونانية في دور يجبه ودفن بالمداين. ومدّة رياسته كانت تسعة عشر سنة، منها تسع سنين في الحبس [وخلا الكرسي بعده سنة. وفي أيامه مات السفّاح وله أربع سنين وستة شهور، وتولّى المنصور أخوه].

فصل 42"

الجاثليق 42"

حنا نيشوع الثاني (773 – 779)

حنانيشوع هذا [الأب] كان شابّاً ذكياً عفيفاً من أهل باجرمي. وصار أسقفاً [على لاشوم.

[بطريرك يموت مسموماً]

واختير وأسيم فطركاً بالمداين ببيرون نفطي [في أيام خلافة المنصور][1] سنة ألف وخمسة وثمانين يونانية، وأجزا الدور بدا سنة سبعة وخمسين وماية [هلالية]. وأعجب الناس تدبيره. واجتهد في خلا الدوقرة من يد الطوسي التي كان أرهنها على مال عيسى ابن شهلافا

---

1 – في مخطوط الفاتيكان في خلافة المهدي.

في زمان يعقوب الذي كان من قبله من غير ضرورة له إليه[1].

وكان في أيامه من القدّيسين قوروس الأبيل وأيشوعزخا. واعتلّ هذا الأب، فأنفذ له الطوسي مسترهن الدوقرة حجّاماً ليحجمه، ودفع إليه مشراطاً مسموماً شرطه به. فانتفخت رقبته ومات بعد ثلاثة أيام ودفن بالمداين [سنة ألف وتسعة وثمانين يونانية] بسرجاد حيزج. وكانت مدّة رياسته أربع سنين [وخلا الكرسي بعده سنة وأيام].

فصل 43//
الجاثليق 43//
طيمثاوس الأوّل الكبير (780 – 823)

طماثاوس هذا الأب كان شيخاً عالماً فاضلاً حيولاً في الأمور من وجوه أهل حزة. وكان أسقفاً على بابغاش.

[احتال لينتخب بطريركاً]

فلما اجتمع الأبا والروسا للاختيار اتفق الرأي والإجماع على أن يصير أحد هؤلاء الأربعة، وهم جيورجيس الراهب صاحب الرواية، وطماثاوس أسقف بابغاش، وأفريم مطران جنديسابور، وتوما أسقف كشكر. فلما علم هذا الأب أنه أحد المختارين تحيّل على الأركندياقون والأسكولانيين، وأدخلهم إلى منزله، وأراهم أكياساً مملوّة حصا وحجارة. وأوهمهم أنها دراهم يفرّقها عليهم. وحضر مطران باجرمي، ومطران دمشق، ومطران مرو ومعهم أساقفة وأساموه بالمداين وعليه بيرون بنفسجي سنة ألف وواحد وتسعين يونانية

---

1 – في مخطوط الڤاتيكان في هامش هذه الفقرة: وخرجت عن الوقفية إلى الآن.

[في خلافة المهدي] وأجزا الدائرة كانت أبها. وخالف عليه أفريم مطران جنديسابور لأنه كان يروم الدرجة لنفسه، وسليمان أسقف الحديثة، وسرجيس أسقف معلثايا. ولم يزل بحيله وحسن تدبيره وتأنيه يكاتب ويصالح جميع مَن يضادّه. وانطاع لمطران جنديسابور حتى إنه أوقفه في وسط الجمع، وصلّى على رأسه. واستقامت له الأمور.

[جاثليق مكرّم عند الخلفاء]

وكان مكرّماً عند الخلفاء والملوك لكثرة [علمه و] فضائله، وحسن أجوبته عن المسائل التي كانوا يرمون عليه [ويصادرونه بها] في [الدين و] الاعتقاد وغير ذلك. وكان الخليفة الهادي في أكثر الأيام يستدعي به إليه، ويحاوره في الدين، ويبحث معه [ويناظره] في أشياء كثيرة، ويطرح عليه [كثيراً] من المسائل المشكلات والإيرادات المفحمات. وكان يجيب [عن جميعها] بأجوبة [قاطعة و] مسكتة. وله معه مباحث يطول شرحها، وقد ضمّنها جملة [ومفصلة] كتابه الكبير [المشهور عنه]. فمَن وقف عليه وتأمّله [فاز بمعرفة أشياء عجيبة]، وأذعن له بالفضل وغزارة العلم.

[أي الأديان عند الله الحق؟]

وكذلك [أيضاً] كان يتأتّى له مع هرون الرشيد لما تولى الخلافة.
ومن جملة ما جرى له معه ذات يوم عند انقضاء المجلس قال له يا أبا النصارى أجبني عما أسألك باختصار وأي الأديان عند الله الحق. فقال له مسرعاً الذي شرائعه ووصاياه تشاكل أفعال الله في خلقه.

فأمسك عنه. فلما انفصل من المجلس قال لله دره لو قال النصرانيّة لأسأت إليه. ولو قال الإسلام لطالبته في الانتقال إليه. ولكنه أجاب جواباً كلّياً لأدفع له وأضمر في نفسه دينه لما تضمنه عندهم الإنجيل في قوله حبّوا أعداءكم، وباركوا على مَن لعنكم، وأحسنوا إلى مَن أساء إليكم، وكونوا متشبّهين بأبيكم الذي في السما الذي يرسل مطره على الأخيار والأشرار، ويطلع شمسه على الأبرار والفجار.

[أبرز إصلاحات طيموثاوس]

ولا زال هذا الأب يحامي عن دين النصارى، ودبّر تدبيراً صالحاً.

ووضع باجتماع الأباء ثمانية وتسعين قانوناً في الفرائض والأحكام. وفي كل قانون منها مسألة وجواب.

وولي في زمانه من الخلفاء الهادي والرشيد والأمين والمأمون. واستناح سنة خمس ومايتَين هلالية، وهي سنة ألف وماية وأربعة وثلاثين يونانية، وأجزا الدور ولو. ودفن بدير مار كليليشوع ببغداد. وكانت مدة رياسته ثلاثة وأربعون سنة وسبعة شهور وخلا الكرسي بعده سنة وخمسة شهور. [ومات في أيامه أربعة من الخلفاء].

فصل 44//
الجاثليق 44//
إيشوع برنون (823 – 828)

إيشوع برنون هذا الأب كان عالِماً فاضلاً زكيّاً حاذّاً سريع الحرد، من قرية تدعى باجباري، وهي على جانب [نهر] الدجلة ما بين صور نينوى والموصل.

[زميل ومعادٍ لطيموثاوس]

وتربّى بين يدي إبراهيم الأعرج المفسّر مع طيماثاوس وأبي نوح. وكان يعادي طيماثاوس ويبغضه. ولمّا حصل مفسّراً في أسكول المداين أقام فيه. شهراً وهرب إلى عمر مار إبراهيم، وترهّب هناك. وأقام في قلايته في الدير. وكتب كتباً يطعن فيها على طيماثاوس. وأنفذها إلى كل المواضع. ثم وقع بينه وبين قوم من العمر، فخرج عنه وعاد إلى بغداد. وأقام في منزل جيورجيس المسمّى ماسويه شهوراً يعلّم ابنه يوحنا. ثم خرج إلى دير مار إليا بالموصل، وأقام فيه ثلاثين سنة. فلما استناح طيماثاوس قدّس الله نفسه ورد زكريا أسقف كشكر ليحفظ الكرسي، فاحتاط على ما وجده ببغداد. ثم مضى إلى المداين، وأخذ معه يونان مطران هراة، وقرياقوس أسقف خانيجار. واستدعى أهل المداين، وسلّم ما وجد في بيت الآباء هناك إلى مار عبدا ابن عون الحيري ومنزله باسبانير، ليكون مودوعاً إلى أن يحصل للكرسي صاحب. وكان ذلك بمحضر جبرائيل تلميذ طيماثاوس، وسرجيس أركندياقونه. وعاد إلى بغداد، وكاتب الآباء بالحضور للاختيار. فحضروا وجرى الخوض بينهم وبين المؤمنين. واتفق رأي الجميع على هذا الأب. [فكاتبوه بالحضور فلما حضر] عقدت له الفطركة بالمداين ببيرون أحمر سنة ألف وماية وخمس وثلاثين يونانية وأجزا الدائرة زحد، في أيام المأمون. وهي سنة خمس ومايتين هلالية. وتولّى أمره وقام به جبرائيل ابن بختيشوع وميخائيل الطبيبان، ويعقوب ووهب الكاتبان. وأكرموا الآباء الذين أساموه [ودبر تدبيراً حسناً]. ووضع في الفرائض والأحكام الدينيّة باجتماع الآباء ماية وثلاثين قانوناً، وأيضاً سبعين مسألة، و[سبعين] جواب.

[برنون ورؤيا وفاته]

ولما صار له من العمر أربعة وثمانون سنة [كان يوماً على البيم يقرأ الإنجيل في دير كليليشوع ببغداد وجماعة من الكهنة معه، فالتفت إلى المذبح وضحك ضحكاً كثيراً، ثم عاد إلى القراءة، ثم التفت إلى المذبح ثانياً وبكى بكاءً شديداً، ثم عاد إلى القراءة، ثم التفت ثالثاً فضحك ضحكاً. عظيماً فلما انقضى القدّاس استدعى قس الدير وقال له أي شي قال المؤمنون عني وأنا أقرأ الإنجيل؟ لعلّهم قالوا أن قد جنّ الجاثليق؟ قال القس قلت له أعيذك بالله يا أبانا من هذا القول. فقال لي هل علمت لِمَ ضحكت، ثم بكيت، ثم ضحكت؟ فقلت لا والله. قال لي إني رأيت سيدنا إيشوع المسيح ومعه تلاميذه في المذبح، ورأيت هناك من البهاء والنور والجمال ما لا أضبط معه نفسي، حتى ضحكت سروراً. ثم التفت ثانياً، فلم أرهم، فبكيت غمّاً. ثم التفت ثالثاً، فرأيتهم جميعاً، فعاد سروري فضحكت. فقال لي سيّدنا المسيح لِمَ اغتميت ففي يوم الأحد الآخر تكون عندي، فينبغي أن تكتم هذا، وإذا كان في يوم الآتى فاكتب إلى جميع بيع بغداد في حضور وليمتي يوم الأحد. فقال القسّ فبقيت متحيّراً، ولم أجبه بأكثر من أن قلت له السمع والطاعة لأمر أبينا، وانصرفت.

فلما كان في الأحد ما زلت متجسّساً على الخبر واجي إلى تلميذه وأسأله عن حاله، فيقول في عافية. ثم نزل من مجلسه وحضر الصلاة وتقرّب وعاد إلى موضعه. ولم أزل أراعي أمره، وأسأل تلميذه عنه، فيخبرني بسلامته، وأنه واقف يصلّي. فتعجب التمليذ من إلحاحي عليه دايماً في المسألة. وسألني عن سبب ذلك، فلم أخبره. ثم أن

التلميذ خرج في بعض حوايجه، وغلق باب القلاية على الجاثليق وأبطأ فلم أصر عن تعرّف الحال، حتى تسلّقت من البيعة إلى المجلس، فوجدته صلاته تحفظنا بين يدي الصليب والإنجيل، وقد غيّر ثيابه، وهو ممدود قد استنباح.

فنزلت مبادراً وكاتبت المؤمنين بالخبر. فحضروا وزيح. ولم ينسلخ عنه يوم الأحدالذي ذكره وهو في العالم في عافيته وصحّته صلاته تحفظنا وتحوط جميع المومنين آمين] سنة ألف ومابة وتسعة وثلاثين يونانية في دور بادد. ودفن في دير كليليشوع المعروف بدير الجاثليق. ومدّة رياسته كانت أربعة سنين [وخلا الكرسي بعده أقل من سنة].

فصل 45″
الجاثليق 45″
كيوركيس الثاني (828 – 830)

جيورجيس هذا الأب كان شيخاً كبيراً حسن العقل والرأي والتدبير، قليل العلم من أهل الكرخ. وكان يعرف بابن الصيّاح، وترهّب بدير مار يعقوب باعابا، وصار رئيساً على الدير، وأسامه طيماثاوس مطراناً لجنديسابور. وأقام بها عشرين سنة أحسن فيها إلى الكهنة [والمعلمين والمتعلّمين، وأفضل عليهم، وأقام الأسكول.

فلما استناح [إيشوع برنون] حضر الآباء والمومنون للاختيار، فاختير بمعاونة جبرائيل وميخائيل الطبيبين. لم يكُن يصلح لكبر سنّه، لأن عمره كان في ذلك الوقت ماية سنة، وبه وجع المفاصل. وأسيم وعليه بيرون أزرق في سنة عشرة ومايتين هلالية، وهي سنة ألف وماية واحد وأربعين يونانية [في أيام المامون والحصة من أجزا الدوء يجبه]. وكان

إذا أراد القيام يتوكّل على عصاه، أو على رجلين. وأرضى الجميع بتدبيره. وله آيات وعجائب مشهورة مثل شفاء الأمراض الصعبة وإخراج الشياطين.

واستناح [سنة ألف وماية وخمسة وأربعين يونانية بسرجاد يزبطه] وعمره ماية وأربعة سنين، ودفن بدير كليليشوع ببغداد، وكانت مدّة رياسته أربعة سنين، تنقص أربعين يوماً [وخلا الكرسي بعده سنة وشهور].

فصل 46//

سبريشوع الثاني (831 – 835)

سبريشوع هذا الأب [كان] من بانهذرا، وترهّب في دير مار إبراهام، وأسامه يوانيس مطران نصيبين أسقفاً على حاران، ثم أسامه طيماثاوس مطراناً على دمشق، ولم يكُن عالماً، بل [زاهداً] حافظاً للأخبار البيعية.

[تجديد بناء كرسي البطرك]

فلما استناح جيورجيس اختير وأسيم فطركاً بالمداين ببيرون أخضر سنة ستة عشر ومايتين هلالية، وهي سنة ألف وماية وستة وأربعين يونانينة [في أيام المامون] وأجزا الدور حيزج.

ونزل بالدير الكبير وأحبّ تجديد بناء دير مار فثيون في العتيقة. وكان بناوه في أيام الفرس قبل بناء بغداد مجاوراً لعمر صليبا، وبنى جماعة فيه بنياناً وأقاموا فيها. فلمّا بنى المنصور مدينة بالقرب منه ونزلها الناس، طالب النصارى لِمَن كان من المسلمين نازلاً في الدير

بالانتقال منه، فامتنعوا وقالوا هذا إرثنا من آبائنا. فنقلوا عنه كرهاً بأمر المنصور. فهدم سبريشوع تلك الأبنياء [الأبنية] العتيقة التي كانت فيه، ولم يتعرّض للهيكل والمذبح، وجدّد بناء بيت الشهداء والأروقة، وعمل موضعاً يسكنه، ونصب فيه أسكولا، وجمع المعلمين فيه. وصار مقام الفطرك فيه ورسم أن يدفع من دخله إلى رهبان عمر صليبا الذي على نهر صرصر في كل شهر أربع دنانير ذهب، والباقي له وللكهنة المقيمين فيه. وأنفق على عمارة الضياع التي كانت قد خربت وعمرها [مالاً كثيراً]. وكان يضيق على نفسه ويوفّر النفقة على الأسكول وعمارة البيع وافتقاد الضعفاء.

ثم إنه اعتلّ أياماً واستناح سنة ألف ومائة وخمسين يونانية في نوبة جبب. ودفن بدير الجاثليق في السنة الثانية من خلافة المعتصم.

وكانت مدّة رياسته أربعة سنين وأشهر [وخلا الكرسي بعده سنة وسبعة أشهر].

وفي أيامه توفي المأمون [وكان مقامه يط سنة ي شهور]، ووقع الخلف بين المسلمين في القرآن هل هو مخلوق أم لا.

فصل 47

إبراهيم الثاني المرجي (738 – 850)

إبراهام هذا الأب كان عاقلاً متواضعاً كثير الرحمة قليل العلم من الموصل من المرج. وكان أسقفاً على مدينة الحديثة.

[المتوكل يهين النصارى]

اختير وأسيم فطركاً في المداين وعليه بيرون بنفسجي سنة اثني

وعشرين ومايتين هلالية، وهي سنة ألف وماية وواحد وخمسين يونانية وأجزاء الدور كانت دكبه. واستقامت له الأمور ودبّر تدبيراً جيداً. وفي أيامه توفي المعتصم [وكان مقامه ح سنة. أشهر] وولى ولده الواثق [أقام. سنة ذ شهور ذ أيام] ومات وولى الخلافة [جعفر] المتوكل سنة ثلاثة وثلاثين ومايتين عربية، [فأهلك العُلماء والكتّاب في زمانه وحطّ مراتبهم، وعادى العلم وأهله. فاتّضعت العلوم في أيامه، وقتل كثيراً من الكتّاب واستصفى أموالهم، وهدم منازلهم، ولقى أهل الذمة منه الشدائد وكل أذى ومكروه بتغير زيّهم وتذليلهم وإهانتهم وهدم بيعهم وكنايسهم وهدم قبورهم وتسويتها بالأرض]. وغضب على بختيشوع الطبيب وسخط عليه [واستصفى ماله ونفاه، وعاد ردّه وضربه وحبسه في المطبق، وأعنى المطمورة واستصفى جميع ماله وقيده بقيد ماية رطل حديد] وأمر في جميع البلدان أن تهان النصارى، وتوخذ بلباس الغيار [أعني الأزرق واليهود الأسود]، ويكون لهم في الدرايع رقعة من قدام ورقعة من خلف، وأن يمنعوا من ركوب الخيل، وتصير في سروجهم أكر وتجعل ركوبهم من خشب، ويصير على أبواب منازلهم صور شياطين، ويجعل في عنق كل واحد منهم إذا خرج من بيته صليب خشب وزنه أربعة أرطال بالبغدادي.

[الخلاص من المتوكل]

وجرى على النصارى في زمانه من الصعوبات والإهانات ما لا يوصف [إلى أن انتقم الله منه وأرسل عليه بعض جنده الواصلين إليه فقتله في فراشه، وخلّص المومنين من شرّه. وكانت مدّة خلافته أربعة عشر سنة وتسع شهور وتسع أيام].

واستناح هذا الأب ودفن بالحيرة بدير بزدفنه [سنة ألف وماية وأربعة وستين يونانية في نوبة بزكطه من الدور]، ومدّة رياسته كانت اثني عشر سنة وعشر شهور [وخلا الكرسي بعده سنة].

فصل 48"

تاودوسيوس الأوّل (853 – 858)

تاذاسيس هذا الأب كان طاهراً زاكياً فهماً من أهل باجرمي. وكان أسقفاً لمدينة الأنبار، ثم مطراناً على جنديسابور.

[ثلاثة مطارين يُختارون ويموتون قبل السيامة]

ولما استناح إبراهيم حضر هذا الأب للنظر في بيت الآباء، وحرز ما فيه بحسب النطارة، فلم يوافق، فخرج إلى باجرمي. ولما تقرّر الأمر وزال الخلف وقع اختيار بختيشوع ابن جبرائيل، ويوحنا ابن ماسويه، وإسرائيل الطيفوري على يوحنا مطران دمشق لِمَا كان عليه من الفضل والعلم، وأخرجوا الأمر بتوليته. وصحّ عزمهم على الانحدار إلى المداين للإسياميذ. فخرج يوم أحد القيامة لعمل الرازين والقداس، فاسترخى جانبه، وفلج وبطل.

واختير بعده ميخائيل الأهواز لفضله أيضاً، وأحضر ليسام، فانفتح حلقه ومات.

فاختير أسقف كشكر لعلمه وفهمه، فلحقه ذَرَبٌ ومات. فاختير إيشوعداد أسقف الحديثة، وكان من أهل مرو لعلمه وفهمه أيضاً وحسن صورته، فرجع عنه المختارون له، وتفوّض الاختيار إلى بختيشوع فاجتمع معهم وأخذ رأيهم في تصيير تاذاسيس المذكور

[فوافق رأيهم رأيه فاختير في أيام المتوكل]، وأسيم فطركاً بالمداين وعليه بيرون وردي سنة 1165، والحصّة يخرج ودبّر الكرسي تدبيراً صالحاً.

[وفي أيامه توفي يوحنا ابن ماسويه[1] الطبيب يوم الأحد ليومَين خليا من جمادي الآخر سنة ثلاثة وأربعين ومايتين عربية لخمس بقين من

1 - يوحنا بن ماسويه (ت 857 م) طبيب ومترجم. جاء في الفهرست للنديم عنه: «هو أبو زكريا يحيى بن ماسويه. وكان فاضلاً طبيباً مقدّماً عند الملوك عالماً مصنفاً، خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. قرأت بخطّ الحكيمي قال: عبث ابن حمدون النديم بابن ماسويه بحضرة المتوكل. فقال له ابن ماسويه: لو كان ما فيك من جهل عقل، ثم قسّم على مائة خنفساء، لكانت كل واحدة منهن أعقل من أرسطوطاليس. وتوفي يوحنا بن ماسويه وله من الكتب الكمال والتمام، كتاب الكامل، كتاب الحمام، كتاب دفع ضرر الأغذية، كتاب الإسهال، كتاب علاج الصداع، كتاب السدر والدواء، كتاب لمَ امتنع الأطباء من علاج الحوامل في بعض شهور حملهن، كتاب محنة الطبيب، كتاب مجسّة العروق، كتاب الصوت والبحّة، كتاب ماء الشعير، كتاب الفصد والحجامة، كتاب المرّة السوداء، كتاب صالح النساء اللواتي لا يحبلن، كتاب السواك والسنونات، كتاب صالح الأدوية المسهّلة، كتاب الحميّات، كتاب القولنج. وقال ابن القفطي في تاريخ الحكماء: يوحنا بن ماسويه كان نصرانياً سريانياً في أيام هارون الرشيد. وولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية لما وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا سبيها، ووضعه أميناً على الترجمة ورتب له كتاباً خدّاماً يكتبون بين يديه. وخدم الرشيد والأمين والمأمون ومن بعدهم من الخلفاء إلى أيام المتوكل. وكان يقف على رؤوسهم ومعه البرّاني بالجوارشات الهاضمة المسخنة الطابخة المقوية للحرارة الغريزية في الشتاء، وفي الصيف بالأشربة الباردة الطابخة المقوية والمعاجين. وكان معظماً ببغداد جليل المقدار. (...) وتوفي يوحنا بن ماسويه في أيام المتوكل. وكان في حياته يعقد مجلساً للنظر ويعمّر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن أتمّ عمارة، ويجري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة، واجتمع إليه أهل العلوم والأدب، وكان يدرّس ويجمع إليه تلاميذ كثيرون».

أيلول سنة ألف ومابة وثمان وستين يونانية].
واستناح سنة ألف ومابة وسبعين يونانية والحصّة دكبه، ودفن بدير الجاثليق. وكانت مدّة رياسته خمس سنين وثلاثة شهور [وخلا الكرسي بعده سنة].

فصل 49"
سركيس الأوّل (860 – 872)

سرجيس هذا الأب كان شديد الرأي، حسن القصد، متأنياً، قليل العلم، كثير الزهد] من أهل باجرمي وكان مطراناً على نصيبين.

[بطريرك يرسم أساقفة على الأبرشيات]

فاختير وأسيم فطركاً [بالمداين] وهو لابس بيرون أخضر يوم أحد فطر السلّيحين حادي عشرين تموز سنة ألف ومابة وواحد وسبعين يونانية بسرجاد هيج [في أيام المتوكل].
وفي أيامه كان زخريا الشاهد. [وفي أيامه]جرى لحنين [بن إسحق] مع ابن الطيفوري ما جرى. [وذكر في تاريخ الأطباء أن حنين توفى يوم الثلاثاء لست خلون من صفر سنة 364 هلالية، وهو أول يوم من كانون اول سنة 1184 يونانية]. وجدّد بناء هيكل مار يونان، وذلك بعد قتل المتوكل وولاية [المنتصر ابن المتوكل].
وفي أيامه توفى المنتصر، وولي المستعين. وفي أيامه كانت مريم الأهوازية.
وأسام أسقف السِن مطراناً على دمشق، وأسام على السِن أسقفاً سبر يشوع المعروف بسارق الليل. وأسام قيوما تلميذه أسقفاً على الطيرهان،

ثم مطرنه على نصيبين. وأسام للطيرهان يوحنا الملفان وإلى كشكر إسرائيل المفسّر، وإلى الأنبار يوحنا ابن نرسي وإلى مرو يوحنا البلدي، وإلى حلوان اسطفانوس، وإلى عُكبرى حكيماً، وكان خيّراً فاضلاً. وإلى الزوابي عمانويل، وإلى الموصل أنوش الذي صار فطركاً.

و [بعد ذلك] استناح سنة ألف وماية وثلاثة وثمانون يونانية يوم الأحد الثاني بعد عيد الصليب أحد وعشرون من أيلول، ودفن بدير الجاثليق. وكانت مدّة رياسته اثني عشر سنة وأحدى وستين يوماً.

وخلا الكرسي بعده خمس سنين[1] وثمانية أشهر [وفي أيامه قتل المتوكل وله أربعة عشر سنة وتسع شهور وتسعة أيام].

فصل 50//
أنوش (877 – 884)

أنوش هذا الأب كان من أهل باجرمي، وصار مطران الموصل، وكان محبّاً للرياسة.

[صراع على الكرسي بين مرشحين]

ولما استناح سرجيس حضر إسرائيل أسقف كشكر لنطارة الكرسي، ودبّر الأمور أحسن تدبير. وكان فهيماً عالماً بالجدل قدّيساً. فاختير للفطركة، ورضي الجمهور، وحضر هذا الأب، وخطب الرياسة لنفسه، ومال إليه البعض، ومال عنه البعض. ووقعت المشاجرات حتى عادى الابن، أباه والأب ابنه. كان قوم يقولون

---

1 – في مخطوط الفاتيكان: بعده أربع سنين.

إسرائيل، وقوم أنوش. وجرى بين الناس الضرب وتخزيق الثياب[1].
وبينما إسرائيل يوماً قد اجتمع الناس عليه عند نزوله من البيم إلى المذبح في عنية الرازين [حتى يبتدى بالقداس]، إذ [دخل] رجل [بين الزحمة و] عصر على مذاكيره عصراً شديداً، فحمل مغشياً عليه، وبقي بعد ذلك أربعين يوماً ومات. ودفن بدير مار فثيون ببيت الشهداء، وعدل مَن كان يتعصّب لانوش عنه، وهو لا يكفّ. واختير يوحنا ابن نرسي وأنوش لم يكفّ إلى أن تمّ لخلو الكرسي أربع سنين وثمانية أشهر.

ونطر الكرسي بعد وفاته إسرائيل، وعمانوئيل أسقف الزوابي وكان قدّيساً فاضلاً. واستناح، ونطر بعده أسقف الطيرهان، وأنوش يتوصل [إلى قلوب أصحاب الاختيار]. فاختير سنة 1188 والحصة جبب، وأسيم [بالمداين فطركاً] وعليه بيرون كحلي في الأحد الذي بعد [عيد] الدنح ودبّر الكرسي [تدبيراً صالحاً]. واستناح يوم الأحد الذي بعد عيد الصعود آخر [شهر] أيار سنة سبعين ومايتين عربية سنة 1194 [2] يونانية، والحصة حوا. كانت مدّة رياسته سبع سنين وأربع شهور وتسعة عشر يوماً.

وخلا الكرسي بعده خمس شهور ونصف [وذلك في خلافة المستعين. وفي أيامه مات المستعين، وولي المعتز، ومات أيضاً، وولي المهتدي ومات وولي المعتمد على الله].

---

1 - تخزيق: عاميّة أي تقطيع.
2 - في مخطوط الفاتيكان 1195.

فصل 51//

يوحنا الثاني بن نرسي (884 – 892)

يوحنا ابن نرسي [هذا الأب كان] رجلاً مشهوراً بالعِلم، والفضل، والطهارة، والقدس. وأصله من كرخ جذان أسقفاً على الأنبار.

[بطريرك يصنع العجائب]

ولما استناح أنوش اختير وأسيم فطركاً بالمداين وعليه بيرون نفطي يوم الأحد الثالث من قدّاس البيعة منتصف تشرين الثاني سنة ألف ومایة وستة وتسعين يونانية والحصة يادد في خلافة المعتمد على الله. وكان السايوم فولوس مطران جنديسابور. وقرأ عليه الإنجيل جبرائيل مطران البصرة. وعمل يوم أسياميذة معجزاً عجيباً. وذلك أن رجلاً انكسر فخذه من شدّة الازدحام للتبارك منه، فدنى إليه، وصلّى عليه، وعبر يديه على فخذه المكسور فانجبر وشفي للحال، وعاد إلى ما كان عليه. وكان في أسياميذه قيوما المقترس مطران نصيبين قايماً في رتبة القسّان فلما عاد إلى بغداد حلّ عنه القاثاراسيس وأعاده إلى نصيبين. وحلّ يوحنا ابن نعائم. وأعاده إلى مطرنة فارس.

وفي أيامه هدم دير الجاثليق بعد نهبه دفعة ثم أخرى وأخرى.

ومضى إلى واسط، وأقام خمسة سنين. وعاد وأقام بدار الروم واستناح بهلاليّة الأحد. وكان [خروج] الميلاد سنة تسع وسبعين ومايتين عربية وهي سنة ألف ومايتين وثلاثة يونانية والحصة حيزج ودفن في البذياقون إلى جانب سابور القدّيس مطران جنديسابور. وكانت مدّة رياسته ثمان سنين وشهر وعشرة أيام. وخلا[1] الكرسي [بعده] ستة

1 – في مخطوط الفاتيكان: وثمانية أيام وخلا الكرسي.

أشهر وعشرين يوماً.

[قصة اختيار يوحنا ابن نرسي للفطركة]

وذلك لما كان بعد موت أنوش وقع الخوض في أمر الاختيار والأسياميذ. فأراد قوم يوحنا ابن نرسي، وكان ممتنعاً من ذلك. وأراد آخرون مطران الموصل، وآخرون غيره.

[ابن نرسي يسحب القرعة وفيها اسمه]

وكان عبدون أخو صاعد وجه النصارى في ذلك الوقت. فاجتمع في البيعة مع الآباء. وتقرّر الأمر بحضوره على عمل باعوث ثلاثة أيام، وعمل ثلاثة بنادق فيها أسماء الثلاثة الآباء المختارين، وإضافة رابعة بيضاء إليها، وتصييرها في حقة. ويضع عبدون ختمه عليها. وتودع تحت الترونوس في المذبح. فإذا فرغ من الرازين والقدّاس في اليوم الثالث فتح المقدّس الحق، وأخذ بيده أحدى البنادق، ونظر ما يخرج فيها، يُعْمَل بحسبه كاينا من كان.

فعمل الباعوث في البيعة، وحضر عبدون وسائر النصارى. وكان الثلاثة الآباء الذين وقع الاختيار عليهم حاضرين في جملة مَن حضر من الآباء، وكل واحد منهم يقدّس يوماً. فاتفق أن كان يوحنا ابن نرسي متولّي القداس في آخر نهار اليوم الثالث. وكان عبدون قد تولّى عمل البنادق بيده بحضرة الجماعة، وختم على الحق بخاتم إصبعه. فقبل أن يخرج القربان المقدّس وافى عبدون حتى صعد، فوقف على باب المذبح، وأخرج الأسقف الحقة والجماعة يرون. فصاح عبدون لا تفتح الحقّة إلا بعد أن أراها. فجاء بالحقّة والشمعة معها، لأن

الظلام كان قد وافى. فتأمّل عبدون ختمه، فوجده صحيحاً، فردّ الحق حينئذ إلى يدالشمّاس، وقال له إمضِ به إلى الأسقف حتى يفضّه. فقرب الشماس إلى الأسقف، فسجد الأسقف قدّام المذبح، وسجد جميع الآباء والناس الحاضرون. وما زال الأسقف يتضرّع، ويدقّ رأسه في الأرض بين يديّ المذبح ساعة.

ثم نهض، فقدّم إليه الشمّاس الحقّ، فأخذه بيده، وفضّهُ بمحضر الجماعة، وأخرج أحدى البنادق، ثم رمى بها من يده إلى الشمّاس، وقال بصوت مسموع خذوا المَيْشُومة. ثم اعتزل في جانب المذبح، وما زال يدقّ رأسه ويلطم على صدره ويبكي. فأخرجت البندقة إلى عبدون، ففضها، فإذا هي اسم يوحنا ابن نرسي صلاته معنا. فماجت الجماعة، وجاءت انكبّوا على يدَيه يقبّلونها، وخاطبوه في الأسياميذ وهو يبكي ويلطم على صدره. فأخذوه طوعاً وكرهاً، وأساموه على الرسم فطركاً. وعمل في يوم أساميذه المعجز المشهور بشفاء الفخذ المكسور. ثم إن الناس أخذهم العجب من قوله عن البندقة الميشومة قبل أن تفتح، ومن اعتزاله في جانب المذبح وبكائه وقلقه. وكان في ذلك آية عظيمة، لأنه انكشف له ما يريد يحدث من هدم دير الجاثليق دفعة بعد أخرى.

[أعجوبة في جنازة ابن نرسي]

ثم إنه دبّر الكرسي تدبيراً صالحاً، واستناح على ما تقدّم في خبره ليلة الأحد. وصلّوا عليه بقية تلك الليلة. ويوم الأحد والليلة التي تتبعه في قلايته. ثم أخرج في غداة اليوم الثاني إلى البيعة. وما زالت الصلاة عليه في ذلك اليوم إلى آخر النهار. ثم أدخل إلى المذبح، وأخرج منه مع

ذلك كان في البيعة جماعة من المسلمين قيام يبصرون. فلما اجتاز التابوت قرب رجل هاشمي منهم، فبصق على التابوت. فصرخ في الوقت ذلك الرجل وسقط على الأرض وهو يزبد طويلاً. فاجتمع إليه مَن كان معه من أهله وغيرهم من المسلمين، وكان المغفر الذي لهذا قدم مُزّق وفرق على الناس برسم التبريك. وحصلت مع أحد الرهبان منه قطعة. فلما رأى اجتماع الناس على ذلك المصروع قرب إليه فرأى أولائك الناس القوم متعجّبين بما حلّ به وهم يعزّمونه بوضع أيديهم في أصول إذانه يريدون بذلك إقامته. فقال لهم الراهب تنحّوا عنه. وأخرج من كمّهِ تلك القطعة التي من المغفر. فمسح بها وجهه. وقرّبها من أنفه حتى شمّها. فأفاق وجلس. فسأله قومه عن خبره. فقال لهم لما اجتاز بي التابوت بصقت عليه. فرأيت كفّاً قد خرج منه وطرقتني. فسقطت على وجهي، ولم أعلم شيئاً من أمري إلا في هذه الساعة، فإن تلك الكف أيقظتني وأنهضتني وأجلستني. فحمل إلى منزله وهو مثقل. فجاء أبوه بالأطباء، فقالوا له ما به بعض الأمراض التي تتعالج حتى نعالجه. وإنما هو سبع قد انشب مخاليبه فيه. ونرجو من الله أن يهب له العافية. وانصرفوا عنه. فتوفي الغلام بعد سبعة أيام. واشتهر أمره بمدينة السلام.

[سلسلة رؤى وأعاجيب لابن نرسي]

قال صاحب كتاب التواريخ حدثني أبو نصر عيسى بن الصلت قال أعددت ثلاثين ألف دينار، وأردت الخروج بها إلى مصر صبحة يوم الميلاد. فقال لي بعض أرفاقي ويحك تدع ذكران يوحنا ابن نرسي صلاته معنا، وتخرج تسافر. فقلت لا ولكن أقيم الآن حيث عرفت،

وأقمت وعملت السهر كما يجب. ثم غفوت في بعض الليل. وإذا كأني في صحن بيعة عظيمة، وقد جاء المطر. وكان يوحنا ابن نرسي صلاته تحفظنا قدم دخل علينا. فقمت إليه، وسلّمت عليه، وقلت له كيف جيت أيها الأب في هذا المطر، فقال يا سبحان الله تصلح لي دعوة ولا أحضر. وأي شيء عملت في الثلاثين ألف دينار التي للتجارة؟ والثلاثين ألف درهم التي للصدقة؟ قلت أنفذتها إلى مصر. قال لا هكذا، بل من هاهنا أخرج ما للصدقة، وأفرز نصيب أهل الحيرة. فانتبهت وفرغنا من عمل السهر والرازين. ثم أحضرت أحد التجار الذي لي وتقدّمت إليه بأن ينفذ إلى الحيرة عشرة آلاف درهم، ويفرّق الباقي في الأديرة. وعزمت على السفر. وخرجنا في اليوم الثالث من الميلاد، فلمّا جئنا في الليل في بعض الليالي اعترضنا عشرون رجلاً من اللصوص بسيوف وقسيّ وحجف وملكوا القافلة، وبقيت متحيّراً أبي يقول لي لا تخرج، فنحن كذلك. وإذا شاب من بين الجماعة متوشّح بإزار أحمر يسأل ويقول فيكم رجل يقال له أبو العباس؟ فقالوا له نعم. وأدناه الغلمان مني. فقال أنت أبو العباس؟ فجزعت جزعاً عظيماً. فقال لا عليك أنت أبو العباس ومعك ثلاثين ألف دينار؟ قال، فلمّا سمعت منه هذا الكلام كأني أنست إليه. فقلت له فمَن أنت؟ فقال أنا رئيس هؤلاء القوم فقلت له نعم أنا أبو العباس، فأي شي تريد، أخبرني بقصتك. فقال رأيت البارحة في النوم كأن شيخاً راهباً حسن الوجه قد جاء إليّ، وأنا مكتوف مرمي بين يدي رجل قد أمر بقتلي فمنع من ذلك، وحلّ أكتافي، وأطلقني، وقال لي صاحبي أبو العباس يمرّ بك في غدٍ ومعه ثلاثون ألف دينار، فاحذر أن تتعرّض له ولِمَن معه. فقلت عليّ أن أفعل ما رسمت قال أبو العباس. فقلت له نعم،

وأنا الرجل. فقال إمضِ بسلام، فما يتعرّض أحد بكم. فعرضت عليه دراهم كثيرة، فامتنع من أن يأخذ شيئاً منها البتة وتقدّم إلى أصحابه بأن لا يتعرّض لأحد منا بسوء. وما زالوا معنا إلى نحو السحرة. ثم انصرفوا.

فلما وصلنا إلى مصر بادرت إلى إسحاق ابن نصير فحدّثته بالحديث، ودخلنا جميعاً إلى طولون، فحدّثناه بالحديث. فتعجب ومضى على هذا الحديث نحو السنة، وحضر وقت العيد، فمضيت إلى أمير البلد مهنّياً له بالعيد. فبينما أنا عنده إذ دخل عليه سبعة أنفار مكتّفين، وفيه صاحبي بعينه مكتوف أيضاً. فتقدّم الأمير بضرب أعناقهم. فلمّا نظرت الرجل قلت حسن؟ قال حسن قلت أيها الأمير الله الله أن يحدث في أمر هؤلاء القوم حادثة، فإن هذا الرجل هو طلبة الأمير الكبير ابن طولون. فأمر بردّهم إلى الحبس. وصرت من وقتي إلى أبي يعقوب، ودخلت معه إلى ابن طولون، وعرفته بخبر الرجل، وأذكرته حديثه. فتعجّب واستحضره في الوقت. فلما رآه استدناه وقال له حدّثني حديثك مع الشيخ الراهب الذي رأيته في منامك. فحدّثه بالحديث جميعه كما حدّثني. فلما سمعه تعجّب العجب العظيم. ثم قال لي يا أبا العباس تولّ حلّ أكتافه وأطلقه كما فعل به صاحبك. قال فأدنى مني، فحللت أكتافه واستوهب أيضاً الجماعة رفاقه، فاستنابهم، وسلّمهم إليّ فأخذتهم معي، وأقاموا عندي مدّة. وأحسنت إليهم. ثم خرجوا من عندي فورد عليّ كتابه بأن مضوا إلى ديار الروم، وتنصّروا، ومضوا إلى البطرك فهذا خبرهم... فبصلوات هذا الأب الطاهر القدّيس أغفر لكاتبه ولقاريه ولسامعه ولجميع المومنين آمين].

فصل 52//
الجاثليق 52//
يوحنا الثالث

يوانيس (**يوحنا الثالث**) (893 – 899)

يـوانيس هـذا [الأب] كـان ابـن أخـي تاذاسـيس مـن أهـل بـاجرمي. وصار أسقفاً على خانيجار، ثم مطران الموصل. وكان شديد الحُبّ للمال، حسن النظر، بهي الصورة، تامّ الفضل جامعاً للفضايل.

[يوانيس يملأ المراكز الشاغرة]

واختير وأسيم فطركاً بالمداين ببيرون بنفسجي يوم فطر السليحين نصف تموز سنة ثمانين ومايتين [عربية] وهي سنة ألف ومايتين وأربعة [يونانية] وأجزاء الدور يطهو، [وذلك] في خلافة المعتضد. وأسام في يوم أسياميذه إليا ابن عبيد أسقف بيت المقدس مطراناً على دمشق، ومرقوس أسقف باباغاش مطراناً على الري، وإيشوعياب أسقف السوس مطراناً على حلوان، وتادوروس أسقف قردي مطراناً على جنديسبور، ويوحنا ابن بختيشوع مطراناً على الموصل مكانه وابن أخيه تادوروس أسقف على لاشوم.

ثم إنه أقام ببغداد بدار الروم. ودبّر الكرسي [تدبيراً صالحاً]. واستناح مفلوجاً يوم الجمعة ثامن أيلول سنة ستة وثمانين ومايتين عربية الموافقة لسنة ألف ومايتين وتسعة يونانية، وأجزاء الدور هيج. ودفن بدار الروم ببيعة السيدة. وكانت مدّة رياسته ستة سنين وخمسة وخمسين يوم. وخلا الكرسي بعده سنة واحدة.

فصل 53//

الجاثليق 53//

يوحنا الرابع (ابن الأعرج) (900 – 905)

يوحنا ابن مرتا الأعرج هذا الأب كان شيخاً طاهراً قدّيساً[1]، لم يلمس بيده درهماً ولا ديناراً. ولم يكُن في إخوته مثله ولا مَن لحقه في قدسه وفضله. وهو من أهل بغداد. وكان أسقفاً على الزوابي.

ولما استناح يوانيس حضر الأب لنطارة الكرسي ثم حضر مطران الموصل يوحنا ابن بختيشوع، وكان يريد الرياسة. وتاذاسيس مطران جنديسابور يطلبها أيضاً. فاختير هذا الأب لِمَا روُئي من قدسه وحسن طريقته.

ولما انحدر دير المداين كتب من تلقاء نفسه شرطاً يلتزم به لم يسبق إلى مثله ووفى بجميع ما كتبه وهذه نسخته:

[عهدة الجاثليق يوحنا بن مرتا]

أقررت أنا يوحنا المعروف بابن الأعرج، بين جماعة الآباء والمطارنة والأساقفة والقسّان والشمامسة والمؤمنين والمقيمين بمدينة السلام الذين اختاروني لتدبير أمورهم والجلوس على كرسيّهم الذي هو منبر الفطركة، بعد أن سألوني ذلك، فأجبتهم بالطاعة لأمر الله عزّ وجلّ، وانقدتُ للخدمة في بيعتهِ، وضمنت على نفسي لهم أنني بحسب قوانين الرسل بعد حفظي للإيمان الصحيح الذي لفظ به الثلاثماية والثمانية عشر، وعقدي عليه رأيي، واعترافي برأيي ولساني من غير تحريف، وقبول جميع السنهادوسياب المشرقية والمغربية التي عمل

1 – في مخطوط الفاتيكان: قدّيساً شيخاً.

عليها الآباء الفطاركة والمعلّمون المحققون في أرض الفرس[1].

وقطعت على نفسي أن لا أحظى بتناول رشوة، ولا أداجي في الله، ولا أستعمل الغش في بيعة الله وشعبه. بل أصوّر نفسي عن كل إنسان في الطهارة والتقى قولاً [وفضلا] وفعلاً، وفي الأحكام البيعيّة بصورة مار فولوس.

ولا أثقل على الرعية والبيع. ولا أتناول شيئاً أكثر من الواجبات المعهودة. ولا أتعرّض إلى جميع المال. ولا أضطهد أبناء البيعة في خدمتي. وإذا سهل الله شيئاً وزّعته على المساكين والمحتاجين والمضطرين والأيتام والأرامل، كما يلزمني. فإن، والعياذ بالله، لم أفِ بشيء مِمّا بذلته باختياري وتجاسرت على مخالفته فأنا معرض للحكم والانتقام والتوبيخ بالعدل.

وإن بدلت في إيمان البيعة شيئاً أو زدت أو نقصت، فليكن ذلك ذلة لي، وأنا مخلوع من الفطركة، ولست بنصراني بالجملة وضمنت القيام بجميع ما عاد بعمارة البيع ودفع الشرور عنها وتكميل الوصايا الحسنة، وأداء الجوَالي عن الضعفاء، والاجتهاد في تخليصهم بالقول والعمل متى حصلوا في الحبوس، كما يجب على الأخوة المسيحيين. وأراعي المستورين والمضطرين والمحبسين على أيدي الناس في خفاء. وأعنى بأمر مَن يموت من الغرباء بالقيام بتجنيزه ودفنه، إذا كان عضواً من أعضاء المسيح.

ولا أجوز في تقبيل البيع طلباً للزيادات، بل أسلمها إلى القوم الأتقياء

1 – في مخطوط الفاتيكان: المحقّقون في أرض الفرس. وبعد إقرار بصحة تفاسير الماهر في المعلمين ما تاودورس وقبول قوله وقداس... وقوله في الاتحاد النبوي والجواهر والأقانيم وقطعت.

الذين يخافون الله جلّ اسمه.

وأزيل العار بالأسياميذات السيمونية[1] التي تؤخذ عليها الرشا، ويقاطع بسببها. ولا أقبل على ذلك رغبةً من أحد. ولا أسلم رتبة الكهنوت إلا لمستحقيها بعد البحث والاستقصاء في أمره. ولا أسيم قساً ولا شماساً إلاّ على موجب القانون. أمّا الشماس فمن بعد قراءَته [كتب] المزامير والمضافات إليها [من التسابيح وغيرها]. والقس فبعد قراءته الحديثة. ولا أسيم غنياً لا يصلح، ولا أطرح مسكيناً إذا صلح.

[سيامة ابن مرتا والأساقفة المشاركون]

وكتب خطّه بيده. ثم كتب على طرفها هذا يتعيّن أخذ نسخته من كل فطرك ينتصب للكرسي ببيعة المشرق، ويشهد عليه المسيمون له[2].

وأسيم فطركاً [بالمداين] وهو لابس بيرون خلوقيا يوم الخميس الثاني لأحد السابع من صوم السليحيين [في خلافة المعتمد] سنة ألف ومايتين وأحدى عشر يونانية وأجزاء الدور زحد. وأسام في يوم أسياميذه إبراهيم أسقفاً على الزوابي مكانه.

---

1 - السيمونية: بدل خير روحي بخير زمني. إشارة إلى حادثة وردت في سفر أعمال الرسل 18/8 - 20: «فلما رأى سيمون أن الروح القدس قد حل على المؤمنين عندما وضع الرسولان أيديهم عليهم، عرض على بطرس ويوحنا بعض المال، وقال لهما: أعطياني أنا أيضاً هذه السلطة لكي ينال الروح القدس من أضع عليه يدي. فقال له بطرس: لتبقى لك فضتك لهلاكك، لأنك ظننت أنك تقدر أن تشتري هبة الله بالمال».
والسيمونية تعني بيع وشراء سرّ من أسرار الكنيسة أو ولاية كنسية.

2 - في مخطوط الفاتيكان: فلا يبرح في كباش المسيح. فالحكم صعب شديد والتجربة خطرة. وأسيم فطركاً.

ومحضر أسياميذه من الآباء تاداسيس مطران جنديسبور، ويوحنا ابن بختيشوع مطران الموصل، وتادورس مطران باجرمي، وعمانويل مطران حلوان، وهو قرأ الإنجيل عليه، ويوسف مطران بردعة، وإيشوعزخا أسقف الطيرهان[1]، [وحنانيشوع أسقف نفر، وميخايل أسقف باذارون، وعبدإيشوع أسقف ميشان، وقرياقوس أسقف مسكن، ويوحنا أسقف النهروانات وهو كان الأركندياقون، وثمانية أساقفة أخر من الهوفركيات.

ودبّر تدبيراً صالحاً أرضى الله فيه والناس وعمل بمحضر الآباء كتاباً في شرح الأمانة وقوانين في الأحكام. واستناح يوم الخميس قبل عيد الفنطيقوسطي سادس عشر أيار سنة ألف ومايتين وستة عشر يونانية بسرجاد بيكدز. ودفن بدار الروم في البيعة إلى جانب يوانيس. وكانت مدّة رياسته أربعة سنين وعشرة أشهر وأيام. وخلا الكرسي عشرة أشهر.

فصل 54//
الجاثليق 54//
إبراهيم الثالث الباجرمي (906 – 937)

إبراهيم المسمّى إبرازا هذا الأب كان حسن الرأي والتدبير لا يرد عن شيء في نفسه، لشدّة لجاجه. وهو من أهل باجرمي.

1 – في مخطوط الڤاتيكان: وإيشو عزجا أسقف عكبر وبختيشوع أسقف الطيرهان.

[صرة ذهب جعلته جاثليقاً]

ولما كان أسقفاً على المرج من أعمال الموصل صار له مشاجرة مع يوحنا ابن بختيشوع مطران الموصل عزم معها الانحدار إلى بغداد متظلّماً عليه عند الجاثليق. فبينما قد ركب السفينة للانحدار من الموصل إذ وافاه رجل بدوي معه مخلاة فرس مملوءة ذهباً وفضّة سلّمها إليه. وقال له لي ابن عم معتقل ببغداد، خذ هذه المخلاة وأنفقها عليه بخلاصة. فقال له مَن يقال لابن عمك، فقال سوف تعرفه وإن خفي عليك تصرّف كما تريد، وخلّاه وانصرف. فلما أخذ ذلك قوي بها قلبه، وأطمع نفسه بالرياسة. ولما وصل إلى بغداد توفّي الفطرك بعد عشرين يوماً، واختير هذا الأب. وكتب له جميع الآباء بالرضى، إلا جبرائيل مطران جنديسابور. فجمع هذا الأب الآباء جميعهم في منزله، وأطعمهم وأسقاهم. فلما أرادوا الانصراف استوقف مطران جنديسابور وقد أظلم الليل وأحضر شمعة وأضاء بها الموضع وصينيّة فضّة مملوءة مايتي دينار جدد. وقال إشرب تفرّج على هذه. قال وهي لِمَن؟ أجابه وقال لِمن يكتب خطّه في هذا الشلموث. فاستخار الله، وترك الصينيّة في كمّه، وتناول الشلموث وكتب فيه بالرضى. وأسيم بالمداين وعليه بيرون أصفر يوم جمعة مار يوحنا المعمدان 1217 يونانية بسرجاد يجكبه، في خلافة المكتفي. وحضر أسياميذه أحدى عشر مطراناً وأسقفاً. وكان مقامه بدار الروم. وعمل كتاب الزهارين. ودبّر الكرسي أحسن تدبير. واستناح يوم الأحد السادس من سابوع السليحين سنة ألف ومايتين وتسعة وأربعين لتاريخ الإسكندر، وأجزاء الدور زحيد. ودفن بدار الروم في البيت المجاور

لبيت السيدة. فـي الصحن الأصغر ببيعـة السيدة وكانت مدّة رياسته اثنان وثلاثون سنة. وخلا الكرسي بعده ثمانية أشهر واثني عشر يوماً.

فصل 55//
الجاثليق 55//
عمانوئيل الأوّل (937 – 960)

عمانويل هـذا الأب كـان شيخاً ظريفـاً، زعـر الأخـلاق، صـاحب جليانات: أعني علم الغيب، والكشف، والإخبار بالمزمعات. ومع ذلك كان عالماً بليغاً فـي الترجمة فارهاً فـي الوعظ والعذلان وكـان النـاس يتعجّبون من فصاحته. وله كتاب النوهار.

[وقعة المختار للجثلقة مع ابن سنجلا]

فلمّا استناح إبـراهيم المعـروف بـالإبراز وقـع الاختيـار علـى إيليـا أسـقف الأنبار المعروف بريذمه. وكان أوحد فـي زمانه بالعِلم والفضل. فكتب له الشلموث واستخرج الإذن من الخليفة الراضي. وكان المساعد له على ذلك أبو الحسن سعيد ابن عمرو بن سنجلا كاتب] الخليفة فـي الزدان. ورتّب الأمور، وأقيمت السفن للانحدار إلى دير الآباء بالمداين لتكميل الأسياميذ. هناك وعند التوجّه دخل إليا والآباء معه إلى ابن سنجلا يتشكّرون ويدعون له على فعله. فلمّا حضروا قال المختار لابن سنجلا ما تعدم المجازاة على ما فعلت. فأجابه ابن سنجلا وقال من الله تعالى. فقال لـه إيليـا ومـني أيضـاً لأني بعد الأسياميذ وجلوسـي علـى كرسي الفطركة يكون لي من مقدرة الحلّ والعقد أن أجيـز لـك أن تضيف إلى فلانة زوجتك العـاقرة جارية نرجو من الله أن يرزقك منها

ولداً. فصعب ذلك على ابن سنجلا، ثم لم يُرِهِ موضع النفور من قوله، والتمس الشلموث منه. وكان حاضراً معه. فدفعه إليه، فأخذه وخزّقه[1] في الحال. وقال للجماعة لا يذكر أحد منكم فطركة ولا اختياراً. ثم قال له كأنك تتقرّب إليّ بحلّ شريعة المسيح جلّ اسمه معاذ الله تعالى. فماج المطارنة والأساقفة، ووقع الخلف. وقالوا لا طريق إلى أن نكتب خطوطنا بالرضى لأحد غيره، والرجل مستحقّ إلى هذا الأمر، ونعدل عنه فليس بواجب. فقهرهم ابن سنجلا بقدرته وتمكّنه من السلطان.

[حكاية رجل أراد شراء جارية ليستولدها]

ثم قال لهم لا يزعجكم ما فعلته الآن، ولا تلوموني عليه، فإن سأحدّثكم عن أعجوبة جرت لِمَن حاله كحالي. قالوا له وما ذلك؟ قال: حدثني صديقي أبو الحسن الدورقني رحمه الله قال تأخر الولد عني، وضاق صدري من ذلك، فصحّحت عزمي على ابتياع جارية وسترها في بعض المواضع والتماس الولد منها. ولم أعرف أحداً ما فيه البتة. وأردت قصد بغداد لأبتاع الجارية. وكنت شديد الأنس جداً بالراهب القدّيس ربن عبديشوع الحبيس المقيم بدير الكرسي صلاته تحرسنا، ورسمي كان إذا أردت الإصعاد إلى بغداد أن أودعه وكذلك إذا وردت منها لقيته قبل دخولي منزلي. فلمّا فرغت من كلما اكل ما[ا] أحتاج إليه، وودّعت والدي، قصدته إلى الدير على الرسم لأودّعه، وأطلب لي منه الدعاء، وأنزل إلى السفينة. فصرت إلى قلاّيته ودقّيت الباب عليه طويلاً، وعرفته نفسي، واجتهدت أن يفتح لي، فلم يفعل،

1 - خزّقه: عاميّة وتعني مزّقه.

ولا كلّمني. فلما طال عليّ الأمر مضيت إلى رئيس الدير وعرّفته خبري، وسألته المصير [المسير] معي والإذن لي في لقياه. ففعل وأتى معي ودقّ الباب عليه، فأقام على الامتناع من فتحه، فما زال يسأله ويطلب إليه، إلى أن أجاب إلى فتحه. ودخلنا، فلمّا حصلنا في القلاّية سألت الرئيس الانصراف لأخلو به وأسأله عن السبب في عدوله عن رسمه معي، وما عَوَّدنيه. فانصرف الرئيس، وبقيت وحدي، وهو ينظر إليّ ولا يكلّمني. وأنا أكلّمه وأسأله الدعاء لي، وهو لا يجيبني.

ثم ضجر وقال لي بغضبٍ قد جيت [جئت] تشاورني في الزنا؟ فورد عليّ ما أدهشني. وقلت له يا ربان أعيذك بالله مثلي لا يفعل هذا. فزاد في الحرد، وقال لي بلى، قد عزمت أن تبتاع جارية وتولّدها. فما تستحي من الله. فزادني ذلك في التعجّب، وأدهشني من وقوفه على ما سترته عن كل أحد، ولم يطلع عليه غير الله عزّ وجلّ. فلما تبيّنت الصورة صدّقته وعرفته اغتمامي بتأخر الولد عني، وشدّة شهوتي له. فقال لي لا تغتمّ فإن لك حملاً، ولم أكن عالمه، وسترزق ولداً ذكراً. فإذا ولد عرّفني خبره، لأقول لك كما تسمّيه به.

فسكنت إلى ما عرّفنيه، وودّعته وأصعدت إلى بغداد. فوجدّت الحمل صحيحاً. فلمّا قرب وقت الولادة أعددت رسولاً، وكتبت معه كتاباً إلى والدي، وبيّضت التاريخ لينفذه ساعة الولد المولود. فلمّا وافى المولود وجدته ذكراً على ما وعدني به، أنفذت الرسول إلى ديرقني، وسألت والدي تعريف الربّان والخبر، ومسكته ذكر الاسم. فمضى الرسول، وعاد إليّ بكتاب والدي يقول فيه إن رقعة الربّان وردت عليّ قبل موافاة الرسول، يعرّفني فيها موافاة المولود في ذلك الوقت. وأن أكتب إليك بتسميته إسحق. ووجدنا الوقت الذي وردت فيه الرقعة هو

الوقت الذي ولد فيه المولود بعينه وهذه معجزة عظيمة في مثل هذا المعنى.

[ابن سنجلا يشير باختيار راهب للجثلقة]

ثم إن ابن سنجلا بقي مدّة مروياً فيما يفعله، فاجتمع به ابن سنان الطبيب الصابي وذكر له، وأشار براهب رآه في دير أبي يوسف يقال له عمانويل من أهل مدينة بلد. وذكر حال اجتماعه به، وما رآه عليه من العقل والعلم والزهد. وكان عاقلاً. فأنس إلى وصفه وعوّل عليه. ثم إنه أنفذ واستدعاه ونشد منه، فارتضاه الجمهور، وأسيم فطركاً بالمداين وعليه بيرون نارنجي. وكان السايوم لوقا مطران الموصل ومعه الأساقفة الحاضرون، لخلو مرعيثي جنديسابور والبصرة، وذلك يوم جمعة الشخص الواحد ثالث عشرين شباط سنة ألف ومايتين وتسع وأربعين سنة يونانية [في خلافة الراضي] بسرجاد زح د.

[عمانويل يرى جنازة سلفه في منامه]

[ومن عجيب ما جرى لهذا الأب قبل أن يدعى إلى الأسياميذ ما أخبر به مار يوحنا تلميذه، قال: كنت أنا وعمانوئيل في عمر أبي يوسف الذي بالقرب من مدينة بلد من أعمال مدينة الموصل. وعندنا جماعة من الرهبان حاضرين. وإذا عمانويل قد غفي ورقد، وهو قاعد معنا وكان ذلك وقت العصر، ثم انتبه، وقال رأيت الساعة في النوم كأني قد دخلت قلاية الجثلقة ببغداد إلى مار إبراهيم الجاثليق، وهو مضطجع. فسلّمت عليه. وأخذت خبره. وتوجّعت له من علته. فقال لي أمدد الكسى عليّ، وغطّي به وجهي، ففعلت ذلك، وانتبهت. قال يوحنا وبينما نحن متعجّبون من المنام،

وإذا به قد غفا دفعة أخرى، ثم انتبه بعد ساعة، وقال قد استناح مار إبراهيم الجاثليق الساعة. فقلنا له وكيف ذلك، قال غفوت الساعة كما رأيتم، فرأيت في النوم جنازة معها خلق كثير من الناس، وقد حملت على الأصابع. وكأني قد سألت مار يوحنا نيشوع مطران نصيبين وقلت له هذه جنازة مَن؟ فقال هذه جنازة مار إبراهيم الجاثليق. قال يوحنا وكان هذا المطران في ذلك الوقت عندنا في الدير على رسم كان له في زيارة ديرنا دفعة في كل سنة. فقام إليه عمانويل في الوقت وعرفه الخبر. قال له من أين لك هذا؟ فشرح له صورة المنام فقال له جننتنا بمنامك الرجل في عافية... قال مضي لهذا الحديث أيام حتى وردت الكتب بوفاة مار إبراهيم الجاثليق بأنه مات ودفن في ذلك الوقت بعينه.

[راهب يتنبأ لعمانويل بالجثلقة]

قال يوحنا: ومن بعد يومين من هذه الرؤيا دخل عمانويل، ودخلت معه إلى راهب فاضل من ديرنا يقال له سبريشوع عائدَين تلميذاً مريضاً كان له اسمه يوحنا. فلمّا أبصرنا سبريشوع قام إلينا، وسلّم علينا، وجاء بخمس مخادٍ فوضع بعضها فوق بعض، وقال لعمانويل إجلس فوق هذا المخاد. وإنما جعلت المخادّ خمساً لأنها بعدد درجك أوّلها التشمسة، ثم القسانية، ثم الأسقفية، ثم المطرنية، ثم الفطركة. ثم قال له عمانويل من أين لك هذا؟ أو كيف أصلح أنا لهذه الرياسة العظيمة؟ أحسبك تخلط. قال دع عنك هذا رأيت البارحة في النوم كان عندنا باعوث، وكان ربن عبديشوع الفاقود، والفاقود في سائر الأديرة هو راهب يقول في وقت كل صلوة من الصلوات التي يصلّيها القس بصوتٍ عالٍ فلان الذي بلغت النوبة

إليه فيصلّي ذلك الرجل. فكأنه قد صاح وقال عمانويل. وكان باب المذبح قد انفتح، وخرج منه شخص ما رأيت قطّ أحسن منه. فقال بالسريانيّة معناه لا تدعوا عمانويل إلاّ جاثليقاً، فقد اختير إلى الفطركة. ثم عاد باب المذبح انغلق، وغاب ذلك الشخص. قال يوحنا فقال له عمانويل قد تهوّست يا ربّان أنا مِمّن يصلح لهذه الرياسة. فقام وخرج وأنا معه.

فما مضى أيام، حتى وردت الكتب إلى عمانويل بالمسير إلى بغداد. فكتب يعتذر، ويتعلّل. فكتب من بغداد إلى ناصر الدولة ابن حمدان بالقبض عليه، وإحضاره فوجه حينئذٍ ووكلّ بعمانويل رجالاً وأحضروه وأنا معه. فلما بلغنا مدينة الحديثة خرج من الزورق، وأنا معه، ليتبارك من البيعة ويتقرّب. فصعدنا وقصدنا بيعة الحديثة، وتقرّبنا. وكان قد وصف له أن في بيعة الحديثة إنجيلاً وقَرايينَ بخطّ حسن كبار جداً، فقال للقنكاني أريد أن تريني الإنجيل، فأخرجه، إلي، فأوّل ما فتحه خرج فصل إني أنا الراعي الصالح ونفسي أسلّمها عوض رعيتي، فتعجّب القنكاني، وقال لا يكون أنت هو عمانويل الذي قد طلب للجثلقة. فسكت وخرج.

[حوار بين الخليفة وعمانويل]

فلما وصلنا إلى بغداد قبلته الآباء الحاضرون والرؤساء وارتضاه الجمهور. وأسيم على الرسم. وجاء إلى عند الخليفة الراضي ليسلّم عليه على جاري عادة الآباء. فبادر الخليفة بمباحث دقيقة، فأجابه عنها. ومن بعد سؤالات كثيرة سأله فيما ورد في الإنجيل، وقال كيف يمكن محبة العدو فإن الخطاب الجميل للأعداء يسوغ وفعل الخير معهم يصحّ، فأمّا

المحبّة القلبية فلا تصحّ، والأمر بما لا يصحّ لا يسوغ في الشرع. فأجابه قال هذا القانون وإن كان صعباً على سامعيه، فإنه سهل على مستعمليه. وذلك أن من أطرح الدنيا التي عليها يقع التجاذب والبغضة من بعض الناس ببَعْضٍ أي شيء يبقى يبغض أحداً عليه، كما قيل عن المسيح جلّ ذكره إنه قال يا حواريي إني قلبت لكم الدنيا على وجهها وأقعدتكم على ظهرها. معناه أني قلبت لكم أمور الدنيا باطناً لظهرٍ، حتى انكشف لكم الغطاء، وزال عن أبصاركم ظلمة الغشاء، فلن ينازعكم فيها أن سلطان أو شيطان. فأما السلاطين فخلوا لهم دنياهم يخلو بينكم وبين آخرتكم. وأما الشياطين فاستعينوا عليهم بالصوم والصلوة. وبالجملة إذا أسهل الإنسان عليه ترك ما يبغض الناس لأجله، زالت البغضة. فأعجب الخليفة استحضار هذا الجواب عاجلاً واستحسنه منه، ورضي به، وحظي منه بإحسان جليل وإنعام جزيل، وعاد إلى قلايته مكرّماً].

[جاثليق محبّ الدراهم]

وفي أيامه بنيت البيعة الكبيرة بدار الروم وبيعة العتيقة. ووصل في الشيخوخة حتى أسام جالساً في محفّة موضوعة على دكت [دكة] المذبح. واستناح ليلة الأحد [بالصوم الأحد] السادس من الصوم الماراني ثامن يوم من نيسان[1] سنة تسعة وأربعين وثلاثماية عربية [وهي سنة ألف ومايتين وواحد وسبعين يونانية] وجزء الدور حها. ودفن بدار الروم. وكانت تركته سبعة آلاف مثقال ذهب وستماية ألف درهم [فضة]. ولم يكُن فيه عيب سوى محبّة الدراهم وشدّة الشحّ على إخراج شيء منها في وجهٍ وغير وجهٍ.

1 – في مخطوط الفاتيكان: سابع يوم من نيسان.

وكانت مدّة رياسته اثنان وعشرون سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً وخلا الكرسي بعده سنة وأربعة وستين يوماً.

فصل 56″

الجاثليق 56″

إسرائيل الأوّل (... – 961).

إسرائيل هذا الأب كان شيخاً كبيراً طاهراً قدّيساً من كرخ جذان. وصار معلّماً في أسكول مار ماري الرسول صلاته تحرسنا.

[إسرائيل يتنبأ للخليفة بالنصر]

وترهّب في دير مار سبريشوع بواسط، وصار أسقفاً على كشكر. وكان موصوفاً بالزهد والطهارة. وله في معرفة المغيّبات والأخبار بالمزمعات أشياء مشهورة كثيرة، منها ما جرى له مع الخليفة المطيع لله. وقد انحدر ومعه الأمير عزّ الدولة إلى البصرة لقتال أبي الحسن البريدي، فنزل الخليفة بالدير، وجعل يطوف قلالي الرهبان ومعه معزّ الدولة ويسألان عن حال مقصدهم. فقال لهم هذا الأب إنكم تملكون البلاد في اليوم الفلاني، من حيث لم ينسفك دم عصفور. وكان الأمر على ما وعد، وتعجّب الخليفة ومَن معه من ذلك. وصار دايماً أين حضر مع معزّ الدولة يتحدّثان به.

فلمّا استناح عمانويل حضر هذا الأب لنطارة الكرسي، وقرأ الإنجيل يوم عيد القيامة، وترجم بعده. وكان له نحو من تسعين سنة، وحضر الآباء، ووقع الاختيار له، وأسيم فطركاً بالمداين ببيرون أحمر يوم الخميس قبل جمعة الذهب تاسع وعشرين أيار سنة ألف ومايتين وثلاثة وسبعين يونانية في أيام المطيع بسرجاد يبكدز. وتولّى الأسياميذ

عبدالمسيح مطران البصرة، وجيورجيس مطران الموصل، ويوانيس مطران حلوان، وأساقفة الهوفركيات.

[حوار نسطوري ملكي في طبيعة المسيح]

وقد كان حضر مع هذا الأب لما كان أسقفاً على كشكر قسطا ابن لوقا الملكي فسأله يوماً وقال له من أين أوجبت أن المسيح أقنومان؟ فأجابه إسرائيل [وقال] إن النصرانية [بأجمعها] قد اتفقت على أن المسيح كلمة الله الأزليّة، وإنسان مأخوذ من جوهرنا، وأن كلمة الله أقنوم. ووجدنا كل محسوس ومعقول ينقسم أربعة أقسام [وهو]، إما جوهر عام وإما جوهر خاص، وإما عرض لازم للجوهر لا يقوم بذاته، وإما قوّة من قوى الجوهر. وإزالة النصرانيّة أن يكون ناسوت المسيح عرضاً أو قوّة من قوى الجوهر لأنهما جميعاً غير قايمين بذواتهما. وكل واحد منهما لا يوجد إلا في جوهر، فإن كان ناسوت المسيح عرضاً أو قوّة والعرض والقوّة لا يقومان بذاتهما فناسوت المسيح إذن غير قايم بذاته. وما لم يكُن قايماً بذاته فليس هو أقنوماً ولا جوهراً. فإن كان جوهراً عامّاً الذي هو النوع، فهو غير موجود حسّاً ولزم أن يكون الناس كلهم مسيحون. وإذا بطل من الأربعة أقسام ثلاثة بقي القسم الرابع الذي هو الجوهر الخاص، وهو الأقنوم القايم بذاته مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب الذي هو من نسلهم، وله من صفة الأقنوم مثل ما لكل واحدمنهم سوى الخطيئة.

فأمسك قسطا ابن لوقا عندما سمع ذلك، ولم يردّ جواباً، [لكنه] قبّل الأرض وانصرف.

[إسرائيل يتنبأ بقصر عهده]

ومن جملة فضائل هذا الأب أنه لم يتعرّض لفتح باب من أبواب قلاّيته، ولا فكّ ختم. وعجب الناس من امتناعه عن الإطلاع على تركة المتوفّى السابق له، مع عظمها وكثرتها. وذلك لِمَا علمه من روح القدس بقصر مدته [وقيل له في معنى امتناعه عن فتح الخزون، قال الزمان علينا قصير والوقت يضيق عن فتحها. فنتركها للذي يجيء يفتحها عن قريب].

واستناح يوم الثلاثة سابع عشر أيلول سنة خمسين وثلاثماية هلالية [1273 يونانية بسرجاد بيكدز] ودفن بدار الروم ببيعة الكرسي وكانت مدّة رياسته ماية وعشرة أيام وخلا الكرسي بعده سنة [واحدة] وأربعين يوماً.

فصل 57"
الجاثليق 57"
عبد يشوع الأوّل (963 – 986)

عبديشوع هذا الأب كان من أهل كرخ جذان، من أعمال باجرمي. وصار أسقفاً على معلثايا وبانهذرا. وكان حسن القامة نحيف الجسم ظاهر القدس.

[بطريرك ذو فضائل ومعجزات]

ولما استناح إسرائيل اجتمع الآباء للاختيار، فوقع الاختيار على أربعة أنفس أنهم يصلحون. فاتفق الآباء على عمل بنادق تتضمّن أسماء

جيورجيس مطران جنديسابور وقد كان مع إسرائيل رام المرتبة [لنفسه] فلم تحصل له، وكره في هذه النوبة أن تعمل البنادق وقال أنا لا أخجل في بندقةٍ. ووافق جيورجيس مطرانُ الموصل وقد كان أيضاً يروم المرتبة [لنفسه] في عهد إسرائيل، وإيشوعر حمه مطران باجرمي، وهذا الأب خرج بعد [أن] عمل باعوثا ثلاثة أيام. وأسيم فطركاً بالمداين ببيرون أخضر يوم الأربعاء بعد عيد القيامة. وهو اليوم الثاني والعشرون من نيسان سنة ألف ومايتين وأربعة وسبعين يونانية في خلافة المطيع بسرجاد يحبه. وكانت فضائل هذا الأب ومعجزاته أعظم من أن يحصرها هذا المختصر. وأسام من المطارنة والأساقفة ماية وأربعة وثلاثين نفساً. [ودبّر تدبيراً صالحاً].

واستناح يوم الأربع ثاني حزيران سنة أربعة وسبعين[1] وثلاثماية [عربية] وهي سنة ألف ومايتين وسبعة وتسعين يونانية بسرجاد بزكطه. وكانت مدّة رياسته ثلاثة وعشرون سنة وعشرة أشهر. وخلا الكرسي بعده سنة وثمان شهور وعشرين يوماً.

فصل 58//
الجاثليق 58//
ماري بن طوبى (987 – 999)

ماري ويعرف بابن طوبى من أولاد الرؤساء والكتّاب بالموصل. [وكان] تامّ القامة، حسن الشيبة، قليل العلم، حسن السياسة [والتدبير] متقدّماً. وصار رئيس دير ما إيليا بالموصل، ثم مطراناً على

1 – في مخطوط الفاتيكان: سنة ستة وسبعين.

فارس.

فلما استناح عبديشوع، حضر إيليا أسقف كشكر لنطارة الكرسي. فأحسن السياسة، وأقام بالتدبير أحسن قيام، فاختير، ومن قبل أن يُسام توفّي ودفن في باصلوث بيعة الكرسي.

[رسم المطارنة وأغنى الكرسي]

فاختير هذا الأب وأسيم فطركاً بالمداين وعليه بيرون أزرق في خلافة الطايع يوم الأحد السادس من الصوم الماراني في عشرة من نيسان سنة ألف ومايتين وثمانية وتسعين يونانية بسرجاد جزج، بحضور حنانيشوع مطران جنديسابور، وجيورجيس مطران الموصل، ونسطوريس مطران باجرمي، ويوحنا مطران حلوان، وسبعة عشر أسقفاً. وأسام كثيرين مطارنة وأساقفة. وعمل في يوم قباله فاثوراً لم يسبق إلى عمل مثله. وأسام شليمون أسقف الزوابي مطراناً على فارس، ويوسف أسقف الحيرة مطراناً على البصرة، وإيشوعياب أسقف الحديثة مطراناً على الموصل، وسبريشوع أسقف الأنبار مطراناً على جنديسابور، وإبراهيم أسقف شهرزور مطراناً على البصرة بعد موت يوسف، ويوانيس أسقف السن مطراناً على فارس بعد موت مطرانها، ويبلاها أسقف معلثايا مطراناً على نصيبين، وعبديشوع أسقف أصفهان مطراناً على مرو.

وأراد أن يسيم عيسى ابن العواص لأسقفة كشكر، فأكثر فضوله، والتمس أن يبنى له دكّة قدّام دكّة الجثلقة في البيم ليقف عليها، فعدل عنه: وأسام إيشوع الواسطي، وأسام إيليا أسقف بلد مطرانا على بردعة، وإيشوعياب الأركندياقون ابن الغواص مطراناً على دمشق، وإبراهيم ابن العدل الراهب من مار يونان مطراناً على هراة،

ويوحنا أسقفاً على الحيرة، وسبريشوع أسقفاً على البوازيج، وشمعون أسقفاً على سنجار، وإيليا أسقفاً على الأنبار، ومار نعمّه أسقفاً على نفر.

واقتنى أملاك كثيرة وأواني من ماله الذي ورثهُ من بيت أبيه، وأوقفها على القلاية الأبوية.

واستناح ليلة السبت ثامن وعشرين كانون الأوّل سنة تسعين وثلاثماية هلالية، وهي سنة 1312 يونانية بسرجاد يجبه.

ودفن بدار الروم في البيت الأصغر عن يمين المذبح. [وفي أيامه توفي أبو سهل المسيحي[1] الخراساني صاحب كتاب الماية]. وكانت مدّة

---

1 - عيسى بن يحيى أبو سهل المسيحي (ت390 هـ/1000) قال عنه ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء (ج1، ص 327): طبيب بارع فاضل في صناعة الطبّ علمها وعملها. فصيح العبارة، جيد التصنيف. وكان حسن الخط، متقناً للعربية. وقد رأيت بخطه كتابه في إظهار حكمة الله تعالى في خلق الإنسان. وهو في نهاية الصحة والإتقان والإعراب والضبط. وهو من أجل الكتب وأنفعها. سمعت من الشيخ الإمام الحكيم مهذب الدين عبدالرحيم بن علي وهو يقول: لم أجد أحداً من الأطباء النصارى المتقدّمين والمتأخرين أفصح عبارة ولا أجود لفظاً ولا أحسن معنى من كلام أبي سهل المسيحي.
وقيل إن المسيحي هو معلم الشيخ الرئيس [ابن سينا] صناعة الطب، وإن كان الشيخ الرئيس بعد ذلك تميّز في صناعة الطب ومهر فيها، وفي العلوم الحكمية حتى صنف كتباً للمسيحي وجعلها باسمه.
وقال عبيد الله بن جبرائيل (ت1058 م) إن المسيحي كان بخرسان وكان متقدّماً عند سلطانها، وإنه مات وله من العمر 40 سنة. وله كتاب المائة في الطب من أجود كتبه وأشهرها. ولأمين الدولة ابن التلميذ حاشية عليه. قال: يجب أن يعتمد على هذا الكتاب فإنه كثير التحقيق، قليل التكرار، واضح العبارة. ومنها كتاب في العلم الطبيعي ومقالة في الجدري واختصار كتاب المجسطي، وكتاب تعبير الرؤيا، وكتاب في الوباء ألفه للملك العادل خوارزم شاه أبي العباس مأمون بن مأمون.
وقال جمال الدين القفطي في "إخبار العلماء": أبو سهل المسيحي المتطبب هذا طبيب منطقي فاضل عالم بعلوم الأوائل، مذكور في بلده، كان بخرسان ←

رياسته أربعة عشر سنة وأربعين يوماً وخلا الكرسي بعده سنة واحدة.

فصل 59//
الجاثليق 59//
يوانيس (يوحنا الخامس) بن عيسى
(1001 – 1012)

يوانيس هذا [الأب] مات أبوه وهو طفل [صغير]، وكفله خال أمه. وكبر وصار يبيع البقل بكرخ جذان. ثم صار يجلب النفط من المعدَن على بهيم اشتراه. ثم اتصل بقوم وخطب ابنتهم. ثم زهد فيهم، وترهّب وأسيم أسقفاً. وكان سيء الخلق عجولاً محبّاً للدراهم. وأراد الجاثليق أن يُسيمّه مطراناً لجنديسابور، فأُكْرِزَ الأركندياقون عليه للسِنّ ومضت عليه.

[يوانيس يثبت زعامته على فرق النصارى]

وبعد أن مضت له في المرعيث ثلاثة سنين أسيم مطراناً على فارس. ولم يخرج إلى المرعيث حتى اعتلّ [ماري الفطرك] ومات. واختير هذا الأب وأسيم فطركاً بالمداين وهو ببيرون أصفر في [أيام] خلافة القادر يوم الأحد السادس وعشرين تشرين الأوّل سنة أحدى وتسعين وثلاثماية عربية، وهي سنة 1313 يونانية بسرجاد بدا!!.

وفي أيامه احترقت بيعة اليعاقبة ببغداد. وهو الذي خصم مطرانهم

← متقدّماً عند سلطانها. وكان فاضلاً في صناعته وله كنّاش يعرف بِ المائة مقالة مذكور مشهور. مات في سن الكهولة وقد استكمل أربعين سنة».
وله من الكتب الأخرى: كتاب الطب الكلي، ومما قاله القفطي عن كتاب إظهار حكمة الله في خلق الإنسان: قد أتى فيه بجل ما ذكره جالينوس وغيره في منافع الأعضاء يدل على فضل باهر وعلم جزيل.

ومنعه إظهار شعائر رياسة الكهنوت معه، واستمرّ حتى الآن. ودبّر الكرسي [بالواجب].

واستناح يوم الثلاثاء ثاني كانون الأوّل سنة ألف وثلاثماية وأربعة وعشرين يونانية بسرجاد ولو. ودفن ببيعة الكرسي وكانت مدّة رياسته عشرة سنين وخلا الكرسي بعده نحو ثمان شهور.

فصل 60//
الجاثليق 60//
يوحنا السادس نازوك (1012 – 1020)

يوحنا ابن نازوك [هذا الأب كان] شيخاً كبيراً حسن الصورة بهي المنظر كثير الحياء من أهل شرز المقيمين بمعلثايا، من أولاد التجار بها.

[مصائب النصارى وعودة الغيار]

وأسامه ابن طوبى أسقفاً على الحيرة. ولما استناح يوانيس وقع التردّد في الاختيار، وعملت بنادق أولاً، وأبطلت. وعملت ثانية، فخرج اسم هذا الأب. فأسيم [فطركاً] عل الرسم بدير المداين في خلافة القادر يوم الأربعاء تاسع عشر تشرين الثاني سنة اثنين وأربعماية هلالية، وهي سنة 1324 يونانية بسرجاد وله. وهو لابس بيرون بنفسجياً. وأسامه عمانوئيل مطران جنديسابور، ومعه مطرانان واثني عشر أسقفاً. وحينئذٍ أسام هو جبرائيل أسقف أرزن مطراناً على الموصل، وعدة شمامسة. ونقل جماعة من كراسيهم إلى بعضهم [الضرورة دعت وبعضهم] لغير ضرورة وكان كاتبه الفيلسوف الماهر الفاضل

والقسيس الشيخ أبو الفرج ابن الطيب[1].

وفي أيامه تمّت الجوائح على النصرانية في جميع أقطار الأرض.

---

1 - أبو الفرج عبدالله بن الطيب (ت 1043). طبيب، فيلسوف ومترجم. وردت ترجمته في عدد من مصادر سيَر الحكماء. فجاء عند القفطي: عبدالله بن الطيب أبو الفرج المسيحي، عراقي، فيلسوف فاضل مطّلع على كتب الأوائل وأقاويلهم، مجتهد في البحث والتفتيش وبسط القول. واعتنى بشرح الكتب القديمة في المنطق وأنواع الحكمة من تواليف أرسطوطاليس، ومن الطب كتب جالينوس، وبسط القول في الكتب التي تولّى شرحها بسطاً شافياً قصد به التعليم والتفهيم حتى لقد رأيت من ينتحل هذه الصناعة بذمّة بالتطويل، وكان هذا العائب يهودياً ضيّق الفطن وقد وقف على عبارة ابن سينا. فأمّا أنا وكل منصف فلا نقول إلاّ أن أبا الفرج بن الطيب قد أحيا من هذه العلوم ما دثر وأبان ما خفي. وقد تتلمذ له جماعة سادوا وأفادوا، منهم المختار بن حسن بن عبدون المعروف بابن بطلان. قال ابن بطلان:«وشيخنا أبو الفرج عبدالله بن الطيب بقي عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة، ومرض من الفكر فيه مرضة كاد يلفظ من نفسه منها» وهذا يدلّك على حرصه واجتهاده وطلب العلم لعينه، ولولا ذلك لما تكلّف. عاش إلى بعد 420 هـ، وقيل مات سنة 435.

وجاء في عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة: أبو الفرج بن الطيب هو الفيلسوف الإمام العالم أبو الفرج عبدالله، وكان كاتب الجاثليق [وهذا ما يشير إليه صليبا في المتن] ومتميزاً في النصارى ببغداد. ويقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي، ويعالج المرضى فيه. وفسّر فيه كتاباً لجالينوس عام 406. وهو من الأطباء المشهورين في صناعة الطب. وكان عظيم الشأن، جليل القدر، واسع العلم، كثير التصنيف، خبيراً بالفلسفة، كثير الاشتغال فيها. وقد شرح كتباً كثيرة من كتب أرسطوطاليس في الحكمة، وشرح أيضاً كتباً كثيرة من كتب أبقراط وجالينوس في صناعة الطب. وكانت له مقدرة قوية في التصنيف، وأكثر ما يوجد من تصانيفه، كانت تنقل عنه إملاءً من لفظه. وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا، وكان الشيخ الرئيس يحمد كلامه في الطب، وأما في الحكمة فكان يذمّه، ومن (...)

له تفاسير على معظم كتب أرسطو وأبقراط وجالينوس ثلاثون تفسيراً، وشرح ثماني مسائل حنين أملاه سنة 405. وكتب أخرى عديدة كمقالة في الأحلام على مذهب الفلاسفة ومقالة في المحبة وشرح الإنجيل.

واستناح يوم السبت ثامن عشرين تموز سنة ألف وثلاثماية وثلاثة وثلاثين يونانية بسرجاد يهكاد.

ودفن [بدار الروم] في البيت الأيمن عن باب المذبح.

وكانت مدّة رياسته تسع[1] سنين وعشرة أشهر وعشرين يوماً [وخلا الكرسي بعده سبع شهور].

فصل 61//

الجاثليق 61//

إيشوعياب الرابع بن حزقيال (1021 – 1025)

إيشوعياب ابن حزقيال [هذا الأب كان] شيخاً كبيراً من أسكول مار ماري السّليح. وصار أسقفاً على القصر.

واختير في خلافة القادر. وأسيم [فطركاً] بالمداين ببيرون نارنجي يوم الأحد الثالث من صوم الميلاد سنة [أحدى عشر وأربعماية وهي سنة] 1334 يونانية بسرجاد يوطب.

ولم يحضر مطران جنديسابور. وأسامه مطران الموصل، ومطران باجرمي، ومطران حلوان، ومعهم اثني عشر أسقفاً. وقرأ الإنجيل عليه أسقف الأنبار، فلمّا وصلوا إلى /كَ دْ د ي ن أ ش ت ر ي و/ قرأها بتسكين التاء عوضاً عن الزقف، أي انحلّوا[2]. واتصل الخبر بمطران نصيبين وغيره من الآباء فامتنعوا من أن يكرزوا له.

وبقي على ذلك، ولم تطل مدّته حتى تنصلح له.

واستناح سنة ألف وثلاثماية وثمانية وثلاثين يونانية بسرجاد أكها.

---

1 – في مخطوط الفاتيكان سبع سنين.

2 – قرأها أ ش تْ ر ي: أي انحلّوا والصحيح أ ش تَ ر ي: أي ابتدأوا. ما يعني أنه بتسكين التاء انقلب المعنى إلى نقيضه.

ودفن بدار الروم في البيت الأوّل ببيعة الكرسي. وكانت مدّة رياسته أربع سنين وستة أشهر. وخلا الكرسي بعده سنة.

فصل 62″
الجاثليق 62″
إيليا الأوّل (1028 – 1049)

إيليا الأوّل هذا الأب كان شيخاً كبيراً، قدّيساً فاضلاً، سيّداً في علماء زمانه من أهل كرخ جذان. وكان أسقفاً على الطيرهان.

[إيليا يفوز بالقرعة]

ولما استناح إيشوعياب، حضر حزقيال أسقف النعمانية لنطارة الكرسي، لخلو كشكر من أسقف. ونطر مدّة ثلاثة سنين. والسبب في تأخر الأمر كان الاضطراب والخلف في المملكة، وفي تلك الأيام، نهبت دار الروم والقلاية. وذلك سنة ثلاثة وعشرين وأربعماية للهجرة، فما استقام أمر المملكة ودخل جلال الدين إلى بغداد وملك العراق. وكان أبو الطيب في أعلى منزلة جمع الآباء إلى بيعة دار الروم في يوم الأحد الرابع من عيدالقيامة، وكان يوماً مشهوراً وجرى خوض طويل. فاختير حزقيال أسقف النعمانية، وإيليا أسقف الطيرهان، وأبو سعيد [الراهب] رئيس دير مار إيليا [بالموصل]. وكتبت البنادق وفيها أسماؤهم. وعمل الباعوث ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث حضر المطارنة والأساقفة وجميع الشعب ببغداد، ولم يخلف منهم أحد. وأخرجت البنادق. فخرج اسم مار إيليا [أسقف الطيرهان] ولم يكُن حاضراً، وأكرز له في الحال والوقت. وكتبوا إليه

بالحضور، فحضر. ولم يكُن يملك سوى سبعة عشر ديناراً.

وبعد أربعين يوم من خروج بندقته أسيم فطركاً بالمداين وبيرون كان بنفسجياً في الأحد الثالث من صوم السلّيحين سادس عشر حزيران [سنة ثمانة عشر وأربعماية عربية وهي] سنة ألف وثلاثماية وتسعة وثلاثين يونانية والحصة بيجه في خلافة القادر. وانحدر إلى دير مار ماري الرسول، وعمل القبال، وأصعد إلى بغداد. وكان مقامه بقلاية دار الروم.

[بطريرك لاهوتي وكاتب]

وعمل كتاباً مختصراً في اجتماع الآباء فيه قوانين بالفرائض والأحكام الدينيّة. وعمل كتاباً آخر مختصراً أيضاً [فيه] اثنين وعشرون باباً في أصول الدين.

ووضع قدّاس المذبح وهو الذي زاد في كاروزة الرمش على تذكار آباينا وأخوتنا، وهو أيضاً رتب السجدة يوم [عيد] الفنطيقسطي وعملها ببيعة العتيقة.

[ثم إنه] أقعد في آخر عمره حتى إنه أسام أسقف الرحبة جالساً في محفه. ثم أضرَّ أخيراً.

[وفاة ابن الطيّب وإيليا النصيبيني]

وفي أيامه توفي الشيخ العالِم الفيلسوف [الكامل والمعلم] الفاضل مفسّر الكتب الإلهيّة القسّيس أبو الفرج عبدالله ابن الطيب [مقرّه مع القدّيسين] ودفن ببيعة درتا سنة أربعة وثلاثين وأربعماية للهجرة. [وفي أيامه استناح الأب القدّيس مار إيليا مطران نصيبين المعروف بابن

السّني صاحب كتاب المجالس وكتاب دفع الهمّ والتراجيم، وذلك في نهار الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة ثمان وثلاثين وأربعماية هلالية. ودفن في بيعة ميافرقين إلى جانب قبر أخيه أبي سعيد رضي الله عنهما].

واستناح [مار إيليا نيّح الله نفسه] ليلة السبت السادس من أيار سنة ألف وثلاثماية وستين يونانية [في حصة] دكبه. ودفن بدار الروم في بيعة السيدة في أوّل سكينة من البذياقون.

وكانت مدّة رياسته أحد وعشرون سنة. وخلا الكرسي بعده سبعة أشهر وخمسة عشر يوماً.

فصل 63

الجاثليق 63

يوحنا السابع ابن الطرغال (1049 – 1057)

يوحنا [هذا الأب كان] شيخاً كبيراً غزير العقل، جميل الصورة، خبيراً بأحوال الناس ومداراتهم. والاتفاق واقع عليه بالشكر والثناء الجميل من كافة الأمم. وكان يُعرف بابن الطرغال من أهل بغداد.

[أحداث نهب البيع في زمنه]

وكان في حداثة سنّه كاتباً على النهروانات، وله معرفة تامّة بصناعة الكتابة وجودة القريحة والحذق. ثم ترك ذلك جميعه وترهّب. وأسامه إيليا يوم أسياميذه أسقفاً على القصر، وبقي في الأسقفة أحد وعشرين سنة ونيّف. ولما استناح اتفق الجمهور من الآباء والشعب على اختياره، فأسيم فطركاً بالمداين ببيرون زنجاري يوم الأحد[1] من

---

1 – في مخطوط الفاتيكان: يوم الأحد الثالث من صوم.

صوم الميلاد سنة أحدى وأربعين وأربعماية هلالية [وهي سنة 1321 يونانية 17 من كانون الأوّل بسرجاد هيج] في أيام خلافة القايم. وكان مقامه بدار الروم. فلما نهبت القلاية من الأتراك ودار الروم انحدر إلى دورقني وأقام مدّة، وأعاد والقلاّية خرابة، فاجتهد في عمارتها والإنفاق عليها، وساعده المومنون. فلما أفرغت العمارة من القلاية والبيعة كان يوم قدس [تقديس] مذبحها يوماً مشهوراً.

ثم بعد سنة ونصف وردت عساكر خراسان ونهبت الجانب الشرقي من بغداد بأسره. وفي الجملة دار الروم والقلاية، وانحدر إلى دار الخليفة هارباً ثم إلى دورقني. وأقام بها مدّة، ثم عاد إلى دار الروم، ودبّر تدبيراً حسناً في جميع متصرفاته وأحواله. وكانت خلايقه مشكورة، وطرايقه مستقيمة، وأحكامه عادلة.

واستناح يوم الأحد [السادس من سابوع القيظ] سنة ألف وثلاثماية وثمانية وستين يونانية [بسرجاد] بيكدز ودفن بدار الروم. وكانت مدّة رياسته سبع سنين وشهور. وخلا الكرسي بعده خمسة سنين[1].

فصل 64//

الجاثليق 64//

سبر يشوع الثالث زنبور (1061 – 1072)

سبريشوع [هذا الأب كان] شيخاً طاهراً عالماً [خبيراً] خير صالح التدبير من أهل باجرمي. وتربّى باسكول مار ماري الرسول، وصار مطراناً على جنديسابور، ويعرف بسبريشوع زنبور.

---

1 – في مخطوط الفاتيكان: ثلاثة سنين.

[سبريشوع يعيد مطران نصيبين إلى المجمع]

واعتنى بأخذ الشلموث له العميد أبو سعيد الأصفهاني.

وأسيم فطركاً بالمداين ببيرون أحمر يوم الأحد الثالث من [سابوع] القيظ في خلافة القايم [ج من آب] سنة 1374 يونانية بسرجاد حدج. وكان السايوم عمانويل مطران باجرمي. وكان قد حضر طامعاً في المرتبة. وأسام يوم إسيامه مكّيخا ابن سليمان القنكاني أسقفاً على الطيرهان، ويهبالاها أسقف معلثايا مطراناً على الموصل. ثم إنه جدّد حضور مطران نصيبين في المجمع والاختيار للجثلقة. وقد كان من قبل محظوراً ممنوعاً من أن يكون له كلام مع أصحاب الاختيار تقرّباً إلى قلب عبديشوع ابن العارض حيث كان مطران نصيبين وأرضى الناس بتدبيره.

واستناح يوم الثلاثاء بعد أحد الجديد سابع عشر نيسان سنة ألف وثلاثماية وثلاثة وثمانين يونانية بسرجاد حزا. ودفن بدار الروم في قبّة السيدة ببيعة الكرسي. وكانت مدّة رياسته عشر سنين وشهوراً. وخلا الكرسي بعده سنتين وخمسة شهور.

فصل 65″

الجاثليق 65″

عبد يشوع الثاني ابن العارض (1075 – 1090)

عبديشوع [هذا الأب كان] متشيباً حسن الخلق والخلقة، عالماً من أهل الموصل، ويعرف بابن العارض. وصار مطراناً على نصيبين.

[مطران نصيبين يُختار جاثليقاً]

ولما عاد مطران نصيبين إلى ما كان عليه قبل مجمع الثلاثماية والثمانية عشر[1] من الحضور في الاختيار، فخلط بباقي المطارنة الذين لهم الاختيار عند حضورهم.

ولما توفي سبريشوع حضر هذا الأب واختير من الآباء والشعب. وأسيم فطركاً بالمداين وهو لابس بيرون أصفر يوم كج من تشرين الثاني سنة 1386 يونانية بسرجاد يادد. وحضر أسياميذه جيورجيس مطران البصرة المدفون بباصلوث بيعة سوق الثلثاء وهو كان السايوم، ويبلاها مطران باجرمي، وعبدالمسيح مطران حلوان، وجماعة [من] الأساقفة، وذلك في خلافة القايم [سنة سبعة وستين، وأربعماية عربيّة].

[الغرق العظيم في بغداد]

وفي أيامه غرقت بغداد الغرق العظيم في يوم مرفع الروم سنة ستة وستين وأربعماية.

وأسام مكيخا أسقف الطيرهان مطراناً على الموصل عوضاً عن يبلاها حيث [توفي وأرضى الجميع في تدبيره و].

استناح يوم الأربعاء ثاني كانون الثاني سنة ألف وأربعماية واحد يونانية بسرجاد زحد، ودفن أمام الباصلوث ببيعة الكرسي بدار الروم. وكان مدة رياسته ستة عشر سنة [وخلا الكرسي بعده سنتين ونصف].

---

1 - أي مجمع نيقيا.

فصل 66″

الجاثليق 66″

مكّيخا الأوّل (1092 – 1109)

مكّيخا [هذا الأب كان] قدّيساً فاضلاً وزاهداً عفيفاً من أهل دار الروم ببغداد. ويعرف بابن سليمان القنكاني. وكان قسّيساً طاهراً وطبيباً ماهراً.

[ابن الواسطي يؤثر في اختيار مكّيخا]

ثم صار أسقفاً على الطيرهان. ثم مطراناً على الموصل. فلما استناح عبديشوع، قام ابن الواسطي في معاونته، وأخذ له الشلموث. فاختير وأسيم فطركاً بالمداين، وعليه بيرون بنفسجيٌّ يوم الأحد الرابع من عيد القيامة في أيام خلافة المقتدي [سنة خمسة وثمانين وأربعماية عربية وهي] سنة ألف وأربعماية وثلاثة يونانية بسرجاد طكزج، وحضر أسياميذه إيشوعياب مطران نصيبين، وهو كان السايوم، ومرقس مطران البصرة، ويوحنا مطران حلوان، وجماعة من الأساقفة.

[خلاف مكّيخا وابن الواسطي]

وكان عبديشوع ابن العارض حين صار فطركاً رسم في أن يقال ابون دَبشْمَيا [أي أبونا الذي في السموات] بين كل صلاتَين. ولم تكُن تجري العادة في طخس البغداديين بذلك جرياً على عادة بلادهم. فلمّا استنام هذا الأب أعاد الطخس [أعني الترتيب] على ما كان عليه. وترك قول أبون دَبشْمَيا بين كل صلاتين. فسأله ابن الواسطي أن يجري الأمر على ما كان [عليه]. من قول أبون دبشميا،

فلم يفعل. ووقع الخلاف بينهما، وأحرمه وانحدر إلى النيل. وبعد مدّة عاد وعمل رسالة فايقة مختصرة وأوضح فيها الأمانة الصحيحة التي يعتقدها المشارقة ودبّر تدبيراً معتدلاً.

واستناح ودفن بدار الروم ببيعة السيدة بالباصلوث الأيمن سنة ألف وأربعماية وعشرين يونانية[1] بسرجاد زحد وكانت مدّة رياسته سبعة عشر سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام [وخلا الكرسي بعده سنتين].

فصل 67//

الجاثليق 67//

إيليا الثاني ابن المقلي (1111 – 1131)

إيليا الثاني [هذا الأب كان] شيخاً فاضلاً عالماً ماهراً يعرف بابن المقلي من أهل الموصل. وصار مطراناً على الموصل [وأربل][2].

[بطريرك يحكم بالنصفة بين القوي والضعيف]

ولما استناح مكّيخا توفق له الاختيار الكلّي، وأسيم فطركاً بالمداين وهو لابس بيرون نفطياً يوم الأحد الثالث بعد عيد القيامة سادس عشر نيسان سنة 1422 يونانية بسرجاد طكزج [وهي سنة أربعة وخمسماية عربية] في خلافة المستظهر. وكان حاضراً في أسياميذه سبريشوع مطران نصيبين، وهو كان السايوم، ويوحنا مطران الري وحلوان، وسبريشوع أسقف عكبرى. وكان هو الناظر، ويوحنا أسقف القصر والنهروانات، وعبدايشوع أسقف أصفهان، وعبديشوع أسقف ثمانون،

1 – في مخطوط الفاتيكان: سنة اثنين وخمسماية عربية.
2 – في مخطوط الفاتيكان: وصار مطراناً على الموصل وحزة.

وموشى أسقف أدرمه، وحنانيشوع أسقف تشتدر، وعبديشوع اسقف أورمي، والجموع الكثيرة من قسّان وشمامسة ووزراء ورؤساء وعلمانيين وحضر الأجل أمين الدولة موفّق الملك رئيس الكفاة والحُكماء أبو الحسن هبة الله ابن صاعد ابن إبراهيم الطبيب الغياثي المعروف بابن التمليذ. وكان يوماً مشهوراً وجرت الأمور في الإسياميذ [وغيره] على السداد. ثم انحدروا إلى دورقني. وخرج الكهنة والأسكولانيون من دير مار ماري السلّيح، واستقبلوه بالصليب والإنجيل والشموع والبخور والصلوة، وفرشوا الطريق قدّامه مثل جاري العادة بالبسط والثياب. وعمل القبال، ثم قصد دير مار جبرائيل المعروف بدير الكرسي، وتقبّل فيه، وعاد بالجموع صاعداً إلى بغداد. وجلس في القلاية بدار الروم. وأسام زكريا الراهب من دير سعيد أسقفاً على الأنبار وهيت، وسبريشوع ابن أبي حيلة أسقفاً على كشكر وواسط، ونقل توما مطران جنديسابور إلى مطرنة باجرمي، وعمانوئيل رئيس دير الكرسي أسقفاً على النعمانية والنيل[1]. ونقل أسقف بلد إلى أورمي، وسبريشوع الراهب [أسامه] أسقفاً على بابغاش. ونقل يوحنا مطران حلوان إلى مطرنة جنديسابور. وحكم بالحق والنَصَفَة بين القوي والضعيف والغني والفقير.

واستناح سحر السبت سابع عشر تشرين الأول سنة ألف وأربعماية وثلاثة وأربعين يونانية بسرجاد يادد. ودفن بدار الروم في صدر البيت عند الباصلوث في بيعة السيدة إلى جانب عمانوئيل الفطرك. وكانت مدّة رياسته أحدى وعشرين سنة وسبعة شهور وعشرين يوماً [وخلا

---

1 – في مخطوط الفاتيكان: على النعمانية وبادرايا.

الكرسي بعده سنة].

فصل 68//

الجاثليق 68//

برصوما الأول (1134 – 1136)

برصوما هذا الأب كان حسن الصورة مليح الهيئة ظاهر القدس فاعل آيات ومعجزات. وهو من بلد الزبيدية من أعمال نصيبين وأن أسقفاً على ثمانون.

لما استناح إيليا اختير وأسيم فطركاً، بالمداين ببيرون أخضر في خلافة المسترشد في خامس آب [سنة سبعة وعشرين وخمسماية عربية] وهو الأحد الثاني من القيظ [هي سنة] 1334[1] يونانية بسرجاد يجبه. وحضر من الآباء يوحنا مطران الموصل[2]، وعبديشوع مطران باجرمي وثمانية أساقفة. وكان الأركندياقون سبريشوع أسقف واسط. وانحدر إلى دورقني وتقبل فيه. وعاد إلى بغداد [وأقام] في القلاية بدار الروم وأسام أساقفة ومطارنة.

[يوحنا الأسقف يشفي أخرساً أصماً]

ومن جملتهم يوحنا الذي [أسامه أسقفاً] وأنفذه إلى بلاد المشرقية الداخلة [ثم]، إن هذا الأسقف مع حصوله في مدينة سرخس أضافه رجلٌ من الأكابر إلى بيته، فشاهد ولد ذلك الرجل أخرس أصمّ، فاستوضح من والده حاله، فعرّفه أنه وُلد على هذه الصفة، وله على

1 – في مخطوط الفاتيكان: ألف وأربعماية خمسة وأربعون.

2 – في مخطوط الفاتيكان: وحضر من الآباء يوحنا مطران نصيبين وهو مكان السايوم ويوحنا.

هذه الشاكلة الآن خمسة عشر سنة. فطيّب نفسه وأدنى الولد إليه، ونفث في فيه ورسم على فمه رسم الصليب، ففي الحال انطلق لسانه وتكلّم بإذن الله تعالى، وزال صمّه وخرسه. وتعجّب الناس من هذه الآية الباهرة. وكبر الصبي وتعلّم وصار قسّيساً ثم جوهرياً ويُعْرَف بأخي خواجا يحيى السرخي الصايغ. وهذا المذكور هو الذي أخبر عن نفسه بذلك القسيس سليمان ابن شمعون الجصلوني ابن أخت مار سبريشوع مطران كاشغر، حيث سافر قاصداً لخاله المطران المذكور.

ثم إن برصوما الجاثليق الفطرك المذكور. [أحسن في تدبيره].

واستناح عشية يوم السبت حادي عشر[1] كانون الثاني سنة ألف وأربعماية وسبع وأربعين يونانية بسرجاد يهكاد، ودفن ببيعة مار سبريشوع الجاثليق في الجانب الشرقي من مدينة بغداد في البيت الذي فيه صورة مار سبريشوع. وهذا أوّل جاثليق دفن بها. وكانت مدّة رياسته سنة واحدة وخمسة أشهر وعشرين يوماً. وخلا الكرسي بعده سنتين.

فصل 69//
الجاثليق 69//
عبديشوع الثالث ابن المقلي (1138- 1147)

عبديشوع [هذا الأب كان] شيخاً تام القامة حسن الصورة مشكور السيرة هادياً يُعرف بابن المقلي من أهل الموصل.

---

1 - في مخطوط الفاتيكان: ثامن كانون الثاني.

[عبديشوع يجدّد المركز البطريركي]

وكان مطراناً على باجرمي. واختير من الجمهور [أجمع] وأسيم فطركاً بالمداين وعليه بيرون أزرق يوم الأحد ثالث عشر تشرين الثاني سنة ألف وأربعماية وخمسين يونانية بسرجاد خرج في أيام خلافة المقتفي. وكان السايوم يوحنا مطران نصيبين وهو ابن عمه. وحضر معه يوحنا مطران الموصل، وعبديشوع مطران فارس، وأساقفة الهوفركيات وكمل الأسياميذ بالمسرّة على الرسم مع القبال بدير مار ماري الرسول. وشهدت القلوب ببركته، وأن سيدنا المسيح كان حاضراً فيه لقوله متى اجتمع منكم اثنان أو ثلاثة باسمي فإني حاضر بينهم. ودبّر الكرسي تدبيراً صالحاً. وأقام بدار الروم، وجدّد في القلاية أبنية جميلة.

واستنياح يوم الثلاثاء خامس عشرين تشرين الثاني سنة ألف وأربعماية وتسعة وخمسين يونانية بسرجاد حزز ودفن بدار الروم ببيت السيدة ببيعة الكرسي. وكانت مدّة رياسته تسعة سنين واثني عشر يوماً [وخلا الكرسي بعده سبعة أشهر ونصفا].

فصل 70″
الجاثليق 70″

إيشوعياب الخامس البلدي (1149 – 175)

إيشوعياب هذا [الأب] كان شيخاً مربوع القامة تقيّاً طاهراً قدّيساً من أهل مدينة بلد. وكان أسقفاً على الجزيرة وبازبدي.

[غرق مثلّث في بغداد]

ولما استناح عبديشوع اختير وأسيم فطركاً بالمداين، وعليه بيرون كحلي يوم الأحد الثاني من قدّاس البيعة سنة ألف وأربعماية وستين يونانية بسرجاد طكزج في خلافة المقتفي. ودبّر الكرسي تدبيراً صالحاً. وأسام إلى المراعيث تسعة مطارنة وأربعين أسقفاً. وفي أيامه توفّي أمين الدولة ابن التمليذ رضي الله عنه، ودفن في الصحن الداخلاني ببيعة العتيقة. وفي أيامه غرقت بغداد ثلاثة دفعات.

[وفاة رؤساء الملل الثلاث في سنة واحدة]

واستناح ليلة الأحد الثاني لعيد الصعود خامس عشرين أيار سنة ألف وأربعماية وستة وثمانين يونانية بسرجاد بوطب ودفن ببيعة] درب دينار[بين يدي السيدة، وكان قد بلغ من العمر نيفاً وتسعين سنة، وجميع حواسّه سالمة. وخدم في الكهنوت سبعين سنة [شمّاساً و] قسّيساً وأسقفاً وفطركاً. وكانت مدّة رياسته ستة وعشرين سنة وخمسة أشهر وأياماً [وخلا الكرسي من بعده سبعة أشهر ونصفاً].

ومن العجيب أن في هذه السنة مات الخليفة، [ومات] قاضي قضاة [المسلمين]، ودانيال راس جالوث اليهود وبقيت الثلاث ملل بلا رئيس.

وفي أيامه استشهد الشهداء الإفرنج ودفنوا في بيعة سوق الثلاثاء قدام الباصلوث يين الكدين.

[إيشوعياب يشفي قسّيساً بعد وفاته]

ومن بعد وفاة هذا الأب بستة شهور وقع قسّيس هذه البيعة المذكورة، وكان يقال له القسّ مسعود، ومن زعجة الوقعة أمسك لسانه عن

الكلام، وبقي كذلك مدّة طويلة. وترأى له في بعض الليالي قائلٌ يقول له امضِ إلى سكينة إيشوعياب الجاثليق، وحكّ من الصخرة التي عليها واشرب منها بماء، وقد ينطلق لسانك. ففعل ذلك وعوفي في الحال. وصار المؤمنون من ذلك اليوم كل مَن به وجع أو ألم يحكّ من تلك الصخرة [ويشرب] وينتفع منه.

[ظهور المسيح على فلاّح]

وصار أيضاً في أيام هذا الأب أعجوبة شاهدها وشهد بها وكتبها القسّ الفاضل والراهب التقي سبريشوع ابن القس الزكي أبي المحاسن ابن ياﺑﺎﻻﻫﺎ الموصلي. قال ولما جرت هذه العجيبة في كرمليس [القرية المعروفة] من أعمال الموصل على يد رجل صعلوك يحرث أرض على فدان بقر، وصار الناس يتعجّبون من ذلك، قُمْتُ وقصدت المكان، وسألت عن الرجل، واجتمعت به، وسألته أن يعرفني قصّة الرؤيا، قال إني كنت أحرث الأرض الفلانية في شرقي الضيعة، فرأيت أن السماء قد انفتحت في وسط المشرق، ونوراً عظيماً لامعاً، فسقطت من الخوف والجزع على الأرض، وإذا بيد قد دنت مني فأقامتني وشجّعت قلبي، فنظرت إلى شخص، وإذا هو بصورة لم أرَ أكمل منها، وهو شابٌ معتدل القامة مدوّر الوجه أشهل العينَين شجب اللون يميل لونه إلى السمرة والصفرة، كث اللحية، خفيف العارضين، أسود الشعر، لطيف البدن. ورأيت أيضاً معه شخصَين قايمَين حدثين أبيضَين أشقرَين لم أشاهد في المخلوقين مثلهما في الحسن، أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، فهجست في نفسي أن هذا الشخص المنعوت الموصوف هو سيدنا المسيح لذكره التمجيد والسجود والتسبيح. ولم أقدر على مشاهدتي تلك العظمة والجلال [والبقا]

والبهاء والنور العظيم المفرط أن أثبت وأتحقّق ما عليه من اللباس، وما هو وكذلك الآخران اللذان معه. ثم إنه قال لي إنطلق إلى أهل كرمليس، وقل لهم إن صاحب الأحد قد أمركم بحفظه وملازمة صلوة الرازين والقدّاس فيه، وإذا فرغوا من الصلوة يمضون إلى منازلهم ويتشاغلون بما يجب عليهم اعتماده مِمّا يقرب إلى رضا الله ويبعد عن سخطه. فإذا كان يوم الاثنين ينطلقون في أشغالهم وبيعهم وشرائهم ويفتحون دكاكينهم وسأُضعف [سأضاعف] عليهم مكاسبهم وأبارك لهم في معاشهم. وقال بالسريانية /ب ك ي ل ا/، / ر ق ي ع ا/ ومشفعا [بالكيول الكثيفة المفاضة] وتفسيره سأ وفي الكيل لهم وأُوفره، وحذّرهم وخوّفهم من تجاوز هذا الأمر وتعدّيه. فإن رجعوا عمّا هم عليه وإلا أنزلت بهم العقوبة عاجلاً. فقلت له يا سيدي ومخلّصي أنا رجل مسكين حقير عندهم مرذول لديهم ما يسمعون كلامي ولا يصغون إليه، ولا أدري ما أقول ولا أحسن شيئاً من الصلاة حتى إن صلاة الفرض التي هي أبون دَبشْمَيا أعنى أبونا الذي في السموات لا أحسنها. فقال لي إذا أردت أن تصلّي فقل هذا الدعاء وهو /ب ح ي ل ه /، /د ص ل ي ب ا/، /ح ي ا/، /و م ح ي ن ا/، [بقدرة الصليب الحي والمحيي]. /و م ا س ي ن ا/، /و ب ح ي ل و ت ا/، /د م ل ا ك/، /د س ج د ي ن/، [والشافي وبقوات الملائكة الذين يسجدون]. /و م ي ق ر ي ن/، /ل م ر ك ب ت ه/، /د م ي ا/، /و ق ع ي ن ق د ي ش/، [ويوقرون مركبة الربّ ويصرخون قدّوس]. /ق د ي ش/، /ق ر ي ش/، /م ر ي ا/، /أ ل ه ا/، / ح ي ل ت ن ا/، /د م ل ي ن/، /ش م ي ا/. [قدّوس قدّوس الرب الإله القدير الذي امتلأت السموات]. وتفسيره بقوة الصليب الحي المحيي الشافي بالقوى، وأجناد الملايكة الذين يسجدون ويكرّمون

كرسي الرب ويهتفون قدّوس قدّوس قدّوس الله الرب القوي الذي السموات والأرض مملؤة من مجده وتسابيحه. وإذا وصلت إلى القرية قل هذا الدعاء، وخُذ جمرة نار، وأوضعها [وضعها] في يدك، وألق عليها لبانا، وطف بها في القرية جميعها. ثم أمرني بتلاوة الألفاظ التي أصلّي بها. فلمّا تلوتها وحفظتها خررت ساجداً، ونهضت بعد ذلك، فلم أرَ أحداً. لكن سمعت صوتاً يقول لي انطلق أنا معك. فاعتمدت ما أمرت به، وعدت إلى الفدان وحليته، وصرت به إلى القرية. فلمّا وصلتها أخذت جمرة من النار في كفّي، وألقيت عليها لبانا، وأنا لا أحسّ لها بحرارة، ولا ألم. وسعيت بها في أقطارالقرية، وطفت جميع دروبها وشوارعها ومنافذها. وقلت ما أمرت به. فضجّوا أهل القرية بالتسبيح، وأذعنوا بالتوبة، ورجعوا إلى الطاعة. وسارعوا إلى امتثال ما رسم لهم من ملازمة صلاة الرازين [والقدّاس] في يوم الأحد كبارهم وصغارهم والاشتغال باستنزال الرحمة والبركة والتضرّع في مسامحتهم بخطاياهم السالفة، وهم مستمرّون على هذه القاعدة الحميدة والشاكلة المرضية إلى هذه الغاية. وكذلك جميع الأماكن المجاورة لها من بلد نينوى [والموصل].

وأما أنا حيث أمرني في الرؤيا الشخص المعظّم الذي رأيته بالأمر المطاع. وقال لي امضِ وترهّب، فقلت له في الجواب فإن لي زوجة وأولاداً. فقال لي إنهم يتوفّون بأجمعهم عن قريب، ما عدا الأكبر من أولادك فإنه يبقي في قيد الحيوة ويترهّب. فما مضى شهر إلاّ ماتوا كما قال، وتخلّيت بنفسي ومن الآن في عزمي أن أقصد دير مار إيليا صلاته تحرسنا. وهو المعروف بدير سعيد، واقبل الرهبنة واتشاغل بعبادة الله تبارك وتعالى والسؤال في المسامحة بالخطايا السالفة، إلى أن ينقضي الأجل المحتوم، وانتقل من هذا العالم الفاني إلى العالم الباقي. [وبعد أن سمعت ذلك منه] ودّعته

وانصرفت.

فلينظر المومنون إلى هذه الرؤيا والآية العجيبة والمعجزة الباهرة وكيف إذا أراد الله تبارك اسمه بعباده خيراً حذّرهم وأنذرهم وخوّفهم ونشلهم من سبكة الشيطان وأنقذهم من الغرق في بحر الطغيان، وأحسن إليهم بالوعد وأنذرهم بالوعيد حتى يستيقظوا لأنفسهم ويخلصوا من مكايد العدو، وينجوا من فخاخه [ويصيروا أولياء الله الذين لهم النعيم الذي لم تره عين ولا سمعته أذان ولم يخطر على قلب بشر إلى أبد الآبدين آمين].

فصل 71"

الجاثليق 71"

إيليا الثالث أبو حليم (1176 – 1190)

إيليا الثالث هذا الأب كان كهلاً حسن الخلقة، تام القامة، حبيباً كريماً عالماً فاضلاً من أهل ميافرقين. وكان مطراناً على نصيبين ويُعرف بأبي حليم. ولما استنياح إيشوعياب ورد [إلى] بغداد إلى الاختيار، واتفق عليه الجمهور لأن الآباء الواردين كلهم لم يكُن فيهم مَن يماثله علماً وحكماً وكرماً وحسناً وبلاغة وفصاحة.

[بطريرك سخيّ وملفان]

فاختير في [أيام] خلافة المستضي. وأسيم بالمداين فطركاً، وعليه بيرون فستقيّ يوم الأحد الثالث من الدنح سنة ألف وأربعماية وسبعة وثمانين يونانية بسرجاد يزكظة. وكان السايوم يوانيس مطران جنديسابور، ومطارنة الهوفركيات وأساقفتهم معه حاضرون.

وأسام وقت أسيامه أربعة وعشرين شمّاساً.

ولما عاد من المداين إلى القلاية بدار الروم ورأى قد استولى عليه الخراب، فشرع في عمارتها وعمارة البيعة.

ووفقه الله وجرت الخيرات على يده. وأسام جماعة من المطارنة والأساقفة منهم طيطوس مشبلان دير [مار سبريشوع] باقوقا مطراناً على الموصل [وأربل] [1] ويبلاها أسقف ماردين مطراناً على نصيبين، ويوحنا الموصلي مطراناً على همذان، ويوانيس أسقف أخلاط مطراناً على كاشغر [ولم تطل مدّته وأسام] ومن بعده سبريشوع الجصلوني أسقف قيمر مطراناً على كاشغر. وجدّد بناء هيكل مار ماري الرسول بديرقني، وغيره من البيع والأديرة. وكان مع أوصافه الجميلة بحسن الخلق والخلقة سخيّاً متلافاً للمال في عمل الخير مع الناس[الضعفاء والمساكين ومع الأشرار الذين من غير الدين ومع الحكّام المتوليين لأجل] إقامة جاه ملك النصارى [أجمعين ومع ذلك كان]، مرتاضاً بالعلوم النحويّة واللغويّة والسريانيّة والعربيّة والعلوم الحكميّة وعمل كتباً [كثيرة] من جملتها كتاب تراجيم الأعياد المارانية، والذكارين وخطب ومواعظ كثيرة، وكتاب الصلوات الحليميات ورسايل كثيرة في [إثبات] الأمانة والاعتقاد وصحّة دين النصرانية. ودبّر الكرسي تدبيراً حسناً.

[أقواله عند وفاته]

واستناح يوم الخميس ثاني عشر نيسان سنة ألف وخمسماية واحد يونانية بسرجاد بيكدز، وعمره يومئذ اثني وستين سنة وشهران وسبعة عشر يوماً. وصلّي عليه الجمعة الثالثة من سابوع عيد القيامة، ودفن في الباصلوث ببيعة سوق الثلاثاء مجاور قبر إيشوعياب الجاثليق، نيّح الله نفسه وذكرنا

---

1 - في مخطوط الفاتيكان: على الموصل وحزة.

بصلاته، وكانت مدّة رياسته أربعة عشر سنة وشهرين وتسعة عشر يوماً
[وخلا الكرسي بعده ثلاثة شهور.
وذكر أبو سعيد ابن أبي جود تلميذ القلاية أن هذا الأب عند مرضه الذي توفي فيه لما جاء الآباء والرؤساء إلى عبادته [عيادته] أخذ يرثي نفسه ويعزّيهم وفي آخر ذلك كله قال هذين البيتَين وهم شعر مليح.

أَرُوني مَن يَقوم لكم مَقَامي إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخِطاب
وَمَنِ تَستَصرِخُون إذا حَثَيتم بأَنمُلِكُمْ عَليّ من التراب]

[أعجوبة أولى في حفظ يوم الأحد]

وفي أيام هذا الأب جرى [جرت] أعجوبتان في بلدالموصل كتبهما يوانيس أسقف الزوابي والنيل.

قال لما إني انقطعت إلى دير باعوث ببلد الموصل بالقرب من مدينة بلد لاختلي بنفسي فيه مدّة، واتفق إني سمعت ما جرى في [القرية المعروفة] بأوشنايا من الأعجوبة الواضحة في معنى يوم الأحد وحفظه. فقصدت أسقف المكان، وهو يعقوب ابن البحري الموصلي أسقف بلد، واستوضحت منه صحّة هذا الخبر فنفذ الأسقف المذكور وأحضر [إليّ] شخصاً فلاّحاً من باوشنايا يُعرف بيوسف من بني طابو، وقال له إشرح لنا ما رأيت وسمعت، فقال إني خرجت في بعض الأيام وهو يوم سبت إلى جبل باوشنايا الملاصق للقرية المعروفة بالراقود لأرعى البهائم مع جماعة خرجوا لمثل ذلك يرعون بهائمهم، فرأيت شخصاً راهباً قد جلّله الشعر، فاستدعاني إليه، وقال لي انطلق إلى باوشنايا، ودخل بيعة السيّدة مرّت مريم في بكرة غدٍ وهو الأحد، وقل للشعب بأن يلازموا صلاة الرازين والقداس في يوم الأحد، ويرفضوا البيع والشرى فيه ولا يتشاغلوا إلاّ بصلوة الراذين

والقدّاس والانعطاف إلى خدمة الله تعالى وما يقرّب إليه من عملٍ صالحٍ. فقلت له في الجواب أنا رجل مسكين مطروح عندهم لا يسمعون مني كلاماً ولا يلتفتون إليّ. فقال لي في الجواب هكذا يجب أن يكون، لأنهم مع أطراح كلامك يشاهدون هذه الأعجوبة التي أمرك بها فيمتثلون ما تقول لهم. وأعطاني صليباً لطيفاً من خشب. وقال لي أترك هذا في يدك، وألقى معه جمرة من النار، وأطرح عليها شيئاً من اللبان، وقل لهم إذا اجتمعوا في البيعة ما قلت لك، وأخرج من هناك واجعل طريقك على باب دار القاضي بالقرية ليشاهدك وما في يدك، ويتحقق هذه الحال منك. ثم طف واسع بها في أقطار القرية وشوارعها ومنافذها، وعرّفهم ما قلت [لك].

وكان ذلك في سابوع القيظ من سنة ألف وخمسماية وثلاثة عشر لتاريخ الإسكندر الموافق لسنة ثمان وتسعين وخمسماية هلالية. فقبلت ما رسم لي بالاتباع واعتمدت ما أمرني به الصليب لا يحترق، ولا يدي تحسّ بحرارة، ولا لزع من النار. فسارع أهل القرية بأجمعهم إلى امتثال هذا الأمر، ورفضوا البيع والشرى في يوم الأحد، واستداموا هذه القاعدة الحسنة إلى الآن. واستمرّوا على امتثالها. وكذلك [أيضاً] المسلمون [الذين] بالقرية المذكورة اتفقوا على امتثال هذا القول. ورفضوا المعاش في يوم الأحد، وحظّروا من تجاوزه.

[إنذار لقرية وزلزال]

وأخبر أيضاً الأسقف المذكور، وقال إنه كان قبل من ذلك بنحو من سنتين قد خرج شخص من [قرية تسمّى] الجصلونة من بلد الموصل، وهي بالقرب [من باوشنايا يعرف بـ] عزيز ماسح دقنه، وهو متعيّش في البقالة.

واتفق له أنه خرج في بعض الأيام إلى ظاهر القرية، فشاهد راهباً مجتازاً، فاستدعاه الراهب، وقال له أدخل إلى القرية وانطلق إلى البيعة بها، فإنك تجد عند دخولك البيعة القسّيس هوذا يقرأ الإنجيل المقدّس. وكان ذلك في أواخر الصوم الكبير الماراني. فإذا فرغ القسّيس من قراءة الإنجيل، فقل للشعب المبارك يرجعون عمّا هم عليه من الطريقة الذميمة ويتركون البيع والشرا في يوم الأحد، ولا يعطون [المال] بالربا ويمتنعون من الزناء [والفجور] وغيرها من الأمور التي تمنع عنها سنّة المسيح، ويلقون من بينهم البغضة والعداوات، ويخلصون نيّاتهم في المحبّة لبعضهم بعضاً سرّاً أو جهراً. فإن هم اعتمدوا ذلك، وإلا فسينزل بهم من العقوبة ما لا ثبوت لهم معها. وإن لم يصغوا إلى كلامك، وشكّوا فيه، فعرفهم أن في يوم الأربعاء التالي لهذا اليوم تزلزلاً بالقرية التي أنتم بها سبع مرات.

فامتثل ما رسم له الراهب ودخل البيعة التي في القرية، وشاهد القسّيس وهو يقرأ الإنجيل، كما ذكر له الراهب. فوقف إلى حين فراغه من قراءته، وعرف جماعة الشعب ما سمعه من الراهب، فمنهم مَن صدّق القول، ومنهم مَن شكّ فيه. فلمّا كان في يوم الأربعاء التالي لليوم الذي قال فيه الراهب ما تقدّم من الوصيّة حدثت الزلزلة فيه سبع مرات. وحينئذٍ ضجّوا، وأذعنوا بالطاعة، وخرجوا من منازلهم إلى ظاهر القرية. ثم عادوا مع السكون إلى منازلهم، وقبلوا ما قيل، وامتثلوا واستمرّوا على هذه الطريقة المرضيةإلى هذه الغاية.

وذكر هذا عزيز المعروف بماسح دقنه بأنه قال للراهب حتى يدخل معه إلى القرية ويتقرّب ويبيت عنده، فقال له في الجواب أنا قد عوّلت على أني أتقرّب الليلة في دير مار أوجين القدّيس في [جبل] نصيبين. وكان [ذلك] قبل غروب الشمس وبين هذا الموضع وبين نصيبين من المسافة نحو أكثر

من أربعة أيام.

وهذه من أكبر الآيات وأجلّها في زماننا فالله تعالى يشمل كافة المؤمنين ببركات القدّيسين ويوفّقهم للعمل [بمراده و] مرضاته، وما يقرب إليه بمنه وجوده ويأهلنا [ويؤهّلنا] لقبول البركة والرحمة والغفران بشفاعة السيدة العذراء مارة [مارت] مريم ذات الطوبى وسائر القدّيسين آمين.

فصل 72//
الجاثليق 72//
يهبالاها الثاني ابن قيوما (1190 – 1222)

يابالاها الثاني هذا الأب كان طاهراً ذكياً خبيراً بالمداراة واجتذاب قلوب الناس، متقدّماً عند الملوك، مواظباً على إصلاح الأمور، شديد المقاومة لِمَن جاء في ضده، وهو من أهل الموصل.

وكان أسقفاً على ميافارقين، ثم مطراناً على نصيبين.

[النصارى في عيش هني زمن يابالاها]

ولما استناح إيليا ورد مع الآباء إلى بغداد للاختيار في [أيام] خلافة الناصر. فاختير وأسيم فطركاً بالمداين ببيرون بنفسجي يوم الأحد الثالث من سابوع السلّيحين [1]. وكان السايوم إيليا مطران باجرمي. ولما عاد إلى بغداد إلى القلاّية بدار الروم ترك السكنة بها وانتقل عنها، وسكن في بيعة السيدة مارة [مارت] مريم المعروفة ببيعة العقبة بالجانب الغربي. وأسام في أيام ثمانية عشر مطراناً وسبعة وثلاثين أسقفاً. وفي أيامه استشهد

1 – في مخطوط الفاتيكان: سنة أحد وألف وخمسماية يونانية بسرجاد ببكدا وكان السايوم.

عبدايسوع المكّني أبو الغنائم ابن ساوا ، وذلك في يوم الجمعة العشرين من كانون الأول سنة ألف وخمسماية وثمانية عشر [لتاريخ] الإسكندر، وهو سابع عشرين جمادي الأوّل سنة أربع وستماية هلالية. وفي أيامه كانوا [كان] النصارى آمنين في عيش هنيء [ودبّر الكرسي على الواجب].
واستناح ليلة الإثنين آخر كانون الثاني سنة ألف وخمسماية وثلاثة وثلاثين يونانية. ودفن في باصلوث بيعة العتيقة. وكانت مدّة رياسته أحدى وثلاثين سنة وسبعة شهور وأيام. وخلا الكرسي بعده خمسة أشهر وعشرين يوم.

فصل 73"

الجاثليق 73"

سبريشوع الرابع ابن قيوما (1222 – 1225)

سبريشوع هذا [الأب] كان كهلاً صغير الرأس والوجه، كبير اللحية، بهيّاً حسن الصورة، عالماً. وله معرفة بالتسابيح، حافظاً للقياموث، وجميع ما يُقال في البيعة. وهو من أهل الموصل. ويعرف بابن قيوما. وكان عمّه يابالاها أسامه أسقفاً على بانوهذارا، ثم مطراناً على حزة وأربل.

[اختير ليخلف عمّه]

ولما استناح يابالاها حضر عبديشوع مطران جنديسابور لنطارة الكرسي. وأمر ونهى. وبعد ذلك كاتب الآباء بالحضور، فحضر شليمون مطران البصرة، ويوسف مطران الموصل، وسبريشوع ابن قيوما مطران حزة، وأربل، وسبريشوع ابن المسيحي مطران دقوق، وإيشوعياب ابن ملكون مطران نصيبين، وإيليا ابن الشريط أسقف عكبر، ونرسي أسقف الطيرهان، وأساقفة أخر من هوفركيات المطارنة. وطلب كل واحد منهم الرياسة لنفسه. ثم تحزّب المؤمنون فريقَين الفريق الواحد وهو الأقل اختار

سبريشوع ابن المسيحي لعلمه وفضله وقدسه، ولأجل أخوته الحُكماء الفضلاء. والفريق الآخر، وهو الأكثر اختار سبريشوع ابن قيوما، وكان عمه يابالاها قد ثقّفه حتى صارت له دربة في التدبير والمداراة. فكان يكاتب الشعب ويستميل قلوبهم. وما برح حتى صار له الاختيار من الكلّ والتقدّم من الخليفة الناصر. وأسيم فطركاً بالمداين، وعليه بيرون نفطي يوم الأحد [الرابع من القيظ وهو] آخر [يوم في] تموز سنة ألف وخمسماية وثلاثة وثلاثين يونانية بسرجاد ولو. وتقبّل بدير مار ماري [السليح] على جاري [العادة و] الترتيب. وعاد إلى بغداد، وتقبّل في البيع كالعادة. ودبّر الكرسي تدبيراً حسناً.

واستناح يوم الإثنين نصف حزيران سنة ألف وخمسماية وسبعة وثلاثين يونانية[1] بسرجاد طكزج الموافق لسنة ستماية واثني وعشرين هلالية. ودفن ببيعة السيّدة المعروفة [ببيعة] العقبة في صحن الداخلاني في الباصلوث مجاور قبر عمّه يابالاها قدس الله أرواحهما، وشمل الكافة بصلاتهما، وكانت مدّة رياسته سنتين وعشرة شهور وثمانية عشر يوماً وخلا الكرسي [بعده] ثلاثماية وأربعين يوماً.

فصل 74//

الجاثليق 74//

سبر يشوع الخامس ابن المسيحي (1226 – 1257)

سبريشوع ابن المسيحي من أهل بغداد. وهذ الأب كان كهلاً حسن الخلق، عالماً عابداً كثير المحاسن، صبوراً محتملاً هيوباً. وخرج من بيت

---

1 – في مخطوط الفاتيكان: سنة ألف وخمسماية وستة وثلاثين يونانية.

أبيه للرهبة [للرهبنة] وله من العمر سبعة عشر سنة. واراض نفسه بالزهد والصوم والصلوة وقراءة الكتب الإلهية. ثم إنه صار مطراناً على باجرمي.

[بطريرك يهتمّ بطلاّب الكهنوت]

فلمّا استناح سبريشوع ابن قيوما اختير من جميع الآباء والمومنين، وكتبوا له بالرضا. ولم يخالف عليه أحد. وانتهى ذلك إلى الخليفة الظاهر بأمر الله، فأمر بتوليته، وأن لا يكلف حَبّة الفَرْد. فأسيم فطركاً بالمداين، وعليه بيرون أبيض يوم أحد الجديد سادس عشرين نيسان سنة ألف وخمسماية وسبعة وثلاثين يونانية بسرجاد حها. وتقبّل بدير مار ماري الرسول [على الرسم]. وأصعد إلى بغداد. ودبّر الكرسي تدبيراً صالحاً. وكان متيناً بقيام الأسكولات والنفقة عليهم وعلى المعلّمين بجميع ما يموّنهم من الأكل والشرب والكسوات، حتى غسل الثياب والحمّامات. وأسام طول مدّته في الكرسي مطارنة أساقفة خمسة وسبعين نفساً غير القسّان والشمامسة. وما كان يأخذ من أحد منهم حبّة الفَرْد لا شيء أيضا يكون على سبيل الهدية البتة. وكان مثلما قال الإنجيل المقدّس مجّاناً أخذتم مجّاناً أعطوا. وفي أيامه مات الخليفة الظاهر، وتولّى المستنصر ومات، وتولّى المعتصم [المستعصم].

ولما أراد المسيح انتقاله من هذه الدنيا استناح ضحاء نهار السبت عشرين من شهر أيار سنة ألف وخمسماية وسبعة وستين يونانية بسرجاد بيجه الموافق لثالث عشرين ربيع الأوّل سنة ستماية وأربعة وخمسين لتاريخ العرب. [ودفن ببيعة الكرخ في البيم. وكانت مدّة رياسته أحدى وثلاثين سنة وعشرة أيام. وخلا الكرسي بعده عشرة شهور وستة أيام].

[مراسم دفن البطريرك وما عقبه من إجراءات]

وهذا خبر دفنه ليعرف منه كيف تدفن الآباء الفطاركة. وحضره جماعة المؤمنين والكهنة وأولاء البيعة بأسرهم. وشرعوا بالصلوة عليه من وقت استناحته من أوّل المزامير في القلاية وأقوام أخر [من الكهنة] يقرون [يقرأون] كتب الصورة عند رأسه، أي في كتب العتيقة والحديثة. فلمّا صار [وقت] العصر ابتدوا في غسله، وغسّله تلميذه. أوراها الراهب الذي صار مطراناً على أربل، وراهبان من دير ربّان هرمزد، وخميس الراهب وقسّ بيعة المداين. ولما فرغوا من غسله، دخل القسان [والشماسة] والشعب وروسهم مكشفة وابتدأوا بالصلوة عليه. فلما صلّوا عليه المرتب الأوّل حمله القسّان وروسهم مكشفة، وأخرجوه إلى البيعة من خروجه دخل ابن صليحية[1] ناظر ديوان التركات، وختم على جيمع ما في القلاية ومضى. وكان قد كتب هذا الأب وصيّته بيده ذكر فيها أن المطارنة والأساقفة والقسان كل واحد على مرتبته لا يتغيّر، وكل من قلبي عليه ثقيل فهو مطلوق محلول بالكلمة السمايية. وأن يجنزوه بهذا الذهب الذي اقتناه من بيت أبيه، ولا يُخرج عليه شيء من مال الوقوف، ولا من مال القلاية. وأن يشتري له شمع. وأن لا يعلوا على تابوته طرحة، ولا يعلّقوا على قبره قنديل، ولا يعمل له قبة. وأن يعمل له الصلوة في الثالث والسابع والخامس عشر والشهر والأربعين. ولا يعمل له ذكران في كل سنة، إلاّ مع الآباء. وكان قد عمل قبل وفاته بسنتين قبراً في الصحن الأوّل في الباصلوث[2]. وقال

---

1 – في مخطوط الڤاتيكان: ابن صليجبه.

2 – في مخطوط الڤاتيكان: في الباصلوث. فأريد أن تخزنوا هذه الجثة في هذا القبر. وفي الوصية قال وأما الدفن فيكون موضع يختار المسيح.

إن اختار المسيح فاشتروا له من الذهب خمسة وعشرين شمعة كبار، وصلّوا عليه صلوة تامة. وقرأ عليه القريان الأوّل إبراهيم قس دير مار كليليشوع، والقريان الثاني شمعون قسّ بيعة سوق الثلاثاء. وقرا السليحَ أبو الفرج قسّ بيعة رب القراطيس وقال الزمار إيشوع الشهار. وقرأ الإنجيل القسّ أبو الخير[1]، أو الفاسوف. وزيّحوه إلى باب المذبح، ومزّقوا الطرحة التي على التابوت. وأدخلوا التابوت إلى المذبح. وجعلوه على المصطبة، وتمّموا الصلوة عليه إلى الفجر ودفن في البيم[2] ببيعة الكرخ التي على اسم مار سرجيس ومار باكوس المعروفة ببيعة سرجمونا.

وكانوا قد فتحوا القبر الذي كان قد بناه قبل موته، فوجدوه مملوءاً ماء، لأنه كان في تلك الأيام غرق عظيم حتى دخل الماء إلى بغداد وأحاط بسورها ووصل إلى الشرفات.

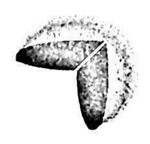
ولهذا السبب لم يدفن في ذلك القبر الذي بناه ودفن في البيم. وفي اليوم الثالث جاء والي بيت مال المسلمين وعمل باليد القويّة غير الواجب، وفتح الختوم، وأخذ جميع ما وجد في القلاية والكتب والبيرنات وأحضرها قدّام الخليفة. وردّ الكتب ووهب البيرونات لابن وحيد وأشتريت منه من مال الوقف[3] [وأعيدت].

---

1 - في مخطوط الفاتيكان: أبو الخير ابن المسيح. وقال أبو نصر قسّ بيعة سوق الثلثاء الفاسقون وزيحوه.

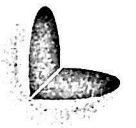
2 - في مخطوط الفاتيكان: ودفن في البيم وكانت مدّة رياسته أحد وثلثين سنة وعشرة أيام. وفي اليوم الثالث.

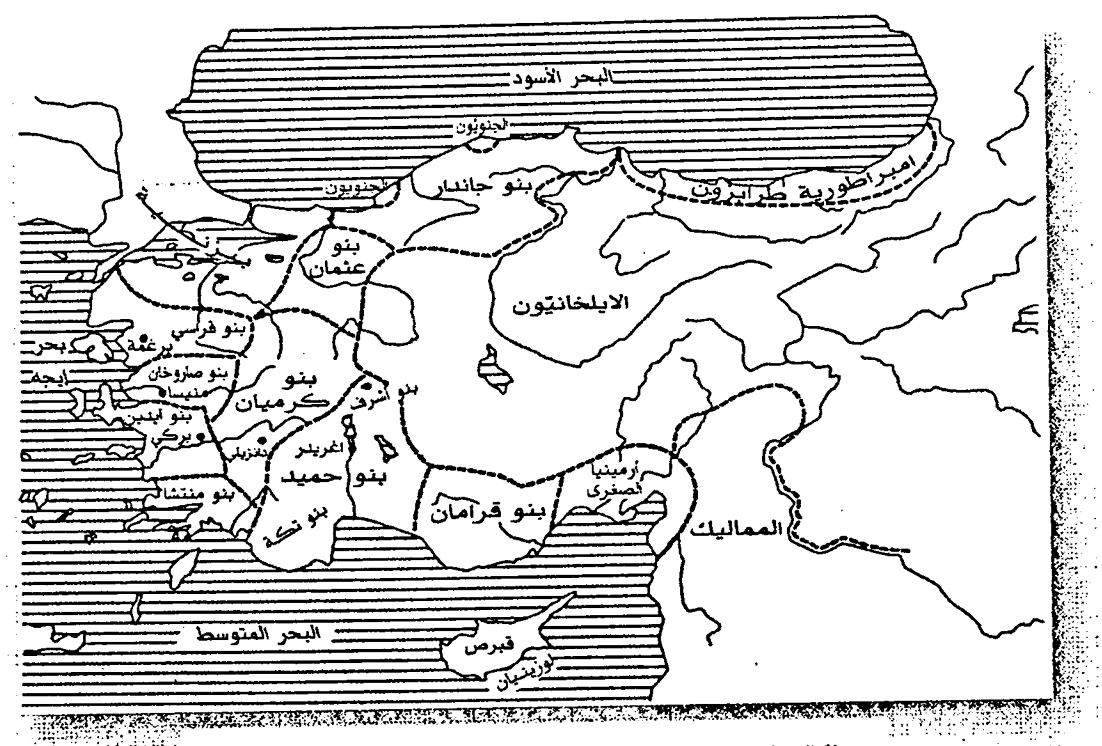
3 - في مخطوط الفاتيكان: من مال الوقف. وخلا الكرسي عشرة شهور وستة أيام.


الباب الرابع

البطاركة في العهد المغولي



دولة المغول الإيلخانيين (هولاكو وخلفائه) والإمارات التركية بداية القرن 14هـ/8م

فصل 75//
الجاثليق 75//
مكّيخا الثاني (1257 – 1265)

مكّيخا هذا الأب كان شيخاً طويل اللحية، ظاهر القدس، عفيفاً ذا حدة. وهو من أهل جوغباز من أعمال نصيبين. وصار عليها مطراناً.

[عاصر سقوط بغداد وصادق هولاكو]

ولما استناح سبريشوع حضر إيليا مطران جنديسابور لنطارة الكرسي، وكتب إلى الآباء بالحضور للاختيار. فلما اجتمعوا طلب كل واحد الرياسة لنفسه. فمن الناس مَن اختار إيليا الناطر مطران جنديسابور، ومنهم مكّيخا مطران نصيبين، ومنهم دنحا مطران أربل، والأقل مع عبديشوع مطران الموصل. وبقوا على مثل ذلك عشرة شهور وأياماً. وبعد خطوب كثيرة وضعوا خطوطهم بالرضا إلى مكّيخا مطران نصيبين.

وأسيم فطركاً بالمداين وعليه بيرون بنفسجي في خلافة المستعصم وذلك في الأحد الخامس من الصوم الماراني [وهي] سنة 1468 يونانية[1] [من آذار] بسرجاد جبب. وحضر الأسياميذ إيليا مطران جنديسابور السايوم، ودنحا مطران أربل، وعبدايسوع مطران الموصل، وعمانوئيل أسقف أرزن، ويوحنا أسقف ميافارقين، وإيليا أسقف الحصن، وشمعون

---

1 – في مخطوط الفاتيكان: سنة ألف وخمسماية ثمانية وستين.

أسقف الدشت، وجبرائيل أسقف حفتون، ومار نعمّه أسقف بادارون، وإيشوعياب أسقف بانوهذار، ويابالاها أسقف شوش، وإيشوعياب أسقف الحظيرة وهو كان الأركندياقون، وشمعون أسقف البوازيج. وقرأ الإنجيل على ظهره إيليا السايوم، وتمّموا الأسياميذ. وقدّس القدّاس مكّيخا الجاثليق الفطرك. ومضى إلى دير مار ماري السلّيح. وتقبّل هناك على الترتيب المستمرّ. وصعد إلى بغداد. ودبّر الكرسي أحسن تدبير.

وبعد أسياميذه بسنة [واحدة] انتقلت المملكة من الخلفاء بني العباس إلى المغول، وذلك على يد السلطان الأعظم مالك ملوك العرب والعجم هولاكوخان المعظّم. وفتح بغداد يوم الاثنين رابع شباط سنة ألف وخمسماية وتسعة وستين لتاريخ الإسكندر، الواقع في الثامن والعشرين محرّم سنة ستة وخمسين وستماية لتاريخ العرب وفاكة تلك السنة كانت دكبه والأساس/أ ل ف/، /ق د م ي ت ا/، [ألف أولى]. وأنعم هولاكوخان على هذا الأب وأعطاه دار الخليفة المعروفة بدار الدويدار التي على الدجلة حتى يسكنها. وعمّر فيها البيعة الجديدة [ورزق جاهاً عظيماً].

واستناح يوم السبت الذي بعد الأحد الجديد، وهو ثامن عشر نيسان سنة ألف وخمسماية وستة وسبعين يونانية بسرجاد يادد. وكان حاضراً في صلاته شمعون مطران الموصل، وعمانوئيل أسقف الطيرهان، وبريخيشوع أسقف [ثمانون و] الواسطة، ويوحنا أسقف الشوش، ويوحنا أسقف كمول، وجميع القسان والشعب ببغداد. وصلّوا عليه من عصر يوم السبت إلى عصر يوم الأحد. ودفن بالبيعة الجديدة التي بناها [بدار الخليفة].

وكانت مدّة رياسته ثمان سنين وخمس شهور وخلا الكرسي بعده

سبعة شهور وخمسة عشر يوماً.

فصل 76//
الجاثليق 76//
دنحا الأول (1265 – 1281)

دنحا هذا الأب كان حسن الشيبة، تام القامة، تقيّاً طاهراً، كثير العلم، عارفاً بأصول اللغة السريانية، محبّاً للعلم والتعليم. وهو من الرستاق [ببلد أشنوخ]. وصار مطراناً على أربل وحزة وهو دون الثلاثين سنة لتقاه وكثرة علمه.

[سلطان المغول يخلع على دنحا]

ولما استناح مكّيخا ورد مع الآباء للاختيار، فاتفق عليه جميع الآباء والمؤمنين، وكتبوا له بالرضى. ولم يخالف عليه أحد. ولما نهي ذلك إلى أبقاخان شرّفه بالخِلعَة السنية والفرمان والبايرة والجِتْر. وجاء في خدمته الأمير يعقوب والساعور بريخا وثلاثة أُمراء مغل، ولهم الإقامة والاولاق للركوب على الديوان أين نزلوا.

وأسيم فطركاً بالمداين، وعليه بيرون وردي يوم الأحد الثالث من قداس البيعة 14 يوم من تشرين الثاني سنة 1477 يونانية[1] وحصة الدايرة يبكدز. وحضر الأسياميذ السايوم إيليا مطران جنديسابور وشمعون مطران الموصل، وإيليا مطران باجرمي، ويوحنا مطران أدربيجان، وعمانوئيل أسقف الطيرهان، وهو كان الأركندياقون، وبريخيشوع

1 – في مخطوط الفاتيكان: خامس عشر تشرين الثاني سنة ألف وخمسماية سبعة وسبعين.

أسقف البوازيخ، وصليبا زخا أسقف أخلاط، وبريخيشوع أسقف ثمانون[1]، ويوحنا أسقف كمول، وإيشوعدناح أسقف ماردين، ومار نعمه أسقف باذيال وإيشوعزخا أسقف بابغاش، وعبديشوع أسقف معلثايا، وملكيشوع أسقف بانوهذرا، وشمعون أسقف التل، وبربري ومتى أسقف داسن وكان أسياميذه في غاية ما يكون من العظمة. وتقبّل في دير مار ماري الرسول [على جاري العادة]. وعاد إلى بغداد. وسكن في القلاية بدار الخليفة التي على الدجلة. ودبّر الكرسي أحسن تدبير. وأقام الأسكولات من ماله. وعمّر البيع والأديرة. وأحيا العلم بعد دروسه.

[المسلمون ينبشون مقابر دنحا ومكّيخا]

واستناح ليلة الاثنين وأوّل الصوم الماراني 23 من شباط سنة اثنين وتسعين وخمسماية وألف يونانية [بسرجاد حزز]، ودفن بالبيعة الجديدة. وكانت مدة رياسته ستة عشر سنة وثلاثة شهور. وخلا الكرسي بعده ثمان شهور.

ولما أخذت [أخذ] المسلمون هذه البيعة من النصارى أمروا أن تنبش المقابر، وتوخذ الموتى منها. فاجتمع النصارى إلى البيعة المذكورة يوم الخميس رابع عشرين ربيع آخر سنة خمس وتسعين وستماية هلالية الموافق بشهر آذار سنة ألف وستماية وسبعة يونانية، ونقلوا أجساد الآباء الذين كانوا في البيعة المذكورة وهما مكّيخا ودنحا وأتوا بهما إلى بيعة سوق الثلثاء. واغتمّ المؤمنون لذلك عظيماً، وصلّوا عليهما يوماً وليلة. ودفنوا مكّيخا في القنكي ودنحا في بيت العماد. وعُمل لهم في ذلك اليوم وهو يوم الجمعة ذكران [تام مثل ذكارين الآباء والقدّيسين] صلواتهم تحرس

---

1 – في مخطوط الڤاتيكان: الواسطة ويوحنا.

كافة المومنين آمين.

فصل 77//

الجاثليق 77//

يهبالاها الثالث المغولي (1282 – 1317)

يابالاها الثالث هذا الأب كان شاباً مليح الصورة، مختجر اللحية. ثم عمر في الكرسي حتى صار شيخاً هيوباً. وهو من الترك من بلاد الخطا.

[جاء من الصين لزيارة القدس]

ورد من بلده في خدمة الخان المعظّم. وكان سبب مجيه إلى هذه الأرض لأجل زيارة بيت المقدس. وكان قد أنفذ معه القان ثياباً حتى يعمّدها في نهر الأردن ويعبرها على قبر السيد المسيح. فحيث وصل إلى الأُرْدُو الأشرف، وعرض فرامينه وأحكامه على السلطان المعزّ ابقاقان، فقال له في الجواب الطريق ما هي آمنة، وأنتم لكم ذكر طايل، وقد طلع خبركم وشاع في كل البلاد، وأخاف عليكم. وكان معه رابه ومعلّمه الذي علّمه ومهره وتلمذه في الرهبنة اسمه الربان برصوما، رجل عالِم ماهر تام الخلقة طويل القامة مليح الشكل والصورة. فكان جوابه إذا كان الأمر على هذا فأنّا نمشي إلى خدمة أبينا وفطركنا مار دنحا الجاثليق، ونتبارك منه، ونعود إلى بلدنا. فحضر عنده في بغداد، وبقي مدّة طويلة، وصعدوا جميعاً إلى الأردو، وأسامه هذا الأب مطراناً على تنكت، وجهّزه، وأنفذه إلى بلده. فحيث كان الله سبحانه وتعالى قد اختاره للفطركة ما كان هل طريق للمشي إلى مرعيثه، فردّ إلى أربل، وسكن في دير [مار سبريشوع] باقوقا.

[راهب يتنبأ ليهبالاها بالجثلقة]

في بعض الأيام قيل له من بعض الرهبان الحبساء القدّيسين ليس قعودك ها هنا مفيداً تقوم تمشي إلى بغداد، لأن الله قد اختارك أن تدبّر بيعته، وإن الجاثليق تجده قد استناح، والفطركة إليك تصير.

وكان اسم الراهب الحبيس [الذي قال له ذلك] ربان سولاقا.

[مراسم سيامة معظّمة]

فتجهّز وحضر إلى بغداد يوم الاثنين أوّل يوم في الصوم الماراني، فوجد [الجاثليق قد استناح و]، الجماعة يصلّون عليه في البيعة، وبعد ما دفن[1] فصعد إلى البيم، وبكا بكاء شديداً، وقبّله في وسط فمه، وقبل الفطركة منه مثل ما قيل له واستبشر جماعة [المؤمنين] بمجبيه وقالوا [بأجمعهم] هذا هو جاثليقنا [وفطركنا]. وبعد أيام كتب جماعة الآباء وأهل بغداد له مخطوطهم بالرضا أنهم قد اختاروه. وتوجّه إلى الأردو الأشرف، ودخل إلى أبقاخان. ففرح به، وخلع عليه خلعة سنية مثمنة. وأطلق له إقامة كثيرة بشيء لا يحدّ من كثرته. وأنفذه ومعه أمير كبير معظّم اسمه أشمت من العظم [القاني]. ووصل إلى بغداد بالإكرام والتبجيل. وتجهّز وانحدر إلى دير المداين. وكان وصوله يوماً مشهوراً، وهو يوم السبت الذي صباحه الأحد الأوّل من معلتا، ودخل بيت الآباء، ومعه مارَ نعمّه مطران جنديسابور السايوم، وإيشوعزخا مطران نصيبين، وموشي مطران أربل، وجبرائيل مطران الموصل، وإيليا مطران باجرمي، وإبراهام مطران القدس، وإيشوعسبران مطران [الفالق و]، تنكت، وبريخيشوع

---

1 - عبارة عامية والمقصود أن البطريك لم يدفن بعد.

أسقف الطيرهان وهو كان الأركندياقون، وحنانيشوع أسقف أخلاط، وشمعون أسقف بلد والجصلونة، وإيشوعدناح أسقف ميافارقين، وجيورجيس أسقف معلثايا، وشمعون أسقف التل وبربري، وصليبا زخا أسقف باداورون، ويوسف أسقف سلماس، وجبرائيل أسقف الرستاق، وإبراهام أسقف أشنوخ، ومتّى أسقف داسن، ويوحنا أسقف شوش، وعمانوئيل أسقف الحصن، وشمعون أسقف أرزن، وقرياقوس أسقف أسقطرا، وأسيم فطركاً [بالمداين] يوم الأحد[الأوّل من قدّاس البيعة] وعليه بيرون فاختي سنة 1593 يونانية بسرجاد طكزج. وأسام في ذلك اليوم شمامسة كثيري العدد.

ولما خرج من المذبح صاعداً إلى البيم نشر عليه من [مثاقيل] خفايف ذهب، ودراهم فضّة شي كثير، وما كان لأحد في الهيكل موضع يقف من كثرة الشعب.

[نال من العزّ ما لم ينله بطرك قبله]

وانحدر إلى دير مار ماري [السلّيح] وتقبّل هناك على الرسوم المثبوتة، وصعد إلى بغداد، وعمل القبال، ونال من العز والجاه والسلطان ما لا ناله أحد من قبله، حتى إن ملوك المغول والقاآنية وأولادهم كانوا يكشفون روسهم ويتبرّكون قدامه. ونفذ حكمه في جميع الممالك بالمشرق. وأرتفع النصارى في أيامه إلى عزّ عظيم وجاه كبير.

[عودة الذلّ في آخر أيامه]

وانهبطوا في آخر أيامه إلى ذلّةٍ ردية، وتجدّد عليهم أخذ الجزية [والإهانة] واستمرّت إلى هذا التاريخ. وبنى ديراً عظيما بالقرب من مدينة مراغة. وفي

أيامه أخذت بيعة الجديدة والقلاية.

وتوفي في أيامه من ملوك المغول سبع قاآنية وهم أبقاخان، وأحمد سلطان، وأرغون خان، وكيختواخان، وبايدوخان، وقازان خان، وخربنداخان. وتولى أبو سعيد خان ابن خربند [خان]. وعمّر هذا الأب طويلاً.

واستناح يوم السبت ليلة الأحدالثالث من قداس البيعة وهو الثالث عش من تشرين الثاني سنة ألف وستماية وتسعة وعشرين [يونانية] بسرداد زحد الواقع في سابع رمضان سنة سبعة عشر وسبعماية عربية. ودفن في الدير الذي عمره على اسم مار يوحنا.

ولما تغلب المسلمون وأخذوا الدير، نُقل جسده إلى دير مار ميخائيل ببلد أربل. وكانت مدّة رياسته سبعة وثلاثين سنة. وخلا الكرسي من بعده ثلاثة أشهر وثمانية أيام.

[خلاصة في مجموع الفطاركة]

وجملة عدد الآباء الجثالقة فطارلكة المشرق [السالفين] من مار ماري السّليح صاحب الكرسي إلى هذا التاريخ [أعني وفاة ياباﻻها الثالث] اثنان وسبعون، سوى السعبة الذين وقع عليهم القاثاراسيس، وأسقط ذكرهم من بين الآباء، وذلك لأجل تغلّبهم وأخذهم الفطركة بالسلطان قهراً من غير اختيار الآباء والمؤمنين.

[المطارنة وكراسيهم]

وأما مطارنة فطرك المشرق [فهذه ذكر أسماء] كراسيهم [كل واحد

على مرتبته] آ فأولهم هو مطران جنديسابور، وهو صاحب اليمين والذي يسيم الفطرك باتفاق الآباء والمؤمنين. ب مطران نصيبين. ج مطران البصرة. د مطران الموصل واثور. . مطران أربل وحزة. ومطران باجرمي. ز مطران حلوان. ح مطران أورسام. ط مطران الرها. ي مطران فارس. يا مطران مرو. يب مطران هراة. يج مطران فطربه. يد مران الصين. يه مطران الهند. يو مطران بوذع . يز مطران دمشق. مج مطران الري. يط مطران طبرستان. ك مرطان الديلم. كا مطران سمرقند. كب مطران تركستان. كج مطران حليح؟ كذ مطران سجستان. كه مطران خان بالق والفالق. كو مطران تنكت. كز مطران كشغر ونواكث.

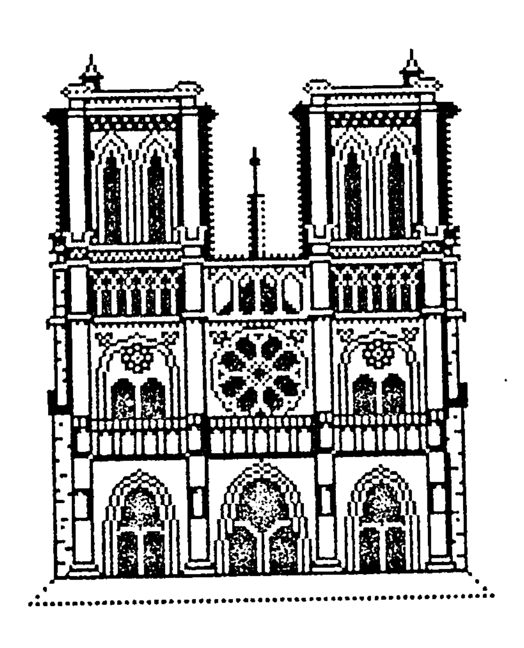
وكل واحد من هؤلاء المطارنة له أساقفة. فمنهم مَن له اثني عشر أسقفاً، ومنهم مَن له ستة [أساقفة. وأما] أصحاب الاختيار وأسياميذ الفطرك فهم سبعة: مطران جنديسابور ومطران نصيبين و [مطران] البصرة و[مطران] الموصل و[مطران أربل و [مطران] باجرمي و [مطران] حلوان.

[البطاركة على إيمان واحد منذ الرسل]

وهؤلاء الفطاركة المذكورون [جميعهم] كانوا على رأي واحد وأمانة واحدة واعتقاد واحد. وهو الذي قبلوه من الرسل القدّيسين، والنسبة بينهم من ذلك العهد إلى الآن واصلة متصلة بالتسليم من واحد إلى الآخر [بالتواتر المذكور وبيانه أنه] لم يدخل بينهم أريوسي ولا مناني ولا مخالف ولا مَن ابتدع بدعة في الدين أو غيّر شيئاً في الأمانة. وهذا أقوى شاهد لنا على صحة أمانتنا، [والبرهان] على أنها قديمة في الدين المسيحي رسولية معتبرة ومختارة بشهادة مار فطروس الرسول [المفضل]؛ وتسليمه على ما

أوضحناه من قبل نقلاً عن رسالته وصحة تواريخنا و [التسليم الصحيح] من مار توما ، ومار أداي، ومار ماري تلاميذ السيد المسيح لذكره السجود والتسبيح.

وإذ قد أتينا على ذكر فطاركة الكرسي المشرقي. والواجب أن نتلو ذلك بفصول مختصرة مِمّا وضعوه في [إثبات] الأمانة، [وإيضاح] الاعتقاد، وفي التوحيد والتثليث، والاتحاد في أوقات المناظرات، والجهاد أمام الملوك [والسلاطين والمعاندين] الشداد والمخالفين القايمين بالقهر والعناد. وأثبتوا لديهم حقيقة الدين المسيحي. ونادوا بصحته على رووس الأشهاد. [وهذا كافياً فيما أردنا بيانه. والشكر لله ربّ العباد].






القسم الثالث

أسفار الأسرار

لصليبا بن يوحنا الموصلي

(أبرز نصوصه وأسفاره)




فصول القسم الثالث:

1 - رسالة البرهان والإرشاد.

2 - في توحيد البارئ وصفاته.

3 - اتحاد كلمة الله بالبشري.

4 - الشهادات على ناسوت المسيح.

5 - الشهادات على لاهوت المسيح وناسوته.

6 - منتخبات من البرهان لتصحيح الإيمان.

7 - رسالة في الأبوّة والبنوّة لِمار مكّيخا.

8 - في التوحيد والتثليث لعبديشوع مطران نصيبين.

9 - رسالة مار مكّيخا البطريرك في حقيقة الديانة.




أسفار الأسرار

- 1-

السِفر الأول

رسالة البرهان والإرشاد




مواضيع السفر الأول:

-عنوان الرسالة وغايتها

عنوان الرسالة

أدعية المؤلّف

الغاية وحدة المسيحيين

-روابط الوحدة

الأب واحد والمخلّص واحد

أسرار الكنيسة تجمع المسيحيين

وحدة التقاليد والمعلّمين

عصر الكنيسة الذهبي

-الانقسام من الشرير

مخطّط إبليس

صولة إبليس في الشرق

-الاضطهاد الأربعيني

إيحاء شرير وصمود مسيحي

صمود المسيحيين

الجاثليق شمعون يثبّت المؤمنين

خطبة شمعون برصباعي

استشهاد شمعون الجاثليق

-مواقف خطأ من النساطرة

مزاعم باطلة بشأن عقيدتنا

برصوما وعقيدة النساطرة

-تهم اعتباطية موروثة

أسباب ثلاثة للتهم

-خاتمة: دعاء من أجل الوحدة

[عنوان الرسالة وغايتها]

[عنوان الرسالة]

السِفر الأول يشتمل على هذه الرسالة، المقدّم ذكرها رسالة البرهان والإرشاد إلى المحبّة، ثمرة الدين والاعتقاد:

كُتِبَت بالإلهام السماوي على سبيل التنبيه والمعاتبة، من [قِبَل] المَشارقة المحبّين المخصلين إلى إخوتهم المغاربة، مطرّزة [بِـ] الشكر والثناء والتسبيح لربنا وإلهنا يسوع المسيح.

[أدعية المؤلّف]

السلام الكريم الناجي الذي جاد به علينا وأسداه، ليبقى معنا دائماً نتعاطاه في قبائلنا ونتهدّاه، يكون معنا ومعكم أجمعين، حافظاً ومُسعداً ومعيناً، ما دامت الأيام والأشهر والسنون، من الآن وإلى دهر الداهرين، آمين.

يا أحبّتنا الموافقين لنا بالبشرية من البداية الأوّلية، وإخوتنا الموافقين معنا بالولادة الروحانية من ماء المعمودية، أحسن الله بالأعمال المرضية توفيقكم، وسهّل إلى الخيرات الأبدية طريقكم، وأسدَلَ عليكم ستور العِصمة، وضوّأ [أضاء] قلوبكم بنور الحكمة، وأجزل لديكم مواهب النعمة، وأنزل عليكم سحائب البركات والرحمة، ورزقكم وإيانا في الدنيا الزيادة والنماء، ومنحنا وإياكم في الآخرة ملكوت السماء.

[الغاية وحدة المسيحيين]

يحيط عِلمكم الكريم، وعقلكم الصحيح السليم أن المباعدة والمجانبة يجعلان الأخ لأخيه ناسياً، والمُماقتة والمُباغضة يُصيّران القلب الحنون قاسياً.. وضدّ ذلك المعاشرة بالأنس والمحابَبة، والمباشرة بالمودّة والمصاحبة. من البيِّن أن تلك من فعل الثلاّب عدوّنا الغاوي، وهذه من العمل بما يريده أبونا السماوي. فإذن من الواجب هَويت الصلح واستعطاف القلوب، والمبادرة إلى المؤانسة وبسط العذر، ولو بالمكتوب.

[روابط الوحدة]

[الأب واحد والمخلِّص واحد]

لا سيّما وكلّنا من أولاد أبينا آدام وأمّنا حواء، ونحن من فرد لحم وفرد دم[1]، وأولاد نوح من بعد الطوفان، ثم أولاد إبراهيم بالإيمان والمسيح ابتاعنا بدمه الزكيّ من الخطيئة، وخلّصَنا من أَسر الشيطان والموت والخطيئة وسلّم إلينا العهد الذي لا يزول، والميثاق الذي لا يتغيّر ولا يحول.

[أسرار الكنيسة تجمع المسيحيين]

وهما المعمودية المقدّسة والقربان، وأقرن بهما الرجاء والمحبّة والإيمان، وفضّل المحبّة على قرينتهما، وأكّد وأنذر بذلك من بعد فولوس المؤيّد. وأرشد وأثبت ذلك في إنجيله المقدّس مع باقي الأسرار، وأشهد به تلاميذه

---

1 – تعبير عاميّ لا يزال مستخدماً إلى اليوم في العاميّة ويعني أننا من لحم واحد ودم واحد.

ورسله الأطهار، وقال لهم: انطلقوا إلى كل البريّة وتلمذوا سائر قبائل الإنس، وعمّدوهم باسم الآب والإبن وروح القدس[1]. فالذي يؤمن ويعتمد يحيا حياة الأبد يقينا، والذي لا يؤمن يُشجب ويدان مع صافقة المنافقين[2]. ولم يجعل في ذلك تخصيصاً لأحد من الناس، من سائر اللغات والأشكال والأجناس. فخرجوا بعد ما أيّدهم بروح الفارَقليط إلى كل الجهات، وعَمِلوا الآيات والعجائب وفنون المعجزات، وساحوا ونادوا في البلاد، وتلمذوا وعمّدوا العِباد، وأعطو الأمانة الصحيحة تسليماً كما جاء في الإنجيل والرسائل، بأوضح البراهين القاطعة وأقوى الدلائل. فصرنا نحن وأنتم والجميع في ذلك سواء، بلا تعصّب أو تحامل ولا ميلٍ مع الهوى، ولم يبقَ في ذلك تبايُن ولا شتات، ما خلا بُعد البلاد واختلاف اللغات ولا لأحد على أحدٍ افتخار وتقدُّم واضح إلاّ إن كان يفعل الخير والعمل الصّالح، كما قال فولوس الرسول لِكُلّنا: "لا يفتخر من يفتخر إلاّ بربّنا"[3].

فمِن ذلك العهد لم نبرح وإياكم موافقين، وعلى هذه الأسرار المقدّسة متّفقين.

[وحدة التقاليد والمعلّمين]

ومن جملة محبّتنا الصادقة فيكم، تركنا لنا كثيراً ممّا ينافيكم، أعني من الرسوم والزّيّ وفرائض مأثورة، مما هي لديكم من ترتيب وعادة مشهورة. وأخذنا الحَيف كله علّينا، وحملنا من الأشياء ما عادت مَضَرّتُه علينا. ولم يكُن فعلنا لما ذكرناه خوفاً ولا نفاقاً، إلاّ رغبةً في تأكيد

1 - متى 19/28.
2 - مرقس 15/16 - 16.
3 - كورنتس 31/1.

المحبّة ودوام الاتفاق. ويكفي شاهداً في صدقنا حرصُنا والجهاد، من نَقْل كتب كل معلّم وُجد عندكم من ذوي الفضل الآباء الجياد، مِثْلَ غريغوريوس(1) وغريغوريوس(2) وإيوغريس(3) وتادوروس(4) ويوانيس(5) وباسيليوس(6) وغيرهم من الآباء الفضلاء والرُّهبان، الذين جُلّ كتبهم عندنا مشهورة نقرأها ونشرحها إلى الآن. وما فعلنا ذلك عبثاً، ولا كان أيضاً لعِن مثلهم في السُّريان، لكن لما وجدناهم مِن ذوي العِلمِ والفضل والإيمان، ورأينا إيمانهم مطابقاً لإيماننا الصحيح، الذي أخذناه من الرسل الأطهار مار أداي ومار ماري ومار توما السّليح، فأوجبت لذلك النصفة والمحبّة ودعت أوامر الدين، إلى الاعتراف بفضلهم وبث ما قالوا من الحق اليقين. ثمّ نُهدي الشُّكر كما يصلح لمثلهم، ونكتب أسماءهم مع الآباء الراشدين، لعلمنا أنَّ مَن عاند الحق ليس له يقين ولا دين، لكنه منسوب إلى الظُّلم ومحسوب مع صافقة الجاهلين. ولقد كنتم أنتم أيضاً في ذلك الزمان، كثيراً ما تستعملون من أقوال عُلماء السريان، وأسماؤهم عندكم معروفة، وأقوالهم بينكم مشكورة موصوفة.

---

1 –هو غريغوريوس النازيانسي الملقّب باللاهوتي بطريرك القسطنطينية (ت390).

2 – غريغوريوس النيصي (ت394) من كبار معلمي النسك المسيحي شقيق القدّيس باسيليوس الكبير.

3 – إيوغريس البنطي (ت399) ناسك يوناني الأصل. عاش في برية مصر. له مؤلفات نسكية ترجمت إلى السريانية فكان لها تأثير واسع.

4 – هو تيودورس المصيصي (350 – 428). اعتبره نسطور معلّماً له. لقّبه النساطرة بالشارح لشروحه للكتاب المقدّس.

5 – يوانيس هو يوحنا فم الذهب (ت407) بطريرك القسطنطينية كان صديقاً لتيودورس المصيصي.

6 – باسيليوس الكبير (319 – 379). من كبار محاربي الآريوسية. مؤسّس النظام الرهباني البيزنطي.

[عصر الكنيسة الذهبي]

وكلّ منّا كان يُحب الآخر مثل نفسه، ويخيّره على يومه، ومهما كنا كلُنا على هذه السيرة، كانت ذنوبنا قليلة وخطايانا يسيرة، وعقولنا بنور الحق والإيمان مهذبة مستنيرة، ونِعم الله علينا فائضة غزيرة. وكان يَظهر فينا وفيكم قدّيسون وقدّيسات، فاعلو العجائب والآيات والمعجزات، فكانت تقوى بسببهم الأمانة، وتَحْسُنُ الديانة، وتكْثُرُ الخيرات، وتدُرُّ البَرَكات، وينصلح حال العِباد، وتتعمِر البلاد، لقلّة الجَوْر والفساد، وعدم البغي والعِناد. واستمرّ الناس في طيبة العيش الهنيّ راتعين، مستقرّين في أوطانهم آمنين، وهم بتقوى الله متفاخرون، وفي عمل الخير مُتناظرون، هكذا مئاتٍ من السنين.

[الإنقسام من الشرير]

[مخطّط إبليس]

إلى أن لحظ الشيطان ما هو الناخر الذي يؤول إليه هذا الحسد كالمذعور، كأنه كان في عقله السوء نائماً مخموراً، ونادى في جميع جنوده، بإحضار شباكه وفخاخه وقيوده، وعلّمهم الحيلة في نصبها والحيلة في وقت الإقتناص، والتصيُّد بها ورميها على العامّ والخاصّ، من العلماء والزاهدين الخواص. وأَمَرَهُم بالمبادرة والجهاد، وَرَمْيِ الفِتَن والمشاجرة والعناد، بين الأكابر والأصاغر والعقلاء والجياد، وبين الآباء النبلاء والإخوة والأولاد، وبالأزيد بين أولاد الكنيسة، وأصحاب المناصب منهم والرُّتَبِ العالية النفيسة.

[صولة إبليس في الشرق]

ثمّ من بعد ما فرغ من تعليمه الغدّار اللعين، ومن وصيّته للأشرار الملاعين، في الحال والوقت أخذَهم وسار، في أشرف جهةٍ من النواحي والأمصار، أعني المشرق، أوّل النواحي وأنفَسَ الأقطار، لكونها مصدر الضياء ومَطلَع الأنوار، ومحلّ الأولياء والأبرار، وهتَفَ بالحيَل في عساكره وجيوشه، ونادى بالويل في معاركه وعُكُوشه، وقال "اصحوا" يا جميع الأبالسة، ومعشر المَرَدَة من الجنِّ والعفاريت الأشارسة. إنّ هذه النوبة ليست كالبواقي، وبعدها لا أظنُّ أن يبقَى لنا تَلاقٍ. حذارِ حذارِ لا تغفلوا، وتَفَطّنوا ماذا الذي تفعلون: لأنكم إن انتصرتم، فيا لها من نصرة الفخار، وإن كان بالعكس، فيا لها من كسرة العار والاندثار. ها دونكم وإياهم، لأنه ليس لكم عدوّ مبين سواهم. فانتشرو كالجراد، وتفرّقوا في البلاد، وبادروا بالفساد، على ذوي التقوى الزُّهّاد والعِباد، وعلى الرُّهبان في الأديرة والأعمار، والذين في المَغاير والبراري والقِفار، وعلى كلّ فطرك وقدّيس، وأُسقُفٍ ومطران نفيس، وكلٍّ شمّاس وقسّيس، وكلّ علماني رئيس، وابلوا المجهود في جهادهم، وحرّضوا عليهم أعداءهم وأضدادهم. فلمّا قبلوا من الشرّير هذه الأوصاف، بادروا إلى افتعالها وزادُوا عليها مثلها أضعافا.

ولم يقتدروا على إفساد شيء من أصول الأمانة، ولا على تغيير فصل من فصول الدّيانة، ولا أيضاً من إثارة فتنة مضرّة في الدين، ولا من رمي بُغيته مرّة بين المؤمنين، فخاب ظنّهم واليقين، في جميع ما كانوا عليه عازمين.

[الاضطهاد الأربعيني]

[إيحاء شرير وصمود مسيحي]

فانقلبوا نحو ملوك الفرس، وأهاجوهم على النصارى بالقهر والغضب باليد القاسرة، واستباحة أموالهم والأملاك، وتعرّضهم للإهانة والإذلال والإهلاك، وغضبهم على دينهم الصحيح، ونقلهم من محبّة السيد المسيح، إلى عِبادة النار التي كانوا يعبدون، واعتقاد ما كانوا يعتقدون.

[صمود المسيحيين]

فَبَذَلَ المؤمنون أموالهم للكفّار وما كفى، حتى أبادوهم بالقتل، وما انثنوا عن الحق ولا خافوا الحُنفاء، وعذّبوهم بأنواع العذاب، ولم يميلوا عن سبيل الصّواب، ولا وُجِد فيهم مَن تخلّى عن دينه، أو رجع عن حقيقة يقينه. ومن بَعْضِ بَعْضِ الذي نالهم، من بعد أخذ أملاكهم وأموالهم، أنّ كِسْرَى شابور الجُنُودي، بشدّة كُفْرِهِ وتحريضِ وزيره اليهودي، قَتَلَ مِن المؤمنين بالمَسيحِ مائة وثلاثين ألفاً في فَرْدِ عام، منَ الأكابرِ والأعيان والرُّؤَساءِ والعَوامّ.

[الجاثليق شمعون يثبّت المؤمنين]

وفي تمام تلك السنة يوم جمعة الآلام أحضر الفطرك القدّيس والجثليق النفيس، مار شمعون بن صباعي (ذِكرُهُ للبَرَكَة والإكرام) إلى كَرْخِ ليدان، مع ستين ألف إنسان، ومائةٍ وثلثة أنفار من أُسْقُفٍ ومطران. وأمَرَ أن يُناديَ فيهم مُنادٍ: "هكذا إني مقسم بآبائي وأجدادي: إن كنتم تعبدون آلهتي وأبدادي، وترجعون عن المسيح اتخذتكم مثل إخوتي وأولادي، وأُوليلكُم من الإحسانِ غاية ما تشتهون، وأُنعمُ عليكم بجميع

ما تُحبّون وتهوون. ومَن منكم خالف على هذا الكلام، عبّرته على حدّ الحُسام". فأجابوه بصوتٍ واحدٍ قائلين: "اعلَم وكُن مِنّا على يقين، أننا لهذا القول غير قابلين. ولا تزعم أنك كما أخذت الأموال، تقدر [أن] تأخذ الدين، ولا تُطمِع نفسك فينا بالمِحال، وتُكثر معنا وفينا القِيل والقال، وتظنّ أن نرجع عن عبادةِ صاحب السَّموات، ونتْبَعَ عِبادَةَ عَبيدِ الشهوات". فلمّا سَمِعَ ما يقولون، غضب وانزعج وأمر أن يُقتَلوا. وكلما كان السيّاف المشهور، يُشتّتُهُم ويقتل، والأبُ المذكور. يُشجّعُهم ويعذِلُ.

[خطبة شمعون برصباعي]

ويقول في ضمن وعظِهِ وعذْلانِه، وفصاحةِ لفظِهِ ولسانه: "يا معشر الإخوةِ بالمعموديّة، والأولاد بالنسبة الروحانية، لا يشغلنكم العلائقُ البدنيّة، وتعُوقكُم الإراداتُ الدنيّة، عن الوصول إلى اللذات الدّائمة والحياة الأبديّة. لأن الوقت قد ضاق عن الإنذار بتمام الوصيّة، والشيطان عدوّ الطبيعة البشرية، لم يزل من البداية يُغوي القلوب بالمِحَن، ويُقيمُ الشرور ويزرع الفِتَن، ويصرعُ الأبطال والجبابرة، ويُعدِم إلى العِبادِ نعيمَ الآخرة. فكَم مِن قدّيس صدَّعه، ومن حَبيسٍ في حبائل شباكه وقّعه، وكم مِن شَمْلٍ مُجتَمِعٍ فرَّقه، ومن ملتئمٍ مزّقه، وكم من واصلٍ أغواه ومِن عاقِلٍ أطغاه، وكم من مُعاندٍ عنيد حرَّضهُ على الشرّ وقوّاه، وأزاغه عن الطريق المستقيم، وعدَلَ به عن سبيل الحقّ اليقين، وحَسَّن له الفِعلَ الذَميم، حتى صوَّبَ له الثباتَ عن القَبيح، وحَمَلَهُ الغَي على الإساءة والتقبيح، وزاده بالجَورِ والظُلمِ تقبُّحاً على القتل والفَتكِ وسَفْكِ الدِّماء، كما قد جرى علينا الآن مِن الظُّلم المشهور، في أيام دولةِ الملك شابور. ألا لا يُهْوِلْكُم أمره، ولا يُسكِركُم خمره، وكونوا في يقظةٍ ولا تغفلوا،

وبشيء من أحوالِ هذه الدنيا لا تجفِلوا، وبها وبما حَوَت من القنايا لا تبخُلُوا، ومِنَ التوعّد والتهديد لا تجفِلوا، واطلبوا رضا ربّكم، ومن الموت لا تجزعوا. ولا تدَّخِروا لكم في خزائن القلوب غير حُبّ المسيح، ولا تقتنوا من الدنيا ومن جميع الأشياء غير الإيمان الصحيح. ولا تُزعجكم نار الأهوال، إذا تأجّجت وشبّت، ولا تُذهلكم عقارب الأقدار، إذا انزعجت ودبّت، ولا تتقلقل عزائمكم من عواصف رياح الوعيد،إذا هبّت، ولا تتعرقل هِمَّتُكم عن طلب محبّة المسيح ربّكُم، إذا سَكَبَتْ عليكم غمراتُ الشدَّائد وصبَّت، لتتلذّذوا معه في رِواقات قصور الأبد، في النعيم الذي لا تراه عينٌ ولا سَمِعَت به أُذن ولم يخطر على قلب أحد".

فأجابوا كلّهم قائلين: "استجاب الله صلاتك وتقبّل أقوالك! آمين. ونسألُكَ الزّيادة من وعظك الرائق الشجيّ، لِنُرشَد به إلى نيل ما نأمل ونرتجي". قال:

"انظروا، يا إخوة، إلى المسيح ابن الله ربّنا المعبود. كم احْتَمَلَ من أجلكم وما لاقى من اليهود. وكم عَمِلَ أمامهم من العجائب والمعجزات، مثل شِفاء المرضى وإقامة الأموات، وهم مع ذلك له مكَذّبون ولأفعالِه جاحِدون. وحَمَلَهم الشيطان على رُكوب الهوى والعدوان والغَي في الضّلال والطُّغيان، حتى تهجّموا عليه وصلبوه عُريانا. واحتمل بسبب خلاصنا الآلام الصعبة ولم ينزعج ولا رُؤِيَ غضبانا، بل طَلَبَ لهم من أبيه العفو والغفران. ثمّ إنهم أماتوهُ وقبروه، وقام من القبرِ حيّاً، ولم يُصدّقوه، حتى أجمعوا على أنّ كل ما يذكُرُه أو يشكُرُه يحصبونَه ويرجمونه. والرُّسل الأطهار أيضاً تأمّلوا أمرهم طويلاً: فإن منهم مَن مات قتيلاً، ومنهم مَن قُتِل مَصلوباً، ومنهم مَن صُلب مكبوباً، ومنهم مَن قُبِر محصوباً، ومَن قُتِل مضروباً. وصبروا على كلّ هذه، وما انثنوا عن الحق، ولا دَمْدَمُوا وقدَّموا خوفاً من

الخلق، بل كانوا في جهادهم مَسرورين، وهانَ عليهم العذابُ والموتُ لأجل تثبيت الإيمان ونصرةِ الدين. فكم أوْلى بنا نحن المساكين، أن نتشبّه بهم ونكون في مآثر سعيهِم سالكين، لنحظى بما حظوا، ونَخْلُد معم في دار البقاء ساكنين. فكونوا، يا أولادي، على هذا العهد ماسكين، وبحصول هذه المواعيد الصادقة واثقين، وارفعوا معنا السؤال والدعاء إلى المسيح مخلّص العالمين، أن يُثَبِّتَ بروح القدس نفوسنا على الحق اليقين، آمين.

[استشهاد شمعون الجاثليق]

ثمّ إنّ من بعد ما قَبِلُوا الشهادة كُلُّهم بلا تأخير، استشهد هذا القدّيس مَعَ أساقفته على الأخير. وفي تلك الليلة أمر ربُنا الريح فهبَّت، وحَمَلَت تُراباً طاهراً من الأرضِ المقدّسة وصبّت، وجَعَلَتْهُ تلاً عالياً على أجسادِ الشهداء الأطهار، من قبل أن يُصبح الصباحُ ويطلع النهار، كي لا يُهانوا ويهزأ بهم قبائل الكفّار وها هو إلى الآن تلّ رفيع عالي الأبعاد، مشهور بالآيات والمعاجز في تلك النواحي والبلاد. ومع كلّ الذي يأتي لهم من هذه الأوصاف، لم يكُن فيهم أحدٌ جَحَدَ دينه وخاف، بل كانت الأمانة تنمو، والمؤمنون يزدادون أضعافا.

فلَما رأى الشيطان أنه قد خزي، ومَن كلّ الذي رام البتّة شيئاً منه ما رزئ، وأنه لم يقدر عن إفساد شيء من أصل الأمانة، ولا مضى من تغيير قواعد الديانة، ولا على إظهار بدعةٍ في الدين [....].

[مواقف خطأ من النساطرة]

[... منهم مَن يُبْلِغ] أصحابهُ الذين يتولّى رئاستهم ذنوباً بشعة غير

صادقة يبدعها بحسب ما يتفق له ويجري بها لسانه ويُقَوِّم في عقله اختلافه.

[مزاعم باطلة بشأن عقيدتنا]

فمنهم مَن ادّعى بمِحالِه ونَسَبَنا إلى أريوس الإسكندراني المارِقِ الذي كان أطغى أمماً كثيرةً ببلاد الروم، وأحرمه الآباء الثلثمائة والثمانية عشر.

ومنهم مَن ادّعى بتمقيلِه علينا أننا نعتقد في السّيّد المسيح أنه كان ناقصاً وتكَمَّل بعد العِماد من يوحنّا.

ومنهم مَن يَتَقَوَّل بالمِحال ويقول إننا نُبغض السيّدة البتول الطاهرة، بل ونجحدها ولا نذكرها في صلاتِنا، ولا نجعل قُونَتَها في بيعَتِنا.

ومنهم مَن يجزف القول لعنيا ويتحامل مثل ما اعتمده سعيد بن بطريق، ومِثل ما أورده سيوري بن المقفّع أُسقُف الأشمونَين في الديار المصريّة تزيُّداً علينا، لا نعرفه ولا نعتقده، وكلاماً أبدعه واعتقاداً أظهره عنّا، ولم نعرفه ولا نعتقده.

ويَقْبُحُ على مقدَّم أمّةٍ ان يتقوّل بغير الصحيح. فكُلُّ مَن يتقوَّل بغير الصحيح بحسب غرضه، هو يعطي الجواب قُدّام السيّد المسيح على واحدةٍ مِمّا أبدعه عنّا، ونحن منه بريئون، فلا يتوجّه علينا من ذلك ذنبٌ ولا وِزرٌ بل الثواب لأنّ السيد المسيح، (لذكره السُجود والتسبيح) يقول في إنجيله المقدّس: "الطوبى لكم إذا قرفوكم بكل قبيح من أجلي كذباً. فافرحوا، فإنّ أجرَكم كثير، وثوابكم جزيل في ملكوت السماء" (1).

---

1 – متى 11/5 – 12.

[برصوما وعقيدة النساطرة]

ومنهم مَن يدّعي ويقول إنّ أمرنا كان قد بَطَلَ، ثم جدّده برصوما مطران نصيبين، ومما يدلّ على تحامله أنه أورد ذلك بقولٍ مطلق بغير دليل ولا شاهد على ماحدّثته نفسه.

ولم يعلم أن قوله ينتقض ويبطل بكتاب آبائنا البطاركة القدّيسين الذي يتضمّن اسم كل منهم وبلده، ومتى تقلّد الأمر وكم عاش، وأين دُفن ومَن صار بعده، وكلّ ذلك بتواريخ ومُددٍ محصورة، وسنذكرها، إن شاء الله، وكان أيضاً مما يلزم مثله لو كان منصفاً أن يبيّن أننا لمّا بَطُلَ أمرنا ما كان مِنّا، وإلى أي مذهب انتقلنا حتى تَجَدَّدْنا بمطران نصيبين.

[تهم اعتباطية موروثة]

وُكُلُّ واحدٍ على حسب غرضه وعلى قدر ما يتصوّرُ له من الكلام يجزف، ويقول لثقته من أصحابه بقبول جميع ما يقول من ثلب الناس المؤمنين وسبّهم والتمقيل عليهم. فيأخذونه عنه تقليداً بغير بحث ولا فكر. فيتلقّن ذلك الأولاد ويتقرّر في نفوسهم من صغرهم، وينتقل أيضاً إلى الخواص فيُشاركونهم فيه مَيلاً مع الهَوَى، فتتقرَّر البغضة في القلوب من الصِّغَر بمِحالٍ لا أصل له، ويبقى فيهم وراثة.

وفاعلو ذلك يقصدون به أن يتمحَّلوا لنا ذنوباً، وينسِبوا إلينا أشياء بشعة، حتى يظهروا أنهم عُلماء، وينفروا قلوب أصحابهم عنّا ليفرّقوا بيننا وبينهم، ويوحِشونا في أعيُنهم على سبيل نصرة الحِزب، وارتباطاً لهم فيهم، وتثبيتاً لرئاستكم عليهم، واجتلاباً لأمور الدنيا ومنافعها ولَذّاتها الفانية.

ولمِثلهم قال المخلّص: "أحبّوا مجد الناس أكثر من مجد الله" [1].

[أسباب ثلاثة للنهم]

وبالجُملة فإن فاعل ذلك، كائناً مَن كان، لا يخلو أمرُهُ من أحد ثلاثة أشياء:

إما أن يكون حبّ الدنيا، كما قلنا، غالباً عليه لأجل اجتذاب المنافع والتظاهر بالرئاسة والعلم والمعرفة بأمور الدين وهو منها بخلاف ما يظنّ.

وإمّا أن يكون غير مصدّق بالدَّيْنُونة وغير مكترث بما في الإنجيل المقدّس من الوصايا والإنذارات، فإنه يقول: "الطوبى لفاعلي الصلح، فإنهم يدعون أبناء الله" [2]. وفي مكان آخر: "اعملوا الصُلح والسلام مع كل أحد، وإن أمكن فمع عدوّكم". ويقول: "الويل للرجل الذي تجري الفتن على يده" [3]. ويقول: "كلّ كلمة بطّالة يتقوّلها الناس يطالبون بالجواب عنها في يوم الدين" [4].

وإما أن يكون العَدُوّ الطاغي قد حَسَّنَ له ذلك، ليلقي به البغضة والخُلف في بيعة المسيح ورعيّته، ليخالفوا الأوامر فيُعدموا الأجر والثواب ويأثموا فيخرجوا من صيامهم وصلاتهم فارغين.

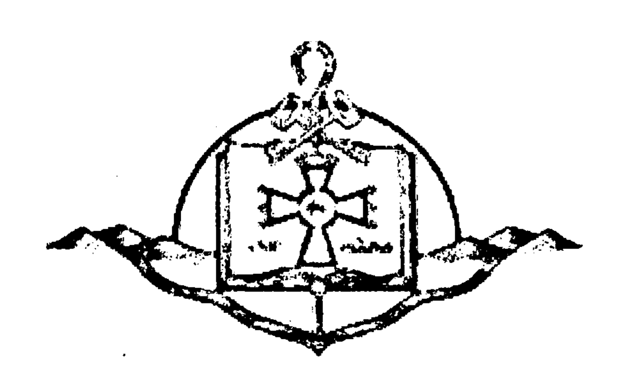
[خاتمة: دعاء من أجل الوحدة]

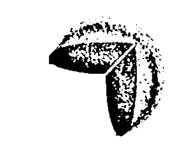
فنسأل الله أن يزيل من بيعته ورعيّته ما أحدثه الشيطان من الخلاف والبغضة الرديئة، ويزرع الألفة والمحبّة بين أولاد المعمودية، ويثبّتنا على ما

---

1 - يوحنا 43/12.
2 - متى 9/5.
3 - متى 7/18.
4 - متى 36/12.

فـي قلوبنا من التحنُّن والمحبّة لسائر طوائف ملّة النصرانية، الذين انتهزَ الشيطان الفرصة فيهم بوقوعِ الشقّاق بينهم للأغراض الدُّنيوية. والطوبى لِمَن يُرزق ويوفّق لأن يكون الصلاح والصلح على يده، الألفة والمحبة بواسطته. فإنَّ له ملكوت السماء والخلود في النعيم الذي لا ينقضي ولا يفنى. والله يهدي كُلاً إلى الحق بإرشاده، ويُلْهِمُهُ العمل بمُرَادِه، والاستعداد لِمَعَادِهِ، برحمته وفائض إحسانه، وَجُودِهِ ورأفةِ حنانه، آمين.



أسفار الأسرار

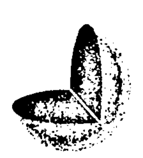
- 2 -

سفر 5″/أصل 2″/فصل 2″

في توحيد البارئ وصفاته

(من كتاب أصول الدين)

لمار إيليا الجاثليق

مواضيع سفر 5 / أصل 2 / فصل 2:

-غرض الكتاب
-وجود الله وأزليته
أ – الله موجود
الكائنات البسيطة: ما يُدرك بفعله
-الله يشاهد في أفعاله
ب – الله أزليّ
-صفات الله الذاتية
1 – هي ثلاث
الله أزلي، حيّ، ناطق
لله روح ونطق
الله ثلاثة أقانيم
2 – تسميتها عند النصارى
الذات والكلمة والروح
الآب والابن والروح القدس
الله ثلاثة اقانيم وجوهر واحد
تحديد القنوم
الأقانيم الثلاثة إله واحد
البراهين الفلسفية على وحدانية الذات وتثيث الصفات
شهادات الكتب المقدسة على وحدانية الله
1 – من العهد الجديد
2 – من العهد العتيق
قياسات لتثليث الصفات الذاتية ولوحدانية الجوهر
1 – من المحسوسات
2 – من المعقولات
3 – أمثلة أخرى على وحدانية الجوهر واختلاف الخواصّ
شهادات الكتب المقدّسة على تثليث الصفات
شهادات الكتب المقدّسة على تثليث الصفات
1 – من العهد القديم
2 – من العهد الجديد
الخلاصة: الله واحد، لا إله إلاّ هو
الصفات الذاتية والصفات الفعليّة
1 – الصفات الذاتية
القدم، النطق، الحياة الدائمة
تسميتها عند السريان
2 – الصفات الفعلية
الخلاصة في توحيد النصارى

[غرض الكتاب]

لمّا تصفّحتُ تصانيف الآباء القدّيسين والعُلماء الراشدين (قدّس الله أرواحهم أجمعين!)، ونُخبة آرائهم في توحيد ذات البارئ تعالى، وتثليث صفاته الذاتيّة، واتّحاد الكلمة الأزليّة – التي هي صفة البنوّة بالشخص المأخوذ من مريم العذراء. وجدتها تدقّ عن الفهم في المعنى واللفظ، فرأيت إظهار معانيها وأخذ زُبدها الدالّة على صحّة اعتقاد مذهب دين النصرانية، والاختصار منها على ذكر ما لا غِنى عنه بلفظ سهل مختصر يفهمه الخاص والعام، ليسهل على القارئ قراءته، وحفظه، وتحصيل معانيه التي يُدرك بها صحة مذهبه ودينه وينتفع بها غاية الانتفاع. وفّقه الله لمعرفتها بجُوده ومَنِّه!

[وجود الله وأزليته]

[أ – الله موجود]

ومن قَبْل الكلام في التوحيد والتثليث، ينبغي لنا أن نوضح ونبيّن وجود البارئ تقدّست أسماؤُه!. وحينئذٍ نتكلّم على خواصّه وأوصافه.

فنقول: إن الأسباب الموجودة في العالَم تتقسّم قسمين: منها ما هو ظاهرٌ في ذاته، وفِعله مستورٌ خفيّ ومنها ماهو خفيّ في ذاته، وفعله ظاهر عنه (وهذا ا يُدرك بالعين الجسمانية بل بفعله).

[الكائنات البسيطة والمركّبة]

وما هذه صفته فهو بسيط، غير مركّب: مثل العقل، والنفس،

والريح، والملائكة. فإن العقل لا تُدرك ذاته بل يشاهد فعله لأنه به يفرّق بين الصواب وضدّه. كذلك النفس لا تُدرك ذاتها، وفعلها ظاهر وهو النطق وكذلك الريح لا تدرك ذاتها، وفعلها ظاهر عنها: لأنها تَرُدُّ المَرَاكب وهي متوجهة شرقاً، بالعكس غرباً. والملائكة فجسمها معقول، وفعلها ظاهر في قبض الأرواح، وغير ذلك. فقد ثبت أن هذه الأشياء، وما شاكلها، من البسائط الروحانيات: فهي خفيّة في ذاتها، وفعلها ظاهر عنها.

فأمّا ما هو ظاهر في ذاته،وفعله مستور فيه، فهو كالسقمونيا وسائر الأدوية المستفرغة، وبالضدّ من ذلك. لأن المحمودة ظاهرة في ذاتها، وفعلها خفيّ فيها: لأنها، ما دامت منظوراً، إليها، لم يُؤثر فِعلها، فإذا استُعملت، ظهر فِعلُها وهو الإسهال. وكذلك غيرها. والسيف أيضاً خُرْتُهُ ظاهر، وفعله خفيّ وهو القطع. كذلك النار خزنها ظاهر، وفعلها خفيّ وهو الإحراق.

[الله يُشاهَد في أفعاله]

فَقَدْ بانَ ممّا ذكرناه أن الباريْ تعالى ذاته لا تُشاهَد بل فِعلُهُ. فعلى هذا القياس والمِثال يصحّ وجوده في مخلوقاته ومصنوعاته لا بمشاهدة ذاته. فقد ثبت وجوده.

[ب - الله أزليّ]

وقد بقيّ علينا أن نبيّن قِدَمَهُ على مخلوقاته، وأنه ابتدع هذا العالَم تبرُّعاً وإنعاماً، من غير ضرورةٍ قادته إلى ذلك.

فنقول: إن كلّ أمرين موجودين لا يخلو أن يكون أحدهما سبباً لوجود الآخر. فإن كان العالَم قديماً، بَطَلَ أن يكون الباريْ سبباً

لوجوده، بل يكون هو سبباً لوجود البارئ: وهذا كُفرٌ. وإذا كان هذا غير مُستطاع، فقد ثبت قِدَم البارئ تعالى وحَدَثَ العالم. وبالجملة فكل ما له ابتداء فله انتهاء، والخالق لا ابتداء له ولا انتهاء.

[صفات الله الذاتية]

[1 - هي ثلاث]

[الله أزليّ، حيّ، ناطق]

وإذا لم يكُن له انتهاء فقد ثبت له الحياة الدائمة، إذ لا يجوز أن يكون خالق الحياة غير حيّ، ولا خالق النطق غير ناطقٍ ولا يكون غير كامل.

فإذا صحّ أنه واحدٌ، يوصف بحيّ، ناطق، أزليّ. فلأجل أنه أزليّ، قَدِرَ على خلق الخليقة. فلأجل أنه حيّ، أَعطَى الحياة لذوي الحياة من خليقته. ولأجل أنه ناطق، مَنَحَ النُّطق للناطقين من بريّته.

[الله روح ونطق]

وأيضاً، فلا يجوز أن يكون الحيّ بغير روح، والناطق بغير نطق. فإذا له روحٌ وله نطق، وهُما أزليّان معه. وليس وصف الأزلية هو وصف النطق، ولا وصفُ الحياة وصفٌ النطق.

[الله ثلاثة أقانيم]

فإذاً قد وَجَبَ بِقَسَمِ الضرورة الاعتراف بثلاثة أقانيم، جوهر واحد، لا يتقدّم بعضها على بعض: الأزلية والنطق والحياة، إله واحد، أزلي مع كلمته وروحه.

[2 - تسميتها عند النصارى]

[الذات والكلمة والروح]

والنصارى يسمّون النُطق "كلمة"، إذ لا نُطق إلاّ وكلمة، ولا كلمة إلا ونطق، ويُسمّون الحياة روحاً، إذ لا حياةٌ إلا وروحٌ، ولا روح إلاّ وحياةٌ.

[الآب والابن والروح القدس]

ويُسَمّون الذات "أباً"، والكلمة "ابناً"، والحياة "روحاً"، تشبيهاً، كما أن الابن من الأب، كذلك الكلمة من النُّطق.

فسواءٌ في مذهبهم أن يقولوا: الأزلي وكلمته وروحه، أو أن يقولوا: "الآب والابن وروح القدس. لأن اعتقادهم في الجميع واحد، والمُعَوَّل على الاعتقاد، لا على العِبارة. وجميع النصارى، مع اختلاف مذاهبهم لا يختلفون في هذا القول، بل يعنون بالآب والابن وروح القدس الله وكلمته وروحه، إله واحد.

[الله ثلاثة أقانيم وجوهر واحد]

فليس للبارئ تعالى صفة ذاتية غير هذه الصفات الثلاث. فقد ثبت أن الله تعالى ذو ثلاثة أقانيم: أزليّ، حيّ ناطق. فقد بان و ظهر توحيدنا للبارئ (تعالى ذكره!).

[تحديد القنوم]

وَحَدُّ القنوم هو إضافة الصّفة إلى الموصوف. لأن الصفة، إذا أُخِذَت وحدها، قيل فيها إنها صفة، فإذا عُيِّنت، سُمِّيت صفة فلانية، فإذا أُضيفت إلى الموصوف سمّيت قنوماً، وهي طيّ الصفة مع موصوفها. فإذا أُخذت الذات مع كل واحدة من الصفات، كان مفهوم الجملة غير

مفهومها إذا أُخذت مع صفةٍ أخرى. مثل ما نصف شخصاً بالكتابة والنجّارة والصياغة، فيكون مفهوم جملته بالكتابة غير مفهومها بالصياغة والنجارة.

[الأقانيم الثلاثة إله واحد]

فإن كانت الإشارة إلى جوهر واحدٍ فتكون الأقانيم ثلاثة وجوهرها واحد. ولا يُقال في جملة الثلاثة أقانيم إنها ثلاثة آلهةٍ، بل إله واحد، وإن كان يقال على كل واحدٍ إنه إله: لأن الذات واحدةٌ، واسم الإله واقع على الجوهر العام. ولا يُقال في كل واحدٍ من الأقانيم إنه خالقٌ، بل الخالق واحد. فلا بتوحيد ذاته يبطل تثليث صفاته، لا بتثليث صفاته يبطل توحيد ذاته. فقد بَانَ مِمّا ذكرناه أن التوحيد للذات والتثليث للصفات.

فالآب، الذي يوصف بالقِدَم، بمنزلة لهيب النار المنتصب، والابن الذي هو الكلمة، بمنزلة الضوء المتجسّم للأرض، والروح، التي هي الحياة الدائمة، بمنزلة الحرارة الخارجة عن اللهيب.

[البراهين الفلسفية على وحدانية الذات وتثليث الصفات]

وينبغي أن يكون تشاغلنا بإقامة الحُجَج على أن الذات – التي هي جوهر الخالق تعالى – واحدةٌ، وأوصافها المختصة بها ثلاثة، تَفَرَّد بها الخالق على مخلوقاته، فأمّا الصفات التي تتعدّى إلى المخلوقات فهي كثيرةٌ، ونحن نذكرها فيما بعد.

فنقول: إنّا لّما رأينا مخلوقات كثيرة، عجيبة، ذات حكمةٍ باهرة، مختلفة الطِّباع، متّفقة في النظام، علمنا أن لها صانعاً صَنَعَها، وموجِداً أوجدها. لما اختلفت في طباعها واتفقت في نظامها، استدلَلنا على وحدانية خالقها ومدبّرها.

ثم إنّا لّما نظرنا المخلوقات العنصرية جميعها، وجدناها تتقسم إلى

ثلاثة أقسام: أحدها حيوان ناطق مُحدَث، والآخر حيوان غير ناطق مائت، والثالث جماداتٌ. فاستدللنا على تخصيص ذات البارئ بأنّها ثلاث صفات: فتميَّز (تعالى ذكره!) عن الحدث بالقِدَم، وعلى غير الناطقين بالنطق بغير آلةٍ، وعلى الجمادات بالحياة الدائمة. فهذه الصفات الثلاث لازمة للذات، غير مفارقة لها.

[شهادات الكتب المقدّسة على وحدانية الله]

ونحن نقصد تصحيح ما ذكرناه من توحيد ذات البارئ من الكُتب المقدّسة.

1 - من العهد الجديد

أوّلها ما نطق به الإنجيل في بشارة متّى الرسول: "المفروض عليك أن تعبد الله ربّك، وبه وحده تطيع"[1]. ومنه: "ليس الجَوّاد بالحقيقة غير الواحد الله"[2]. ومن إنجيل مرقوس: "إن الرب إلهك هو ربّ واحد وحده"[3]. ومن إنجيل لوقا: "يأمرك أن تسجد لله ربك، وله وحده تطيع"[4]. ومنه: "إن الرَّبَّ إلهك ربّ واحد"[5]. ومن إنجيل يوحنا: "إن الحياة المأثورة الباقية أن نعلم أنك أنت هو الله الحق وحدك، وأنت أرسلت سيّدنا إيشوع المسيح حبيبك[6]. وقول السيّد: لماذا تدعوني خيراً، وليس خيراً غير الله الواحد[7]. ومن قصص السلّيحين: "إن الله الذي خلق العالم

1 - متى 10/4.
2 - متى 17/19.
3 - مرقس 29/12.
4 - لوقا 8/4.
5 - مرقس 29/12. لا ترد هذه الآية في إنجيل لوقا.
6 - يوحنا 3/17.
7 - مرقس 18/10.

وكل ما فيه فه ربٌّ واحد" [1]. وفي رسالة يعقوب: "إن كنت تؤمن أن الله تعالى واحد وحده، فنعم الإيمان" [2]. ومنه أيضاً: "إن الذي فرَّض الفرض وسَنّ السُّنَن هو واحدٌ وحده، وهو يحيي ويميت" [3]. وفولوس الرسول يقول: "إن رب جميع الأمم واحد هو وهو المغيث لكل مَن يرجوه ويستغيث إليه" [4]. ومنه: " إن الذي لا يتغيّر ولا يُرى فهو الله الواحد [5]، وأيضاً: "واحدٌ هو الله تعالى" [6]، و"لا إله إلا هو" [7]. ومنه: "إن الله تعالى واحد هو، وواحد هو الواسط بينه وبين الناس، ابن البشر إيشوع المسيح [8]. ومنه: "الذي لا يتغيّر ولا يُرى فهو الواحد، الله له الحمد والشكر والمجدُ دائماً مؤبّداً. آمين [9].

2 - من العهد العتيق

ومن كُتُب العتيقة: قال موسى ربُّنا إلهنا واحد هو الله ربّكم، رب السماء العليا والأرض السفلى" [10]. والله ربّكم هو إله الآلهة وربّ الآرباب [11]. وقال الله لموسى النبي: إنني أنا الله لا إله غيري. أنا أُميتُ وأنا أحيي [12]. وقال (جلّ ثناؤه!) لشعب بني إسرائيل: "إنني أنا الله ربُّكَ، لا

1 - أعمال الرسل 24/17 استشهاد بتصرّف.
2 - رسالة يعقوب 19/2.
3 - يعقوب 12/4.
4 - روما 12/10.
5 - طيموتاوس 17/1.
6 - غلاطية 20/3.
7 - 1 كورنتس 4/8.
8 - 1 طيموتاوس 5/2 - 6.
9 - 1 طيموتاوس 17/1.
10 - تثنية الاشتراع 39/4.
11 - تثنية الاشتراع 17/10.
12 - تثنية الاشتراع 39/32.

يكون لك إله غيري، لا في السماء ولا في الأرض[1]. وقال (تعالى اسمه) لأشعيا: إنني أنا الله، الأوّل والأخير، وليس إله غيري[2]. وقال لهوشع النبيّ: "أنا الرب، لا تعبد إلهاً غيري[3] وقال لميخا النبي: "أنا الرَّبُّ إلهك، ليس ربّ سِواي"[4]. وقال داود النبيّ: "عظيم هو الله" و "ليس مثله" و "لا إله سواه"[5].

واجتمع الأئمّة في الدين، وأجمعوا رأيهم في الأمانة التي اتفقوا عليها: نؤمن بالله الواحد، جوهرٍ واحد، الربّ إلهنا، ربٌّ واحد.

ولا فرق عند النصارى بين الجوهر والذات والطباع: فالكل إشارة إلى الخالق. فتكفي هذه الشهادة في توحيد ذات البارئ.

[قياسات لتثليث الصفات الذاتية ولوحدانية الجوهر]

وبقيَ علينا أن نذكر الشهادات والقياسات بتثليث الصفات المختصّة بالذات، وكثرة الصفات التي تتعدّى إلى المخلوقات.

1 - من المحسوسات

فنقول: إن الأدلّة على الأوصاف الثلاثة المختصة بالذات بيّنة بالقياس من المحسوسات التي لا يمكن جحودها.

ومثال عين الشمس الطالعة ونورها وحرارتها، فالقرص مثال الآب، ونورها الممدود منها مثال الابن الذي هو الكلمة، وحرارتها الخارجة عنها مثال روح القدس: ثلاثة معانٍ، شمس واحدة.

---

1 - خروج 3/10 - 4.
2 - أشعيا 60/44.
3 - هوشع 4/13.
4 - نبوّة يوئيل 27/2.
5 - مزامير 8/86 و 10.

2 - من المعقولات

ودليل آخر من الأشياء المعقولة، وهو النفس الحيّة الناطقة، فإنها مثال الآب، ونطقها المتولّد منها مثال الابن، وحياتها الفائضة عنها مثال روح القدس: ثلاث خواص، نفس واحدة.

فالله تعالى جوهره جوهر واحد، تصدُق فيه أوصاف ثلاثة: الوجود والنطق والحياة.

3 - أمثلة أخرى على وحدانية الجوهر واختلاف الخواصّ

وكما أنّ الزيت جوهر واحد، وفيه ثلاث قِوَى يوصف بثلاثة أسماء، كل قوّة منها وجه واسم وذاك أن الزيت في جوهره حرارة، ويُبس وعقوبة. فلا العذوبة هي الحرارة، ولا الحرارة هي اليُبْسُ، لكن لكل واحدٍ منها قوّة واسم، يضمّها الثلاثة جوهرٌ واحد، لا يقع فيها تمييز ولا تفريق شيء من شيء أصلاً. وأيضاً كَمَثَل الشمس التي جوهرها واحد، يولد منها نورٌ وحرّ من غير انقطاع منها. وليس نورها الذي يولد منها، ولا حرّها الذي يخرج منها هما أصغر منها، ولا كانا من بعدها بطرفة عين، ولا حرّها نورها، لا إدارتها حرّها، لكن جوهرها واحد. فبهذا المِثال نقول إن جوهر اللاهوت واحد: تَوَلّدَ منه وصَدَرَ قنوم الإبن من غير انقطاع من جوهر الآب، ولا هو أصغر منه كَمِثل نور الشمس، وصَدَر أيضاً منه قنوم روح القدس من غير انقطاع ولا تمييز مثل حرارة الشمس. و مثل ما يُقال ثلاث شُعَل نار متقاربة، وجوهرها واحد. ومثل سبيكةٍ وزنها ثلاثة مثاقيل، وهي سبيكة واحدة. ومثل ما توصف التفاحة بالرائحة والطّعم واللون وهي واحدة ومثل ذلك في القياس كثير.

وكما يُقال في الإنسان المجتمع من نفس وجسم وروح شخص واحد، كذلك يقال في الآب والابن والروح إله واحد.

[شهادات الكتب المقدّسة على تثليث الصفات]

فأمّا الأدلة على صفاته المختصة بذاته فهي ثلاثة من الكتب الإلهية.

1 - من العهد العتيق

قال الله تعالى لموسى، لَمّا ناجاه على العَوْسَجَة أعني قدرته: "إنني أنا إله إبراهيم، إله إسحاق إله يعقوب"[1]. وهذا اللغز هو على التثليث. وقال داود: يمين الرب قَوَّتْني يمين الرب رفعتني، يمين الرب منحَتني قوّة، ولا أموتُ بل أحيا وأقصّ أفعال الله[2]. وقال في موضع آخر: يباركنا الله إلهنا، ويباركنا الله[3]. وسَمِعَ أشعيا النبي تقديس السَّرافيين لاسم الله وقولهم: "قدوس، قدوس، قدوس الربّ القوي"[4] وقيل أيضاً في التوراة: "الربّ إلهك ربّ واحد"[5].

يُسمّى ههُنا ثلاثة أسماء جوهر واحد. ففسّرت الحديثة ما ألغزته العتيقة لضعف قوّة سامعيها. وقال داود" "بكلمة الله خُلِقَت السموات، وبروح فمه جميع أجناده"[6] فصرّح بتوحيد ذاته، أوضح بتثليث صفاته. وقال أيضاً: "سبّحوا الرب تسبحة جديدة، سبّحوا الرب، جميع الأرض سبّحوا الرب وباركو لاسمه[7]. وقال: "لكلمة الله أُسبّح"[8] وقال: "وأرْسَل كلمته فشفاهم"[9]. وقال:" إلى الأبد أنتَ يا رب، وكلمتك حالّة في السماء[10]. وقال: "وتُنفِذ روحك إلى الموتى فينشرون[11]. وقول حَجّي

---

1 - خروج 6/3.
2 - مزامير 15/118 - 17.
3 - مزامير 7/67.
4 - أشعيا 3/6.
5 - تثنية الاشتراع 4/6.
6 - مزامير 6/33.
7 - مزامير 1/96 - 2.
8 - مزامير 10/56.
9 - مزامير 20/107.
10 - مزامير 89/119.
11 - مزامير 30/104.

النبي عن الرب: "روحي قائمة بينكم"[1].

2 - من العهد الجديد

وقول المخلّص في الإنجيل للحواريين: "انطلقوا إلى سائر الشعوب، وعمّدوهم باسم الآب والابن وروح القدس"[2]. فقد أوضح سيّدنا الأقانيم الثلاثة، ولا يكون أوفى من قوله. فهذه التكريرات الثلاث هي تحقيقاً للأقانيم، وهو الله وكلمته وروحه: إله واحد، ربّ احد، ذو ثلاث صفات ذاتية، لا يمكن أن يوصف بها غيره.

الخلاصة: الله واحد، لا إله إلاّ هو

ونحن نستثمر ما شرحناه بلفظ وجيز لِمَن لا يُحِبّ التطويل فنقول: إن النصارى يعتقدون في البارئ تعالى أنه إله واحد، رب واحد، معبود واحد. لا إله قبله ولا بعده، ولا إله إلا هو. لا شريك له في الأزليّة، ولا مثيل في الذاتية، ولا نظير في الربوبية، ولا ربّ غيره، لا معبود سواه.

الصفات الذاتية والصفات الفعليّة

1 - الصفات الذاتية

وينعتونه ويصفونه بصفات كثيرة. سوى أن الصفات تنقسم عندهم قسمين: فمنها صفات تخصّ الذات، ولا تتعدّى إلى المخلوقات، ولا يمكن أن يوصف بها مخلوق.

القدم، النطق، الحياة الدائمة

وهي ثلاث: القِدَم، والنطق الموجود في النفس (وهو عِلم الأشياء قبل كونها)، والحياة الدائمة.

---

1 - حجي 6/2.
2 - متى 19/28.

[تسميتها عند السريان]

فَعَبَّر وأَكنى السريانيون عن القِدَم بالأبوّة، وعن النطق الذي هو عِلم الأشياء قبل كونها) بالبنوّة، وعن الحياة الدائمة بالإنبعاث (الذي هو روحُ القدس). فالبارئ تعالى واحد من قِبَل ذاته، مُثلَّث من قِبَل أوصافه: فالتوحيد للذات، والتثلث للصفات.

2 - الصفات الفعلية

فأمّا الصفات التي تتعدّى إلى المخلوقات فهي كثيرةٌ والمخلوقون يوصَفون بها جميعاً، منها الجود، والقدرة، والحكمة، وغير ذلك مما يطول شرحه. فالجود يقتضي المَجُود عليه والقدرة تدلّ على مقدورٍ والحكمة تدلّ على شيء قد أُحكم وأُتقن. فهذه الصفات جميعها، مع ما سِواها من صِفاتِ الفعل، يوصف بها المخلوقون.

[الخلاصة في توحيد النصارى]

فأمّا الصفات الثلاث الذاتية فلا يقدر أن يوصف بها غير الخالق تعالى: فليس قديماً غيره، ولا عالِم الغيب سواه، ولا مَن ليس له انقضاء غيره (تبارك اسمه وتعالى ذكره!). وكما يُقال لي ثلاثة نفر، واحد كاتب، وآخر صائغ وآخر نجّار: فجميعهم فيهم تُصَوًّر الحياة والنطق والموت، ولكن لا يُعرف مَن هو منهما كاتب، ولا الصائغ، ولا النجّار، إلاّ بعد ما يُظهِرُ كلّ منهم صنعتهُ بذاته. فهذا الفرق بين صفة الذات وصفة الفعل، فليس للبارئ صفة ذاتية غير هذه الصفات الثلاث.

فقد ثَبَتَ أن جوهره واحد، ذو ثلاثة أقانيم: أزليّ، حيّ ناطق. فقد بان من هذه الوجوه توحيد النصارى.




أسفار الأسرار

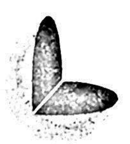
- 3 -

سفر 5//أصل 2//فصل 3//

اتحاد كلمة الله بالبَشَرِيّ التامّ المأخوذ من العذراء

(من كتاب أصول الدين)

لمار إيليا الجاثليق




مواضيع سفر 5 / **أصل** 2 / **فصل** 3:

-صعوبة فهم الاتحاد

-ألم الناسوت هل هو ألم للاهوت

أمثلة توضيح

اشتراك الخواصّ

أسماء الابن الثلاثة

-شهادات من الإنجيل

[صعوبة فهم الاتحاد]

فنقول: إن الاتّحاد يدق عن إدراك العقول كيف هو، لكن على جهة تقريب العقول إلى معرفته.

فهو شبه اتحاد النار بالحديد، وكاتحاد القوّة الناطقة بالصوت المسموع والخط المكتوب.

ومثل شمس عالية حلّت بشعاعها في مرآة دانية: فهي بالفعل فيها ظاهرة، وما هي لها حاوية.

ومثل ختم الخاتم على الطينة: فإنه أكسبها صورته من غير انتقال.

ومثل اتصال نور الشمس بنور العين الباصرة: فالشمس في العين ظاهرة، وما العين لها حاوية. وكاتصال النور الخارج بنور العين الباصرة.

[ألم الناسوت هل هو ألم للاهوت]

أمثلة توضيح

وكما لا ينفعل النور الخارج بانفعال العين ومرضها، كذلك ما تألّم اللاهوت بألم الناسوت. ومثاله أيضاً اتصال نور الشمس بصفاء اللؤلؤة النقيّة: فالنور فيها ظاهرة، لا يتميّز منها في عين الناظر. فإن انثلمت أو انكسرت، فلم ينثلم النور بكسرها، ولا فارق أجزاءها من بعد كسرها، كذلك اللاهوت لم يتألّم بألم مسكنه، ولا فارق هيكله

عندما أقدم اليهود على صلبه من وقت البشارة وإلى وقت صعوده إلى السماء، وإلى ما لا نهاية له.

[اشتراك الخواص]

وكما أن الإنسان مجتمع من نفس وجسم: والجسم يأكل ويشرب ويموت، والنفس فعلها العظمة والحقد والإيمان والطغيان (وهي مستغنية عن لوازم الجسد)، فمن أجل أنهما جميعاً مجتمعان يسمّيان إنساناً واحداً.

وقد يوضع على الجسد ما هو منسوب إلى النفس، وعلى النفس ما هو منسوب إلى الجسد: كما تقول التوراة:«إذا دخلتم أرض الوعد فاستعملوا ما اشتهت نفوسكم»[1]. والإنجيل يقول: «ليس النفس أفضل من الطعام والجسد من اللباس[2]. فجعل على النفس الطعام، وهي غير مفتقرة إلى ذلك، لكن لأجل كونها ومشاركتها للجسد. كذلك الله (عز وجل!)، لما اتّحدت كلمته بالبَشَريّ المأخوذ من السيدة مريم العذراء، فوهب له أسماء لاهوتية ووضعها عليه، واحتمل هو وضع الأسماء الضعيفة المنسوبة إلى جوهره من غير أن يكون وصل إلى جوهره شيء منها».

[أسماء الابن الثلاثة]

وكُتُبُ العتيقة والحديثة تسمى المسيح ثلاثة أسماء: عالياً ومنحطاً ومتوسطاً. أما العالي فتسميته ربّا، وهو دالّ على لاهوته، والمنحط إيشوع، وهو اسم دالّ على ناسوته، والمتوسّط تسميته المسيح الجامع للاّهوت والناسوت.

---

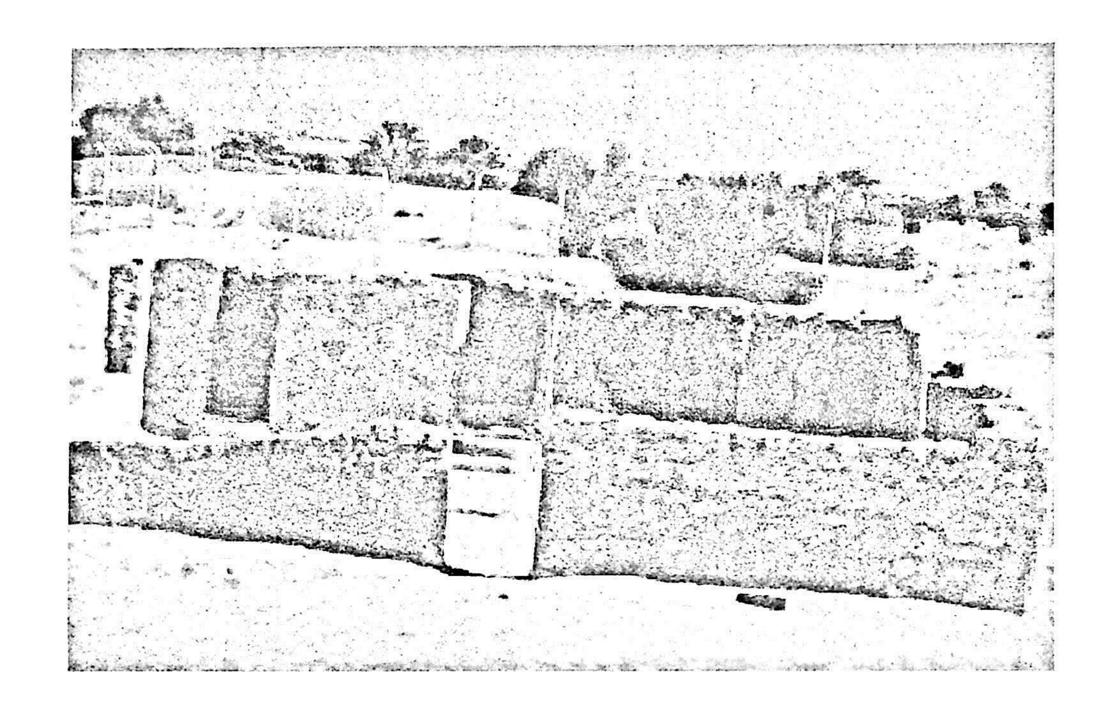
1 - لم نجد هذه الآية في التوراة.
2 - لوقا 23/12.

[شهادات من الإنجيل]

قال الإنجيل الطاهر:«الكلمة لم تزل عندالله موجوة، والله هو الكلمة»[1]. وقال أيضاً: «كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، كذلك الابن يحيي مَن يشاء»[2]. وقال: «أنا البعث والحياة»[3]. وقوله:«أبي الساكن فيَّ هو فاعل هذه الأفعال»[4]. وما أشبه ذلك».



1 – يوحنا 1/1.
2 – يوحنا 21/5.
3 – يوحنا 25/11.
4 – يوحنا 10/14.



آثار كنيسة نسطورية في الجبيل/المملكة العربية السعودية. صورة أخذت عام 1989 بعد التنقيب عنها بقليل




أسفار الأسرار

- 4 -

سفر 5//أصل 2//فصل 4//

في الشهادات على ناسوت المسيح

(من كتاب أصول الدين)

لمار إيليا الجاثليق




مواضيع سفر 5 / أصل 2 / فصل 4:

-مولد المسيح في الإنجيل

-المسيح من سلالة إبراهيم وداود

-المسيح ابن البشر

مولد المسيح في الإنجيل

قال الإنجيل الطاهر:«كتاب مَولِد إيشوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم»[1]. وقال جبرائيل للسيدة مريم:«إنك ستحبلين وتلدين ابناً وتدعون اسمه إيشوع. هذا يكون عظيماً، وابن العليّ يُدعى، ويعطيه الله كرسي داود أبيه»[2].

المسيح من سلالة إبراهيم وداود

قال فولوس المؤيّد لطيمتاوس تلميذه:«اذكر لإيشوع المسيح الذي قام من بين الأموات، الذي هو مِن زَرْعِ آل داود»[3].

وقال الله لإبراهيم:«إن بك وبزرعك تتبارك الشعوب»[4]. وفسّر هذه الآية فولوس الرسول وقال:«لم يقل بزرعك، فيعني به كثيرين، لكن بزرعك، يريد به الواحد الذي هو المسيح»[5]. ومعلوم أن إبراهيم وداود كانا مخلوقين، وزرعهما أيضاً مخلوق.

المسيح ابن البشر

وقد سمّى (سيّدنا نفسه) في عدّة مواضع من الإنجيل ابن البشر بقوله:«ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن البشر يُسلّم إلى عُظماء

---

1 - متى 1/1.
2 - لوقا 31/1 - 32.
3 - 2 طيموتاوس 8/2.
4 - تكوين 18/22.
5 - غلاطية 16/3.

الكهنة والأحبار»[1]. وقال أيضاً:«إذا ما جاء ابن البشر في مجده، ومعه جميع ملائكته القدّيسين»[2]. وقال على الصّلبوت: إلهي إلهي لماذا تركتني[3] وقد صلّى وسجد وتراءى له ملاك يُقَوِّيهِ[4]. وقال بعد قيامته:«إنني صاعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم»[5]. و«قد أُعطيت السلطان في السماء والأرض»[6]. وقال فولوس:«إله سيّدنا إيشوع المسيح، أبو المجد»[7]. وتنبّأ أشعيا النبيّ على ناسوت المخلّص، وقال:«هذا عبدي الذي ارتضيت، حبيبي الذي تاقت إليه نفسي»[8]. وقال فَولُوس: «وإذ كان أيضاً لابساً جسداً، فإنه قرَّب رَغبةً وتضرُّعاً بضجيج شديد ودموع لِمَن هو قادر أن ينجّيه من الموت»[9].



1 - متى 18/20.
2 - متى 31/25.
3 - متى 46/27.
4 - راجع لوقا 43/22.
5 - يوحنا 17/20.
6 - متى 18/28.
7 - 2 قورنتس 31/11.
8 - أشعيا 1/42.
9 - عبرانيين 7/5.



أسفار الأسرار

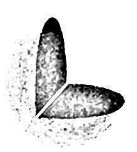
-5-

سفر 5///أصل 2///فصل 5//

في الشهادات على لاهوت المسيح وناسوته

(من كتاب أصول الدين)

لمار إيليا الجاثليق





مواضيع القسم الثالث:

I – المسيح إله وإنسان

شهادات من الإنجيل

II – المسيح ابن الله

1 – كلمة الله يحلّ فيه

2 – شهادة الآب

3 – أقسام البنوّة

4 – شهادة الابن

III – آراء المسيحيين في الاتحاد

1 – رأي النساطرة والدفاع عنه

2 – رأي اليعاقبة والردّ عليه

3 – رأي الملكيين والردّ عليه

قول الصفا لسيّدنا: «أنت المسيح (ابن الله) الحي»[1] كلمة دالّة على اللاهوت والناسوت معاً، لأن اسم المسيح واقع على ماسِح وممسوح، مثل اسم الإنسان الواقع على نفس وجسم، شخصٍ كامل. وقال فِطْروس أيضاً: «إن الله جعله ربّاً ومسيحاً هذا إيشوع الذي صلبتم»[2]. وقال أيضاً: «رجل تراءى من الله بالآيات والمعجزات التي صنعها الله تعالى على يديه بينكم، فصلبتموه وله أقام الله بعد ثلاثة أيام»[3].

[I ـ المسيح إله وإنسان]

[شهادات من الإنجيل]

وَوُلد بناسوته من مريم العذراء الطاهرة، متّحداً بلاهوته، وارتضع لبناً وتربّى قليلاً قليلاً، وأُدرج في القُمُط، واختَتَن في اليوم الثامن[4]. فأبان أنّه إنسان ابن جوهر أُمّه حقّاً.

ونزلت إليه الملائكة من السماء وسبّحته وقالت: «لقد وُلِد لكم اليوم مخلّص الذي هو الربّ المسيح في مدينة داود»[5]. فبيّن أنه إله حق. تواضع واصطبغ من يوحنّا المعمدان، وأوضح أنه إنسان حق. نادى الآب من

---

1 – متى 16/16.
2 – أعمال الرسل 36/2.
3 – أعمال الرسل 22/2 – 24.
4 – راجع لوقا 7/2 و 21.
5 – لوقا 10/2.

السماء:«هذا ابني الحبيب الذي به ارتضيت»[1] فبيّن أنه إله حق.

أشبع من خمسة أرغفة في الدُّفعة الأولى[2] ومن سبعة في الدُّفعة الثانية[3] ألوفاً كثيرة، وفَضَلَ منها ما جُمِع في صنانٍ عدّة، فَبَيَّن أنه إله حق. كان يطوف في المدن والقرى ويقول:«توبوا فقد قرب ملكوت السماء»[4]. فأوضح أنه إنسان حق.

شفى المرضى، وطهّر البُرص، وأحيا الموتى، وأخرج الشياطين، وفتح أعين الكُمْه، فبيّن أنه إله حق. نام في السفينة وأيقظه التلاميذ، فأوضح أنه إنسان حق. زَجَرَ البحر، وسكنت الأمواج والأرياح بأمره[5]، فبيّن أنه إله حق. أكل في منزل شمعون خبزاً[6]، فأوضح أنه إنسان حق. أنبأ شمعون ما أسرّه في قلبه، وغَفَرَ ذنوب الخاطئة، فبيّن أنه إله حق. وقف على البئر واستراح من نَصَبِ الطريق، وطلب الماء من السامريّة عند العطش[7]، فأوضح أنه إنسان حق. خبَّر السامريّة بأسرارها، ومنحها الحياة، فبيّن أنه إله حق. سعى إلى بيت يُوارَشَ ماشياً، فأوضح أنه إنسان حق. أحيا ابنته من بعد موتها[8]، فبيّن أنه إله حق. سأل عن قَبْر لاعازَرَ، وبكى عليه فأوضح أنه إنسان حق. ناجاه باسمه، وأقامه من القَبْر حيّاً، وله أربعة أيام مدفوناً[9]، فبيّن أنه إله حق. سعى ليسلّم نفسه باختياره،

---

1 - متى 17/3.
2 - راجع متى 18/14.
3 - راجع متى 36/15.
4 - متى 17/4.
5 - راجع متى 23/8.
6 - راجع لوقا 36/7.
7 - يوحنا 6/4.
8 - مرقس 24/5.
9 - راجع يوحنا 34/11 - 43.

واستقبل الذين خرجوا لأخذه طائعاً[1]، فأوضح أنه إنسان حق.

ردّ أُذن العبد التي قطعها شمعون إلى مكانها، واستوت كما كانت[2]، فبيّن أنه إله حق.

كُفِنَ بالأكفان ودُفِن في القبر، وختَم اليهود القبر عليه[3]، فأوضح أنه إنسان حق.

وقام في اليوم الثالث حيّاً، وظَهَرَ للتلاميذ[4] ونَفَخَ الروح فيهم، وقال له توما: «آمنت بكَ، ربّي وإلهي»[5]، فبيّن أنه إله حق.

جَمَعَ التلاميذ إلى جبل الزيتون، وبَسَطَ يده عليهم وباركهم، وارتفع إلى السماء تجاههم[6]، فأوضح أنه إنسان حق. سجد له التلاميذ والملائكة[7]، وأَرسَل روح الفارقليط (أعني روح القدس) – روح الحق المُعَزّي- إلى تلاميذه كما وعد[8]، فبيّن أنه إله حق.

فالمسيح حقّاً هو الكلمة من الله والإنسان من مريم العذراء. والسبب الذي [به] هو الله الكلمة لأنه وُلِدَ من الله قبل الأزمنة والدُّهور، مثل الضوء من الشمس والكلمة من النفس.

---

1 – راجع يوحنا 4/18.
2 – يوحنا 4/18.
3 – راجع متى 59/28 – 66.
4 – راجع متى 1/28.
5 – يوحنا 28/20.
6 – لوقا 50/24.
7 – أعمال الرسل 10/1.
8 – أعمال الرسل 1/2.

II - المسيح ابن الله

1 - كلمة الله يحلّ فيه

وكيف يُنكَر حلول الإله بالمشيئة، بالجسد الإنساني، ولا يُنكَر حلوله في العَوْسَجَة[1] وحلوله في عمود الغمام والسحابة التي كانت تهبط على سُرادق موسى، فيُكلّمه منها ويسجد بنو إسرائيل لله تعالى نحو ذلك العمود، كل إنسان من جانب خيمته حيث كان؟[2] فكيف يُنكر لنا أن نسجد لله بهذا الجَسَد الإنسانيّ لحلول كلمته فيه، كما سَجَد بنو إسرائيل في عمود السّحابة؟.

2 - شهادة الآب

فأمّا تسميته بالبنوّة فقد شَهِد بها الإنجيل الطاهر إذ يقول: «سُمِعَ صوتٌ من السماء يقول: هذا ابني الحبيب الذي به ارتضيت، له اسمَعوا»[3]. وهذه هي البنوّة الروحانية، مثل ما يسمّي المؤمنون (كَثّرَ الله عددهم!) رؤساء الكهنة آباء لهم، لأنهم السبب والعلة في العماد الذي به نَكْمُلُ (وهو المسمّى ولادة ثانية من الماء والروح، كما قال سيّدنا: «مَن لم يولد من الماء والروح لا يستطيع الدخول إلى ملكوت السماء»)[4].

3 - أقسام البنوّة

وأقسام البُنُوّة عدّة: منها بنوّة طبيعية، وبنوّة روحانية كالآباء من

---

1 – راجع خروج 4/3.
2 – راجع خروج 8/33 – 9.
3 – متى 5/17.
4 – يوحنا 5/3.

العِماد الذي يُسمّى ذخيرة الأبناء،وبنوّة ناموسيّة التي ذكرها لوقا[1]. وبنوّة الإيمان، مثل بني إبراهيم، وبنوّة إرادية،كما تبنّت بنت فرعون موسى[2]، وبنوّة منسوبة إلى الخالق، لأنه العلّة في وجودنا، كقول المخلّص:«كونوا رُحماء كما أنّ أباكُمُ الذي في السماء رحمان»[3]. وقال داود:إنكم جميعكم أبناء للعلي»[4]. وقد سمّى الخالق تعالى لإسرائيل ابنه بقوله:«ابني بكري إسرائيل»[5]. فالمسيح أحق بهذه التسمية من إسرائيل.

4 - شهادة الابن

وقد قال سيّدنا لليهود، عند قولهم له:«إنك إنسان تجعل نفسك الله: ليس هكذا كُتِبَ في ناموسكم بأنني قلت إنكم آلهة؟ فإن كان لأولئك أنهم آلهة، لأن معهم كلمة الله – والكتاب لا يمكن أن ينحل – فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالَم أنتم تقولون فيه إنه يفتري كيف قلت لكم إنني ابن الله»[6].

III ـ آراء المسيحيين في الإتحاد

والاتحاد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

إلى الاتحاد بالجوهر والقَنُوم (وهذا معتقد اليعاقبة)، والقسم الثاني الاتحاد بالقنوم (وهذا معتقد الملكية)، والقسم الثالث الاتحا بخاصة

---

1 – راجع لوقا 23/3.
2 – راجع خروج 10/2.
3 – لوقا 36/6.
4 – مزامير 6/82.
5 – خروج 22/4.
6 – يوحنا 33/10 – 36.

البنوّة، وهذا رأي النسطور.

1 - رأي النساطرة والدفاع عنه

لأنهم يعتقدون أن الكلمة اتّحدت مع البشريّ المأخوذ من مريم العذراء اتحاد المشيئة، والقدرة، والإرادة. واتحاد المشيئة هو اتحاد اثنين – أو أكثر من ذلك بالمشيئة والقدرة، مع اختلافهم في الذاتيّة والشخصية:

كما قال الكتاب:«إن الذين آمنوا بالمسيح كانوا نفساً واحدةً ومشيئة واحدة»[1].

فَعَلَى هذا الوجه اتحاد القديم بالمُحدث، وصار مسيحاً واحداً وابناً واحداً. كَمِثْلِ حيوانَين، أحدهما ناطق والآخر غير ناطق: يُقال فيهما: – وإن كانا متبايَنَين في الطِّباع– إنهما واحد في الحيوانية (وطِباع الإنسان غير طباع السَّبع). ومثل اتّحاد التلاميذ بعضهم ببعض، عندما دعاهم المخلّص وقال:«يا أبتِ القُدّوسُ، احفظهم باسمك الذي اعطيتني، ليصيروا واحداً كما أنا وأنت واحد»[2]. وقوله أيضاً:«يا أباه، مجّدني بالمجد الذي لي عندك من قبل خَلْق العالَم»[3] يشير بذلك إلى الكلمة الحالّة فيه، الذي هو الابن الأزليّ. وكما أن الكلمة واللسان والصوت واحد، كذلك جوهر المسيح واحد في السلطان والمشيئة. وكما أن كتاب الأمير والكلمة المكتوبة والقرطاس واحد، ويسمّى فلان أبا كتابه للكلمة التي ولّدها من نفسه المكتوبة في القرطاس. ويُدعى أيضاً مولى كتابه لأنه صاحب القرطاس، والقِرطاس ليس هو من جوهر الإنسان، ولا كلمة الإنسان من

---

1 – أعمال الرسل 32/4.
2 – يوحنا 11/17.
3 – يوحنا 5/17.

جوهر البَردي: لكن الكلمة جوهرها من نفس الإنسان، والقرطاس جوهره من البردي.

وقول المخلّص:«إنني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»[1] يدلُ على بقاء الجوهرين بعد الاتحاد.

[2 - رأي اليعاقبة والردّ عليه]

فأمّا الطائفة اليعقوبية (فـ زَعَمَت أن الاتحاد وقع بين القديم والمُحدَث بالجوهر والقنوم، فصارا بعد الاتحاد جوهراً واحداً وقنوماً واحداً.

وهذا يؤدّي إلى الامتزاج والاختلاط والاستحالة، على رأيهم. فلا يخلو أن يكون هذا الجوهر المجتمع إمّا إلهاً، وإمّا إنساناً.

فإن قالوا إنه إله حسب، فقد رفعوا الطبيعة الإنسانية.

وما شَهِدَ به الإنجيل من ولادته وتربيته وسعيه وجوعه وصلبه وموته ودفنه يدلّ على بقاء الطبيعة الإنسانية بعد الاتحاد. فإن قالوا إنه إنسان حسب،أبطلوا الطبيعة الإلهية. وما نَطَقَ به الإنجيل المقدّس من فعل الآيات والمعجزت دليل على بقاء الجوهر الإلهي. فليس هذا جوهراً واحداً، بل جوهران وقنومان، ابن واحد، مسيح واحد. فهو بجوهر اللاهوت إله غير مصنوع، وبجوهر الناسوت إنسان غير مزروع. لا لاهوته من جوهر الأم، ولا ناسوته من جوهر الآب، حِجاباً ومُحتجباً لِباساً ولابساً.

قنوم ناسوته بالعيان منظور وقنوم لاهوته بالعقل مخبور. وقد قال القدّيس ثاولوغوس[2] الجوهران اثنان إله وإنسان. وقد قال أيضاً: إن الذي بدأ وتدرّج وتمّ وكَمُلَ ليس هو إلهاً، وإن كان يُقال إنه هكذا.

---

1 - يوحنا 17/20.

2 - هو القدّيس غريغوريوس النازيانسي. سبق التعريف به (هامش رسالة البرهان).

وهذا من قول الإنجيل بأن «إيشوع كان ينمو في قامته وحِكمته والنعمة لدى الله ولدى الناس»[1].

وقال مار أفريم[2]: الشمس سر لاهوتك، والقمر مثال ناسوتك، جوهران اثنان خفيّان فيك: لاهوتٌ وناسوتٌ.

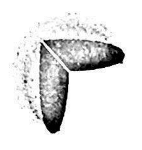
[3 - رأي الملكيين والردّ عليه]

وأمّا المَلَكيَّة فإنها تزعم أن الاتحاد وقع بالقنوم، فصار قَنُوم الشخص المأخوذ من مريم العذراء وقنوم الابن الأزلي – الذي هو الكلمة – قنوماً واحداً، فأمّا جوهراهما فبقيا على حالهما.

وهم غالطون في هذا الاعتقاد، لأن القنوم هو إضافة الصفة إلى موصوفها. فإذا كان القنومان واحداً، فإنه يلزم أن يكون الجوهران واحداً. فإذا كانا اثنين، فإنه يلزم أن يكون القنومان اثنين: فليس القنوم أكثر من مجتمع الصفة مع موصوفها. فإن كان الجوهران اثنين والقنومان واحداً، لزم هذا القول التناقض بأن يكون واحداً وغير واحد من جهة واحدة: فهذا القول يناقض بعضه بعضاً فلا يجوز معتقده.



1 – لوقا 2/52.
2 – هو القدّيس إفرام السرياني سبق التعريف به في هوامش الدراسة باب1//فصل 1//.




أسفار الأسرار

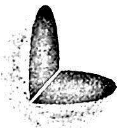
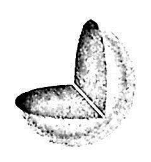
- 6 -

سفر 5//أصل 2//فصل 6//

البرهان لتصحيح الإيمان

لمار إيليا مطران نصيبين

"منتخبات من القسم الأوّل"

0 500 1000 Km

أمبراطوريتان متحاربتان: الدولة العباسية وبيزنطية في القرن 3هـ/9م

وقد نبيّن ما ورد في ذكر التوحيد في الكتب المقدّسة التي يدينون الله تعالى به.

فمن ذلك ما نطق به الإنجيل المقدّس على لسان متّى البشير: المفروض عليك أن تعبد الله ربك وإيّاه وحده تدين أي تعبد»[1].

ومنه: ليس الجوّاد بالحقيقة غير الواحد الله[2]. وفيه أيضاً: المفروض أن تعبد الله ربّك من كلّ قلبك ومن أقصى ضمير نفسك.

ومن الإنجيل على لسان مرقوس الرسول: إن الربّ إلهك هو ربّ واحد وحده[3]. ومنه: أجلّ الوصايا أن تعبد الله ربّك من كل قلبك.

ومن الإنجيل على لسان لوقا الرسول: الكتاب يأمرك أن تسجد لله ربّك وإيّاه وحده تعبد[4].

ومن الإنجيل بشارة يوحنا: إنّ الحياة المأثورة الباقية أن نعلم أنك أنت هو الله الحق وحدك وأنت أرسلت إيشوع المسيح[5].

ومنه إن الله لم يره أحد قط.

ومن أفركسيس السلّيحين: إنّ الله الذي خلق العالم وكلّ ما فيه هو ربّ السماء والأرض[6].

---

1 - متى 10/4.
2 - متى 17/19.
3 - مرقس 29/12.
4 - لوقا 8/4.
5 - يوحنا 3/17.
6 - أعمال الرسل 24/17.

ومنه: الطاعة ينبغي أن تكون لله دون البشريين. ومنه: الذي يأمركم أن تجتنبوا الباطل وتعبدوا الله الحيّ خالق السماوات والأرض.

وفي رسالة يعقوب السليح: إن كنت تؤمن أن الله واحد وحده فنعم الإيمان[1].

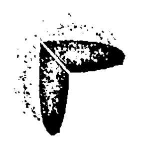
ومنها: إنّ الذي فرض الفروض وسنّ السنن هو واحد وحده وهو يحيي ويميت[2]. ومن رسالة فولوس إلى أهل رومية: الواحد الله الذي يحمد الإيمان إن كان مع الختانة وإن كان مع القلفة. ومنها: إنّ ربّ جميع الأمم واحد وهو المغيث لكل مَن يدعوه[3].

ومن رسالته إلى أهل قورنتوس: نعلم أنّ الوثن والصنم ليس بشيء وأنه لا إله إلاّ الواحد الله[4]. ومنها: إن كان هناك مَن يقرّ بآلهة كثيرة في السماء والأرض إلاّ أن إلهنا هو الواحد الله[5]. ومن رسالته إلى أهل أفسوس: الواحد الله أبو الكلّ. ومن رسالته إلى أهل غالاطيا إن الله واحد[6].

وأيضاً: الذي لا يتغيّر ولا يُرى فهو الواحد الله[7].

---

1 - يعقوب 19/2.
2 - يعقوب 12/4.
3 - روما 12/10.
4 - 1 قورنتس 4/8.
5 - 1 قورنتس 5/8 - 6.
6 - غلاطيا 20/3.
7 - 1 طيموتاوس 17/1.




أسفار الأسرار

- 7 -

سفر 5//أصل 2//فصل 8//

رسالة في الأبوّة والبنوّة

لمار مكّيخا البطريرك




مواضيع سِفر 5 / أصل 2 / فصل8:

-مقدّمة صليبا بن يوحنا

-الأبوّة والبنوّة تحديداً ومعنى

مثل على الثالوث

-الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم

-يسوع المسيح إله وإنسان

المسيح الكلمة المتجسّد

جوهران وأقنومان في مسيح واحد

الاتحاد مشروحاً بأمثلة

الأبوّة والبنوّة بأقسامها السبعة

-الخلاصة

[مقدمة صليبا بن يوحنا]

نذكر فيه مقالة ألّفها وأنشأها الأب القدّيس،الطاهر النفيس، مار مكّيخا الجاثليق، فطرك المشرق (قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه!).

قول مختصر في الأبوّة والبنوّة – على مذهب دين النصرانيّة ورأي عقيدة السريان المسيحيين، الساكنين في الجهة المشرقيّة – وتمييز الصفات الحقيقيّة الإلهيّة التي من اسمها اشتقّت أقسام هذه الأبوّة والبنوّة الجسمانية المستفادة الزمنيّة. قال قدّس الله نفسه:

[الأبوّة والبنوّة تحديداً ومعنى]

إعلم، أيها المُحبّ لمعرفة الحق، أن الأبوّة والبنوّة هما اسمان مضافان، لا يُعرف الواحد منهما إلاّ بالآخر.

فأيهما ذُكِر دخل، في ضمنه الآخر: فلا أب إلاّ وله ابن، ولا ابن إلاّ وله أب. ومعنى الأبوّة الحقيقيّة أنها علّة ذاتية لمعلول جوهري ظاهر منها، متّصل بها، غير منفصل. ومعنى البنوّة الحقيقيّة أنها معلول جوهري ظاهر من علّته بلا انفصال ولا ثبات.

فالأبوّة والبنوّة الحقيقيّة الأزليّة – المتعالية عن الحاجة إلى كون الزمان والمكان والمادّة والآلة التي بها تتمّ ولادة الأجسام – هي أبوّة الله (تقدّست أسماؤه!) لكلمته الأزليّة، أحد أقانيمه الثلاثة المقدّسة التي جوهرها واحد: أب لم يزل ولا يزال أباً لا أب له، وابن لم يزل ولا يزال ابناً لا ابن له، وروح القدس منبعث من الآب لا والد ولا مولود. فالآب علّة لمعلولين، إله

واحد، حيّ، ناطق، حكيم، قادر.

[مثل على الثالوث]

له في القياس من المحسوسات التي لا يمكن جحودها عين الشمس الطالعة ونورها وحرارتها. فنورها المولود منها مثال الابن، وحرارتها الخارجة منها مثال روح القدس. صفات لموصوف بها ثلاثة معانٍ، شمس واحدة. وله بيان آخر من المعقولات وهو النفس الحيّة الناطقة. فإنها مثال الآب، ونطقها المولود منها مثال الكلمة الابن، وحياتها الفائضة منها مثال روح القدس: ثلاث خواصّ، نفس واحدة.

[الله جوهر واحد وثلاثة أقانيم]

فالله تعالى جوهر واحد، تصدق فيه أوصاف ثلاثة. فلا توحيد ذاته يبطل تثليث صفاته، ولا تثليث صفاته يبطل توحيد ذاته. جوهر لا كالجواهر المتواصفة بخواصّ جوهرية، وشخص ولا كالأشخاص المتعارفة، بل كالذي يليق بالذي هو علّة كل شيء، وهو يتعالى بعظمته عن كل حيّ، إذ ليس هو جسم يُدرَك بالقياس، وإنّما يُعرف بالعقل لا بالحواس. واحد لا كالآحاد، وثلاثة لا كالأعداد.

[يسوع المسيح إله وإنسان]

[المسيح الكلمة المتجسّد]

ولما شاء الله (جلّت قدرته!) أن يخلّص آدم وذرّيته من طاغوت الشيطان وموت الخطيئة بالعدل والاستحقاق ويثبت لهم القيامة بعد الموت وحياة

الأبد، أرسل كلمته، ابنه الأزليّ، نوراً من نور، من السماء بلا انتقال. وخُلِق بقوّة روح القدس بَشراً كاملاً، حيّاً، ناطقاً، من جسد السيّدة أم النور، مريم العذراء المقدّسة الزكيّة. وتجلّل الكلمة بالبشر الكامل من أوّل حياته وأحّده معه في وجه البنوّة، وحلّ فيه حلول الأبد وأشركه في البنوّة والسلطان والسجدة. فوَلَدت السيّدة مريم البتول عمّانوئيل، كما سبقت النبوّات.

[جوهران وأقنومان في مسيح واحد]

وهو اسم لمعنيين، الحال والمحلول فيه، مسيحاً واحداً، ابناً واحداً، جوهرين وقنومين اللذين هما خاصّتان، لا شخصان كما يزعم غيرنا.

وقولنا وخاصّتان لأن كل جوهر له خاصّة تخصّة وحده ليست لغيره. وهو الصحيح، لأنّ خاصّة اللاهوت غير خاصّة الناسوت. وإنما صار مرادهما واحد باتفاق الإرادتين. فهو بجوهر اللاهوت إله غير مصنوع، وبجوهر الناسوت إنسان غير مزروع. لا لاهوتيته من جوهر الأم، ولا ناسوتيته من جوهر الأب، حجاباً ومحتجباً، لباساً ولابساً. قنوم ناسوته بالعيان منظور، وقنوم لاهوته بالعقل مخبور.

[الاتحاد مشروحاً بأمثلة]

والاتحاد يدقّ عن إدراك عقول الناطقين كيف هو، لكن على جهة تقريب عقول الناطقين إلى معرفته. فهو كاتحاد القوّة الناطقة بالصوت المسموع والخطّ المكتوب. ومثال شمس عالية حلّت بشعاعها في وسط آنية: فهو بالفعل فيها ظاهرة وما هي لها حاوية. وكأفعال النور الخارج بنور العين الباصرة. وكما لا ينفعل النور الخارج بانفعال العين ومرضها، كذلك لا يألم اللاهوت تألُّم الناسوت.

[الأبوّة والبنوّة بأقسامها السبعة]

فأمّا أقسام الأبوّة والبنوّة المحدثة الجسمانية المستعارة الزمنيّة — المحتاجة إلى كون الزمان والمكان والمادّة والآلة التي بها تتمّ ولادة الأشخاص الجسمانية — فإنها تنقسم سبعة أقسام:

1 - إلى الأبوّة والبنوّة الطبيعية، وهي شاملة للإنسان وجميع الحيوانات — المصوّتة والصامتة، الساعي منها والسابح والطائر والهوّام — ولسائر أنواع النبات من الأشجار المغروسة والحبوب المزروعة وكل ما يتولّد من العناصر الأربعة.

2 - وإلى الأبوّة والبنوّة الشرعية، المذكورة في سنّة التوراة وقول الله عزّ وجل: «إذا مات الرجل، ولم يكن له ولد، يتزوّج أخوه بامرأته ويقيم زرعاً لأخيه. فيُنسَب الولد المولود إلى الأخ الميت، لا إلى الذي ولده»[1].

3 - وإلى الأبوّة والبنوّة النَسَبيّة، كما قال الإنجيل المقدّس: «كتاب ولادة إيشوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم»[2]. وكما قال الملاك ليوسف خطيب السيدة: «يا يوسف ابن داود، ولا تخف أن تكفل مريم خطيبتك، فإن المولود بها من روح القدس»[3]. وسمّاه ابن داود ليذكره الوعد الذي وعد الله به داود أن من زرعه يظهر المسيح مخلّص العالمين. ويوسف هو بالطبع ابن يعقوب[4]، وبالشرع ابن هالي[5].

4 - وإلى الأبوّة والبنوّة والإرادية، كما تبنّت ابنة فرعون موسى لمّا نشلته من الماء.

---

1 - العدد 25/5.
2 - متى 1/1.
3 - متى 20/1.
4 - أنظر متى 16/1.
5 - أنظر لوقا 23/3.

5 – وإلى الأبوّة والبنوّة الأنعامية من الله (عزّ وجل)، كما أنعم وسمّى المؤمنين به الطائعين له من ولد، آدم في القديم قبل نزول التوراة بني إلوهيم». وسمّى بعدهم بني إسرائيل في عدّة مواضع بنيه وبناته. وقال في الإنجيل الطاهر:«أمّا الذين قبلوه،وآمنوا به فأعطاهم سلطاناً أن يكونوا لله أبناء»[1].

وقوله:«كونوا رحماء كما هو أبوكم السماويّ رحمن»[2]. والمؤمنون هم أبناء بالنعمة أصفياء بالإخلاص والخدمة.

وإلى الأبوّة والبنوّة الروحانيّة، كما يسمّي المؤمنون الفطاركة والجثالقة والمطارنة والأساقفة والكهنة آباءهم، وهم يسّون المؤمنين الأبناء الأحبّاء، لأنّهم العلّة القريبة في هدايتهم وتعميدهم وتبصيرهم، كما قال السلّيح المؤيّد فولوس:«أنا ولدتكم بالبشارة»[3].

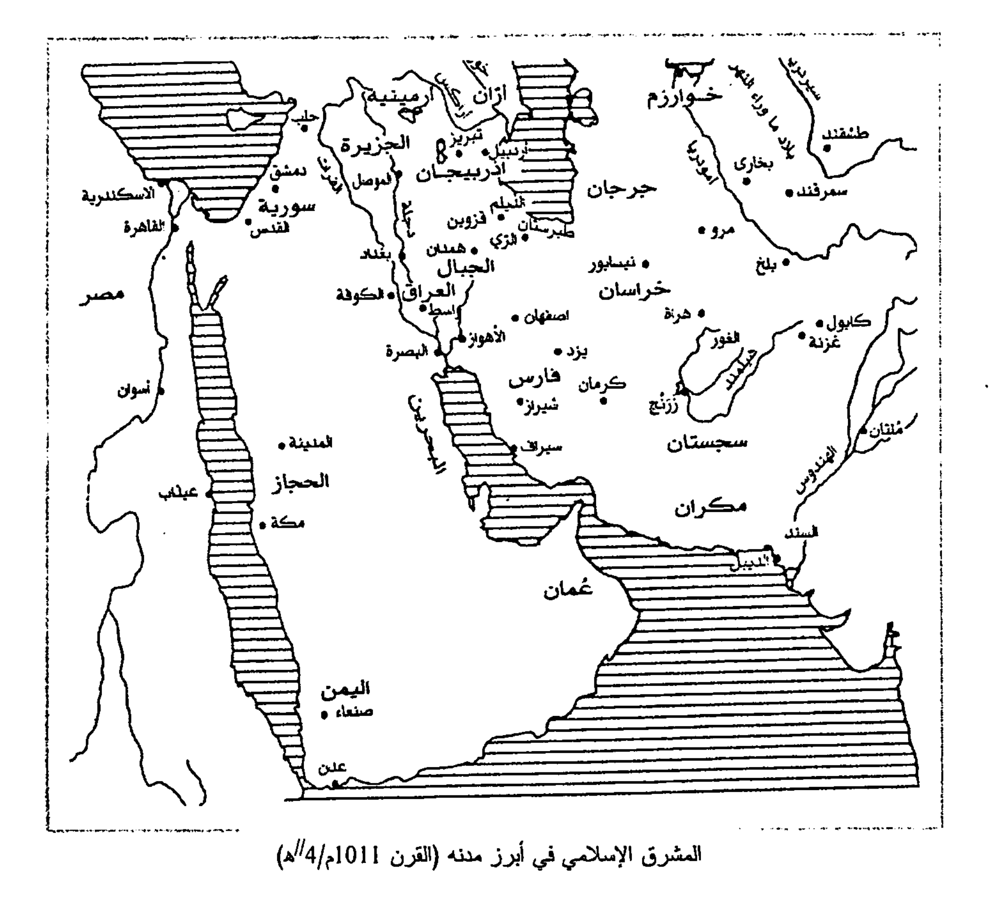
7 – وإلى الأبوّة والبنوّة الاصطلاحية، كما يسمّي الناس بعضهم بعضاً أبا الفضل وأبا الخير وأبا الكرم، أي هو علّة في ظهور الخير منه والفضل والكرم.

[الخلاصة]

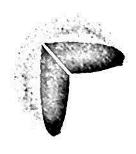
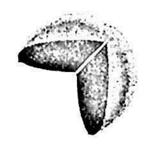
هذه جملة مختصرة في معاني الأبوّة والبنوّة والتوحيد والتثليث والاتحاد، يكتفي بها طالب حقيقة الاعتقاد في الأمانة السلّيحية المشرقيّة ويستغني بها عن الإطالة في الشرح والبيان. والله تعال وليّ الإرشاد إلى منهج الصواب، بشفاعة السيدة الطاهرة مارث مريم والدة الخلاص، وصلاة الشهداء والقدّيسين والتلاميذ الخواص، آمين.

---

1 – يوحنا 12/1.
2 – لوقا 36/6.
3 – 1 كورنتس 15/4.



المشرق الإسلامي في أبرز مدنه (القرن 1011م/4هـ)

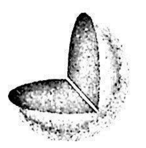
أسفار الأسرار

- 8 -

سفر 5// أصل 2// فصول 10// - 11// - 12//

في التوحيد والتثليث

لمار عبديشوع مطران نصيبين

مواضيع سِفر 5 / أصل 2 / فصل 10:

-إله واحد وثلاثة أقانيم

-المسيح إله كامل وإنسان كامل

-الاتحاد: تحديده وأنواعه

-مذاهب ثلاثة في الاتحاد

-ردّ على اليعاقبة

-ردّ على الملكية

-صحة مذهب المشارقة

[إله واحد وثلاثة أقانيم]

إنّ الباري (عزّ وجلّ!) هو الموجود الواجب الوجود، الواحد الحق الفرد، الذي لا يدخل عليه التكثير بوجهٍ من الوجوه، القديم بالذات، الحكيم الحي. فعبّرت النصارى عن القديم بالذات بالآب. لأنه السبب والعلة والفاعل لجميع المخلوقات، والأقدم منها بالطبع والذات. وعبّرت عن الحكيم بالابن لأن الحكمة متولّدة من ذات الحكيم بلا زمان، ولا مفارقة، ولا مزايلة. وعبّرت عن الحيّ بروح القدس. لأنه الحي القيّوم، الروح الحقيقي القدّوس. وهذا هو معنى قوله إن الله ثلثة أقانيم، جوهر واحد، إله واحد. فالوحدانية له من قِبَل الذات، والتثليث من قِبَل الصفات.

[المسيح إله كامل وإنسان كامل]

واعتقدوا في المسيح أن الكلمة الأزلية، التي هي عبارة عن حكمة البارئ تعالى المسمّاة بالابن (وهو أحد الأقانيم الثلثةِ، كما مضى) حلّت في البشريّ المأخوذ من مريم العذراء، اتحدت فيه.

فصار اسم المسيح عندهم يشمل المعنيين، اللاهوت والناسوت. ولذلك قالوا: «إن المسيح إله كامل وإنسان كامل، رب واحد».

[الاتحاد: تحديده وأنواعه]

والاتحاد هو مصير شيئين أو أكثر شيئاً واحداً. إمّا بالامتزاج والاختلاط، كاتحاد الماء والخمر في المزاج، والعسل والخلّ في السَّكَنْجَبِينِ. وإمّا بالمجاورة، كاتحاد الخشب والحديد في تأليف الباب

والسرير. وإما بالإرادة والمشيئة، كما قال الكتاب إنه كان لجميع الذين آمنوا نفساً واحدة ورأياً واحداً. وإما بالوجهيّة، كاتحاد الملك والنائب عنه في الأمر والنهي. وإما بالاتصال، كما قال الكتاب «أن يترك الرجل أباه وأمه. ويتّصل بزوجته، ويصيرا معاً لحماً واحداً»[1]. وإمّا بالكرامة والوقار، كاتحاد كلام الله والمصحف في الكرامة والوقار.

[مذاهب ثلاثة في الاتحاد]

ومذاهب النصارى في الاتحاد ثلَثة:

مذهب اليعقوبية. ويعتقدون أن الاتحاد كان بالقُنُوم والجَوهر، اتحاد الامتزاج والاختلاط. حيث صارت الكلمة الأزلية والبشريّ المأخوذ من مريم جوهراً واحداً قنوماً واحداً.

ومذهب الملكيّة. وهم يعتقدون أن الاتحاد كان بالقُنوم، لا بالجوهر، اتحاد المجاورة والتأليف. حيث صار الله الكلمة والإنسان المأخوذ من مريم جوهرَين، شخصاً واحداً.

ومذهب المشارقة، يعتقدون أن الاتحاد وقع بالمسحة والبُنُوّة والسلطان والقدرة، اتحاد الإرادة والمشيئة، والرضا والوقار، والوجهيّة. بحيث صارت الكملة الأزليّة والإنسان المأخوذ من مريم (وهما جوهران، أزليّ وزمنيّ وقنومان، إلهي وإنسيّ) ابناً واحداً، مسيحاً واحداً، بالرضا والكرامة والمشيئة والإرادة والوقار والوجهيّة.

[ردّ على اليعاقبة]

وفي الردّ على اليعقوبيّة، في قولهم إن السيد جوهر واحد قنوم

---

1 - تكوين 24/2 ومتى 5/19.

واحد، نقول: إن هذا الواحد: إما أن يكون هو الإله، فلا وجود للناسوت معه، وقد بطلت الآيات الدالّة من الإنجيل على وجوده في المسيح. وإما إن كان مركّباً من الإثنين تركيباً، بَطلَت معه الإثنَيْنِيّة، فهو إذاً شيء ثالث، لا إله ولا إنسان. وهذه الأقاويل ثلثتها كُفر. فالمقدّمة المؤدّية إليها (وهي قولهم إن المسيح جوهر واحد قُنوم واحد) كفر وضلال.

[ردّ على الملكية]

وبهذا القول أيضاً يلزم مذهب الملكية الفساد في قولهم إن المسيح جوهران قُنُوم واحد لأن القول في هذا القنوم الواحد كالقول السابق في الجوهر الواحد والقنوم الواحد. من قِبَل أن هذا القنوم الواحد، إن كان قنوم الجوهر اللاهوتي فقد بَطَلَ الناسوت واضمحلّ. وإن كان قنوم الجوهر الناسوتي، فقد بَطَلَ اللاهوت لأن القنوم هو الجوهر الأوّل الدالّ على حقيقة وجود الجوهر العام، كما حقّق أرسطو.

وإن كان مُركباً من الاثنين تركيباً، بطلت معه الإثنَيْنِيّة. فتفاسد الذاتان، وحصل الشيء الثالث، الذي لا هو الناسوت ولا اللاهوت. وهذه الأقاويل كلها أيضاً كُفْرٌ.

[صحّة مذهب المشارقة]

وإذا ثَبُتَ فساد المَذْهَبَيْن، فتعيّن صحة المذهب الثالث، وهو مذهب المَشَارِقَة. فالله يُثبّتنا عليه، ويؤيّدنا بالعمل المقرّب إليه.

تمت الأمانة بخطّ المصنّف، في أوائل ربيع الأوّل سنة ثمانٍ وتسعين وستمائة، في القلاية بنصيبين. ولله الحمد.

p. 442 ° اقانيم جوهر واحد اله واحد فالوحدانية له من قبل الذات والتثليث من قبل الصفات واعتقدوا في المسيح

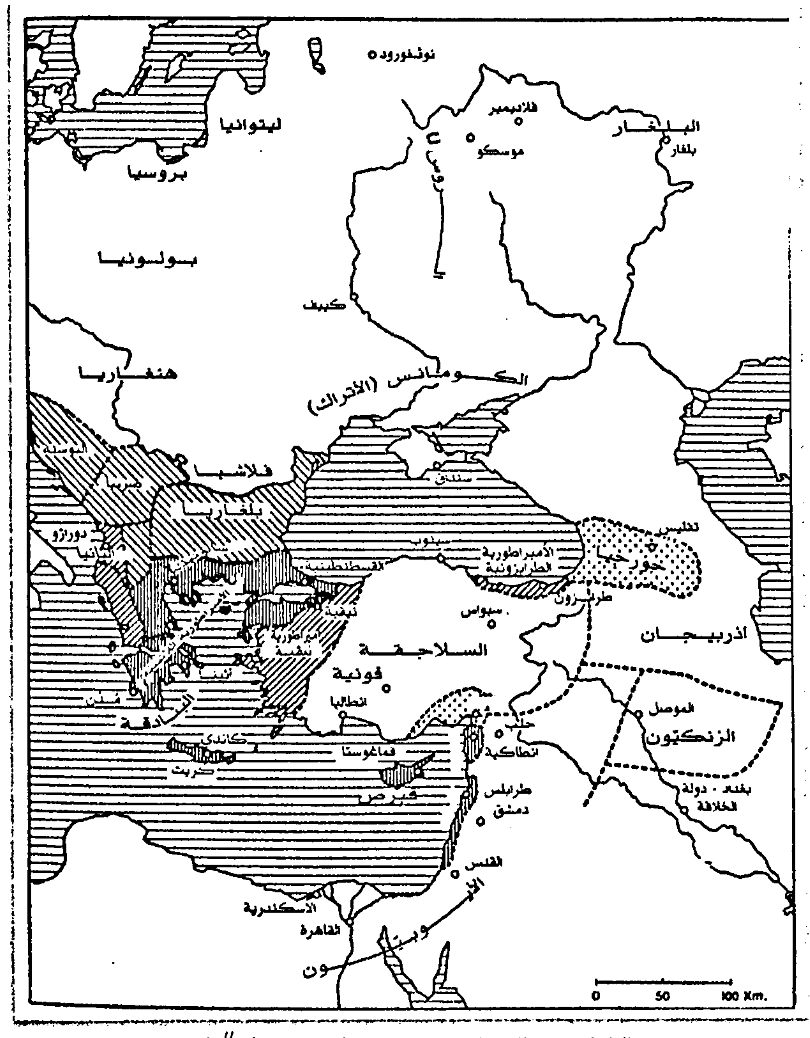
قال عبديشوع مطران نصيبين واعمالها

ان الباري عز وجل هو الموجود الواجب الوجود الواحد الحق الفرد الذي
لا يدخل عليه التكثير بوجه من الوجوه القديم بالذات الحكيم الحي . فعبرت
النصارى عن القديم بالذات بالاب لانه السبب والعلة والفاعل لجميع المخلوقات
والاقدم منها بالطبع والذات . وعبرت عن الحكيم بالابن لان الحكمة متولدة
من ذات الحكيم بلا زمان ولا مفارقة ولا مزايلة . وعبرت من الروح بروح
القدس لانه الحي القيوم الروح الحقيقي القدوس وهذا هو معنى قولهم ان الله
ثلثة اقانيم جوهر واحد اله واحد فالوحدانية له من قبل الذات والتثليث
من قبل الصفات واعتقدوا في المسيح ان الكلمة الازلية التي هي عبارة عن
حكمة الباري تعالى المسماة بالابن وهو احد الاقانيم الثلثة كما مضى حلت
في البشري المأخوذ من مريم العذرا واتحدت فيه فصار اسم المسيح عندهم يشمل
المعنيين اللاهوت والناسوت ولذلك قالوا ان المسيح اله كامل وانسان كامل رب
واحد . والاتحاد هو مصير شيئين او اكثر شيئا واحدا اما بالامتزاج والاختلاط
كاتحاد الماء والخمر في المزاج والعسل والخل في السكنجبين . واما بالمجاورة كاتحاد
الخشب والحديد في تاليف الباب والسرير . واما بالارادة والمشيئة كما قال الكتاب
انه كان لجميع الذين امنوا نفسا واحدة ورايا واحدا . واما بالوجهية كاتحاد
الملك والنائب عنه في الامر والنهي . واما بالاتصال كما قال الكتاب
ان يترك الرجل اباه وامه ويتصل بزوجته ويصيرا معا لحما واحدا . واما
بالكرامة والوقار كاتحاد كلام الله والمصحف في الكرامة والوقار . ومذاهب

صحيد

النصارى في الاتحاد ثلثه مذاهب اليعقوبية ويعتقدون ان الاتحاد كان بالنفوس والجوهر اتحاد الامتزاج والاختلاط حيث صارت الكلمة الازلية والبشرة الماخوذ من مريم جوهرا واحدا قنوما واحدا . ومذهب الملكية وهم يعتقدون ان الاتحاد كان بالقنوم لا بالجوهر اتحاد المجاورة والتاليف حيث صارا منه الكلمة والانسان الماخوذ من مريم جوهرين شخصا واحدا . ومذهب المشاريقية ويعتقدون ان الاتحاد وقع بالمسيحه والبنوة والسلطان والقدرة اتحاد الارادة والمشية والرضا والوقار والوجهية بحيث صارت الكلمة الازلية والانسان الماخوذ من مريم وهما جوهران ازلي وزمني وقنومان الهي وانسي ابنا واحدا مسيحا واحدا بالرضا والكرامة والمشية والارادة والوقار والوجهية . وفي الرد على اليعقوبية في قولهم ان السيد جوهر واحد قنوم واحد نقول ان هذا الواحد اما ان يكون هو الاله فلا وجود للناسوت معه وقد بطلت الايات الدالة من الانجيل عليه واما ان يكون هو الناسوت فيكون قد عدم اللاهوت وكذبت الايات الدالة من الانجيل على وجوده في المسيح واما ان كان مركبا من الاثنين تركيبا بطلت معه الاثنينية فهو اذا شي ثالث لا اله ولا انسان وهذه الاقاويل نتيجتها كفر فالمقدمة المودية اليها وهي قولهم ان المسيح جوهر واحد قنوم واحد كفر وضلال . وبهذا القول ايضا يلزم مذهب الملكية النسابق في قولهم ان المسيح جوهران قنوم واحد لان القول في هذا القنوم الواحد كالقول السابق في الجوهر الواحد والقنوم الواحد من قبل ان هذا القنوم الواحد ان كان قنوم الجوهر اللاهوتي فقد بطل الناسوت واضمحل وان كان قنوم الجوهر الناسوتي فقد بطل اللاهوت لان القنوم هو الجوهر الاول الدال على حقيقة وجود الجوهر العام كما حقق ارسطو وان كان مركبا من الاثنين تركيبا بطلت معه الاثنينية فقد فسد الذاتان وحصل الشي الثالث الذي لا هو الناسوت ولا اللاهوت وهذه الاقاويل عنها ايضا كفر واذا ثبت فساد المذهبين تعين صحة المذهب الثالث وهو مذهب [illegible] ذاته يتنزل

ملاحه



جغرافيا الصراع الإسلامي – الصليبي (القرن 13م/7هـ)




أسفار الأسرار

- 9 -

سفر 5"/أصل 2"/فصل 14"

رسالة مار مكّيخا البطريرك في حقيقة الديانة




مواضيع سِفر 5 / **أصل** 2 / **فصل** 14:

-كلمة صليبا بن يوحنا
-سلام ودعاء للمرسل إليه
-غاية الرسالة
-موضوع الرسالة
-وجوب الحفاظ على الإيمان رغم الاضطهاد
-بيع الدنيا بالآخرة
-تضحية القدّيسين ومعجزاتهم
-آيات كنيسة القيامة
-عجائب القدّيسين برهان للإيمان
-تعليم بولس الرسول في النضال الروحي
-إيمان الآباء مفتاح خلاصهم
- الإيمان بالمسيح عنوان النجاة
-بسالة الشهداء منارة للإيمان
-أخبار شهداء المشرق

حكاية دخناناشاه

ريح تدفن جثامين الشهداء

آباء مجمع نيقيا تحمّلوا الاضطهاد

بسالة مار توما في مواجهة الآريوسيين

حضور المسيح في المجمع

خبر استشهاد الجاثليق شمعون

-شهداء النصارى في الإسلام

[كلمة صليبا بن يوحنا]

الفصل الثاني من الأصل الثالث من الجزء الخامس.

نذكر فيه نسخة كتاب الأب الطاهر مار مكّيخا الجاثليق، فطرك المشرق (نيّح الله نفسه!)، كَتَبَه حيث كان مطراناً بالموصل وإربل إلى بعض الرؤساء المؤمنين بإصفهان جواباً عن كتابه.

[سلام ودعاء للمرسل إليه]

كتَبْتَ، أيها الشيخ الجَليل، السيّد المقدّم في الأمانة الأُرثادوكسيّة، الشمّاس الطاهر، الدَّيِّن، الخيّر. (أطال الله بقاءك وأدام تأييدك وسعادتك، وأضاء بخالص الإيمان نفسك، وأبهج بصالح الأعمال جسمك وحسّك، ونجّاك وجميع السادة الأجلاّء المؤمنين، أولاد المعموديّة الطاهرة، من طوارق الحَدَثان، وأعاذك وكلّ المسيحيين المستجيرين به من حِيَل الشيطان وسوء الزَّمان عن حال سلامةٍ يُمازجها غَمّ شديد). ولله الحمد والمِنّة على ما أولى وأبلى، وهو المنعم المشكور.

[غاية الرسالة]

وصل كتابك (أيّدك الله!) وقرأته، وسرّتني سلامة حياتك الحقيقيّة الأبديّة وحياتك المستعارة الزمنية. والله تعالى يجعلك وجميع شعبه المختار المبارك، المَحْبُو بالأسرار الإلهية، المتفق على المحبّة المسيحيّة، في حَيْز السلامة وكنف العناية السمائيّة. وعَرَفتُ ما ذكرته والتمسته (حَرَسَ الله

مهجتك!) من أن أكتب إليك بتلخيص ألفاظاً ومعاني من الكتب المقدّسة البيعيّة، فيها تقوية الأمانة الصحيحة وتثبيت الدّيانة المستقيمة وتسلية القلوب المفجعة، لأجل ما دَهَمَ بغتةً للبيعة المقدّسة المشرقيّة وأولياء سيّدنا إيشوع المسيح مخلّص العالمين (لذكره السجدة!) من الأمور الشنيعة التي لم تجرِ بها عادةً ولا عهد [لها بِ] مثلها من الدهور البعيدة. والله (تبارك وتعالى) يتغمّد كافة المؤمنين برحمته ويعيننا ويقوّي ضعفنا بقوّته المنيعة، وينجز وعده الكريم الصادق إذ قال:«ها أنا معكم جميع الأيام إلى انقضاء العالم آمين[1]. وإني لست أترككم أيتاماً»[2].

[موضوع الرسالة]

فأمّا ما اقْتَرَحْتَهُ (حرس الله حياتك)، فأنت تعلم أن الزمان يقصر عن الإبلاغ في شرح ما التمسته، وأنت تستغني بالموجود ذكره من المعنى المقصود في الكتب الشرعيّة والأخبار البيعيّة عن استدعائه منّي. ولكني لأُجيبكَ بيسير من كثير ما حوته الكتب الدينيّة بحسب ما تحتمله المكاتبة، مع ما أنا فيه من الحُزن والبُكاء المُرّ والابتهال إلى الله تعالى في التعطّف علينا بالبواعيث في جميع الأمكنة المقدّسة عندنا ، وهو برحمته يسمع ويجيب. ليكن ذلك طريقاً لك ولِمَن يختار قراءته، ومستحثاً يبعثكم على تطلّب شرح حقائقه من الكتب البيعيّة في مواضعه. فإنها مملُوَّة من ذخائر الحيوة، كما قال الأب القدّيس صاحب القدّاس النفيس: من المزارعِ حصاد بَهِجٌ ومِن الكروم قَطافٌ لذيذٌ ومن كُتُبِ الله تعليمٌ مُحيٍ. والحَصاد والقَطاف قد يوكونان في وقتٍ ما، وإذا وقعا خَلَتِ المَزارِعُ

---

1 - متى 20/28.
2 - يوحنا 18/14.

والكُرُومُ، وكُتُبُ الله (جلّ وعزّ) كلّما حُصِدَ سنبل منائحها وفضائلها ازدادت كثرة ووفوراً. فنقصد الآن نحن أيضاً هذه المزارع الروحانية[1]، ونحصد من ألفاظ سيّدنا إيشوع المسيح ما ينتِشُنا [ينتشلنا] من الضّلال ويهدينا إلى الرَّشاد.

[وجوب الحفاظ على الإيمان رغم الاضطهاد]

قال عزّ وجلّ ذكره:«صلّوا ألاّ تدخلو الامتحان»[2].

وأَمَرَ وقال:«ادخلوا الباب الضيّق. فما أعرض الباب وأوسع الطريق المؤدّيَ إلى الهلاك، كثيرون السالكون فيه، وما أضيق الباب وأحرج الطريق المؤدّيَ إلى الحيوة، وقليلون هم الظافرون به»[3].

وقال أيضاً:«إني مرسلكم مثل الحُملان بين الذئاب: فكونواحُكماء مثل الحيّات وهادئين أوطياء مثل الحَمَام»[4].

فالباب الضيّق هو صعوبة الشريعة التي تُنهي عن التفسُّح في الشهوات، وتصُدُّ عن الإباحة في اللذّات. والباب الواسع هو الترخيص في الشرائع والتسهيل في السُّنن والفرائض وتخفيف الكَلَفِ في الدين. ومن واضح حكمة الحيّات أن الحيّة إذا ما أحَسَّت بالأذى، تبادر وتخبّئ رأسها وتحفظه، لأنها تدري أنه معدن الحواس والحركات، وتبذل باقي جسدها للقتل. معناه كذلك أنتم ينبغي أن تحفظوا جوهرة أمانتكم (التي هي رأس حياتكم الحقيقيّة الدائمة الأبدية) وتبذلوا أجسادكم والمقتنيات، إن

1 - استشهاد يرجّح أنه مأخوذ من تيودورس المصيصي أو من نسطور وهما وفق تقليد كنيسة المشرق مؤلفا نافوري القدّاس.
2 - متى 41/26.
3 - متى 13/7 - 14.
4 - متى 16/10.

سامكم المضطهدون لذلك، وألزموكم إياه ولم تجدوا لكم مقراً تعتصمون به من القتل: فابذلوا أجسادكم واحفظو جوهرة أمانتكم، فإنّ ليس لها عِوَض ولا تعادُل بالدنيا وما فيها.

ومن حكمتها أيضاً أنها، إذا عَتَقَت وتقشّف جلدها، عَمَدَت إلى ثُقبٍ ضيّق ودخلت فيه منضغطة، وسَلَخَت جلدها العتيق وتشبّبَت وتجدّدت بجلد طري جديد. كذلك أنتم ينبغي لكم أن تتشبّهوا بحكمتها وتدخلوا في الباب الضيّق وتخلعوا هِمَمَ البشر العتيق المنفسد بالشهوات الدنيّة، وتلبسوا هِمَمَ البشر الجديد – البريء من الخطيئة الذي خلقه الله بالبرّ والتقوى.

ومتى ابتلتكم الخطيئة فتجدّدوا بالتوبة: فإنّ دموعَ التوبة تغسل الذنوب، كما يغسل الماء المكتوب. وخاصيّة الحَمام في الوطاءة والسّلم أن الإنسان، إذا أخذ فِراخه من تحت جناحه، لم يغضب ولم يسخط ولا يُخلي وطنه. معناه كذلك يجب على المؤمن المُحِقّ ألاّ يرق دينه بسب أذيةٍ تناله من الأشرار. وقال:«احذروا الناس فإنهم يُسلّمونكم إلى الحُكّام، وفي جموعهم يُعَذّبونكُم، وبين يَدَي الملوك والسلاطين يقيمونكم. وإذا سُلّمتم للقوم فلا تهتمّوا كيف أو ماذا تتكلّمون، فإنكم تعطون ساعتئذٍ ما تتكلّمون ليس أنتم تنطقون، بل روح الرب تتكلم فيكم»[1]. وقال:«وتكونون مبغوضين من كل الناس لأجل اسمي. فمَن صَبَرَ إلى آخر الأمر فهو يحيا»[2]. وقال: «وما الذي يربح الإنسان إذ مَلَك الدنيا بأسرها وكان لنفسه خاسراً»؟[3].

---

1 – متى 10/17 – 21.
2 – متى 10/22.
3 – لوقا 9/25.

[بيع الدنيا بالآخرة]

وسبيل مَن خاف الله وعرف الحق وآثر الحيوة المُرتجاة أن يفتدي الشريف العظيم الذي لا نظير له بالدَّنِيّ الحقير الذي لا بقاء له، ويحفظ الحيوة الحقيقية الأبدية الدائمة التي هي الاتصال بمحبّة خالق البَرايا – تقدَّست أسماؤه – الحي الأزليّ، خالق كل الأحياء، الذي أحلّ كلمته الأزليّة في بشريّة سيّدنا المسيح وجعل الحِكمة مستورة فيه وأظهرها به. بدل هذه الحيوة المستعارة الزمنية الفانية. كما قال السّليح المؤيّد فولوس:«مَن الذي يقدر أن يعزلني او يميّزني ويفصلني من حب الله بسيّدنا إيشوع المسيح؟ أضرّ شديد أو حبس طويل، أو اضطهاد عنيف أو جوع مجهد، أو عُريّ فاضح أو سيف صارم؟ وإنّي لعالِم خبير أنه لا يردّني عن حب المسيح موتٌ مبيدٌ ولا حيوة، ولا الملائكة المقرّبون والمسلّطون، ولا الأقوياء ولا الدنيا وما فيها، ولا الدّار العالية الغور الأسفل، ولا خليقة أخرى، إن كانت موجودة، تقدر أن تميّزني و تفصلني من حب الله بسيّدنا إيشوع المسيح»[1].

[تضحية القدّيسين ومعجزاتهم]

وهذه المحبّة التي فاضت على قلوب الأنبياء المتقدّمين والسلّيحين الطاهرين والشهداء القدّيسين: فإنّ بها آثروا قتل أجسادهم في حفاظ حياتهم الباقية الأبدية. ووثقوا بما وُعِدوا في دار المعاد بما ظهر لهم وعلى أيديهم من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة التي تفوق القِوَى البشريّة، وتحقّقوا أنها قدرة لاهوتٍ وليست من قوّة مخلوق.

---

1 – روما 35/8 و روما 38/8 – 39.

وآثار تلك الآيات السالفة باقية مع الزمان إلى يومنا هذا وإلى انقضاء الدنيا، ليستدلّ باليسير الموجود على الكثير المفقود من آثر الحق وأحبّ الهداية.

[آيات كنيسة القيامة]

من ذلك نزول النور في بيعة القيامة ببيت المقدس قرب آخر نهار يوم السبت الكبير الذي صُبحتُهُ أحد القيامة، في كل سنة لا يخرم القانون المستمر ويُشعل القناديل التي على القبر المقدّس الذي وُضع فيه الجسد الكريم، جسد سيّدنا إيشوع المسيح، ثلاثة أيام. والقبّة التي فيها المقبرة مغلقة، مختومة بختم سلطان البلد وأصحاب السلطان محدقون بالموضع، يحفظونه خوف ألاّ يتمّ من النصارى حيلة. فهم للقبر حافظون، وبصحّة نزول النور من السماء شاهدون ليزول الشكّ في تصحيح الخبر بموت سيّدنا ودفنه وقيامته حيّاً وصعوده إلى السماء ممجّداً. وليعلم جميعاً أنّ الله (تبارك وتعالى!) راضٍ بدين النصرانية بنزول العلامة من السماء. ولو لم يكُن لدين النصرانية غير هذه الآية الظاهرة لكان فيها كفاية ومقنع لطالب الحق.

[عجائب القديسين برهان للإيمان]

كيف والأديرة المبنيّة على أسماء القدّيسين دائماً تظهر منها الآيات والمعجزات لِمَن يقصدها بالأمانة في إبراء المرضَى وطرد الشياطين ودفع السُّمومات القاتلة عن أبدان الناس. مثل بركة القدّيس مار شليطا[1]

---

1 – عرّفنا بمار شليطا (فصل 10//) وسائر القدّيسين الذين يلي ذكرهم في هوامش متن أخبار البطاركة لصليبا (قسم 2//من هذا الكتاب).

التي، إذا أخذها الإنسان ومَسَك لها تسعة أيام، أخذ الحيّات والأفاعي بيده وهي متذلّلة له، لا تلدغه ولا تضرّه، إن لدغته. وكذلك بركة ربّن هُرمِزد القدّيس فإنها تَصلُح لأخذ الحيّات والعقارب والكَلْب، والكَلِبِ وللعواقر من الناس والدّواب. كذلك بركة القدّيس مار بابويه بالبوازيج تدفع بقدرة الله سَمَّ الكَلْبِ الكَلِبِ والذئب وكلّ سبع كَلِب. ومعلوم أن ليس في طبيعة الزيت دفع السمومات القاتلة وإبراء الأمراض المختلفة وطرد الشياطين، وإنما القوّة الإلهية الحالّة في الزيت، الممازجة له هي التي تعمل الأعمال العجيبة. ومثل بَرَكَةِ مار ماري السلّيح (لذكره السَّلام!) التي تظهر من سكينته في كل سنةٍ مرّتين. ومثل آية القدّيس مار قوما [1] الذي له نحو من تسع مائة سنة، تزيد أو تنقص، قائماً على قدميه، لم يتسلّط الفساد على جسده، ولا انتثر لحمُهُ، ولا تفصّلت أعضاؤه، ولا انطحنت عظامه مثل سائر الأموات إلاّ كأنه نائم ينتظر الصوت المحيي يوقظه في القيامة ويبعثه في المعاد. ومثل إجابة الشاهد القدّيس مار جيورجيس وأفعاله العجيبة مع مَن يستجير به بأمانة في برّ وبحر وسهل وجبل.

وأشياء أُخر في بلاد متفرّقة من آيات يقصر عن تعديدها والإحاطة

---

1 – مار قوما: متنسك فوق الشجرة (القرن 6‖/7‖). ولد في ميافارقين ترهّب ثم تنسّك فوق شجرةٍ حيث عاش حتى ناهز التسعين. كان جثمانه محفوظاً من غير فساد في صندوق عموديّ يفتح أعلاه يوم عيده في 10/15 للكشف عن وجهه. وقد انتهزت امرأة "تقية" هذه الحالة لقطع أنفه وشفته العليا بأسنانها. وفوق ذخائره هذه شيّد دير قرب تكريت.
وإضافة إلى الدير المذكور الذي اندثرت آثاره، يحمل أحد المعابد الـ 34 التي تحيط بقرية باسبرينا في طور عبدين اسم قوما أو قومي. وقد عثر على بعض ذخائره عام 1940 في كنيسة الطاهرة للسريان الأرثوذكس في الموصل. وفي ديار بكر كنيسة باسمه مارقومي وكذلك في كيرالا بالهند.

بها. قال بعض المعلّمين:«إن أنت، أيها المؤمن، غَرَفْتَ بكفّك يسيراً من ماء البحر وذُقت طعمه، علِمْتَ أن جميع ماء البحر مُرّ مالح. وإذا أَنْهَلْتَ نهلة من ماء نهر جارٍ طيّب الطعم، عرفتَ بالقليل الذي وصل إلى لَهَواتِكَ منه أنّ جميع ماء النهر عذب طيّب». كذلك يجب على مثل هذا القياس، إذا ما تحقّقت أن في دينك آية واحدة ظاهرة يعجز عن فعل مثلها جميع الناس، فتحقّق واستدلّ بها على صحّة جميع الآيات المذكورة في كتب الشريعة،وإن لم تشاهدها بعينك. فببعض هذه الأشياء المذكورة يسترشد طالب الحق ويستهدي بها مُؤْثِرُ الحياة والنجاة.

[تعليم بولس الرسول في النضال الروحي]

قال السلّيح المؤيّد فولوس:«تَدَرَّعوا بجميع سلاح الله، لتقدروا على مقاومة الشيطان الخبيث والقهر له، وقوموا وأنتم مستعدّون متأهّبون بكل عدّة. فقوموا الآن، وشدوّا ظهوركم بزُنّار القِسط والحق، والبسوا دِرعَ البرّ، وخفّفوا أقدامكم بعُدّة إنجيل السلام. واستتروا بجُنّة الإيمان لتقدروا أن تُخمِدوا بها جميع نَبْلِ الخبيث المُحرقة وضعوا على رؤوسكم بيضة الخلاص والنجاة، وانتضَوا سَيْف النفع الذي هو كلمة الله. وبكل صلاة وبكل عزيّة صلّوا بالروح في كل حين، غير مفترين»[1]. وقال المؤيّد:«بالإيمان نفهم ونعلم أن العالمين والخلائق كلها أُتقنت بكلمة الله، وأن هذه الأشياء المنظور إليها إنما كانت ممّا لم يكُن ولم يُرَ»[2]

1 - أفسس 13/6 - 18.
2 - عبرانيين 3/11.

[إيمان الآباء مفتاح خلاصهم]

تفسير فضائل الإيمان المذكورة في كتب الصورة. الإيمان صَبَّرَ الشهداء والقدّيسين على تجرُّع مرارة الآلام، حتى كُلِّلوا بتيجان البهاء والمجد وحازوا أعلى مراتب الإعظام والإكرام. الإيمان عَصَمَ الآباء الأخيار من التدنيس باللذات، حتى استفادوا المباهي الحسنات واستمدّوا فوائد الخيرات. الإيمان صَبَّرَ أيوب بن زِرَحٍ على المِحَن العظيمة، والبلوى الصعبة الشديدة والأوجاع الأليمة، التي اختُبِر بها صبرُهُ، وعلا بها قدرُهُ وذِكرُهُ، ووصَفَ بها الله القدّوس إيمانه وفضله وقال: «هذا أيوب ليس على الأرض مثله»[1]. الإيمان عَصَمَ يوسف بن يعقوب من الخطيئة، ونجّاه من ضيق السجن وذُلّ العبوديّة. بالإيمان سَعَى بنو إسرائيل في قرار البحر بالنساء والأولاد والأثقال، والماء واقف يمنة يسرةً ممنوع من الجري والانتقال. بالإيمان أصعد الأخيار العائدون من بابل طين البئر المُلقى فيها عند سبيهم نار مذبح الربّ، وعادت مُستوقدة من الحمأة بعد سبعين سنة، وصارت لهم نار القدس على سابق رسوم السُّنّة. الإيمان خلّصَ دانيال من سطوة الكُفّار ببابل وجعل السِّباع الضارية في الجُبّ خاضعة له بتذلُّل.

الإيمان حَجَبَ عن حَنَنْيا وعزريا وميشايل شرّ النار، أيام بخت نصْر ببابل عند تسلّط الحُسّاد ووشاية الأشرار، وصارت تحتهم وحولهم برداً وسلاماً، وظلّوا فيها يُسبّحون الله سُعاةً وقياماً. وفي اليسير المذكور والكثير المشهور كفاية تُغني القصد عن الإطالة في مرام النهاية.

---

1 - سِفر أيوب 3/2.

[الإيمان بالمسيح عنوان النجاة]

فَمَن صَدَقَ واهتدى غَنِمَ، ومَن كَذبَ واعتدى نَدِمَ. والسعيد مَن نَصَبَ على الإيمان الصحيح أساس عمله واعتقاده، وشيّد بالبرّ والأعمال الصالحة أركان عزمه واجتهاده، وسَلَكَ المَحَجَّة الفُضلى من طريق النجاة، وتمسّك بالعُروة الوثقى من خلائق الزكاة وأحبّ القُربة إلى الله بمواهب السعادات، وآمن بوسيط الخيرات، مقيم الأموات. إيشوع المسيح، كلمة الله الأزليّة، المنقذ من وَبال موت الخطيئة، الشافي من أسقام خَبال البشريّة. وأذعن بروح القدس مُعِين مَن أطاع، الناطق على ألسُن الأنبياء بمرضاة المُطاع، وناصح في الاتّباع، وأحَبَّ البرّ والطريق المُضيئة، وتَجَلّل بجمال طهارة المعموديّة. وارتسم بدُهن المسحة ووساطة الكهنوت، وتناول قرابين النجاة والمغفرة من أسرار اللاهوت، وقَبَّل الصليب واعترف بالصلبوت. وتوجّه بصلاته مشرقاً، وصدّق بالقيامة والحساب، وفَرِقَ من هَول النار والعقاب. وكان إيمانه بلسان فصيح، وإذعانه بيقين صحيح. وصار يوم الدين من أصحاب اليمين، وحاز الفوز السَّنِيّ مع الآمنين، واستوجب رحمة الله رب العالمين.

[بسالة الشهداء منارة للإيمان]

ومما يُستعان به في تقوية الإيمان وتثبيت الاعتقاد ما جرى من قصص أصفياء سيدنا المسيح وشهاداتهم على عهد ملوك اليونانيين وملوك فارس، وصبرهم، ومُسارعتهم إلى بذل دمائهم ومُهَجِهِم ودماء أولادهم، والخروج عن نِعَمهم ولذّات دنياهم. وكانوا يسارعون إلى أن يُقرّبوا أجسادهم قرباناً لله، وكان يُقتَل الواحد ويتنصَّر المائة والأكثر والأقل. من ذلك أن بعض

ملوك الروم المَرَدَة، قَبْل أن يتنصّروا، وقد ألَجّ على قَتل الشهداء فقتل منهم مقتلةً عظيمة. فقالوا للملك:«إنما هوذا يزيد فيهم، وأنت تظن أنك هوذا تُنَقِّص من عددهم. فقال: وكيف ذلك؟». فقيل له:«إنك قتَلتَ البارحة كَذي وكَذي وقد تنصَّر هم البارحة كَذي وكَذي. قال: وما السبب في هذا؟» فقيل له:«إن القوم يقولون إنهم يرون رجلاً يطلع إليهم من السماء ويشجعهم. فعند ذلك أمر برفع القتل عنهم. وكان هذا القول داعياً إلى تنصّر ذلك الملك ورجوعه عمّا كان عليه من الكُفر وقتل أولياء الله».

فانظروا إلى هؤلاء الذين كانت لهم البصائر في الدين وشدّة اليقين والإخلاص وجودة الإيمان: كيف لم تفتر نيّاتهم والسّيوف تأخذهم، وكانوا يعذّبون بأنواع العذاب، وهم فرحون جذلون مسرورون. فمنهم مَن سُلخ جلده وهو حيّ، ومنهم مَن قُطِعت أعضاؤه وهو ينظر، ومنهم مَن أُحرق بالنار، وبعضٌ أُلقي إلى السّباع: وهم في ذلك العذاب الذي لا توصف شدّته على غاية التمسّك بدين النصرانية.

[أخبار شهداء المشرق]

حكاية دخناناشاه

ومما يُقوّي الأمانة أيضاً خَبر الشاهدة المقدّسة المعروفة بدُخْنانْشاه[1] التي كانت بِنْتَ مَلِكِ الأهواز. فإنّ أباها ذات يوم ألَجَّ على قتل الشهداء المؤمنين بالمسيح، وهي جالسة على القصر أمام الماشطة تضفر ذوائبها. فنظرَت بأرواح الذين يستشهدُهم أبوها تطير إلى السماء على هيئة القناديل

---

1 - دخناناشاه أو دوختانشاه ومعنى الاسم بنت الملك. يجعل المطران إدي شير استشهادها عام 341. ويضعها في فئة الشهداء المشبوه بهم (تاريخ كلدو وأشور، ج2، ص 86).

النيّرة. فوقع ذلك بقلبها، فاحتجّت على الماشطة ببعض الأسباب، وقد ضَفَرَت بعضَ ذوائبها وبقي بعضها. ونزلت من القصر في غفلة حتى دخلت في حوطة أولئك الذين يتقتّلون متنكّرة، فاستشهدت هي أيضاً مع أولئك، ولم تُعرف. فلمّا افتقدها خدمها ولم يصيبوها، أعلموا لأمها وأبيها، وجعلوا يطوفون في طلبها حتى وجدوا رأسها مقطوعاً بين رؤوس الشهداء مطروحاً، فعرفوها بشعرها. لأنهم كانوا قد سألوا الماشطة عن شأنها فأخبرتهم أنها قالت لها: ترين هذه القناديل التي تعلو في الهواء؟ قلتُ لها: لستُ أرَى من ذلك شيئاً ففي تلك الساعة قامت مسرعة نزلت من القصر. فكان هذا أيضاً داعياً إلى تنصّر كثير من الناس.

[ريح تدفن جثامين الشهداء]

ثمّ إن الله تبارك وتعالى أرسل ريحاً عاصفة فجَمَعَت على الشهداء تُراباً على هيئة الأكمَةِ، وهو ثابت ذلك الأثر إلى الآن. وقد نَبَتَ على تلك الأكمَة شيءٌ كثير من الريّاحين والحشائش الطيّبة الأراييح. وأهل النصرانية في ذلك البلد يتبرّكون بذلك الموضع إلى الآن. وليست هذه الفضيلة إلاّ في دين النصرانية:فإن ذلك لهم وراثة قائمة فيهم إلى انقضاء الدنيا.

[آباء مجمع نيقيا تحمّلوا الاضطهاد]

ويجب أن نتمثل ونقتدي بإيمان الثلثمائة والثمانية عشر أباً مقدّساً مختاراً من جملة ألفين وثمانية وأربعين فطركاً ومطراناً وأُسقفاً، كانوا كالملائكة في التُقى والنجوم في السماء في البهاء والضيّاء. فاقتصر الملك المنصور قسطنطين عليهم وقَصَدَهُم مُناظرة أهل البدع والخِلاف وفي استنباط الحق منهم، وتقرّر في صدره وصدور عُظمائه سلامتهم من الزَّيغ وصرامتهم في نُصرةِ الحق. لِما رأى من آثار العذاب فيهم، لأنّهم بأجمعهم

كانوا منكوبين من أعداء الحق بآثار تشهد لهم بالفَلَح وبراءة السّاحة. فمنهم مَن كانت رِجلاه قد قُطِعَت، ومنه مَن قُوِّرَت عيناهن ومنهم مَن قُطِعَت يداه، ومنهم مَن نُزِعَت أنيابه وأضراسه، وقُلِعت أظافيره، وأضلاعه كُسِرَت.

(بسالة مار توما في مواجهة الآريوسيين)

أمّا مار توما أسقف مرعش، فإن الأريوسيّة كانوا حبسوه اثنتين وعشرين سنة، وعذّبوه بلا رحمة ولا رأفة لشدّته كانت عليهم.

فَلَمّا وجدوا نصرةً من ظلال الملوك جعلوا يقطعون منه كل عام عضواً فكان مُقَطَّع الأذنين والمنخرين والشفّتين واليدين والرجلين مقلّع الأضراس والأنياب. قد بقي كعود محترق سواداً ويبساً من التقشُّف والنُسك. قد عُمل له ذُكارين كثيرة، لأن المؤمنين كانوا يظنون أنه قد فارق الدنيا.

وكان في هذا المجمع المقدّس قومٌ قد أقاموا الموتى وعملوا الآيات العظيمة: منهم مار يعقوب مطران نصيبين، فإنه أقام ميّتاً في ذلك المجمع المقدّس بحضرة الملك المنصور قسطنطين.

(حضور المسيح في المجمع)

وكانوا إذا عُدّوا جلوساً على الكراسي، تكون عدّتهم ثلثماية وتسعة عشر، وإذاعُدَّت الكراسي خاليةٌ، كانت ثلثمائة وثمانية عشر. فلم يشكّوا أن سيّدنا المسيح (لذكره السّجدة) حاضر معهم كما وعد، وقوله الحق.

وهؤلاء كلّهم في محبّة سيّدنا احتملوا أنواع العذاب.

ولم يكن في الثلثمائة والثمانية عشر مَن هو سليم الجسد من آثار العذاب إلاّ أحد عشر نفساً صلواتهم كلّهم تحفظ جميع المؤمنين. آمين.

[خبر استشهاد الجاثليق شمعون]

ومِن لَمْعِ الأخبار التي تشدّ اليقين وتؤكّد رجاءنا وتشجعنا على الصبْر في محبّة سيّدنا المسيح ما جاء في قصّة مار شمعون بر صبّاعي الجاثليق فطرك المشرق (صلاته تكون معنا) الذي استشهد هو ومائة وثلاثة أنفس، [منهم] مطارنة وأساقفة وجمعٌ كثير من المؤمنين، رهبان وقسّان وشمامسة وعلمانية. وهم أوّل مَن استشهد بأرض المشرق في أيام سابور ملك الفرس في سنة ستمائة [و]خمس وخمسين للإسكندر في بلد الأهواز في كرخ ليذان. فلَمّا قُبِضَ عليه وعليهم بأمر الملك بعد خطوب كثيرة جرَت بينهم، أمر الملك أن تُهدم بيع المدائن وأسفانير، كما أنهم خالفوا الملك على الدخول في دينه.

فجمع هذا الأب رعيّته وشجّعهم، وقال لهم: يا أولادي، تأمّلوا الأنبياء المقتولين والسلّيحين المرجومين. ويجب أن تعلموا أن ليس الله جلّ وعزّ ضعيف القوّة ولا مسيحُهُ ذليلاً، لكن يريد أن يُظهر قوّته في صَبْرِ الضعفاء على الآلام في محبّته، وهو يُجيركم، إن رفعتم قلوبكم إليه، ويقوّي ضعفنا ويجعلنا شُجعاناً في الجهاد. ويجب أن تتيقّنوا في أنفسكم أن هذه الشدّة تزول، ويجيء بعدها فرح وراحة، والبيَع التي هُدِمَت فسوف تُبنى بالمجد وتزيّن بالمحاسن. وإن هُدمت بيَعُنا، فليس سبيلنا أن نحزن، فإن لنا بنياناً في السماء ما لم تصنعه الأيدي البشرية، وليس هو بالمدائن وأسفانير وكوخي، إلاّ في أورشليم العليا التي في السماء. وأنا هو ذا أرحل إلى باب الملك، ولا أعلم ما يعرض بعدي، فكونوا الآن معتدين، متلبّسين دِرْعَ الإيمان والشهادة حتى، إذا ما اصطفّ بإزائكم الحرب، لم تنفذ سِهام العدو في دروعكم. هذا أقول لكم وأحذّركم، مثل الأب الذي يُحذّر بنيه: احفظوا وصايا سيّدنا ليحفظكم. أَحِبُّوا مَن أكرمنا ونفسه بذل عنّا ليُحْيينا بموته. تحفّظوا بالأمانة الصحيحة بوحدانية ذات

الباريء الأزليّة وبتثليث أقانيم صفاته الأبديّة، الآب والابن وروح القدس. احتَمِلوا من أجل هذه الأمانة الآلام الكثيرة والمَوْتاتِ الصعبة الشديدة. تذكّروا ما قال السلّيح المؤيّد فَوْلوس:«إن الكلمة مصدّقة ومستحقة للقبول: فإن مُتْنَا في طاعة المسيح فإننا واثقون بأن نحيا معه، وإن تألّمنا على جهته، فَمَعَه نمْلِك»[1]. وقد أوصيتكم بهذه الوصايا من حيث أعلم أن وجهي ليس تَرَوْنَ مرة أخرى، لأنني أريد أن أضحّي من أجل الأمانة ومن أجل شعب الله. والذي يسوقني لذلك هو رحمة سيّدنا المسيح وهو يكون معي ومعكم إلى أبد الآبدين. آمين.

فلَمّا سمعوا ذلك بكوا بكاءً شديداً على فُرْقَة الراعي المتيقّظ، وعلى رحيل المدَبّر الحريص، وعلى انتقال الرئيس البارع الصحيح، وعلى انصراف المعلّم الحكيم، وعلى بُعْد الأب المُشفِق الرحيم. وأكثر ما تَمَرْمَروا بالبُكاء لَمّا قال لهم: إنكم ليس تروني مرّة أخرى.

ثم إن مار شمعون أخذ يعزّيهم ويسلّيهم ويُقبّلهم، وصلّى عليهم وباركهم. ومن ساعة كَمَّلَ صلاته رحل إلى الأهواز، وثمّ تكلّل بالشهادة الصحيحة، هو ومَن كان معه، في يوم جُمعة أَلَمِ سيّدنا المسيح (جلّ ذكره!).

وكان قد سبقهم كوشتازاد، أمين الملك، في الشهادة، وقُتِل قبل بيوم. وكان مار شمعون يشجعهم ويقول:«دُوسُوا، يا أحبّائي، حُمَةَ الموت فقد كسرها سيّدنا إيشوع المسيح. ثم قال:«أين حُمَتُك، يا موت، وأين غَلَبَتُك، أيتها الهاوية؟»[2].

وفي الأخير استشهد مار شمعون بَر صَبّاعي. صلواته وصلوات جميع الشهداء تحفظ جميع المؤمنين بالمسيح. آمين.

---

1 - طيموتاوس 2/11 - 12.
2 - كورنتس 15/55.

[شهداء النصارى في الإسلام]

ونتأمّل أجر الآخرين الذين عَمِلوا ساعةً واحدةً من اليوم في الكَرم الروحاني، ولحقوا في الأجر والثواب بالأوّلين الذين احتملوا هاجرة اليوم وثقله، في زماننا هذا، بمدينة الموصل، قريب غير بعيد. واختبر ذهب إيمانهم فخرج نقيّاً من الغش، بَنُو الرئيسِ الفاضل والنصرانيّ الكامل إسرائيل الثلاثة[1]، الرؤساء المؤمنون، الكتبة المذكورون، والوزراء المعروفون عند الملوك والسلاطين، (نيّح الله نفوسهم مع الشهداء والقدّيسين!). فإنهم اقتدوا في الثبات على الدين بالشهداء المجاهدين، واحتملوا أنواع العذاب مُطاوَعين، وفي محبّة سيّدنا المسيح مخلّص العالَم متمسّكين. فَقُلِعَت أظافيرهم وأضراسهم، وشُرِحَتْ لحومهم وأُطعِموا إيّاها، وكُحِّلت أعينهم بالحديد المَحمي، بعد ما عُرِض عليهم عدّة دُفُعاتٍ الخروج عن دين المسيح حتى يتخلّصوا من القتل، فما فعلوا، ولا أطاعوا، ولا فتُرَت نِيّاتُهم. وبذلوا مُهَجَهُم للقتل خنقاً وصلباً، وهم صِيامٌ، قد تناول كلّ واحد منهم طابع حنان في فمه. ففازوا بإكليل الشهادة، وارث ملكوت السماء، مع شيعةِ الشهداء. ودُفِنَت أجسادهم بالكرامة في البيعة المقدّسة، كما يستحق مَن آثر محبّة المسيح على نفسه. فَلَهُم الطُّوبَى، والنعمة لأنفسهم مع الشهداء والقدّيسين، ونفَعَنا الله بصلاتهم. آمين.

---

1 – يروي إيليا النصيبيني مقتل أبي الحسن ابن إسرائيل الوزير المسيحي للأمير أبي الفضلِ ابن حسام الدولة وذلك على يد أهل نصيبين في 1017/12/10. ويذكر مؤلف المجدل استشهاد ابن نصر بن إسرائيل الذي رفض اعتناق الإسلام. ويشير إيليا النصيبيني إلى استشهاد ثلاثة وزراء آخرين: أبو المفضّل ابن السيدة وأبو سعيد بن الياس عام 998. وأبو الحسين بن السهروي عام 1012. (نقلاً عن وزراء النصرانية في الإسلام للأب لويس شيخو، تحقيق كميل حشيمة، ص 121 – 122).




ملحق

د. لويس صليبا

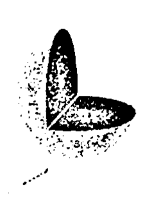
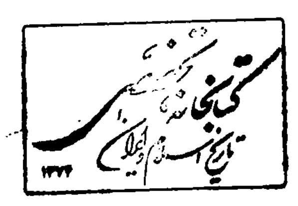
الخوري فرنسيس صليبا

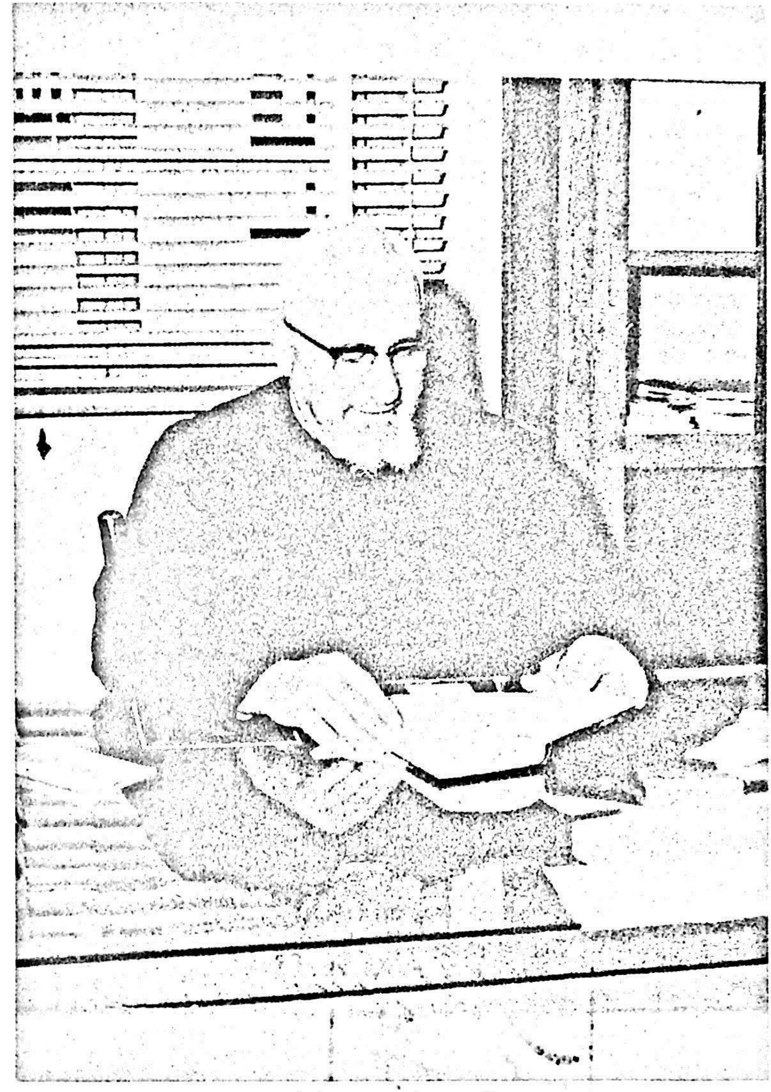
عمود في هيكل الرب

كلمة في ذكراه الأربعين

حصارات/جبيل في 1996/06/16

والمنتصر سأجعله عموداً في هيكل إلهي، فلن
يخرج منه بعد الآن، وأنقش عليه اسم إلهي.
رؤيا يوحنا 3/11 – 13

الخوري فرنسيس صليبا

صاحب السيادة آبائي الأجلاّء،

أعزائي أنسباء الأب فرنسيس وأصدقاءَه.

بين الخوري فرنسيس إبن الخوري يوسف صليبا وحصارات، هذه البلدة الطيِّبة، حكايةُ حُبٍّ عتيقة. فعلى أرضِها تلاقى بأناسٍ أحبَّهم وأحبّوه، عشِق صغارهم، وآخى كبارهم، وشاركهم أفراحَ الحياةِ وأتراحَها.

وفي أرضها وارى أحبّةً له. وما أخالُ روحَه الآن إلاّ مناجيةً أرواحَهم ومغتبطةً بفرح اللقاء.

ولَئِنْ تكُنْ حصارات أمينةً على العهد ثابتةً على الوفاء، فأمرٌ ليس بالغريب. فالوفاء جزءٌ من طبيعة هذه القرية، يتنشّقه أبناؤها مع الهواء، ويُعجن في معاجنها مع الطحين والماء، فينتجُ خبزها طيِّباً لذيذاً.

وكما المحبّة متبادَلَةٌ كانت، بين الخوري فرنسيس وحصارات، فالوفاء كذلك. فذاك الكاهنُ الذي وقف على ذا المذبح نيّفاً وأربع عشرة سنة متوالية، رافعاً صَلاتَه إلى الله ليباركَكُم أنتم أبناءَ البلدة ويحفَظَكم. ما أخالُه اليوم إلاّ مصلّياً وشافعاً لدى الله لكم، وهو القائل في هذا الهيكل في عظة تركها بين أوراقه:«الموتى الذين في السماء هم شفعاءُ لنا أمام الله لأن صِلتَهم بنا لم تنقطع بموتهم. فالأم التي كانت تهتمّ بعائلتها لن تهملَ عائلتها بعد انتقالها إلى السماء. وكذلك الأبُ والأخُ والأخت، وهنيئاً لعائلة أحدُ أفرادِها في السماء».

وحكايةُ الخوري فرنسيس مع هذه البلدة كحكايته مع أحد أركانها المونسنيور الياس الحويّك. فقد تصادقا منذ الصبا ومشيا معاً دربَ الرّبِّ والكهنوت. وفي رسالةٍ وجّهها إليه بتاريخ 1988/4/29، يقول

الخوري فرنسيس:

«إن فضلَك عليّ كبيرٌ، وأنتَ الذي مهّدتَ لي السبيل للذهاب إلى فلسطين، ولا تزالُ تَشملُني بعطفِك وكَرَمِك. وكلّ ذلك يعود الفضل فيه إلى اعتنائك بي من حين كنتُ طالباً إلى الآن. ومهما قدّمتُ لك لن أستطيع أن أفي ما عليّ نحو شخصك الكريم».

أيها الأعزّاء،

كثيرون منا عرفوا الخوري فرنسيس، ولكنّ مَن عرف ذاك التاريخَ الحافل لأحداث حياتِه قليل.

في كتابه "الحقائق الجليّة في تاريخ العشيرة الصليبيّة"، الصادر بالعربيّة والإنكليزية في بيروت عام 1950، يقول المؤرّخ نجيب الصليبي عن الخوري فرنسيس (ص 285):«في العام 1939 أرسله المطران عبدالله الخوري إلى مدرسة الطائفة في يافا أستاذاً ومن ثمّ مديراً. ثم عيّنه البطريرك أنطون عريضة في المحكمة البطريركية الاستئنافية عام 1942. وأثناء أحداث فلسطين، عاد إلى لبنان حيث عيّنه البطريرك عريضة واعظاً في بلاد جبيل لإلقاء الرياضات الروحية في المدن والقرى، ثم عيّنته اللجنة الرسولية عام 1947 مديراً أعلى على التلامذة الإلكليريكيين في مدرسة عين ورقة البطريركية».

أشير هنا إلى أن الخوري فرنسيس خرّج جيلاً من الكهنة تلقّى بعضهم درجة الأسقفيّة كالمطران فرنسيس البيسري وغيره.

هذا على الصعيد الروحي. أما على الصعيد الوطني فقد كانت له جولات، فمذ كان في الخامسة عشرة من عمره أي خلال عامَي 1931 و 1932 كتب عدداً من المقالات مثل: "كلنا للرحيل من أجل الوطن"، "النملة والصرصور"، "إلى حضرة رئيس الجمهورية المقبل"...

ومن مقال له بعنوان "ألم ينقضِ عهد التجارب في لبنان؟":«وما عهدُ

التجارب في لبنان سوى عهدُ الشؤمِ والبلاء، فمنذ نشوبِ الحرب الكونية إلى انسحاب الأتراك، إلى عهدِ الاحتلال، ومنذ تألّفت حكومةُ لبنانَ الكبير إلى أيامِ الجمهوريّة اللبنانية، سلسلةٌ من التجارب في نظام الحكم أدّت إلى تضخّم موازنة البلاد وإرهاق بنيها بالضرائب الفادحة.

يقولون إن في نيّة المنتدبين إبدال الحكم النيابي الحالي بنظام جديد وشكل جديد. أفما كفى لبنان ما قاساه من أهوال التجارب ونكباتها؟ أفما كفاه تسكّعاً في دياجير الأهواء والأغراض تنفيذاً لخطّة هذا، واتّباعاً لمشروع ذاك؟

»ليست العلّة في شكل النظام أيها الناس، ولكنّها في الرجال الذين يقومون بتطبيق النظام. ليست العلّة في صلب الدستور، ولكنها في القائمين على تفسير موادّ الدستور«.

وقد جمعته بالرئيس الشيخ بشارة الخوري صداقةٌ متينة، إذ جعله هذا الأخير المعرّفَ له، فكان يقيمُ له القدّاس في القصر والمنزل في أثناء الولاية وبعدَها. وأرسله الرئيس الخوري في مهمّات عديدة إلى الخارج وخصوصاً إلى سورية.

وبعد عهد الشيخ بشارة واصل عمله الوطني، فنشر عدداً من المقالات. وكان من المقرّبين للرئيس الأمير اللواء فؤاد شهاب فترة عهده.

ومن مقال له بتاريخ 1956/5/9، عنوانه "خطاب إلى المسلمين"، يقول:«هل نحن بحاجة إلى القول مرّة أخرى إن إنقاذ لبنان يتطلّب من المسيحيين بدون أن يُضمروا أية عاطفةٍ غير ودّيةٍ للمسلمين، أن ينضووا تحت لواء بكركي لكي يستطيعوا أن يخاطبوا مواطنيهم المسلمين الأعزاء، وكلما اضطرهم الأمر إلى ذلك، بلغة الحقيقة والحزم، اللغة التي تكلّموا بها سنة 1943 والتي نسوها اليوم لأغراض شخصية: إن علينا أن نظلّ متأهبين للدفاع عن أنفسنا مع دعوتنا إياكم دعوةً ولا أصدق

ولا أخلص إلى العيش معاً بسلام في ظلّ نظام مبني على المساواة والأخوّة والحرية. هذا إذا شئتم، وإلاّ، وهذا شيء مؤسف، لن يكون في لبنان سلام».

لن أطيل الاستشهاد بكتابات الخوري فرنسيس، فالأمر يتّسع لكتاب كامل. وإنني أعمل على جمع مختارات مما كتب وخطب وأرسل وتلقّى ممّن عاصروه وصادقوه، مع وثائقَ لها به صلةٌ في كتاب يصدر لاحقاً عن دار بيبليون في بيروت وباريس.

يبقى أن أشير إلى أنه كانت للخوري فرنسيس صليبا إسهامات في الحقل التربوي. فقد أمضى أكثر من ثلاثين عاماً أستاذاً ومديراً للدروس في مدرسة أخوة المدارس المسيحيّة المعروفة بفرير فرن الشباك، خرَّج خلالها أجيالاً من النشء تولّت مهمّاتٍ ومسؤولياتٍ بارزةً في الوطن، والمجتمع.

عمّي الحبيب، أأَبكيك وأنتَ القائل في رثاء صديقك الرئيس الشيخ بشارة الخوري:«ولولا حكمةُ الله التي قرنت عاطفة الكآبة بعاطفة الرجاء لما صَبَرَ المرءُ على مَضَضْ الغموم ولا قاوم شدّةَ وطأتها، بل لقد كان يُقضى عليه من ضَنَكِ غمٍّ ومرارةِ حزنٍ، ولهذا قال النبيّ داود: «لماذا تكتئبين يا نفسي وتقلقين فيّ... ارتجي الله».

على هذا الرجاء ودّعناك ، وعلى أمل اللقاء بكيناك.

ذكراك باقية كعطر الخزامى في قلبِ مَن عرفوك وأحبّوك، والكلماتُ التي كَتَبْتَ تخلّد أعمالاً وأفكاراً ومواقفَ لك في الوطن والإنسان.

«فيا أيتها النفس المطمئنّة، عودي إلى ربّك راضيةً مَرْضيّةً وادخلي في عبادي وادخلي جنّتي».

والسلام

د. لويس صليبا

فهرس الصوَر والخرائط

- نقش على ضريح نسطوري كُتب باللغتين السريانية والتيبتية ... 6
- نقش على قبر نسطوري في الهند 8
- كنيسة نسطورية في فماغوسطا/قبرص 34
- خريطة الشرق المسيحي 66
- مسلّة سي نغان فو جزء من الكتابة الكلدانية 104
- الأبرشيات النسطورية السبعة من الداخل.................. 112
- مجمع أفسس 120
- خارطة... 136
- دير ربن هرمزد/الموصل................................ 144
- بلاد الشام في عصر الدولة الأموية قرن2''هـ 152
- ساحل البحر المتوسط زمن الحروب الصليبية 160
- مخطط فروع الكنائس السريانية 180
- خارطة منطقة حدياب الكبرى............................ 198
- سوريا وشمال ما بين النهرين 224
- القدّيس توما الرسول 234
- مار ماري مؤسس كنيسة المشرق.......................... 234
- تمثال لنسطور الذي تبنّت كنيسة المشرق مذهبه 306
- مار شمعون برصباعي.................................... 308
- مار آبا الكبير.. 308

- أيقونة لنسطور 324
- البطريرك إيشوعياب الثالث الحدياب 326
- البطريرك طيموتاوس الأول الكبير.............................. 326
- آثار كنيسة نسطورية في الجبيل المملكة العربية السعودية ... 448
- المشرق الإسلامي في أبرز مدنه 474
- مخطوط أول 480
- مخطوط ثاني 481
- جغرافيا الصراع الإسلامي الصليبي............................. 482
- الخوري فرنسيس صليبا 502



فهرس التراجم وسائر الحواشي

- أبو البركات بن كبر .... 23 - 24
- عبد يشوع الصوباوي.................................... 26
- بولس الراهب الإنطاكي 26
- ابن تيمية 26
- إيليا النصيبيني.................................... 29
- التاريخ السعردي 31
- سعيد بن البطريرك.................................... 31
- ساويروس ابن المقفّع.............................. 31- 32
- سمعان السامر والسيمونية 40
- مارون أبو الموارنة 40
- جرجيس مطران أربيل والموصل............................ 42
- يعقوب الرهاوي 44- 45
- إغناطيوس الثاني بطريرك اليعاقبة 45
- يوحنا ابن المعدني بطريرك اليعاقبة .... 45 – 46
- سبر يشوع بن بولس...................................... 46
- إيشوعياب بار ملكون..................................... 47
- مار إفرام السرياني...................................... 48
- يوحنا الدمشقي.................................. 48 – 49
- إيسيدورس البيلوسي 118
- يوليان الجاحد 124

- ايليا/أورشليم 172
- ابن ربّن الطبري.............................. 185
- التاريخ السعردي.............................. 194
- رسالة نبي الإسلام إلى المقوقس...................... 196
- أكثم بن صيفي.............................. 196
- مار يعقوب أسقف نصيبين.......................... 249
- القدّيس أوجين أبو الرهبان 250
- القديسان سركيس وباخوس.............. 250 – 251
- الملك قرداغ.................................. 258
- مار شليطا 258
- المطران برشبار 258
- الشماس بختيشوع الشهيد......................... 259
- القدّيس أرسانيوس 262
- يوحنا فم الذهب............................... 264
- دانيال برمريم 266
- اضطهاد المسيحيين في عهد يخردجرد 267- 268
- مار يعقوب المقطّع .... 269 – 270
- مار يوحنا الكشكري 272
- مار فثيون 272
- نرساي أو نرسيسي 279
- أليشع...................................... 280
- إبراهيم الكشكري 281- 282
- قرارات المجامع السريانية 485- 490م.................. 282

- يعقوب البرادعي 284
- أبيمالك 293
- إيشوعياب بار قصري 293
- زينا الأسقف الشهيد 302
- جبرونا القرني 303
- مار أبا 304
- باباي الكبير .... 304 -305
- سبريشوع/القرن 7 312
- خوداهوي 312
- ربان هرمزد .... 312 -313
- قاميشوع 315
- ميخا الجرمقي 315
- أفنيماران الكبير 316
- ربّان سابور 317
- يوحنا الديلمي .... 319 -320
- الخليفة سليمان بن عبدالملك 321
- يوحنا بن ماسويه 339
- السيمونية 352
- عيسى أبو سهل المسيحي 367
- أبو الفرج عبدالله بن الطيّب 370
- مار قوما 491
- دخناناشاه 495
- أبو الحسن الوزير المسيحي الشهيد 500

المحتويات

كتب للدكتور لويس صليبا 2
الإهداء 5
مقدمة المحقق 7
القسم الأول/ بحث في المذهب النسطوري وفي عهود أهل الذمة في الإسلام 17
الباب الأول: صليبا بن يوحنا حافظ تراث النساطرة .19
الفصل الأول: صليبا بن يوحنا وكتابه أسفار الأسرار 21
- أسفار الأسرار ضحية التباس دام قروناً 23
- ما نعرفه عن سيرة صليبا ومؤلّفاته.......................25
- عنوان الكتاب الحاوي أخبار البطاركة.....................27
- دوافع تأليف أسرار الأسفار 28
- تصميم موجز لأسفار الأسرار 30
- مصادر أسفار الأسرار 31
- صليبا ناسخ أكثر مما هو مؤلّف............................32
الفصل الثاني: أسفار الأسرار، كتُبه، فصوله ومواضيعه..35
- رايت ومخطوطة كامبريدج....................................37
- تصميم مفصّل لأسفار الأسرار 37
I – السِفر الأوّل ويحتوي خمس مقدّمات 38
II – السِفر الثاني في تسعة أقسام 38

III – السِفر الثالث في سبعة أقسام........................ 39
IV – السِفر الرابع في سبعة أقسام........................ 39
V – السِفر الخامس في سبعة أصول........................ 40
أولاً: الأصل الأول........................ 40
ثانياً: الأصل الثاني........................ 41
ثالثاً: الأصل الثالث........................ 43
رابعاً: الأصل الرابع........................ 46
خامساً: الأصل الخامس........................ 47
سادساً: الأصل السادس........................ 00
سابعاً: الأصل السابع........................ 49
- عمل تجميعي وغير مبتكر........................ 49

الفصل الثالث: أخبار البطاركة لصليبا، ميزاته وتحقيقه........................ 51

- عملنا في نشر نص الأخبار........................ 53
- بعض سِمات أخبار البطاركة لصليبا........................ 54
- إضافات صليبا وميزاتها........................ 59
إضافات صليبا: وثيقة نادرة عن عهد المغول........................ 59
فسحة حرّية نعمت بها كل الأقليات........................ 62
- نشر الأقسام الأخرى من أسفار الأسرار........................ 63

الباب الثاني: كنيسة المشرق في أبرز محطات تاريخها قبل الإسلام... 67

الفصل الأول: كنيسة المشرق من زمن الرسل........ 69

- توما الرسول وكنيسة المشرق........................ 71
- مراسلة أبجر والمسيح........................ 71

- ماري مؤسس كنيسة المشرق 73
- نشأة جاثليقية المدائن 74
- تسمية كنيسة المشرق.................................. 75
- الزرادشتية ديانة فارس والمسيحية ديانة بيزنطية 75
- الاضطهاد الأربعيني للمسيحيين 76
- من نهاية الاضطهاد الأربعيني حتى مجمع ساليق 77

الفصل الثاني: كنيسة المشرق حتى ظهور الإسلام 79

- كيف تبنّى المشارقة مذهب نسطور؟.......................... 81
- مار آبا الكبير الجاثليق 82
- إيشوعياب الثالث الحديابي 83

الفصل الثالث: كنيسة المشرق في الهند والصين. 85

- كنيسة المشرق ومسيحيو الهند 87
- كنيسة المشرق والمسيحية في الصين.......................... 90
- كنيسة المشرق في التيبت.................................. 91

الباب الثالث/ نسطور وعقيدة كنيسة المشرق...... 93

الفصل الأول: دياطسرون ططيانس وأثره في كنيسة المشرق والإسلام............. 97

- ططيانس من الوثنية إلى المسيحية فالهرطقة 96
- ططيانس يؤلّف الدياطسرون في الرافدين 97
- كنائس المشرق تعتمد الدياطسرون إنجيلاً موحّداً 98
- ربّولا يحرّم استخدام الدياطسرون 99
- كنيسة المشرق تستمرّ في استخدام الدياطسرون................ 100

- الأثر المحتمل للدياطسرون في الإسلام 102

الفصل الثاني: نسطور عدو الهرطقات أم هرطوقي؟! 103

- نسطور لم يكُن نسطورياً 105
- المصيصي ينصح نسطور التخفيف من غيرته 106
- نسطور يفتتح بطريركيته بحرب على الهراطقة 106
- الجدل في لقب أم الله 107
- كيرلّس يرأس مجمع أفسس ويحرم نسطور وأفكاره 108
- أم المسيح بتسمية أدق 108
- نسطور مسكون بهاجس الهرطقات 109
- الخلاف مع نسطور يكاد ينحصر في الألفاظ 110
- عدائية نسطور سبب في حرمه 111

الفصل الثالث: نسطور وكيرلّس عداوة ولّدت انشقاقاً 113

- نسطور خليفة فم الذهب وكيرلّس وريث تيوفيلوس 115
- كيرلّس يتأرجح بين المونوفيزية والطبيعتين 116
- عداوة كيرلّس لفم الذهب جرّت كرهاً لنسطور 117
- كيرلّس يصفّي الحسابات في مجمع أفسس 118

الفصل الرابع: الخلاف مع نسطور بين الأمس واليوم 121

- نزاع وحروب بسبب اختلافات لفظية 123

- وحدة في الإيمان واختلاف في التعبير........................ 125
- بيان كريستولوجي يلغي الحرومات المتبادلة 126
الباب الرابع/ دراسة في عهود أهل الذمة في الإسلام 129
الفصل الأول: من عهود الخلفاء للبطاركة إلى مناشيرهم في أهل الذمة.............. 131
الفصل الثاني: المتوكل أوّل مَن طبّق الشروط العمَرية.............................. 137
- المتوكّل بداية انحطاط الدولة العباسية........................ 139
- المتوكّل يضطهد كل الملل والفرق باستثناء السنة.............. 140
- إجراءات المتوكّل بحق أهل الذمة 141
- إجراءات المتوكّل هي الأولى في قسوتها وشمولها 143
الفصل الثالث: الشروط العمرية، مصادرها ونصّها.............................. 145
- نص العهدة العمرية وأبرز مَن ذكروه............................ 147
- ذكر الشروط العُمرية وأحكامها وموجباتها 148
الفصل الرابع: عهدة عمر وأبرز إشكالياتها.......... 153
- إشكالية سند العهدة العمرية............................. 155
- ابن القيّم يموّه ضعف أسناده 156
- علماء الحديث يتفقون على تضعيف عهدة عمر................ 157
- تضارب في روايات عهدة عمر 157
- إشكالية بنية العهدة وأسلوبها 158

الفصل الخامس: في تفنيد متن العهدة العمَرية. . 169
- الإضافات إلى العهدة تؤكّد وضعها 163
- نقد شرط الامتناع عن تعلّم القرآن 164
- عبارة زنانير تفضح الوضع 165
الفصل السادس: زمن العهدة المرجّح........................ 169
- العهدة تناقض سائر العهود المماثلة 171
- زمن العهدة العمرية 173
- كتاب الخراج مفتاح زمن العهدة........................ 175
- دلائل وضع وثيقة أبي يوسف 176
- ما الذي يُلجئ الفقيه إلى الوضع؟!........................ 177
- تضييق مؤقت في عهد المعتصم 178
الفصل السابع: المتوكّل ووضع الشروط العمرية . 181
- عهدة عمر سبب لإجراءات المتوكّل أم ذريعة لها؟........................ 183
- مؤشرات الوضع في عهدة عمر 184
الفصل الثامن: أثر عهدة عمر على أوضاع
النصارى 187
- العهدة أساس لمعاملة الذمّيين 189
- العهدة سبب تحوّل الأكثريات المسيحية إلى إسلامية 190
- مواجهة النصارى للعهدة العمرية........................ 191
1 – التظاهر بالإسلام 191
2 – العهود المضادّة للشروط العمرية 194
دلائل وضع العهدة المضادّة........................ 195

الفصل التاسع: عهود الرسول وعمر للنصارى كما وردت في التاريخ السعردي 199
- ظهور الإسلام ثبّته الله ونصره 201
- وكتب سجلاً نسخته 206
- عهد عمر.. 211
الفصل العاشر: مناشير المتوكّل وخلفائه في معاملة أهل الذمة 213
- مناشير المتوكّل واختلافها عن إجراءاته 215
- منشور المتوكّل في أهل الذمة برواية الطبري 216
- منشور المتوكّل في رواية ابن القيم.............................. 220
- مراسيم الخلفاء العباسيين في أهل الذمة 222
مرسوم يمنع استخدام أهل الذمة في الدواوين295 هـ........ 222
مرسوم القائم بأمر الله سنة 429 هـ.......................... 222
توقيع المقتدي بالله بإلزام اليهود عدم تغيير ملابسهم........... 223
رسالة الناصر بمنع استخدام أهل الذمة في الدواوين 223
مكتبة البحث، مراجع الدراسة والتحقيق.................... 225
أخبار بطاركة كرسي المشرق، من كتاب أسفار الأسرار 231
الباب الأول/البطاركة منذ ظهور المسيحية حتى مجيء الإسلام 233
فصل 1" ماري مؤسّس الكرسي البطريركي في المداين.. 235
فصل 2" أبريس................................. 236
جاثليق آت من أورشليم 236

فصل 3// إبراهيم الأول 237
مار إبراهيم يشفي ابن الملك ويرفع الاضطهاد 237
فصل 4// يعقوب الأول 239
جاثليق عنوان القداسة 239
فصل 5// أحاد دابوي 240
مرشحان للجثلقة يتوجّهان إلى إنطاكيا 240
أحادابوي ينجو ويسام في أورشليم 240
سجل البطاركة بإلغاء الذهاب إلى إنطاكيا 241
فصل 6// شحلوفا 246
جاثليق يتقن محاجة اليهود والمجوس 247
فصل 7// فافا الأول 248
شابور يتوّج في بطن أمه 248
شابور يأسر بطريرك إنطاكيا 249
أحداث زمن فافا ومشاهيره 249
فصل 8// مار شمعون الأول برصباعي الشهيد 251
شمعون يخلف فافا قبل وفاته 251
شمعون يشجّع رعيته ويودّعها 252
شابور يعتقل شمعون 253
شمعون يستشهد مع ستين ألف مسيحي 254
إبنة ملك الأهواز تستشهد 255
الكرسي يخلو بعد استشهاد شمعون 256
فصل 9// مار شاهدوست 256
شاهدوست يتقدّم ليملأ الفراغ 256
شاهدوست يستشهد حيث قضى شمعون 257

فصل 10'' بريعشمين 257
جاثليق وشهيد ثالث 257
شليطا وبرشبا وسائر مشاهير زمن بريعشين 258
فصل 11'' تومرصا (تموزا) 259
تومرصا يعيد بناء الكنائس 259
مار عبد إيشوع وعجائبه 260
فصل 12'' قيوما 260
قيوما يتقدّم للجثلقة زمن الاضطهاد 260
قيوما يستعفي ويختار خلفاً له 261
فصل 13'' إسحق الأول 262
ملك الروم يرسل ماروثا فيشفي الفرس 262
أسحق يعقد مجمعاً بحضور ماروثا 263
ماروثا ومجمع القسطنطينية 264
فصل 14'' أحي الأوّل 265
أحي يجمع قصص شهداء فارس 265
فصل 15'' يهبالاها الأول 266
يهبالاها يشفي ابن ملك الفرس 266
عودة الاضطهاد بعد وفاة يهبالاها 267
فصل 16'' معنا 268
إختاره ملك الفرس ثم أراد عزله 268
فصل 17'' فرابخت 270
جاثليق حاول أن يمجّس النصارى فعزل 270
فصل 18'' داديشوع 270
بهرام يقبل بجثلقة داديشوع ثم ينقلب عليه 271

موسى الساحر وأحداث أخرى في زمن داديشوع 271
فصل 19// بابويه 273
فيلسوف مجوسي يتنصّر 273
بابوي يخاصم طبيب الملك 273
الطبيب يوقع ببابوي فيُصلب 274
فيروز يرسل المطران برصوما إلى ملك الروم 275
قانون إيمان برصوما نموذج للعقيدة النسطورية 276
برصوما يخاصم طبيب الملك 276
فصل 20// أقاق 276
فيروز يرسل أقاق لمفاوضة الروم 279
فصل 21// باباي 280
جاثليق متزوّج يلزم الكهنة بالزواج 281
باباي يشرح للملك عقيدة القيامة 282
فصل 22// شيلا 283
جاثليق متزوّج ومحب المال 283
فصل 23// نرساي 285
جاثليقان متناحران 285
فصل 23// مكرّر (أليشع) 286
فصل 24// بولس 286
كسرى يختار جاثليقاً 286
فصل 25// مار أبا الأول الكبير 287
كاتب مجوسي يتنصّر 287
مار أبّا يعيد تنظيم الكنيسة 288

فصل 26″ يوسف الأول 289
كسرى يفرض طبيبه جاثليقاً 289
يوسف يطغى فيعزل 290
فصل 27″حزقيال 262
من خبّاز إلى جاثليق 291
الطاعون يفتك بالألوف 292
صوم نينوى يرفع الطاعون 292
فصل 28″إيشوعياب الأوّل الأرزني 294
هرمزد يرسل إيشوعياب إلى ملك الروم 294
قانون إيمان إيشوعياب 295
شفاء النعمان ملك الحيرة وتنصّره 297
أبرز آثار إيشوعياب ومشاهير زمنه 298
فصل 29″ سبريشوع 300
سبريشوع يظهر على كسرى وينصره في الحرب 300
كسرى يأمر بترتيب سبر يشوع جاثليقاً 301
فصل 30″غريغور الأول 303
غريغور الملفان بدل غريغور نصيبين 303
الباب الثاني: البطاركة في صدر الإسلام 305
فصل 31″إيشوعياب الثاني الجدالي 309
ملكة الفرس ترسل إيشوعياب إلى هرقل 309
قانون إيمان إيشوعياب 310
مراسلات إيشوعياب مع نبيّ المسلمين 311
فصل 32″مارامه 313
أوّل مَن أمر الكهنة بالزنار 313

فصل 33//إيشوعيهب الثالث الحديابيّ......................... 314
فوضوه الاختيار فاختار نفسه جاثليقاً......................... 314
فصل 34//كيوركيس الأوّل......................... 315
أي جيورجيس قصد إيشوعياب؟!......................... 316
فصل 35//يوحنا برمرتا......................... 317
ربّان سابور يتنبّأ له بالجثلقة......................... 317
فصل 36//حنا نيشوع الأوّل (الأعرج)......................... 318
صراع على الجثلقة بين حنا نيشوع والأبرص......................... 318
صليبا يشهد فتح ناووس حنا نيشوع بعد 650 سنة......................... 319
فصل 36//مكرّر (يوحنا الأبرص)......................... 320
فصل 37//صليبا زخا......................... 320
صليبا زخا يعيد كل مَن أسامه حنانيشوع......................... 321
فصل 38//فثيون......................... 322
بطريرك على خطى أبّا الأوّل......................... 322
فصل 39//آبا الثاني......................... 323
جاثليق يهجر المداين......................... 323

الباب الثالث/البطاركة في العصر العباّسي... 325

فصل 40//سورين......................... 327
فصل 41//يعقوب الثاني......................... 327
جاثليق قضى تسع سنوات في السجن......................... 328
فصل 42// حنا نيشوع الثاني......................... 328
بطريرك يموت مسموماً......................... 328

فصل 43″طيمثاوس الأول الكبير 329
احتال لينتخب بطريركاً 329
جاثليق مكرّم عند الخلفاء 330
أي الأديان عند الله الحق 330
أبرز إصلاحات طيموتاوس.......................... 331
فصل 44″إيشوع برنون 331
زميل ومعادٍ لطيموثاوس 332
برنون ورؤيا وفاته 333
فصل 45″كيوركيس الثاني.......................... 334
فصل 46″سبريشوع الثاني.......................... 335
تجديد بناء كرسي البطرك.......................... 335
فصل 47″إبراهيم الثاني المرجي 336
المتوكل يهين النصارى 336
الخلاص من المتوكل 336
فصل 48″تاودوسيوس الأول.......................... 338
ثلاثة مطارين يُختارون ويموتون قبل السيامة.......................... 338
فصل 49″سركيس الأول.......................... 340
بطريرك يرسم أساقفة على الأبرشيات.......................... 340
فصل 50″أنوش.......................... 341
صراع على الكرسي بين مرشحين.......................... 341
فصل 51″يوحنا الثاني بن نرسي 343
بطريرك يصنع العجائب 343
- قصة اختيار يوحنا ابن نرسي للفطركة 344
ابن نرسي يسحب القرعة وفيها اسمه.......................... 344

أعجوبة في جنازة ابن نرسي........................ 345
سلسلة رؤى وأعاجيب لابن نرسي 346
فصل 52// يوانيس (يوحنا الثالث) 349
يوانيس يملأ المراكز الشاغرة 349
فصل 53// يوحنا الرابع (ابن الأعرج) 350
عهدة الجاثليق يوحنا بن مرتا 350
سيامة ابن مرتا والأساقفة المشاركون........................ 352
فصل 54// إبراهيم الثالث الباجرمي........................ 353
صرّة ذهب جعلته جاثليقاً 354
فصل 55// عمانوئيل الأول........................ 355
وقعة المختار للجثلقة مع ابن سنجلا........................ 355
حكاية رجل أراد شراء جارية ليستولدها 356
ابن سنجلا يشير باختيار راهب للجثلقة 358
عمانويل يرى جنازة سلفه في منامه 358
راهب يتنبّأ لعمانويل بالجثلقة 359
حوار بين الخليفة وعمانويل 360
جاثليق محبّ الدراهم 361
فصل 56// إسرائيل الأول........................ 362
إسرائيل يتنبّأ للخليفة بالنصر........................ 362
حوار نسطوري ملكي في طبيعة المسيح........................ 363
إسرائيل يتنبّأ بقصر عهده 364
فصل 57// عبديشوع الأوّل 364
بطريرك ذو فضائل ومعجزات........................ 364

فصل 58 //ماري بن طوبى 365
رسم المطارنة وأغنى الكرسي 366
فصل 59 //يوانيس (يوحنا الخامس) بن عيسى 368
يوانيس يثبت زعامته على فرق النصارى.................. 368
فصل 60 //يوحنا السادس نازوك........................ 369
مصائب النصارى وعودة الغيار 369
فصل 61 //إيشوعياب الرابع بن حزقيال 371
فصل 62 //إيليا الأوّل................................ 372
إيليا يفوز بالقرعة 372
بطريرك لاهوتي وكاتب 373
وفاة ابن الطيّب وإيليا النصيبيني 374
فصل 63 //يوحنا السابع ابن الطرغال.................... 374
أحداث نهب البيع في زمنه........................... 374
فصل 64 //سبريشوع الثالث زنبور...................... 375
سبريشوع يعيد مطران نصيبين إلى المجمع.................. 376
فصل 65 //عبديشوع الثاني ابن العارض 376
مطران نصيبين يُختار جاثليقاً 377
الغرق العظيم في بغداد 377
فصل 66 //مكّيخا الأول.............................. 378
ابن الواسطي يؤثر في اختيار مكّيخا...................... 378
خلاف مكّيخا وابن الواسطي 378
فصل 67 //إيليا الثاني ابن المقلي....................... 379
بطريرك يحكم بالنصفة بين القوي والضعيف 379
فصل 68 //الجاثليق برصوما الأوّل 381
يوحنا الأسقف يشفي أخرساً أصماً 381

فصل 69"عبديشوع الثالث ابن المقلي 382
عبديشوع يجدّد المركز البطريركي 383
فصل 70"إيشوعياب الخامس البلدي 383
غرق مثلث في بغداد 384
وفاة رؤساء الملل الثلاث في سنة واحدة 384
إيشوعياب يشفي قسّيساً بعد وفاته 384
ظهور المسيح على فلاّح 385
فصل 71"إيليا الثالث أبو حليم 388
بطريرك سخيّ وملفان 388
أقواله عند وفاته 389
أعجوبة أولى في حفظ يوم الأحد 390
إنذار لقرية وزلزال 391
فصل 72"يهبالاها الثاني ابن قيوما 393
النصارى في عيش هني زمن يابالاها 393
فصل 73"سبريشوع الرابع ابن قيوما 394
اختير ليخلف عمّه 394
فصل 74"سبريشوع الخامس ابن المسيحي 395
بطريرك يهتمّ بطلاّب الكهنوت 396
مراسم دفن البطريرك وما عقبه من إجراءات 397
الباب الرابع/البطاركة في العهد المغولي 399
فصل 75"مكّيخا الثاني 401
عاصر سقوط بغداد وصادق هولاكو 401

فصل 76"دنحا الأوّل 403
سلطان المغول يخلع على دنحا 403
المسلمون ينبشون مقابر دنحا ومكّيخا 404
فصل 77"يهبالاها الثالث المغولي 405
جاء من الصين لزيارة القدس 405
راهب يتنبأ ليهبالاها بالجثلقة 406
مراسم سيامة معظّمة 406
نال من العزّ ما لم ينله بطرك قبله 407
عودة الذلّ في آخر أيامه 407
خلاصة في مجموع الفطاركة 408
- المطارنة وكراسيهم 408
- البطاركة على إيمان واحد منذ الرسل 409
القسم الثالث/أسفار الأسرار 411
1 - السِفر الأول رسالة البرهان والإرشاد 413
- عنوان الرسالة وغايتها 415
عنوان الرسالة 415
أدعية المؤلّف 415
الغاية وحدة المسيحيين 415
- روابط الوحدة 416
الأب واحد والمخلّص واحد 416
أسرار الكنيسة تجمع المسيحيين 416
وحدة التقاليد والمعلّمين 417

عصر الكنيسة الذهبي 419
- الانقسام من الشرير 419
مخطّط إبليس 419
صولة إبليس في الشرق 420
- الاضطهاد الأربعيني 421
إيحاء شرير وصمود مسيحي 421
صمود المسيحيين 421
الجاثليق شمعون يثبّت المؤمنين 421
خطبة شمعون برصباعي 422
استشهاد شمعون الجاثليق 424
- مواقف خطأ من النساطرة 425
مزاعم باطلة بشأن عقيدتنا 425
برصوما وعقيدة النساطرة 426
- تهم اعتباطية موروثة 426
أسباب ثلاثة للتهم 427
- خاتمة: دعاء من أجل الوحدة 427
2 - في توحيد البارئ وصفاته 429
- غرض الكتاب 431
- وجود الله وأزليته 431
أ – الله موجود 431
الكائنات البسيطة: ما يُدرك بفعله 431
- الله يشاهد في أفعاله 432
ب – الله أزليّ 432
- صفات الله الذاتية 433

1 – هي ثلاث 433
الله أزلي، حيّ، ناطق 433
لله روح ونطق 433
الله ثلاثة أقانيم 433
2 – تسميتها عند النصارى 434
الذات والكلمة والروح 434
الآب والابن والروح القدس 434
الله ثلاثة اقانيم، جوهر واحد 434
تحديد القنوم 434
الأقانيم الثلاثة إله واحد 435
البراهين الفلسفية على وحدانية الذات وتثيث الصفات 435
شهادات الكتب المقدّسة على وحدانية الله 436
1 – من العهد الجديد 436
2 – من العهد القديم 437
قياسات لتثليث الصفات الذاتية والوحدانية الجوهر 438
1 – من المحسوسات 438
2 – من المعقولات 439
3 – أمثلة أخرى على وحدانية الجوهر واختلاف الخواصّ 439
شهادات الكتب المقدّسة على تثليث الصفات 440
شهادات الكتب المقدّسة على تثليث الصفات 440
1 – من العهد القديم 440
2 – من العهد الجديد 441
الخلاصة: الله واحد، لا إله إلاّ هو 441
الصفات الذاتية والصفات الفعليّة 441

1 – الصفات الذاتية........................ 441
القدم، النطق، الحياة الدائمة.................. 441
تسميتها عند السريان 442
2 – الصفات الفعلية.......................... 442
الخلاصة في توحيد النصارى.................. 442
3 -في الكلام على اتحاد كلمة الله 443
- صعوبة فهم الاتحاد 445
- ألم الناسوت هل هو ألف للاهوت 445
أمثلة توضيح.................................. 446
اشتراك الخواصّ................................ 446
أسماء الابن الثلاثة 446
- شهادات من الإنجيل............................ 447
4 - في الشهادات على ناسوت المسيح............. 449
- مولد المسيح في الإنجيل 451
- المسيح من سلالة إبراهيم وداود 451
- المسيح ابن البشر 451
5 - في الشهادات على لاهوت المسيح وناسوته... 453
I – المسيح إله وإنسان.......................... 455
شهادات من الإنجيل 455
II – المسيح ابن الله 458
1 – كلمة الله يحلّ فيه 458
2 – شهادة الآب............................... 458
3 – أقسام البنوّة............................... 458
4 – شهادة الابن 459

III – آراء المسيحيين في الاتحاد 459
1 – رأي النساطرة والدفاع عنه 460
2 – رأي اليعاقبة والردّ عليه 461
3 – رأي الملكيين والردّ عليه 462
6 – البرهان لتصحيح الإيمان 463
7 -رسالة في الأبوّة والبنوّة 466
– مقدّمة صليبا بن يوحنا 469
– الأبوّة والبنوّة تحديداً ومعنى 469
مثل على الثالوث 470
– الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم 470
– يسوع المسيح إله وإنسان 470
المسيح الكلمة المتجسّد 470
جوهران وأقنومان في مسيح واحد 471
الاتحاد مشروحاً بأمثلة 471
الأبوّة والبنوّة بأقسامها السبعة 427
– الخلاصة 473
8 - في التوحيد والتثليث 475
– إله واحد وثلاثة أقانيم 477
– المسيح إله كامل وإنسان كامل 477
– الاتحاد: تحديده وأنواعه 477
– مذاهب ثلاثة في الاتحاد 478
– ردّ على اليعاقبة 478
– ردّ على الملكية 479
– صحة مذهب المشارقة 479

9 -رسالة مار مكّيخا البطريرك في حقيقة الديانة... 483
- كلمة صليبا بن يوحنا 485
- سلام ودعاء للمرسل إليه 485
- غاية الرسالة........ 485
- موضوع الرسالة........ 486
- وجوب الحفاظ على الإيمان رغم الاضطهاد 487
- بيع الدنيا بالآخرة........ 489
- تضحية القدّيسين ومعجزاتهم........ 489
- آيات كنيسة القيامة........ 490
- عجائب القدّيسين برهان للإيمان........ 490
- تعليم بولس الرسول في النضال الروحي........ 492
- إيمان الآباء مفتاح خلاصهم........ 493
- الإيمان بالمسيح عنوان النجاة 494
- بسالة الشهداء منارة للإيمان........ 494
- أخبار شهداء المشرق 495

حكاية دخناناشاه 495

ريح تدفن جثامين الشهداء 496

آباء مجمع نيقيا تحمّلوا الاضطهاد........ 496

بسالة مار توما في مواجهة الآريوسيين........ 497

حضور المسيح في المجمع........ 497

خبر استشهاد الجاثليق شمعون 498

- شهداء النصارى في الإسلام........ 500

ملحق: الخوري فرنسيس صليبا عمود في هيكل الرب 501

فهرس الصور........ 507

محتويات الكتاب 509

سلسلة الصمت في التصوّف والأديان المقارنة

يصدرها ويشرف عليها د. لويس صليبا

صدر منها

1 – مقامات الصمت والمدن المقدّسة، ويليه ملحق في الصمت واليوغا تقديم المستشرق البروفسور بيير لوري.

2 – الصمت في الهندوسية واليوغا: تعاليمه واختباراته في الڤيدا وسيَر الحكماء المعاصرين.

3 – الصمت في اليهودية: تقاليده في التوراة والتلمود وعند الحسيديم. وإيليا نبي الإصغاء إلى الصمت، قدّم له أ. إميل عقيقي.

4 – الصمت في المسيحية: مفهومه الإنجيلي واختباراته في كنائس المشرق والغرب، تقديم الأب د. جوزف قزّي.

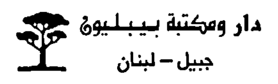
5 – شربل رفيقنا الصامت: حكاية قداسة لبنانية عنوانها الصمت، قدّم له الأب د. جوزف قزّي.

يصدر لاحقاً

6 – الصمت في الإسلام: آدابه في سِيَر الرسول وآل بيته والصوفيّة.

7 – الصمت في البوذية.

8 – التأمّل واليوغا.



سلسلة أديان ... وكتب مقدسة

صدر منها :

1 – الكيتا كتاب الهندوسية المقدّس. ترجمة ودراسة د. ماكن لال شودري.
155 ص

2 – أقدم كتاب في العالم: ريك ڤيدا، دراسة، ترجمة وتعليقات بقلم د. لويس صليبا.
590 ص

3 – كتاب الأقدس، كتاب البهائية المقدّس مع مدخل إلى الدين البهائي تاريخه وعقائده.
260 ص

4 – مجموعة من ألواح حضرة بهاء الله نزلت بعد كتاب الأقدس ويليها ردّ على تحذير جبهة العلماء.
270 ص

5 – كتُب البابيّة المقدّسة، فهرسها ونشرها وقدّم لها المستشرق إدورد براون.
270 ص

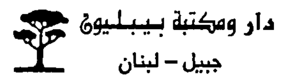
6 – ديانة السيخ بين الإسلام والهندوسية: تاريخها عقائدها، صراعها مع الإسلام وأبرز نصوصها المقدّسة. د.لويس صليبا.

7– الدهمّاپادا: كتاب البوذية المقدّس. ترجمة سحبان مروّة. 220ص

8 – التوراة السامرية، ترجمة الكاهن السامري إسحق الصوري، دراسة وتقديم سحبان مروّة.
360ص

يصدر لاحقاً:

- التوراة السامرية.
- كنزا ربّا.



سلسلة المسيحية والإسلام بين الجدل والحوار

1 – هم... ونحن، دراسة مقارنة بين المسيحية وسائر المذاهب والديانات للأب جبرائيل كليجا. 400 ص

2 – كتاب الدعامة، محاورات حول المسيحية والأديان والمذاهب الأخرى نشره الأب جرجس دير أروتين الكاثوليكي. 400 ص

3 – الباكورة الشهية في الروايات الدينية، مناظرة وحوار بين علماء مسيحيين ومسلمين. 168 ص

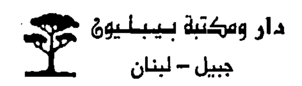
4 – الأزاهير المضمومة في الدين والحكومة للشيخ أمين خيرالله صليبا، وتسبقه دراسة للدكتور لويس صليبا: مفكّر مسيحي طالب بالإسلام ديناً للدولة. 640 ص

5 – مجموعة الردود على الخوارج (فلاسفة المسلمين)، للقدّيس توما الأكويني وهو تفنيد ونقد لنظريات الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وعلماء الكلام على ضوء الفلسفة المسيحية. ترجمة وتعليق المطران نعمة الله أبي كرم. 560 ص

6 - موجز عن الإسلام، تأليف الأب يواكيم مبارك، تقديم الشيخ صبحي الصالح. 143 ص

7 – الرد على سِيَرَ الأوزاعي: سيرة المسلمين في معاملة أهل الذمّة والحرب والمرتدين لِ صاحب أبي حنيفة الأمام أبي يوسف بن إبراهيم الأنصاري تحقيق أبو الوفا الأفغاني. 145ص

8 – توما الأكويني وردوده على فلاسفة الإسلام، بحوث في مآثره وآثاره وتأثيره، دراسة وتحقيق د. لويس صليبا. 630ص



مكتبة توما الأكويني معلّم معلّمي الكنيسة

1 – مجموعة الردود على الخوارج (فلاسفة المسلمين)، للقدّيس توما الأكويني وهو تفنيد ونقد لنظريات الفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد وعلماء الكلام على ضوء الفلسفة المسيحية. ترجمة وتعليق المطران نعمة الله أبي كرم.

2 – الخلاصة اللاهوتية للقدّيس توما الأكويني، وهو موسوعة شاملة في الفلسفة والعقائد والفرق المسيحية، ترجمة المطران بولس عوّاد. 5 أجزاء.

3 – توما الأكويني وأثره عبر العصور، بحوث في سيرته وفلسفته الإلهية والاجتماعية، تحقيق وترجمة وتأليف د. لويس صليبا.

4 – هكذا علّم توما الأكويني، مدخل إلى مؤلّفاته ويليه كتابَي الأنبياء الكذبة والوجود والماهية ونصوص أخرى، دراسة وترجمة د. لويس صليبا.

5 – توما الأكويني والإسلام، بحوث في مصادره الإسلامية وردوده على الفلاسفة، دراسة وتحقيق د. لويس صليبا.

6 – فلسفة مسيحيّة في أرض الإسلام: التوماوية فلاسفتها ودورها في الحوار المسيحي الإسلامي، للدكتور لويس صليبا.

7 – رسالة في الردّ على المسلمين للقدّيس توما الأكويني، دراسة وتحقيق د.. لويس صليبا.

8 – قاموس الفلسفة المسيحيّة، التوماوية مصادرها وفلاسفتها، للدكتور لويس صليبا.

دار ومكتبة بيبليون
جبيل – لبنان

سلسلة اليهوديّة بأقلام يهوديّة

1 - صدر منها

1- م. حاي بن شمعون، كتاب الأحكام الشرعيّة في الأحوال الشخصيّة للملة اليهوديّة.
2- الدكتور هلال فارحي، كتاب أساس الدين: تعاليم الديانة اليهوديّة وقواعد إيمانها، ويليه كتاب أصداء التوراة للحبر ولش.
3- ماكس مارجوليز وألكسندر ماركس، تاريخ الشعب اليهودي في العصور الوسطى، أو كيف يروي اليهود تاريخهم.
4- إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهليّة وصدر الإسلام، قدّم له د. طه حسين، مع دراسة مدخل: صراع اليهوديّة والإسلام من منظور يهودي، للدكتور لويس صليبا.
5- إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون: حياته ومصنّفاته، تقديم مصطفى عبدالرازق.
6- جوزف هرتس، خلاصة الفكر اليهودي عبر العصور، نصوص أساسية من التلمود وأحبار اليهود وفلاسفتهم، تحوي زبدة العقائد اليهودية في الدين والمجتمع، مع دراسة تحليلية للدكتور لويس صليبا: الفكر اليهودي بين الخصوصية والشمولية.
7- د. سليم شعشوع، تاريخ الفلسفة والعلوم اليهودية في أرض الإسلام: دراسة في تراث اليهود في الدولة الإسلامية وخصوصا في الأندلس. مع دراسة وتكملة لـ د. لويس صليبا: الفلسفة والعلوم اليهودية جسر تواصل بين العرب والغرب.
8- إيلي ليفي أبو عسل، يقظة العالم اليهودي، ويسبقه كتاب: من تاريخ الصهيونية في أرض الإسلام: دراسة لجذورها في المشرق وتلفيقاتها لتاريخه لـ د. لويس صليبا.
9- تاريخ يوسيفوس اليهودي (ت 100م)، نشره نقولا مدوّر. مقدمة ودراسة لشاهين مكاريوس.
10- شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين: اليهود قديماً وحديثاً مع تراجم مشاهيرهم شرقا وغربا. خاتمة لـ روفائيل بن شمعون حاخام مصر الأكبر.
11- رحلة الرابي بنيامين التطيلي (1160 – 1173)، وفيها وصف لأوضاع اليهود في مختلف البلدان ولِفِرَق الدروز والحشاشين وغيرها. ترجمة، دراسة وتعليق عزرا حدّاد.
12- عزّ الدولة بن كمّونة، تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، قدّم له بدراسة وعلق عليه: د. لويس صليبا.
13- العلامة دي بفلي، المعاملات والحدود في شرع اليهود طبقا لأحكام التوراة والتلمود مع مقارنة بالشريعة الإسلامية. تعريب القاضي محمد حافظ صبري.
14- موسى بن ميمون (ت 601 هـ)، شرح أحكام التوارة والتلمود، دراسة وتقديم د. عباس زرياب.
15- د. إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب)، كعب الأحبار وتسبقه دراسة للأثر اليهودي في الحديث النبوي والتفسير، للدكتور لويس صليبا.

سلسلة المعراج/النص، الواقع، والخيال

صدر منها

1 - كتاب المعراج للقشيري، نشره وعلّق عليه، د. لويس صليبا. وتسبقه دراسة للناشر بعنوان: المعراج بين المحدّثين والمتكلّمين والمتصوّفين.
ط2، 340 ص

2 - معراج محمد/المخطوطة الأندلسية الضائعة، ترجمة لنصّها اللاتيني مع دراسة وتعليقات وبحث في جذور نظرة الغرب إلى الإسلام، للدكتور لويس صليبا.
ط2، 340 ص

3 - المعراج في الوجدان الشعبي: أثره في نشأة الفِرَق والفنون والكتب المنحولة في الإسلام مع تحقيق لِ "معراج النبي" عن مخطوطة للشيخ داود الرفاعي، نشر ودراسة د.لويس صليبا.
ط2، 370 ص

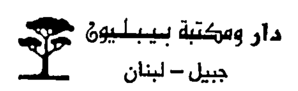
4 - المعراج من منظور الأديان المقارنة: دراسة لمصادره السابقة للإسلام ولأبحاث المستشرقين فيه. تأليف د. لويس صليبا.
ط2، 422 ص

يصدر قريباً

5- المعراج وأثره في التصوير الإسلامي.

6- المعراجَين الفارسي والمسيحي وأثرهما في المعراج الإسلامي.

7- المعراج في مأثورات المحدّثين والمتكلّمين.


دار ومكتبة بيبليون
جبيل – لبنان

(تابع ص 2 من الكتاب)

15 – نحو الحوار المسيحي-الإمامي: بحوث في نقاط الالتقاء بين المسيحية والشيعة الإمامية. ط1، 2015، ط2، 506 ص.

16 –السنة والشيعة: مذهبان أم ديانتان؟! دراسة في اختلافات العقيدة والفقه بينهما ولا سيما في التقية والمتعة.
ط1، 2015، ط2، 584 ص

17 – الآثار الكاملة للأب عفيف عسيران: دراسة، ترجمة وتحقيق.
ط1، 2015، 620 ص

18 – اليوغا في الإسلام، مع تحقيق وشرح لكتاب باتنجلي الهندي للبيروني. ط1، 2016، 350 ص

19 – حدّ الردّة ركن التكفير، بحث في جذور الأصوليات التكفيرية في الإسلام.

II - في الدراسات الهندية والڤيدية

20- L'Hindouisme et son influence sur la pensée musulmane selon Al-Bîrûnî (m1048), Paris, 1995, 2ème édition, 2009, 250 p.

21 – الأيورڤيدا والطب العربي: دراسة في الطب الهندي وأثره في الإسلام، مع تحقيق لمقالة من جوامع كتب الهند للطبري.
ط1، 2006، ط2، 378 ص

22 – أقدم كتاب في العالم : ريك ڤيدا، دراسة، ترجمة وتعليقات.
ط1، 2005، ط4، 600 ص

23 – موسوعة الأيورڤيدا(الطب الهندي)، دراسة علمية، ودليل عملي للتداوي، وحفظ العافية. ط1، 2006، ط2، 675 ص

24 – ديانة السيخ بين الهندوسية والإسلام: تاريخها، عقائدها، صراعها مع الإسلام مع نصوص من كتابها المقدّس.
ط1، 2008، ط3، 355 ص

25 – الصمت في الهندوسية واليوغا، تعاليمه واختباراته في الڤيدا وسير الحكماء المعاصرين. ط1، 2009، ط3، 330 ص

26 – أديان الهند وأثرها في جبران، دراسة للمصادر التيوزوفية في أدب نابغة المهجر. تقديم د. بيتسا استيفانو.
ط1، 2015، 390 ص

27 – هندوسي من لبنان: ميخائيل نعيمة.

28 – نعيمه وجبران والفلسفة الهندية: وحدة مصادر وعلاقة ملتبسة.

III - في التصوّف

29 – إشارات، شطحات ... ورحيل: أناشيد ومختارات صوفية مع أبرز شطحات الحلاج والبسطامي ولوحات لعدد منها، ودراسة لظاهرة الشطح في التصوف، تقديم المستشرق بيير لوري. ط1، 2005، ط3، 228 ص

30 – **مرآة القلب**، حكايات وأغنيات عاشق. ومحاولات في العشق الصوفي. مع مختارات من الأتهارفافيدا وكتابات الشركسي الصوفي، مقدمة بقلم جاد حاتم، مع ذيل في القُبلة في التصوف والأديان. ط1، 2005،ط3، 200 ص

31 – **الرغبة المبتسرة**، أبحاث ومحاولات في المحرّم. تقديم ماجدة داغر. ط1، 2010،ط2، 276 ص

32 – **المعراج بين المحدّثين والمتكلّمين والمتصوفين**، دراسة ونشر وتعليق لكتاب المعراج للقشيري. ط1، 2007،ط4، 352 ص

33 – **مقامات الصمت والمدن المقدّسة**: مع ملحق في الصمت واليوغا ومقدّمة للمستشرق بيير لوري.
ط1،2008،1،ط3، 376ص

34 – **جدلية الغياب... والحضور**: محاولات وبحوث في التجربة الصوفية وفي الحضرة. تقديم عماد يونس فغالي.
ط1، 2014، 330 ص

35 – **سائح على ضفاف الذات**: حكاية مسار صوفي وسيرة ذاتية شعرية، تقديم عماد يونس فغالي. ط1، 2014، 378 ص

IV - في الدراسات اليهودية

36 – **صراع اليهودية والإسلام من منظور يهودي**: دراسة وتحقيق لكتاب تاريخ اليهود في الجاهلية وصدر الإسلام لإسرائيل ولفنسون، ط1، 2006،ط3، 372 ص

37 – **الفكر اليهودي بين الخصوصية والشمولية** دراسة ومدخل لكتاب تلمود اليهودية المعاصرة للحاخام هرتس.
ط1، 2007،ط2، 560 ص

38 – **الفلسفة اليهودية، جسر تواصل بين العرب والغرب**. دراسة وتكملة لكتاب تاريخ الفلسفة والعلوم اليهودية في أرض الإسلام لسليم شعشوع. ط1، 2007،ط2، 412 ص

39 – **من تاريخ الصهيونية في أرض الإسلام**، دراسة لجذورها في المشرق، وتلفيقاتها لتاريخه ورد على كتاب يقظة العالم اليهودي. ط1، 2007، 320 + 320 ص

40 – **الصمت في اليهودية**: تقاليده في التوراة والتلمود وعند الحسيديم وإيليا نبي الصمت، تقديم أ. إميل عقيقي.
ط1، 2009،ط3، 376 ص

41 – عنف الأديان الإبراهيمية، حتمية أم خيار، دراسة وتحقيق لأعمال المؤتمر المسيحي-الإسلامي. ط1، 2016، 460 ص

V - في الدراسات المسيحية

42 – **الصمت في المسيحية**: مفهومه واختباراته في الإنجيل وكنائس المشرق والغرب تقديم د. جوزف قزّي.
ط 1، 2009،ط 4، 462 ص

43 – **شربل رفيقنا الصامت**، حكاية قداسة لبنانية عنوانها الصمت، تقديم أ. جوزف قزّي. ط 1، 2009،ط 4، 380 ص

44 – توما الأكويني وأثره عبر العصور، بحوث في سيرته **وفلسفته الإلهية والاجتماعية**. ط 1، 2011،ط 2، 486 ص

45 – **هكذا علّم توما الأكويني**، مدخل إلى مؤلفاته يليه كتابا الأنبياء الكذبة والوجود والماهية ونصوص أخرى.
ط 1، 2011،ط 2، 410 ص

46 – **من تاريخ الفلسفة المسيحية في أرض الإسلام**: التوماوية فلاسفتها ودورها في الحوار المسيحي الإسلامي، تقديم أ. بولس الفغالي. ط 1، 2011،ط 2، 610 ص

47 – **قاموس الفلسفة المسيحية**، اللاهوت الكاثوليكي مصادره وفلاسفته. ط 1، 2012،ط 3، 496 ص

48 – **الإسلام والهرطقات المسيحية**: دراسة وترجمة لكتاب القدّيس يوحنّا الدمشقي في الإسلام.

49 – **اليوغا في المسيحية**: دراسة مقارنة بين تصوفين، تقديم د.بيتسا استيفانو. ط 1، 2016،ط 2، 340 ص

VI - في تاريخ المشرق ولبنان

50 – **الدولة الإسلامية من منظور مسيحي**/دراسة لكتاب الأزاهير المضمومة لأمين صليبا ولدور الأرثوذكس في الحكم الفيصلي (1918 – 1920). ط 1، 2005،ط 3، 400 ص

51 – **صدام الأديان والمذاهب في لبنان**: **شهادة من الماضي عبرة للآتي**، دراسة وتحقيق وملاحق لكتاب مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان، لميخائيل مشاقة. ط 1، 2007،ط 2، 634ص

52 – **الاغتراب اللبناني ملحمة أم مأساة**، دراسة وتذييل لكتاب تاريخ المهاجرة اللبنانية مع دراسة لأوضاع المسيحيين في الولايات العثمانية. ط 1، 2008، ط 2، 590+220 ص

53 – **عابر يلبس كهنوت المسيح**، سيرة الأب عفيف عسيران وروحانيته. ط 1، 2013،ط 3، 664 ص

54 – **لبنان الكبير... أم لبنان خطأ تاريخي**: نزاعات على الكيان نشأة وهوية. دراسة ووثائق. ط 1، 2015،ط 2، 428 ص

55 – ولادة وطن: جولة في وثائق لبنان الكبير.